

تنشئة

الطفل

وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته

دكتورة

يسرية صادق

أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود
جامعة عين شمس (سابقا)

دكتور

زكريا الشربيني

أستاذ بجامعة الملك سعود
جامعة عين شمس (سابقا)

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

١٩٢٤: ٣٧ - زكريا الشربيني.
ذلك أن تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته /
زكريا الشربيني، بسرية صادق . - القاهرة : دار الفكر العربي،
٢٠٠١.

٣٦٢ ص : جلد؛ ٢٤ سم.
ببليوجرافية: ص ٣٥١ - ٣٦٢.
تدمك : ٧ - ٠٧٨٠ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - الآباء والأبناء. ٢ - الأطفال - تربية. ٣ - الأطفال -
رعاية. أ - بسرية صادق، مؤلف مشارك. ب - العنوان.

أميرة للطباعة

ه شارع محمود الخضرى - صابدين
ت ٣٩١٥٨١٧، محمول ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

عن رسول الله ﷺ : «إن الله سائل كل راع عما استرعاه،
حفظه أم ضيَّعه». وقال عليه أفضل الصلاة وأتم
التسليمات: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة،
فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه».

صدق رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾

يعد موضوع تنشئة الطفل من الموضوعات ذات الأهمية فى حاضر عالمنا، الذى تعاقبت عليه العديد من الأزمات، تتراكم وتتكدس انعكاساتها الإيجابية والسلبية حقبة بعد أخرى، وتنتج تباينا فى أساليب العيش مع التحولات الناجمة، وضياعا لبعض القيم، وصراعا بين الأجيال داخل البناء الاجتماعى الواحد. إن البناء الاجتماعى يهدف إلى تحقيق التوازن بين التأثيرات الثقافية وأساليب الضغط الاجتماعى لدى الأفراد أعضاء هذا البناء، وإلى إيجاد نوع من التوافق بين حاجات الأفراد ومطالب المجتمع، وإلى إيجاد سلوكيات تحقق رغبات الفرد ويرضى عنها الآخرون.

وتعد تجارب السنوات الأولى من حياة الطفل، التى تهيم للمراحل الأخرى من نضجه العقلى والنفسى والاجتماعى، مرتبطة وثيق الارتباط بتصورات الآخرين الذين يشكلون المجموعة التى ينتمى إليها، بقيمها وعاداتها، وعلى وجه الخصوص بسلطة الأسرة بداية، التى يتأثر بها تأثرا عميقا.

وقد تظهر الصورة شاحبة هزيلة فى بؤسها، ولكنها حقيقة حياة ملايين من الأسر التى ينمو أطفالها وغالبا ما تكون لديهم اتجاهات وعادات وقيم هى غير المطلوبة لمجتمع عليه أن يسبق الزمن متخطيا سنى التخلف إلى بدايات ضعيفة للتقدم.

إن إعداد أطفال يتمكنون من العيش سعداء فى أوطانهم، وفى عالمهم، لمن أعسر المهام، وأبعثها على النخوة. والأمر لا يتطلب تعليمهم لعدد من القيم الاجتماعية التى تمثل جوهر المجتمع فحسب، بل نساعدهم على اكتساب المرونة لتلائم مع المتغيرات الجديدة وليدة التحولات الاجتماعية السريعة. وبذلك يتكون

داخل أبناء المجتمع معنى الانتماء ومفهوم الولاء، أى يتبنى كل فرد لمجتمعه، ويستشعر الولاء له.

إن أداء الواجب ينبع من انتماء الفرد لجماعة صغيرة، ثم انتمائه لجماعة أكبر فأكبر حتى يشمل الوطن كله. بهذا تتقدم الشعوب والدول والأمم. والتنشئة هي المسؤولة عن تعليم الطفل وتدريبه على أداء الواجبات، والانتماء شديد الصلة بالولاء، وكلاهما مشبع بالحب، وما أجمل أن يحب الطفل أسرته ومدرسته ومدينته ووطنه... والبشرية كلها.

ويتم إدماج الأطفال فى المجتمع وفق عملية التنشئة الاجتماعية، التى إطارها الأول الوالدان داخل الأسرة، ويأتى بعد ذلك دور العديد من وكالات التنشئة التى تساهم أيضا مع الأسرة فى إكساب الأطفال نسق المعايير الأخلاقية التى تنظم العلاقات بين الفرد وأفراد المجتمع؛ وبذلك يصبح لدى الطفل أدوات فعالة أولية تساعد على الاندماج فى الجماعات المتعددة عبر مراحل نموه.

والطفل العربى يقاسم كل أطفال العالم صعوبة التلاؤم أثناء نموه مع عالم اليوم السريع المتطور، إلا أن طابع إعدادة يجب أن يجعله أهلا لفهم مدلول القيم التى أورتها إياه الأجيال السابقة، وصيانة ودعم التقاليد، بحيث يصبح بإمكانه فى الغد أن يواصل تبليغ ما ورث إلى الأجيال التالية. ورغم كل ذلك تبقى هذه الأجيال مستعدة للعيش وسط سلاسل من التغيرات الاجتماعية والثقافية.

إن اقتناع جيل ما بأنه مسئول عن الجيل الذى يليه، يعنى أن جيلا يزرع أشجارا ستكبر بعد سنوات وتؤتى أكلها بعد حين ليستفيد بها جيل لاحق، وهذا الجيل اللاحق لن يكتفى بجنى الثمرات ولكن عليه أن يزرع أشجارا. ومن هنا يكون الجيل المربى حقيقيا هو الذى يبنى مستقبل مجتمعه، ويكمل مسيرة جيل سابق له، وفى هذا أخذ وعطاء، والتنشئة تؤكد على الاثنين.

وقديما قال الفيلسوف الإغريقى المعروف «أفلاطون» ما معناه : «هل نسمح للأطفال دون عناية لأن يستمعوا لأى شخص ولأى قصة؟ إنهم سيتلقون أخبارا وأحاديث لها معان هى أبعد ما تكون عما نريد لأطفالنا أن ينشأوا عليه، وكالسموم الخطرة على الجسم، فكذلك هذه المعانى خطيرة على عقول الأطفال... وهذا ضد ما نود أن ينشأ عليه الأطفال وهم فى طريقهم إلى أن يصبحوا كبارا».

وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الزموا أولادكم وأحسنوا أديهم». فالتنشئة إذا كان محورها الأدب فهي خير ميراث، وحسن الخلق هو خير قرين ..

والكتاب الذى بين أيدينا يعالج موضوع تنشئة الطفل، ودور الوالدين فى رعايته، وأساليب معاملته وتمكينه من التغلب على بعض المشكلات التى تعترض مسار تلك التنشئة.

ويشتمل الكتاب على ثمانية فصول، جاء الفصل الأول حول مفهوم التنشئة الاجتماعية وتاريخها ونظرياتها ومراحلها وحدودها وأهدافها وشروطها .. واشتمل الفصل الثانى على دور الثقافة فى تنشئة الأطفال ونظم تشكيل الأطفال تبعاً للثقافة. أما الفصل الثالث فقد استعرض أهم وكالات التنشئة الاجتماعية، واشتمل الفصل الرابع على نماذج لتنشئة الطفل من بيئات مختلفة فى العالم. وفي الفصل الخامس أقتراح نموذج للنموذج للوالدية فى ضوء أفكار Belsky وبعض الدراسات السابقة العربية والأجنبية. ودارت الفصول الثلاثة الأخيرة حول تفاعل الوالدين والأبناء، ودور الوالدين فى تنشئة الأطفال على المبادئ ومواجهة مشكلات أطفالهم، وهى ترجمة بتصرف للفصول الثانى والثالث والسابع من مؤلف Rincover. وتعد كتابات Denham و Elkin و Maccoby و Shaffer وغيرهم من الباحثين العرب والأجانب من أهم ما اعتمد عليه الكتاب الحالى.

ونأمل أن يجد القارئ الكريم فيما نكتب أفكاراً مستساغة ميسرة، ونسأل الله أن يوفقنا إلى تقديم المزيد حول الأطفال وسيكولوجيتهم.

ونتمنى أن يخرج هذا العمل العلمى مواكبا المعرفة العلمية المعاصرة فى مجال التنشئة، ونشارك به مع من يسعون إلى تقوية حركة دراسات الطفولة؛ مما يحقق مزيداً من النهضة والتجديد فى تربية النشء العربى فى عالمنا المعاصر.

والله نسأل حسن القصد

القاهرة - مصر الجديدة

السبت ٢٦ أغسطس ١٩٩٥

المؤلفان

1899. This year I have the honor to acknowledge the receipt of your letter of the 10th inst. in relation to the purchase of a copy of the "History of the State of New York" for the purpose of the same. I have the pleasure to inform you that the same has been forwarded to you by express of the 12th inst. and is now in your possession. I am, Sir, very respectfully,
Yours truly,
J. B. Thompson.

1. The first thing I noticed when I stepped out of the car was the cold. It was a sharp contrast to the warm blanket I had been sitting under. I shivered as I walked towards the entrance of the building. The air was thick with the scent of old books and the sound of distant footsteps. I felt a sense of anticipation, a mix of excitement and nervousness. The building was grand, with high ceilings and ornate details. I walked through a long hallway, the walls lined with bookshelves filled with various volumes. The floor was made of polished wood, reflecting the light from the chandeliers. I stopped at a large wooden desk, where a man in a suit was sitting. He looked up at me and smiled. "Welcome," he said. "I'm Mr. Smith. How can I help you?" I introduced myself and explained the purpose of my visit. He listened intently, nodding as I spoke. When I finished, he stood up and gestured for me to follow him. We walked through a series of rooms, each with its own unique character. I saw a library, a study, and a large hall with a high vaulted ceiling. Mr. Smith stopped at a door and opened it. "This is the office," he said. "Please, sit down." I took a seat at a large desk covered with papers and books. Mr. Smith sat opposite me, leaning back in his chair. "I've reviewed your application," he said. "You have some interesting qualifications. We'll need to discuss this further with the committee. In the meantime, you can stay in the guest room. The staff will show you to it." I thanked him and followed him to a small room with a comfortable bed and a desk. I felt a sense of relief and excitement. This was my chance to prove myself. I would show them that I was capable and worthy of the position. I looked at the clock on the wall. It was late in the afternoon. I decided to take a walk in the garden. The garden was beautiful, with a variety of flowers and a large fountain in the center. I walked along a path, enjoying the fresh air and the sound of the water. I felt a sense of peace and tranquility. I returned to the room and found a letter on the desk. It was from Mr. Smith. "I've spoken with the committee," it said. "They are impressed with your qualifications. You will be joining our team tomorrow. Please, get ready for your first day." I read the letter and smiled. I felt a sense of accomplishment and pride. I was about to start a new chapter in my life. I looked at the clock again. It was time to get ready for bed. I turned off the light and closed my eyes. I fell asleep, dreaming of the future.

¹⁰ *Journal of the American Medical Association*, 1990; 263: 1025-1026.
¹¹ *Journal of the American Medical Association*, 1990; 263: 1026-1027.

[illegible]

1. The first group of people who are interested in the study of the history of the United States are the people who are interested in the history of the United States.

$\frac{d}{dt} \left(\frac{1}{r^2} \right) = -\frac{2}{r^3} \frac{dr}{dt}$

1. Understand the problem

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26

$$\frac{1}{\sigma^2} \sum_{t=1}^T \left(\hat{\theta}_t - \theta^* \right)^2 = O_p(1)$$

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

الفصل الأول

تنشئة الأطفال اجتماعيا

أولا : مفهوم التنشئة الاجتماعية. ١٧

ثانيا : لمحة تاريخية عن التنشئة ومعاملة الأطفال. ٢٠

ثالثا : نظريات في التنشئة الاجتماعية. ٢٨

١ - نظرية التحليل النفسي. ٢٩

٢ - نظريات التعلم الاجتماعي المبني علي فكرة التدعيم. ٣٠

٣ - نظرية الدور الاجتماعي. ٣١

رابعا : عمليات تحدث أثناء تنشئة الطفل. ٣٣

خامسا : متغيرات خلف العمليات التي تحدث أثناء التنشئة. ٣٦

١ - المطاوعة. ٣٦

٢ - العدوانية. ٣٧

٣ - التقليد والتعليم البديل. ٣٩

٤ - الحساسية من المشاهدين والمستمعين. ٣٩

٥ - تركيبة الأسرة. ٤٠

٦ - دافع الإنجاز. ٤١

٧ - بيئة الجنين والطفل. ٤٢

سادسا : الأخلاق وعملية التنشئة الاجتماعية. ٤٣

سابعا : اللغة وعملية التنشئة الاجتماعية. ٤٥

ثامنا : مراحل عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال. ٤٦

- ٤٦ ١ - مراحل التنشئة كعملية محدودة لها نهاية.
- ٤٨ ٢ - مراحل التنشئة كعملية مستمرة لا نهائية.
- ٥١ **تاسعا : حدود التنشئة الاجتماعية.**
- ٥٣ ١ - أطفال الكيبوتز.
- ٥٤ ٢ - استحالة المجتمعة للطفل.
- ٥٥ ٣ - محو آثار التنشئة.
- ٥٦ **عاشرا : أهداف ومحتوى التنشئة الاجتماعية للأطفال.**
- ٥٨ **حادي عشر : شروط تحقق التنشئة الاجتماعية الملائمة.**
- ٦٠ **ثاني عشر : نتائج التنشئة الاجتماعية على الأطفال.**
- ٦٣ **ثالث عشر : الإخفاق في التنشئة.**

الفصل الثاني

دور النقاة في تنشئة الطفل

- ٦٧ **أولا : مدخل**
- ٧٠ **ثانيا : نظم تشكيل الأطفال تبعا للثقافة**
- ٧٠ ١ - النظم الأولية :
- ٧١ أ - نظام الرضاعة.
- ٧١ ب - نظام الفطام.
- ٧١ ج - نظام الإخراج.
- ٧٢ د - تعديل العادات الجنسية.
- ٧٢ هـ - اللعب والثقافة.
- ٧٥ و - التدريب على الاستقلالية.
- ٧٧ ز - التدريب على العدوان.
- ٧٧ ٢ - النظم الثانوية :
- ٧٨ أ - نظام الاقتصاد.
- ٧٩ ب - نظام السياسة.

- ٨٠ ج - نظام القضاء والدين .
 ٨١ د - نظام العائلة .
 ٨٢ هـ - نظام الأخلاق .
 ٨٣ و - النظام الفنى الجمالى .
 ٨٤ ز - نظام اللغة .
 ٨٤ ح - النظام الديموجرافى والمورفولوجى .
 ٨٥ ك - التصورات عند الأطفال .

الفصل الثالث

وكالات التنشئة الاجتماعية

- ٩٠ أولا : الأسرة
 ١٠٥ ثانيا : دار الحضانة .
 ١٠٨ ثالثا : رياض الأطفال .
 ١١٤ رابعا : المدرسة .
 ١٢٧ خامسا : جماعة الرفاق .
 ١٣٥ سادسا : النوادي والساحات الشعبية والجمعيات .
 ١٣٨ سابعا : دور العبادة .
 ١٤١ ثامنا : وسائل الإعلام .
 ١٦٧ تاسعا : الخدم والبشكار والمربيات .

الفصل الرابع

نماذج لتنشئة الطفل من بيئات مختلفة

- ١٧٥ أولا : نمط تنشئة الطفل من قرية مصرية .
 ١٧٨ ثانيا : نمط تنشئة الطفل من قرية مكسيكية .
 ١٨١ ثالثا : التنشئة للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية .
 ١٨٣ رابعا : تنشئة الأطفال في روسيا .
 ١٨٨ خامسا : تنشئة الطفل العجري في الهند .

١٩٢ سادسا : نمط التنشئة في قرية كولبية.

١٩٧ سابعا : تنشئة الأطفال عند الفنزويليين الأفارقة.

٢٠١ ثامنا : تنشئة الأطفال في قرية فرنسية.

الفصل الخامس

نمو نموذج للوالدية في التنشئة

٢١١ أولا : تفاعل الوالدين مع الأبناء من خلال نماذج وبحوث.

٢١٧ ثانيا : الأساليب الوالدية في معاملة الأبناء.

الفصل السادس

الوالدان كجزء من مشاكل تنشئة الأطفال وأجزاء من الحلول

٢٣١ أولا : إعطاء الطفل الانطلاقة الأولى.

٢٣٣ ثانيا : أفضل التوقعات.

٢٣٣ ثالثا : المنافسة مع الآباء الآخرين.

٢٣٤ رابعا : علاقة الأبناء بأحد الأبوين.

٢٣٥ خامسا : الطفل يشبه أحد الوالدين.

٢٣٧ سادسا : الندية بين الأشقاء.

٢٣٩ سابعا : المشاركة في المسؤوليات بين الوالدين.

٢٤٠ ثامنا : تأثير الانفصال بين الوالدين أو الطلاق.

٢٤١ تاسعا : جليس الطفل.

٢٤٢ عاشرا : تفضيل الوالدين لأحد الأبناء.

٢٤٣ حادي عشر : حب الأطفال أكثر من اللازم.

الفصل السابع

دور الوالدين في تنشئة الأبناء على المبادئ

٢٤٧ أولا : استدلال الطفل عبر النموذج.

٢٤٨ ثانيا : زيادة قدرة الطفل لتوجيهه.

٢٤٩ ثالثا : تقسيم طريق الوصول إلى الهدف.

| | |
|-----|---|
| ٢٥١ | رابعاً : حب الأطفال لاهتمام وانتباه الوالدين. |
| ٢٥٣ | خامساً : استخدام التغذية الراجعة. |
| ٢٥٤ | سادساً : ما يخبرنا به الطفل بخصوص مشكلاته. |
| ٢٥٦ | سابعاً : عقاب الأطفال. |
| ٢٦١ | ثامناً : الاستمتاع مع الطفل. |
| ٢٦٣ | تاسعاً : الثواب أم الرشوة للأطفال. |
| ٣٦٤ | عاشراً : إعطاء الطفل حق الاختيار. |
| ٢٦٦ | حادي عشر : تعلم الصفات الخلقية والقيم. |

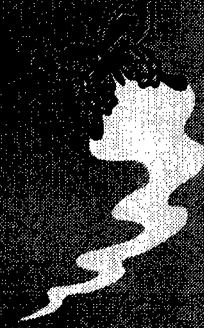
الفصل الثامن

دور الوالدين في مواجهة مشكلات أطفالهم أثناء التنشئة

| | |
|-----|---|
| ٢٧٤ | أولاً: مشكلات الأكل. |
| ٢٨٦ | ثانياً : البكاء ونوبات الغضب والانفعال. |
| ٢٩٠ | ثالثاً : عادة مص الأصابع. |
| ٢٩٣ | رابعاً : مشكلات الكلام. |
| ٣٠١ | خامساً : الخوف. |
| ٣٠٦ | سادساً : سلوك ضرب الرأس بالحائط وإصابة الطفل لنفسه. |
| ٣١١ | سابعاً : سلوك عدم الطاعة والاعتراض. |
| ٣٢٠ | ثامناً : التدريب علي قضاء الحاجة. |
| ٣٢٤ | تاسعاً : مشاكل النوم. |
| ٣٣٢ | عاشراً : العدوانية. |
| ٣٣٨ | حادي عشر : السلوك الاجتماعي والعلاقات. |
| ٣٤٣ | ثاني عشر : النشاط الزائد. |
| ٣٤٨ | ثالث عشر : الاستحواذ – الإكراه – الطقوس. |
| ٣٤٩ | رابع عشر : طلب المساعدة. |

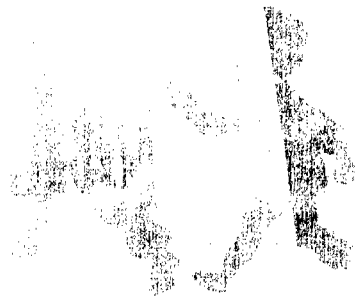
الفصل الأول

تنشئة الأطفال اجتماعيا



1

2



أولاً : مفهوم التنشئة الاجتماعية :

لقد اختفى إلى غير ظهور الوقت الذى كان فيه علماء النفس يشبهون الطفل بكتلة لينة يمكن للوالدين والمربين تشكيلها على النحو الذى يختارونه، وإن كان ينبغي على كل مجتمع أن يصل إلى ثلاثة حلول لقضايا هامة تواجهه بخصوص الأطفال، هى : طرق رعايتهم، وترسيخ القواعد التى تتحكم فى كيفية تفاعلهم مع الآخرين، ونقل المهارات والقيم من الكبار إليهم.

وإزاء المطلب الأخير واجهت المجتمعات مصاعب متباينة، معتمدة فى ذلك على عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعى، وتهدف إلى إكساب الأطفال سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنهم من مسيرة الجماعة والتوافق الاجتماعى، أى تكسبهم الطابع الاجتماعى وتيسر لهم الاندماج فى الحياة الاجتماعية. إن الأمر هنا ينطوى على ما يعرف بعملية «التنشئة الاجتماعية The Socialization Process» أو ما تسمى أحيانا بعملية التطبيع الاجتماعى، تلك العملية التى يتعلم من خلالها الفرد كيف يصبح فردا فى أسرته وعضوا فى مجتمعه، إنها عملية تعلم القصد منها أن ينمى لدى الطفل الذى يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتنوعة سلوك فعلى مقبول، ومعتاد وفق معايير الجماعة التى ينتمى إليها.

ويستعرض أبو القاسم الأصفهاني معنى التنشئة لغويا .. نشأ النشء، والنشأة إحداث الشئ وتربيته، وقوله تعالى : ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى﴾ (الواقعة : ٦٢). ويقال : نشأ فلان، والنشء يراد به الشاب، والإنشاء هو إيجاد الشئ وتربيته.

وفى سورة الملك : ﴿قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار﴾ (الملك : ٢٣).

وفى سورة المؤمنون : ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ (المؤمنون : ١٤).

وفى سورة العنكبوت : ﴿ينشئ النشأة الآخرة﴾ (العنكبوت : ٢٠).

وعموما أى يربى كترية النشأة، وينشأ أى يتربى.

ويرى Reber أنها العملية التى يصبح بها الفرد واعيا بالقيم والمهارات الاجتماعية، ومكتسبا لحساسية اجتماعية تؤهله إلى كيفية التفاعل مع الجماعة فى

مجتمعه. بينما يعرفها Kagan بأنها العملية التي تغرس في الطفل قيما وأنواعا من السلوك المناسب أو الملائم لمجتمه. ويتناولها Erikson على أنها عملية تحويل الكائن البشرى من حالة الطفولة أو الرضاعة، ومن حالة الضعف والأناية إلى حالة الراشد المثالى الذى يدين بالامتثال المعقول Sensible Conformity مع وجود سمات الاستقلال والإبداع.

ويرى حامد زهران أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم، وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية تمكنه من مساهمة جماعته والتوافق الاجتماعى معها، وهى عملية التشكيل الاجتماعى الخاصة الشخصية.

ويرى كل من Hetherington and Parke أن التنشئة الاجتماعية عملية يُعَلَّم فيها أفراد جدد فى المجتمع قواعد وقوانين اللعب الاجتماعى من خلال وكالات للتنشئة تساعد هؤلاء الجدد أن يتبنوا قوانين وقواعد تساعد على اللعب بنفس الطريقة المرتضاة فى ذلك المجتمع.

والتنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعى Social learning يتعلم فيها الفرد عموما - طفلا أو راشدا - عن طريق التفاعل الاجتماعى أدواره الاجتماعية Social Roles، ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية Social Norms والاتجاهات Attitudes النفسية، ويتعلم كيف يتصرف ويسلك بأسلوب اجتماعى توافق عليه وترتضيه الجماعة والمجتمع.

إن التنشئة الاجتماعية عملية يتم فيها تشكيل السلوك الإنسانى بتكوين المعايير والقيم والمهارات والاتجاهات للأفراد كى تتطابق وتتسق مع دورهم الاجتماعى حتى يسلك كل فرد حسب جنسه (ذكر - أنثى) ودوره المتوقع فى المجتمع الذى يعيش فيه حاضرا ومستقبلا.

والتنشئة الاجتماعية ليست فقط عملية تعلم اجتماعى بل هى أيضا عملية نمو يتحول خلالها الأفراد من أطفال اعتماديين متمركزين حول ذواتهم إلى كبار ناضجين يدركون إثارة الذات ومعنى المسؤولية الاجتماعية Social responsibility أو التبعية الاجتماعية، يضبطون انفعالاتهم ويتحكمون فى إلحاح الحاجات ويشبعونها بما يتفق وقيم المجتمع. وهذا ما يجعل عادل عز الدين يعرف التنشئة الاجتماعية

بأنها العملية التي يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتي اللازم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم.

وللتنشئة الاجتماعية خاصية الاستمرارية، فهي لا تقتصر على مرحلة الطفولة فقط بل تستمر في المراحل الأخرى كالمراهقة حتى الشيخوخة؛ لأن الفرد في كل من هذه المراحل ينتمى إلى جماعات من نوع جديد يبدو فيها بدور جديد ويعدل من سلوكياته ويكتسب أنماطا مستحدثة من السلوك، وهذا ما يدفع Parsons لتقديم معنى التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية لدى الطفل والراشد، هادفة إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، وتبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر باتساع أنساق التفاعل كلما كبر المرء. وتتأثر بجماعات الرفاق ونوع المهنة والتخصص وتعبّر عن نشاط البناء الاجتماعي بأنساقه (الأسرة - الدين - السياسة - التعليم - المهنة - الاقتصاد) الذي يضغط على الفرد لكي يتوافق مع غيره، ويتعلم كل يوم شيئا جديدا.

وهذا ما يضيف على عملية التنشئة مفهوم الدينامية؛ لأن الفرد في تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة يأخذ ويعطى في ضوء المعايير والأدوار الاجتماعية، ويؤثر ذلك مع عوامل أخرى على نمو الشخصية لكل فرد، ومن هذه العوامل - كما هو معروف - : الوراثة والغدد والغذاء والنضج والتعلم، بالإضافة إلى متغيرات أخرى مثل: أعمار الوالدين وحجم الأسرة والترتيب الميلادى . . إلخ.

ولعملية التنشئة وظيفة ظاهرة Manifest Function تنحصر في تدريب الطفل على أداء أنماط معينة من السلوك يرضى عنها المجتمع، ويتخذها الشخص دعامة لسلوكه أثناء حياته، كما أن لها وظيفة مستترة أو كامنة Latent Function تهدف إلى توحد الطفل مع مجموعة الأنماط الثقافية للمجتمع تعرف باسم القيم الاجتماعية Social Values التي تتكون منها بنية الشخصية Structure of Personality.

ويختلف الأشخاص في مبلغ قابليتهم للاندماج في حياة الجماعة باختلاف التنشئة التي يتعرضون لها، والتي تحيط بهم أثناء بداياتهم الأولى، مما قد يفسر لنا كيف يبدو بعض الأطفال منشئين اجتماعيين، وبعضهم مقاوم للاجتماعية Anti Social.



وتقل عجلة التنشئة الاجتماعية
Acceleration of Socialization (معدل
سرعة عملية التنشئة الاجتماعية) كلما نما
الطفل ونضج، وأصبح لديه رصيد كاف
من الخبرات والمهارات؛ لأنه يكون ذا
نشاط فعال ومؤثر في شبكة العلاقات
الاجتماعية التي تميز جماعته عن
الجماعات الأخرى.

إن علاقة الطفل بعالمه الخارجى
تأخذ شكل أفعال وردود أفعال أو
استجابات اجتماعية واضحة وخالية من
التناقضات. فالتصرف الذى كوفئ عليه
الطفل فى الأمس لا يجب أن يعاقب
عليه اليوم، لأن إغفال هذه القاعدة يزرع
عنده فقدان الثقة فى تصرفاته وسلوكه، ولتجنب ذلك لابد للمحيطين به من
مراعاة التفاعل الثابت المتسق عند التعامل معه.

ثانيا : لمحة تاريخية عن التنشئة ومعاملة الأطفال :

وربما كان من المفيد استعراض لمحة تاريخية حول التنشئة ومعاملة الأطفال :
كانت التنشئة قبل الإسلام تتبع أساليب الشدة والقسوة فى تربية الأطفال
ومعاملتهم، فقد كان الجلد منتشرًا والعقاب القاسى شائعًا.

فقد وجدت قبل ظهور الإسلام ثلاثة أنماط من التنشئة تتنازع على السيادة فى
الشرق خاصة، هى : التنشئة الفارسية، والتنشئة الإغريقية، والتنشئة المسيحية.
وكان لكل نمط طابع خاص يميزه.

وقد اتسع الإسلام لأدب الفرس، وفلسفة اليونان، وأنظمة الروم، ورهبة
المسيحية، حتى إنه ليصح القول بأن التنشئة الإسلامية برزت على ما عداها،
وأصبحت ذات خصائص واضحة المعالم بارزة القسمات.

وأساس التنشئة الإسلامية هو القرآن الكريم، الذى يحفظه الصغار فيهدب أخلاقهم، ويصفى نفوسهم، ويتعودون من خلاله على مكارم الأخلاق. وتبدأ التنشئة الإسلامية عن طريق المحاكاة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرآن القرآن بالإضافة للشعائر الأخرى؛ فتنتطع فى ذهنه هذه الصورة، ويطرس خطأها بالتقليد أو بالتوجيه والدفع.

ولقد ضرب النبى ﷺ المثل الأعلى فى توضيح أساليب التنشئة الوالدية، فهو مثلاً يطالب بالرفق بالأطفال، وعلاج أخطائهم بروح الشفقة والرأفة والعطف والرحمة، ومعرفة البواعث التى أدت إلى هفواتهم والعمل على تداركها وإفهام الأطفال نتيجتها.

ولم يقر ﷺ الشدة والعنف فى معاملة الأطفال، واعتبر الغلظة والجفاء فى معاملة الأولاد نوعاً من فقد الرحمة من القلب، وهدد المتصف بها بأنه عرضة لعدم حصوله على رحمة الله حيث قال عليه السلام للأقرع بن حابس حينما أخبر أنه لا يقبل أولاده: «من لا يرحم لا يُرحم».

ولقد دعا نبى الرحمة ﷺ إلى تأديب الأطفال، وغرس الأخلاق الكريمة فى نفوسهم وتعويدهم حسن السمات والتحلى بالصدق والأمانة واحترام الكبير. فقال ﷺ: «ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حق».

وأخرج ابن ماجة عن ابن عباس عن النبى ﷺ: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن». فلا ينبغي الإكثار من لوم الطفل لتأديبه أو تأنيبه وتوبيخه لزللاته، لأن الإكثار من التأنيب يمت قلب الطفل، ولهذا فالحكمة أفضل عند تأديب الطفل.

وقبل ٥٠٥ هـ نادى الغزالي بتكوين العادات الحسنة فى الأطفال منذ الصغر، بتعويدهم التبكير فى النوم والتبكير فى الاستيقاظ والتشجيع على المشى والحركة وعدم البصق فى المجالس أو الثأوب بحضرة الغير، وتجنب الحلف بالله صادقا أو كاذبا، وأن يطيعوا الأيوين والمعلمين.

قال الإمام الغزالي : «اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له».

وقرابة عام ٧٥٥ هـ قدمت وجهة نظر ابن خلدون في أن القرآن الكريم هو أصل التعليم وأساس التنشئة. ويقول ابن خلدون : «إن الغاية من ذلك الوصول بالوليد إلى رسوخ العقائد الإيمانية في نفسه، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين، الذي جاء مهذباً للنفوس ومقومًا للأخلاق باعثاً على الخير».

ويقول ابن خلدون : «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه غيره من العلوم . ولكل مصر وجهة في تعليمه للولدان، فأهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط، ويأخذون في أثناء المدارس بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه، لا بحديث، ولا فقه، ولا شعر . . . وأهل الأندلس جعلوه أصلاً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبيبة أما أهل إفريقيا فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه».

ويؤكد ابن خلدون على الرحمة بالأطفال، والرأفة بهم والإشفاق عليهم، والعمل على تهذيبهم باللين واللطف، لا بالشدة والعنف، لأن مجاوزة الحد مضرة

ومفسدة للأخلاق. فإذا أخذ الطفل بالقسوة والشدة ضاعت نفسه وذهبت ريعه، ويحمله هذا على الكذب والخبث والنفاق.

لقد ذاع صيت الفكر الإسلامى فى تنشئة الأطفال، واهتم الآباء والمربون بأساليب إسلامية فى التنشئة. إلا أن هناك أفكارا جاء بها رواد من الغرب آخرون نبعت أفكارهم وآراءهم من تجارب على عينات Samples مهما كانت محدودة، ولم تأت أساليب المعاملة التى ينشدونها من جذور للدين كما لاحظنا فى التراث الإسلامى.

ففى الفترة ما بين ١٩١٠ - ١٩٣٠م نظر السلوكيون Behaviorism وفى مقدمتهم Watson إلى أن الطفل كشيء قابل للتشكيل عن طريق الإشراف والاقتران، ولم يعيروا الاهتمام لحاجات الطفل وشعوره إلا القليل، أو حتى للفروق الجينية والاستعدادات والخصائص المزاجية. وركز السلوكيون فى هذه الفترة على العوامل البيئية ودورها فى إكساب الأطفال ما نريد، وأن نكبح من السلوك ما نريد - أى نوقف غير المرغوب من السلوك - وذلك عن طريق التعزيز والإثابة أو العقاب على السلوك اللا اجتماعى. ومن هنا نكسب الأطفال العادات الحسنة ونبطل العادات السيئة.

ومهمة الوالدين فى نظر Watson البعد عن تدليل الأطفال بأسلوب صارخ أو حتى واضح، وعليهم معاملة الأطفال على أنهم بالغون نسبيا، مع اتباع أسلوب موضوعى لا تتجاوز فيه العاطفة حدودها كالإسراف فى تقييله أو حضنه، ويوصى الوالدين بالبعد عن استخدام الحنان الظاهر لأنه أسلوب لا جدوى منه. ويشير إلى أن حب الأم عائق شديد وآلة حادة يمكن أن تجرح جروحا عميقة لا تلتئم، ويجعل مرحلة الطفولة غير سعيدة والمراهقة مثل الكابوس، كما أن الحب الشديد من جانب الأم يدمر حياة الطفل الزوجية السعيدة فيما بعد بل وتنعكس آثاره السلبية على حياته المهنية مستقبلا. ووصل تأثير Watson إلى الكتب الحكومية فى الولايات المتحدة، حتى إن كتب العناية بالطفل صارت إلى أنه لا يسمح للطفل بمص أصابعه، وإذا حدث ذلك فالأمر يستوجب ربط ذراع الطفل بالسريـر أو إلـباسه قفازا أو دهان أصابعه بسائل كـريه، بالإضافة إلى عقاب الأطفال إذا تسببوا فى اتساخ أنفسهم، كما نصح الآباء بترك أطفالهم يكون خوفا من تعزيز سلوكيات غير مقبولة عن طريق تهدئتهم.

وفيما بين عام ١٩٣٠ - ١٩٦٠م أخذت التنشئة اتجاها آخر مبنيا على التسامح، مع نصح الوالدين بمراعاة مشاعر الأطفال وتعرف قدراتهم وإمكاناتهم، ويرجع ذلك التحول إلى آراء مدرسة التحليل النفسي وعلى رأسها Freud، الذي ركز على دور العاطفة وأثر الحرمان العاطفي المبكر على بذور المشكلات النفسية. وقد تأثر بهذا الاتجاه أيضا Gesel ذلك العالم الذي اهتم أيضا بالنضج ودوره مع الاستعداد في عملية التنشئة، ويرى أنه حينما يصل الأطفال إلى سن معينة ويبدون استعدادهم وتقبلهم حينئذ يكون التدريب ممكنا، مثال ذلك التدريب على عملية الإخراج التي تتطلب من الأطفال التحكم وال ضبط للذين يساعدهم على أدائها دون ممارسة ضغوط أو قلق من قبل الآباء.

ومع اقتراب الأربعينيات ١٩٤٠م ظهر الاتجاه الأكثر تسامحا ومرونة على يد أصحاب النزعة الإنسانية Humanistic أمثال Rogers و Maslow وغيرهما مثل Dewey ذلك الرجل التربوي المتألق. لقد بدا المبدأ الآن قائما على فكرة أن الأطفال يولدون ومعهم دافع فطري للتعليم والسعى من أجل تحقيق ذواتهم، وكى يحققوا ذلك لابد من وجود بيئة مناسبة يشعرون فيها بالحرية ويكون التعامل معهم مبنيا على التفاهم.

وفي الستينيات من هذا القرن ظهرت أفكار Spock التي لم تشجع على التسامح والتدليل الكامل في تربية الأطفال، وتركز على الدفء والحنان في علاقة الوالدين بالطفل متبنيا فكرة أن الطفل يستجيب لتوجيهات الآباء المحبين الودودين على نحو أسرع وأيسر من الآباء الذين يغلب على أسلوبهم القسوة، فنحن فى حاجة إلى آباء مصدر سلطة أكثر من كونهم متسلطين، ومنذ ذلك الوقت استمر التأكيد على دور الدفء فى معاملة الأطفال أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، والبعد عن التسامح والتهاون أو التشدد كل التشدد. إن الواجب على الآباء فى ضوء تلك الأفكار أن يسمعوا وجهة نظر الطفل إذا كان بمقدوره التعبير عنها، وأن يوضحوا قيودهم ونظامهم وألا يستخدموا قوتهم فى ضبط الأطفال من خلال العقاب والعنف.

والبحوث الحديثة حول تفاعلات الأطفال الصغار ترتبط بأعمال Bowlby و Spitz التي أثنى عليها Anna Freud و Melanie Klein ويعتمد هذا التيار

الفكرى على الرأى القائل بضرورة وجود ارتباط وثيق وحميم دائم بين الأم والطفل، وإن كل شكل من أشكال الانفصال أو فقدان مضر بالطفل.

وهناك تصور أحدث للارتباط العاطفى على طرف نقيض من وجهة Bowlby إذ هو يوجه التحليل نحو تأثيرات هذا الارتباط بين الأم والطفل، ليس على الطفل فقط بل على ماله من انعكاسات على الأم. إن الطفل ومن يعتنى به مرتبطان بنظام تفاعلات ثرى ومعقد، يشترك فيه الطرفان اجتماعيا منذ لحظة الولادة.

فى السبعينيات استطاع Stern و Klaus وغيرهم أن يفصلوا النصيب العائد إلى الرضيع فى إقامة هذا الارتباط أو هذه العلاقة والمحافظة عليها وأن يتأملوا الطريقة التى يسلط بها على من يعامله أو من يعتنى به بطرق متفاوتة.

ولذا . . . فإننا نهتم أكثر بما يجعل الطفل عامل تكوين وتعديل أو على أقصى حد عامل تعكير لسلوك الشخص الذى يعنى به. وهناك ميل إلى أن نرى سلوك الرضيع باعنا لسلوك الأم وإلى اعتبار أشكال التفاعل منظمة مسبقا بينهما، وأن بالإمكان اكتسابها.

ويُنظر إلى بعض العناصر كما لو كان لها تأثير على تحريك عناية الكبير بالطفل أو استدارها مثل جنس الطفل وقوامه وحيويته.

ومن أدق التحاليل وأشملها عن تفاعل الأم والرضيع ما أشار إليه Brazelton عن أن التفاعل خلال الأشهر الأولى يكون فى هيئة دورات اتصال أو فترات اتصال يشور أثناءها انتباه الطفل، ويبلغ ذروته، ثم يتناقص إلى أن يدخل فى مرحلة أهدأ. وينطبق على تفاعل الأم نفس هذا الشكل الذى تتزامن معه إذا كانت الأجواء تجرى على خير ما يرام. ويعتبر هذا النسق الذى لا دخل للأم والرضيع فيه أساس الرابطة العاطفية. ومحور التفاعل أساسه المحافظة على ضبط بيولوجى للطفل لا يكون فيه هذا الطفل محل حماية زائدة ولا إهمال تام.

وقد لوحظ من جانب الأم ضروب مختلفة من السلوك السلبى، مثل تعمدتها المبالغة فى تحفيز الطفل فى مرحلة انخفاض التفاعل.

وعندما يكون انتباه الطفل فى مرحلة الذروة، فيمكن للأم استثارة المرحلة أو المحافظة عليها بواسطة الصوت واللمس، وإن كان للنظر هنا مرتبة الصدارة.

إن Stern يرى أن النظر أكثر أنشطة الأم متابعة قبل الرضيع لارتباطه بنظر الولد الذى هو دون ذلك من حيث الاستقرار. وفى اللحظات التى تتأمل فيها العيون بعضها بعضا يحدث التثبيت أو المحافظة على الرابطة العاطفية بين الاثنين. وهى عملية ذات تأثير مزدوج متبادل، يتحتم مع تكرارها على الطرفين أن يتلازما ويرتبطا اجتماعيا ووجدانيا.

إن عجز الرضع العميان عن إصدار بعض علامات تظهر لدى الرضع المبصرين، يمثل عائقا يحول دون إقامة ترابط وجدانى بين الأم والطفل.

والأدوات التى تستخدمها الأم مع وليدها للحفاظ على التأثير المتبادل هى : النظر والاتصال البدنى والصوت وملاطفات الأم. وغالبا ما تجيب على ما يديه الطفل من استعداد للتفاعل بواسطة الصوت. وهذه التفاعلات خلال العام الأول للميلاد ليست مهمة لإقامة الرابطة العاطفية وتثبيتها، وإنما هى مهمة فى نمو الطفل اللغوى والإدراكى المعرفى والاجتماعى، وكل ذلك هام للغاية أثناء عملية التنشئة.

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التى يكتسب الأفراد بواسطتها المعرفة والمهارات والإمكانات التى تجعلهم أعضاء فاعلين فى مجتمعهم، فمن الواضح أن خبرة التطبيع الاجتماعى للفرد فى الطفولة لا تعده لكل الأدوار التى يتوقع منه أن يمارسها فى حياته المستقبلية فى المجتمع.

إن الأمر هنا يتطلب منا أن نوضح علاقة الشخصية بالمجتمع التى تبدو فى اتجاهين أساسيين :

الاتجاه الأول : يهتم بكيفية تكيف الشخص للمجتمع، وكيف يتمكن من أن يبدع، وكيف يغير فى النظام الاجتماعى الذى ولد فيه بالتدريج، وذلك مع غيره من الأشخاص الذين يحولون على نفس النحو.

الاتجاه الثانى : يهتم بكيفية بناء المجتمع للشخص بعدما يولد فيه، وكيف يحوله من كائن بيولوجى إلى إنسان له فعاليات اجتماعية مناسبة.

إن التنشئة الاجتماعية تنطوى تحت الاتجاه الثانى، أى إنها تدور حول كيفية تغيير المجتمع للإنسان المولود وليس كيفية تغيير الإنسان لمجتمعه.

والفرد عموماً يعد وبدرجات متفاوتة من النجاح، ليلبى سلوكه مطالب بيئته وأعضاء مجتمعه فى مجالات ومناسبات مختلفة، وهذه المطالب دائماً ما تكون مرتبطة بواحد من المراكز الاجتماعية أو الأدوار الاجتماعية كالابن والتلميذ والزوج والموظف و... إلخ. إن السلوكيات المطلوبة من الفرد الذى فى مركز أو دور معين تسمى مواصفات الدور Prescribed Role. ومواصفات الدور هى فى الأساس جهود من قبل أفراد المجتمع أو مؤسساته لينظموا سلوك الأفراد الآخرين حتى تتحقق صور متوقعة أو منتظرة.

وعلى أى حال يكتسب الفرد حضارة جماعته خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتى يمكن تقسيمها إلى قسمين :

١ - فهم المراكز أو الأدوار الاجتماعية : يكتسب الفرد فهماً للمراكز أو الأدوار المعترف بها تقليدياً فى مجتمعه وأسمائها.

٢ - تعلم مواصفات وفعاليات الدور : يتعلم الفرد مواصفات الدور وسلوك الدور وما يصاحب كل دور من شعور وأحاسيس.

ومن خلال القسمين السابقين تصبح وظيفة التنشئة هى تحويل الفرد الخام (الإنسان الخام) فى المجتمع إلى عضو عامل فعال وجيد، ومحتوى عملية التنشئة هى فهم كيان الأدوار ومواصفات كل دور وسلوكياته المصاحبة.

وما يجب ألا يخفى على الأذهان أن النظرة التى تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية يأتى بواسطتها للمجتمع أفراد مناسبون لا تنكر أن مطالب المجتمع، أحياناً تبدو غير واقعية أو هى بالفعل غير منطقية أو غير ممكنة وربما تحد إذا لم تجعل مستحيلاً، تحقيق الرغبات الشخصية لكثير من أعضاء المجتمع. وربما تسببت واحدة من متطلبات المجتمع فى انحلال أو تطرف. وكما أن فكرة كون الطفل صفحة بيضاء يجب إعادة النظر فى قبولها، فليس هناك ما يبرر بوضوح أن تجارب الطفولة تنعكس بشكل آلى فى مظاهر إيجابية أو مظاهر سلبية عند مرحلة الرشد والشيخوخة.

ولقد ظهر الاهتمام بفكرة اكتساب الأدوار من قبل الأطفال فى بحوث Michalson و Sewell و Maccoby وغيرها.

وفى ندوة الطفل والتنشئة تحت رعاية الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية جاءت أهمية التنشئة الاجتماعية فى مرحلة الطفولة لأسباب منها :

- ١ - التنشئة الاجتماعية تعكس القابلية إلى تعديل السلوك وتشكيله .
- ٢ - أن التنشئة الاجتماعية تنطوى على العمليات الأساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية من جيل إلى آخر .
- ٣ - أن التنشئة الاجتماعية تبنى للمهارات والخبرات اللازمة للعيش فى جماعة حضارية بحيث يكون هناك فرصة للنجاح وسط تلك الجماعة .
- ٤ - أن التنشئة الاجتماعية يجمع على أهميتها فى الطفولة الآباء والمربون ورجال الدين والمرعون وعلماء النفس والاجتماع .

ثالثا : نظريات فى التنشئة الاجتماعية :

يرى Field وجود نموذجين يمكن استخلاصهما من النظريات المتعددة فى مجال التنشئة الاجتماعية .

النموذج الأول : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية على أنها جهاز استدخال Internalization لمعايير وقيم المجتمع أو الحضارة، بحيث تتحول هذه القيم والتقاليد والمعايير إلى جزء من البناء النفسى للفرد، وهكذا يذوب الفرد فى البناء الاجتماعى، ويبدو مذكنا أو مستسلما Passive فهو عبارة عن إناء خال يتم تعبئته بما تستدخله عليه حضارته التى يعيش فيها، وهنا يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير الفوضى Disorder أو التفاوت الموجود فى المجتمع ولا ينقاد إلى التوقعات المعيارية بسبب رغبته الكامنة فى الحصول على رضى وحب الآخرين من المحيطين .

النموذج الثانى : وفيه يتم تصوير عملية التنشئة الاجتماعية ليس كجهاز قهرى بل طوعى الانقياد Conformity، ويبدو الفرد هنا فعلا مشغولا ببناء الواقع المحيط فى ضوء نموه بدءا باكتساب اللغة والانتماء الطوعى للمفاهيم المشتركة . وهنا أيضا يبدو الفرد غير قادر على إدراك أو تفسير التفاوت فى البيئة المحيطة وإن كان ينقاد من أجل الحصول على الشعور بالانتماء والرغبة فى الحصول على حب المحيطين ورضاهم .



ويبدو من النموذجين السابقين عدم القدرة على تفسير احتمالية تخلى أو جنوح الفرد عن الطريق الذى تحدده المعايير الاجتماعية. إن قضية تفسير التفاوت بين الحفاظ على تقاليد وقيم ومعايير المجتمع دون دمار وبين الخطر المهدد بالعودة إلى شريعة الغاب لم ينجح أى من النموذجين السابقين فى حلها. ولا يعنى ذلك أننا سوف نصل إلى حل لهذا الصراع، ولا يعنى أننا نتصور حضارة مجتمعية يصبح فيها الأفراد نسخا مكررة. وربما كان من المفيد استعراض النظريات التى تفسر عملية التنشئة الاجتماعية.

١ - نظرية التحليل النفسى :

يستعرض Watson و Lindgren نظرية التحليل النفسى والفرويدون الجدد The Neo-Freudians لتفسير التنشئة، وتفترض نظرية التحليل النفسى جهازا داخل الفرد يتكون من ثلاث منظمات عرفت بالهو Id والأنا Ego والأنا الأعلى Supper Ego. ويمثل الهو مصدر الغرائز ومحتواه اللاشعورى ويسعى دائما لتحقيق مبدأ اللذة. وحينما يتصل الهو بالمجتمع المحيط أو البيئة المحيطة تبدأ عملية تكوين الأنا

وتظهر فعالية الأنا عندما يتعلم الفرد كيف يتمكن من تحقيق رغبات الهو في نطاق الظروف التي يفرضها المجتمع والبيئة بعاداته وتقاليده. إلا أن الأنا لا يستطيع كبح كل الحفيزات الغريزية الخطرة التي تتنافى مع هذه القيم وتلك التقاليد، وبالتالي تأتي أوامر الوالدين والكبار ورقابتهم على تصرفات الطفل وسلوكياته، ويصبح للأب مثلاً أوامر ونواهٍ كما له تشجيع ورضى، ومن ثم تشتق الأنا الأعلى، ومع مرور الوقت مع تعليمات وتوجيهات هؤلاء الكبار تصبح الأنا الأعلى بمثابة المراقب للسلوك الذي يوجهه للأنا الأوامر ويهددها كما كان يفعل الكبار، ومن هنا تتكون معايير السلوك التي يتمثلها الطفل وتصبح جزءاً من بنائه النفسى ويطلق على الأنا الأعلى مصطلح «الضمير».

وترى نظرية التحليل النفسى أن التشبث عملية قائمة على التفاعل، يكتسب فيها الطفل معايير السلوك.

وتضفى مدرسة التحليل النفسى على الأم أهمية فى ذلك الأمر خلال تفاعلها مع طفلها فى مواقف التغذية والتدريب على الإخراج. وإن كانت الصيغة الفرويدية Freudians تركز على دور الأم والأب وتعلن عن توحّد Identification الطفل خلال مراحل نفسجنسية Psychosexual مع أحد الوالدين، ومن ثم يستدمج Involvement خصائص الوالد المتوحد معه، وهنا تكتمل تنشئته بنمو الأنا الأعلى.

ويلاحظ عدم إمكانية التحقق من افتراضات فرويد فى نظريته للتحليل النفسى، وإن كان من إيجابياته التأكيد على علاقة الطفل بوالديه ودورهما فى عملية التشبث.

٢- نظريات التعلم الاجتماعى المبني على فكرة التدعيم:

وتنطوى هذه النظريات على ثلاثة توجهات:

التوجه الأول: ويظهر من خلال ما قدمه Miller and Dollard وكذا Sears and Mecoby ويتبنى هؤلاء فكرة [المثير (المنبه) - الاستجابة] عند تفسير عملية التشبث الاجتماعية، ويهتمون بالدوافع والجزاءات كشروط لحدوث التعلم، فالطفل يحصل على انتباه والديه أو اهتمامهما عندما يقوم بأفعال أو تصرفات أو

أعمال يفضلها الوالدان أو أحدهما أو ربما يقومان بها. ومع تكرار إثبات الطفل هذه التصرفات تصبح جزءاً منه فيما بعد.

التوجه الثاني : ويظهر من خلال رأى Skinner الذى يفسر السلوك الاجتماعى فى ضوء قوانين التدعيم، وأسلوب الثواب وأسلوب العقاب. فالطفل ينمى شخصية محددة نتيجة أنماط مستقلة للثواب والعقاب يطبقها أو يتبعها الوالدان معه، بحيث يميل الطفل إلى تكرار السلوك الذى حصل على الإثابة Rewarded ولا يكرر السلوك غير المثاب Nonrewarded وبالتالي يتعلم الطفل الاستجابات المرتبطة بإثابات، أو تنشيط الرابطة بين منبه محدد ومدعم محدد أو تضعف أو تنطفئ الرابطة بين منبه محدد ومدعم محدد.

التوجه الثالث : ويظهر من خلال ما قدمه Park و Walter و Ban-dura ويتبنى هؤلاء فكرة تقليد النموذج Model باعتباره نمط استجابة متعلماً للسلوك الاجتماعى، ومن ثم التنشئة الاجتماعية، فالأطفال يقلدون ويحاكون الأب والأم أو الوالد من نفس الجنس وذلك عندما يجدون دعماً ذاتياً كلما اقتربوا من النموذج. وربما كان النموذج من بين ما تقدمه وسيلة الإعلام عموماً وبخاصة المرئى.

وعلى الرغم من أن التنشئة الاجتماعية هى عملية تعديل وتغيير فى سلوك الفرد وبالتالي فهى عملية تعلم، إلا أن هذا التعلم قد يكون مباشراً من خلال التدريب عليه أو غير مباشر من خلال تقليد المحيطين. وقد يتعلم الطفل أنماطاً سلوكية لم يعلمها له الراشدون وربما نهوه عنها، لأن الطفل يعمل ما يشاهده ويراه من تصرفات وسلوك وأغلب ما يحاط بالأطفال يمكن اعتباره نماذج.

ويبدو على ما تبناه علماء نظريات التعلم السابق ذكرهم تحيزهم لدور البيئة المحيطة.

٣ - نظرية الدور الاجتماعى :

وتتخذ هذه النظرية مفهوماً المكانة الاجتماعية Social Status والدور الاجتماعى Social Role، فالفرد يجب أن يعرف الأدوار الاجتماعية للآخرين ولنفسه، حتى يعرف كيف يسلك وماذا يتوقع من غيره وما مشاعر هذا الغير. إن

المقصود بالمكانة الاجتماعية وضع الفرد فى بناء اجتماعى يتحدد اجتماعيا وترتبط به التزامات وواجبات تقابلها حقوق وامتيازات، مع ارتباط كل مكانة بنمط من السلوك المتوقع وهو الدور الاجتماعى الذى يتضمن إلى جانب السلوك المتوقع ومعرفته، مشاعر وقيما تحدها الثقافة.

ويكتسب الطفل أدوارا اجتماعية عن طريق التفاعل الاجتماعى مع الآباء والراشدين الذين لهم مكانة فى نفسه فلا بد من قدر من الارتباط العاطفى أو رابطة التعلق Attachment. وتعتبر الذات المفهوم الثالث فى نظرية الدور. ذلك لأنه إذا كان للطفل أن يتفاعل بنجاح مع غيره فى مجتمعه فعليه أن يعرف ما هو السلوك المتوقع منه والمصاحب للمكانات الاجتماعية المختلفة [المدرس ... الخادم ...] وهنا لابد أن يعرف الطفل ويتعلم كيف يسلك وفقا للتوقعات. وأن يكون قادرا على أن يحدد لنفسه ويعرف عن طريق اللغة ومراجعة النفس، ما إذا كان سلوكه سليما أم لا، ولا يتحقق ذلك كله إلا عندما يرى الطفل نفسه على أنه موضوع ذلك لأن نظرتة إلى ذاته على اعتبارها موضوعا يمكنه من مراجعة سلوكه وتوجيهه كلما أمكن إلى الأفضل (من وجهة نظره بالطبع) وأيضا الحكم على هذا السلوك.

ويتم اكتساب الدور عن طريق واحد أو أكثر مما يأتى :

أ- التعليم المباشر : فيقوم الوالدان أو أحدهما بتعليم طفلهما ضرورة مناسبة لسلوكه لسنه أو عمره أو جنسه ذكرا أم أنثى، فيعلم الطفل الولد أن يكون متسما بالحزم والقوة ويرتدى الملابس التى لا تشبهه بالإناث، وكذلك يتم تعليم البنت، وأيضا تحدد الأسرة للطفل فى سن محددة أدوارا معينة مثل الحفاظ على أخته أو عدم الدخول قبل الاستئذان أو...

ب- النماذج : يتخذ الطفل من المحيطين به نماذج تحتذى وقدوة، بالإضافة إلى فهمه لأدوارهم وكيفية تفاعلهم مع بعضهم البعض : الطبيب والمريض، المدرس والتلميذ، الأب والابن، وكذا ما تعكسه هذه النماذج من اتجاهات نحو أصحاب المكانات المختلفة.

ونعود من جديد الآن لنكرر بعد عرض هذه النظريات، أن كلا منها ليس كافيا لتفسير عملية التنشئة الاجتماعية، وأن التكامل بين هذه النظريات فى تفسير تلك العملية، أهم وأجدى، مع عدم إهمال دور العوامل الثقافية والاجتماعية فى تفسير تلك العملية وبخاصة أننا نعلم أن التنشئة ميكانيزم لنقل دعائم الثقافة. وهذا ما دعا «سويف» إلى أن يرى كل طفل إنسانى يدخل مجتمعه وهو موضع اهتمام سابق على قدومه إلى الحياة. فإن هذا الاهتمام السابق على وجود الطفل له دوره فى تحديد إجراءات التنشئة التى سوف يتلقاها مع مراعاة أن المتلقى كائن بشرى يحمل فى طياته عددا من المحددات الجبلية الولادية التى تضع قيودا على حرية فعل البيئة الاجتماعية، وأنه يحمل فى أعماقه تاريخ خبراته الذاتية التى تشكل إرجاع استجاباته لأنماط التربية والمتغيرات والظروف الثقافية الاجتماعية المحيطة به. وهذا ما يجعلنا أمام شخصيات تختلف فيما بينها رغم اتفاق مطالب البيئة الثقافية والاجتماعية.

رابعاً : عمليات تحدث أثناء تنشئة الطفل :

كما سبق يتضح أن التنشئة الاجتماعية تشير إلى العملية التى ينمو من خلالها الفرد ليكون كائنا اجتماعيا أو يكتسب الحساسية للمنبهات الاجتماعية ويتعلم السير فى إطارها، ويسلك مثل الآخرين فى جماعته أو ثقافته. إنها عملية كينونة اجتماعية.

إن تفسير ذلك الأمر يعتمد على عدد شبه محدود من العمليات الأساسية التى يمكن بلورتها على النحو التالى :

الاستدخال Internalization - الاستخراج Externalization

الاتكالية Dependence - التعلق (بوسيط) Attachment

التقليد Imitation - التوحد (مع مثال) Identification

لعب الأدوار Role playing - تكوين مفهوم الذات Self concept

وكل عملية من العمليات السابقة تنطوى على شكل من أشكال التعلم الاجتماعى، ومن هذه الأشكال التعلم بالاقتران Associative Learning الذى

يتحول فيه إرضاء الوسيط (مثل الأم أو الأب أو الأخ الأكبر أو المدرسة ...) من دافع محدد إلى دافع أولى. مثال ذلك حينما يتعلم الطفل السلوك الحسن إرضاءً لوالديه، لأن إرضاء الوالدين ارتبط فى السابق بإشباع حاجات أولية عنده.

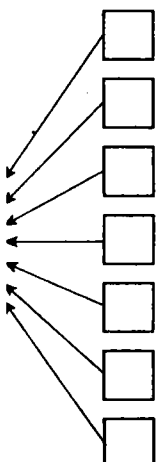
وفى الاتكالية - التعلق بوسيط، فإن التعلم يتصل بالسيطرة على مجالات متعددة من الاستجابات للطفل مثلاً عن طريق مثيرات يوفرها أشخاص (اعتماد على الغير أو اتكالية) أو عن طريق شخص معين (وسيط مثل الأم).

وفى عملية التقليد - التوحد مع مثال ينطوى الأمر على تعلم لدى الطفل مثلاً عند مطابقة استجاباته مع الإرشادات أو التعليمات التى تظهر استجابات شخص آخر (النموذج أو المثال). أما التوحد مع مثال فيكون التعلم فيه عندما تتولد فى الطفل الرغبة فى اكتساب الخصائص السلوكية بحيث يظهر فى النهاية تشابه بين سلوك الطفل وسلوك المثال.

أما فى لعب الأدوار - تكوين مفهوم الذات، فإن مجالات التعلم الاجتماعى متسعة إلا أن الأدوار الاجتماعية بمثابة قوالب سلوكية جاهزة مكونة من اتجاهات وقيم وبناءات معرفية تتصل بالوظيفة موضوع الدور. والقمة التى تتوج تمثيل كل دور من الأدوار التى مارسها الفرد ورأى فيها نفسه تعطى له مفهومه عن ذاته. ومن هذا المنظور فإن أخذ الأدوار Role Taking متصل بشدة بتكوين مفهوم الذات. ويعتقد البعض أن عمليتى التقليد - التوحد مع مثال والاتكالية - التعلق بوسيط، هما عمليتان متتابعتان، كما أن هناك اعتقاداً فى أن لعب الأدوار هو فى حقيقة الأمر مطابق للتوحد مع مثال [مثلما نرى فى لعب دور الأب وهو فى الحقيقة توحد مع الأب] وسوف نعرض لمراحل عملية التنشئة فيما بعد.

وتبقى عملية الاستدخال كعملية أساسية فى التنشئة حيث تنعكس ترجمة التعلم إلى مقدرة على التحكم فى السلوك ذاتياً. وهنا يبدو المراقب الداخلى الذاتى المتمثل فى الضمير مغنياً عن وجود رقباء أو شرطة للأخلاق إذا جاز التعبير. وهذا ما يجعل عملية الاستدخال عند انتظامها داخل الفرد مؤشراً حقيقياً لانتظام عملية التنشئة التى لا يجب أن تغفل دور عدد من المؤثرات المتنوعة عليها.

مؤثرات



الانتماء الاجتماعي

الانتماء
العنصرية
خوف الجمهور
الاحقة
داخل الإنترنت
....

استخدام

انكارية - تعلق بسيطة

الانتماء
العنصرية
خوف الجمهور
الاحقة
داخل الإنترنت
....

الانتماء
العنصرية
خوف الجمهور
الاحقة
داخل الإنترنت
....

تقليد

توجد مع مثال

الانتماء
العنصرية
خوف الجمهور
الاحقة
داخل الإنترنت
....

خامسا : متغيرات خلف العمليات التي تحدث أثناء التنشئة:

هناك متغيرات تكمن خلف العمليات التي تحدث أثناء التنشئة منها :

١ - المطاوعة Compliance :

إن هناك ظروفا يطيع فيها الأطفال غيرهم بخصوص اقتراحاتهم أو أوامره، والميل للمطاوعة يبدأ بصورة مشتتة إلى حد ما ولكنه يثبت مع نضج الطفل، فمن غير الممكن التنبؤ بما إذا كان طفل الرابعة أو الخامسة من العمر سيطيع أو لا يطيع في مدرسته من خلال معرفتنا بأسلوب والديه بشأن طرق إثابته أو عقابه. ولكن يمكن التنبؤ على أساس هذه المعلومات بخصوص أطفال أكبر عمرا. ومع التقدم في العمر لدى الأطفال يتزايد ثبات سلوك الطاعة، فأطفال دار الحضانة يبدون متسقين إلى حد ما في طاعة الكبار في المنزل أو الروضة أو الحضانة، وإن كانوا ليسوا كذلك مع الأنداد، حتى يصل الأطفال إلى سبع أو ثماني سنوات فيبرز الاتساق في المطاوعة مع الأنداد والكبار.

وظف الروضة المطاوع مع أنداده ينحو أيضا بصفة عامة إلى أن يعتمد عليهم للمعونة الجسمية والدعم العاطفي، وبالرغم من ذلك يكون عدوانيا أو غير ودي معهم، والطفل المطاوع مع البالغين لا يبدو عدوانيا بنفس القدر.

وعموما فإن الأطفال الصغار ترتبط مطاوعتهم باعتماديتهم أو عدم تمكنهم من الاستقلالية عن الأنداد، بينما لا نجد هذه العلاقة أو الارتباط بين المطاوعة والاستقلالية عن الكبار.

وتعتبر المكافآت أكثر فعالية من العقوبات في إظهار المطاوعة. ويبدو أن المطاوعة الاجتماعية Social Compliance كأحد خيوط عملية التنشئة الاجتماعية تستلزم تعلما طويلا المدى. فالأطفال يميلون إلى المطاوعة نتيجة لأنواع المكافآت وأنواع العقوبات التي يستخدمها معهم الآباء. وربما لنماذج السلوك التي يقدمها هؤلاء الآباء أو أي أشخاص آخرون مهمين بالنسبة للطفل.

وإن كانت هناك إمكانية لعدم استبعاد فكرة رجوع الميل إلى المطاوعة إلى جذور وراثية، فإن التفسير في ضوء منطلقات فرويديه قد تعتبر مقبولة. إن نمو الميل إلى المطاوعة المتسق من الروضة إلى المدرسة يحدث عندما يستدمج الطفل قيم

واحد من الوالدين فى طريقه للتوحد مع الوالد الآخر من الجنس المضاد (بما يؤدى إلى حل عقدة أوديب أو إلكترا). وربما يرى آخرون إلى القدر الأكبر من الاتساق فى ضغوط الوالدين على الأطفال الأكبر سنا، مدّعين أن سلوكهم الأكثر اتساقا إنما يعكس فقط هذا الضغط المكثف بالمنزل، بالإضافة إلى الضغط المتزايد فى المواقف العامة للأطفال الأكبر باتجاه قيامهم بأدوار تتطلب السيطرة المتسقة حينما يكون فى وضع قيادى أو المطاوعة المتسقة عندما يكون فى وضع التابع.

٢ - العدوانية Aggression :

من المعروف أن شكلا ما من أشكال الإحباط Frustration يسبق صدور العدوان أو صدور السلوك العدوانى، وإن كانت الإحباطات لا تؤدى دائما إلى العدوان، لأن سلوكا آخر مثل المطاوعة قد يتصارع معها أو يتعارض مع التعبير عن العدوانية. لقد سبق أن ذكرنا أن الصغار الأكثر مطاوعة يكونون نسبيا أقل عدوانية.

ويستعرض Lambert أن الفرض القائل أن الإحباط يؤدى إلى عدوان لا يعالج عددا من الصور العدوانية. فمثلا عندما يشعر بعض الأطفال بالإحباط فإنهم قد يعبرون عن العدوان بصورة أسرع مما يفعل البعض الآخر : فهل يعود هذا فقط إلى الإحباطات التى سبق تعرضهم لها أم إلى التعزيزات التى كانت بمثابة مكافأة وحذبت على العدوان؟. كما أن بعض الأطفال عدائيون بدون إثارة لهم.

وللعدوان متنفسات متعددة، وغالبا ما يتعرض للإزاحة، كما يحدث عندما يركل الولد الحائط أو اللعبة أو القطة لأنه لا يستطيع أن يركل والديه. وقد تخف درجة العدوان، مثلما يحدث عندما نرد على الهجوم بالسخرية أو بكظم الغيظ أو إضمار الرغبة فى العدوان. وقد يسقط العدوان، كما يحدث عندما يرى الإنسان العدوانى الآخرين فقط كمعتدين، ولا يرى نفسه كذلك، أو عندما يصف الآخرين بالعدوانية كى يبرر عملا عدوانيا ارتكبه.

ولقد انتهت الدراسات التى أجراها Sears وزملاؤه إلى أن الأطفال ذوى العدوانية الواضحة يكونون غالبا من أسر يغلب عليها التسامح بشأن القواعد الحاكمة للعدوانية والشدة فى العقوبات. والأطفال الأقل عدوانية هم من أسر

يغلب عليها الصرامة بشأن القواعد الحاكمة مع التهاون في العقوبات. ويبدو أن القواعد المتسامحة تسهم في رفع معدل العدوانية لدى الأطفال أكثر مما تسهم به العقوبات الصارمة أو الشديدة.

وحينما نتتبع نفس الأطفال حتى مرحلة الطفولة المتأخرة، فإن التسامح الزائد من قبل الآباء لا يزال يؤدي إلى عدوانية شديدة مضادة للمجتمع، والأطفال المعرضون لعقاب شديد واقعيًا ينحون الآن إلى أن يكونوا من بين الأقل عدوانية تجاه المجتمع.

إن المشكلة التي يواجهها الأطفال حينما تكون لديهم نزعات عدوانية بينما يخشون في الوقت نفسه مغبة القيام بها ينتج عنها حالة تسمى دافع الصراع. وحينما يصل أطفال السادسة إلى عمر الثانية عشرة وكانوا قد تعرضوا لعقاب شديد، فإنه يفترض أن استمرار العقاب قد خفض الصراع، مما أدى بالأطفال إلى التخلص من العدوان نتيجة الكشف الشديد للغاية الذي أصبح مرتبطًا به.

وأوضح Sears وزملاؤه أن الأطفال الإناث عموماً أقل عدوانية من الأطفال الذكور، كما أن الإناث يعانون من قلق أكثر من جراء سلوكهن العدواني. كما أن الأطفال الأكبر سناً يقللون من عدوانيتهم في حضور البالغين، كما يتعلمون التخفيف من الشجارات عند الاقتراب من منازلهم، وتنفيس الغيظ في غير أفراد الأسرة بدلاً من تنفيسه في أشقائهم.

وعموماً فإن أغلب الدراسات تجمع على أن الميل إلى العدوان يرتبط ارتباطاً موجباً ببعض عوامل التطبيع مثل: نبذ الوالدين أو اتجاه إثارة الألم النفسي Atti-tude of Rising Psychological Pain وشدة حمايتهما Parental Overprotection. وكذلك هناك ارتباط بين العدوانية وقوة الأمهات في تعويد أطفالهن عادات التخلص من الفضلات.

وعلى أي حال فإن نتائج البحوث غير متسقة بشأن صلة الإحباط أثناء عملية التطبيع وقوة الميل إلى العدوان لدى الأطفال، وربما عاد ذلك إلى أن أصحاب هذه البحوث لم يحددوا الفترة العمرية أو مرحلة النمو التي يصبح فيها الإحباط مولداً للعدوان، وإن كان من المهم الإشارة إلى أن الإحباط لا يؤدي إلى العدوان في

كثير من الحالات إلا إذا كان العدوان قد وجد تدعيما من قبل الوالدين أو غيرهم .
كما أن الاهتمام بدراسة هذه العلاقة من خلال جهود الوالدين فقط فيه من التحيز
لأن من المعلوم عدم انفرادهم بعملية التنشئة .

٣ - التقليد والتعلم البديل :

تعتبر عادات التقليد لدى الأطفال بمثابة محطات على الطريق إلى الإمكانيات
الواسعة للتعلم البديل عن طريق الملاحظة . فحين مراقبة طفل لطفل آخر يتلقى
تعليمات فإنه يتعلم بمجرد ملاحظته ، وربما وصل تعلم الطفل الذى يقوم بالمراقبة
إلى مستوى يعادل الطفل المراقب أو حتى يفوقه ، حتى عند عدم توافر تغذية راجعة
للطفل الذى يقوم بالمراقبة ، ولدرجة تصل إلى أنه فى حالة غياب النموذج يكون
الطفل الذى يقوم بالمراقبة قادرا على الإتيان بالأفعال التى تعلمها .

إن أغلب الأطفال يمرون بمراحل يقتبسون فيها نشاطات المحيطين بهم بطريقة
استسلامية ، ويدأون فيما بعد بتقليد أفعال واتجاهات هؤلاء المحيطين ، إن الأطفال
يتعلمون من الملاحظة أكثر مما يتعلمون من المواقف التى رتب خصيصا لنقل
معلومات وتعليمات شفوية لهم .

وتتيح فرصة توافر بعض الشروط تعلمنا أفضل وربما تعديلا لسلوك سابق
لدى الطفل الذى يقوم بالمراقبة . ومن هذه الظروف كون النموذج المحتذى له قيمة
بالنسبة للطفل القائل بالملاحظة ، وحينما يكون النموذج صديقا وأحيانا عدوا (فى
حالات الغيرة) وعندما تكون إشارات واستجابات النموذج واضحة . ولقد اهتم
Bandura بالظروف والشروط التى يشكل الأطفال تحتها سلوكهم طبقا لنماذج
سلوك غيرهم بحيث يحل السلوك الجديد كسلوك بديل يتعلمه الطفل .

٤ - الحساسية من المشاهدين والمستمعين (الجمهور) :

ويطلق أحيانا على ذلك قلق التواجد أمام آخرين كمستمعين Audience
Anxiety ، وقد اهتم العلماء بكيفية نمو الحساسية تجاه المستمعين لدى الطفل ، سواء
كان يتجنبهم أو يسعى إليهم . ولوحظ أنه حينما كان الوالدان يكثران من مكافأة
الطفل ويقللان من عقابه ويشجعان سلوكه الاجتماعى ، لا ينشأ لدى الطفل سوى
القليل من الخوف من الجمهور أو الشعور بالحرج عند التعبير عن النفس أمام

الناس، وينشأ لدى الطفل مستوى مرتفع من الخوف من الجمهور عندما تكثر تقييمات الوالدين غير الراضية وتعقيباتهم السالبة على تصرفاته، بالإضافة إلى كثرة العقاب عند عدم امتثاله لتوجيهاتهم، ولا يجب أن ننسى ظهور عدم الخوف نسبياً من الجمهور مع انفتاح والدى الطفل وانسلاطيتهم.

ولقد ظهر أن الأطفال أصحاب الميل القليل لحب الظهور والشعور الزائد بالإحساس بالنفس يقل زمن حديثهم بالمقارنة بالأطفال أصحاب الميل لحب الظهور وعديمي الإحساس بالنفس. وعموماً فالأطفال الذين يخشون الجمهور أو الأطفال الذى ينجذبون إليه أكثر وقوعاً فى أخطاء الكلام.

٥ - تركيبة الأسرة Family structure :

إن لهذا الجانب العديد من الدراسات مثل دراسات Marjorbanks ودراسات «يسرية صادق» فى البيئة العربية.

وتشير نتائج البحوث إلى أن وضع الفرد الولادى يرتبط باختياره البقاء وحيداً أو فى صحبة الآخرين عندما يواجه موقفاً مفزعاً، وأغلب متقدمى المولد أو وحيدى الأسر يختارون البقاء مع الآخرين فى المواقف المفزعة، بينما يفضل أغلب متأخرى المولد مواجهة ما يقلقهم وهم وحدهم. والمواليد الأوائل يبدو خوفهم أكثر وكذا قلقهم ومغامرتهم مقارنة بمتأخرى المواليد. وإن كانت السيطرة تقترن بأوائل المواليد.

وتشير الدراسات إلى أنه كلما زاد فرق العمر بين الوالدين قل ذكاء الأطفال وقلت غيرتهم، وكلما زاد حجم الأسرة قل ذكاء الأطفال وارتفعت غيرتهم فى الوقت الذى يرتفع فيه الذكاء كلما زاد الفاصل الزمنى بين الإخوة.

ومع زيادة فارق العمر بين الوالدين يقل الابتكار، وكذلك مع زيادة حجم الأسرة. كما أنه بكبر عمر الوالد يقل الخوف لدى الطفل وتزيد الغيرة.

إن الاعتمادية تنشأ عند الطفل الأول إلى حد كبير من جراء عدم خبرة الوالدين وقلقهم الزائد حول أمور بسيطة أو تافهة، كما أن الطفل الأول يعطى عناية أكثر مما يتلقاه الأطفال اللاحقون، وغالباً ما يكون أكثر تلقياً للرعاية.

إن الأطفال متقدمى المولد ينحون إلى طلب المساعدة والتقرب والتلامس الجسدى وحب اعتراف البالغين بهم أكثر من متأخرى المولد.

وهناك أمور تحتاج لمزيد من التحقق مثل ما ظهر من أن الأطفال الأكثر تأخرا فى المولد أصبحوا مدمنين للمخدرات بدرجة أكبر من أوائل المواليد. كما أن الأطفال الأوائل يحاولون الحصول على مطالبهم بطرق لا تغضب الآخرين، بينما يكون الأطفال اللاحقون أكثر عنادا بصرف النظر عن العواقب.

وحسب المعلومات المتوافرة، فإن الأولاد الذين ينشأون مع أخت أصغر ثم يتزوجون فتاة نشأت مع أخ أكبر تكون حالات الطلاق بينهم أقل مقارنة بال أولاد الذين يتزوجون فتاة كانت الأخت الكبرى بدون إخوة على الإطلاق.

٦ - دافع الإنجاز Achievement Motivation :

يرى كل من Lindgren و Watson أن من المهم جدا لحدوث عملية التنشئة لدى الأطفال الذين هم بمثابة متعلمين، أن تسد توجيهاطنا إليهم بعض حاجاتهم النفسية، مثل الحاجة إلى الحب والحاجة إلى التقدير والحاجة إلى الإنجاز والتي عرفت بدافع الإنجاز ... وغيرها.

ويعد دافع الإنجاز من أهم الدوافع التى نالت اهتمام الباحثين، ومن رواده McClelland و Atkinson الذى انطوى تعريف زكريا الشرييني له على أنه حرص الطفل على تحقيق الأشياء الصعبة، والتحكم فى الأفكار وحسن تناولها وتنظيمها والقيام بعمل المطلوب منها على نحو جيد وسريع، وباستقلالية قدر الإمكان مع بلوغ معايير الامتياز والتفوق على النفس والآخرين.

ودافع الإنجاز يبدو فى فترة مبكرة من حياة الأطفال وتكون بالغة التطور بحلول الثامنة أو العاشرة.

والدافع إلى الإنجاز يظهر بصورة أكثر تكرارا وقوة فى الأسر التى تشجع الأطفال على الاستقلال فى سن مبكرة. فنجد من مثل هؤلاء الأطفال تربيًا لأسرتهم فى عمر مبكر، وربطًا لأحذيتهم فى عمر مبكر، ومحاولات لإصلاح ألعابهم وتجهيز وجباتهم أو المشاركة فى هذا التجهيز قبل غيرهم من الأطفال الذين نشأوا فى أسر تشجع على الاعتمادية.

إن الأطفال ذوى الدافع العالى إلى الإنجاز نجد أن آباءهم فى الغالب يحددون لهم أهدافا عالية، كما أن ردود أفعالهم تجاه الأطفال أكثر إيجابية مما يفعل آباء وأمهاة الأطفال ذوى الدافع المنخفض.

وما يلفت الانتباه أن أمهاة الأولاد ذوى الدافع العالى للإنجاز أكثر سيطرة من أمهاة الأولاد ذوى الدافع المنخفض، بينما آباء ذوى الدافع المرتفع أقل سيطرة من آباء ذوى الدافع المنخفض.

٧ - بيئة الجنين والطفل Environment :

كما هو معروف فإن البيئة تعنى جميع المثيرات التى تحيط بالكائن والتى يتفاعل معها منذ بدء خلقه جنينا حتى رحيله.

ويبدأ اتصال الفرد ببيئته منذ أن يصبح جنينا فى رحم الأم، فهو يتأثر بأغلب ما تتأثر به الأم من أمور حسية وانفعالية وكيميائية وغذائية.

فالجنين يحدث ردود أفعال للأصوات العالية المفاجئة فيصبح أكثر نشاطا فى الرحم، وإذا كانت الأم أكثر تعرضا للاضطرابات الانفعالية يأتى أطفالها حديثو المولد أكثر ميلا للبكاء وللاضطرابات المعوية، بعكس الأمهاة اللاتى كانت حالتهن أثناء الحمل يعم عليها الاستقرار النفسى، يأتى أطفالهن حديثو الولادة أكثر ميلا للهدوء والنمو السريع. كما أن كثرة العقاقير أثناء فترة الحمل وتدخين السجائر أو المخدرات تؤثر على صحة الجنين وربما أتت بأطفال مشوهين، ويضيف Shaffer وربما أدى الأمر إلى ولادات قبل الموعد المتوقع.

وحينما يولد الطفل بين أبوين بينهما صفة الاستقرار والتعاطف والحنان يكون أكثر اتزاناً من الناحية النفسية وأكثر بعداً عن المشكلات السلوكية الحادة.

كما أن البيئة الجغرافية تلعب دورا مهما فى نواحي الشخصية التى تنعكس آثارها على تنشئة الطفل، فقد فسر ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة أهمية البيئة الجغرافية فى تحديد الخصائص العامة للإنسان من حيث حجم الجسم واللون والطباع ونوع النشاط والأخلاق، كما أكد McClelland وزكريا الشربيني على أثر العوامل المناخية ودرجات الحرارة فى دافع الإنجاز الذى سبق التحدث عنه.

سادسا : الأخلاق وعملية التنشئة الاجتماعية :

الأخلاق Morality ليست ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ فحسب، بل إن الأخلاق ما يعتبره الفرد عدلا Justic وشفقة Kindness وإيثارا Alturism وغير ذلك، إنه مفهوم دينامى، يتغير من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع، وينمو ويتطور أو يتعدل فيتحسن أو يسوء.

وللأخلاق مفهومان أحدهما يعنى الامثال Conformity لمعايير المجتمع وعاداته وتقاليده، والآخر يعنى اتباع الغايات والأهداف الصحيحة.

والمفهوم الأول يجعل الأفراد يتمثلون السلوك الجماعى وتقاليده الجماعة، والمفهوم الثانى يجعل الأفراد يمارسون الكرم والولاء والأمانة بصرف النظر عن عادات المجتمع لأنها خيرة فى ذاتها.

والأخلاق بمعنى الامثال لمعايير المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر، فما هو خير فى بيئة أو مجتمع ربما يبدو شرا فى بيئة أخرى أو مجتمع آخر.

ويعنى اصطلاح الخلق، السلوك الخلقى Moral Behaviour أيضا. ويقصد بهما درجة التنظيم الخلقى الفعال لكل قوى الفرد، والاستعداد المستمر الذى يجمع البواعث تبعا لمبدأ تنظيمى محدد، أو تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات.

والنمو الخلقى للطفل يسير من مجرد رغبة فى تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة فى المجتمع الذى يعيش فيه الطفل.

وبتقدم عمر الطفل تتحول القوى الرادعة من كونها صادرة من خارجه عبر الآباء والأمهات والمعلمين... إلى قوى ذاتية داخلية هى ضمير الطفل تكونت من امتصاص قيم الآباء وأصبحت هى معايير ذلك الصغير نفسه.

والسلوك الذى يقوم به الفرد خوفا من عقاب المجتمع ليس خلقيا بالمعنى النفسى، ويصبح خلقيا عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو العطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف أو البر أو الإحسان والتقوى.

وتصنف الأنماط الخلقية للأفراد إلى :

* نمط نفعى Expedient Type وذلك حينما يسلك الفرد فقط بطريقة لتحقيق أغراضه الذاتية.

* نمط امتثالى Conforming Type وذلك حينما يسلك الفرد ما يسلكه غيره، أو ما يقولون أنه ما ينبغى أن يعمل.

* نمط عقلى أو نمط الضمير الحى Rational or Conscientious Type وذلك حينما يسلك الفرد تبعاً لمعايير الخاصة التى تنقسم إلى :

- نمط إيثارى Altruistic وهو أعلى مستويات الأخلاق وصاحبه له قواعد خلقية ثابتة ومستقرة.

- نمط عقلانى واقعى Realistic يتبع صاحبه حرفية القانون الخلقى، ولا يضطر إلى التفسيرات أو التأويلات لما يفعل لأنه يحترم القاعدة الخلقية المحددة.

- نمط نسبى Relativist يأخذ فى الحسبان النوايا والدوافع والإصرار والتعمد والنتائج العملية لعمله.

ويوجه Perry الأذهان إلى أهمية الأخلاق فى التنشئة الاجتماعية للفرد، بل ويعتبرها أساساً لرقى الحضارة والإنسانية عموماً، وبخاصة فى عصر تضطرب فيه الحقائق وتتناقض أحياناً مع القيم الخلقية والمثل الإنسانية. إن التطور المادى أسرع وأكثر تنوعاً من النمو الفكرى والخلقى، وهناك تسارع بين العقل وماديته والعاطفة وأخلاقياتها.

إن الخلق مهم جداً للأطفال لأنه سوف يضعهم ضمن نظام الاستعدادات أو الصفات التى تمكنهم من التصرف بصورة ثابتة حيال الأعراف والمواقف الأخلاقية.

ويرتبط النمو الاجتماعى للفرد بالنمو الخلقى، كما يرتبط بالنمو الدينى فى كثير من الأمور، وهذه الارتباطات تتفاوت فى قوتها حسب مدى الاستجابات لمستويات الخير والشر المغروسة فى أعماق الأطفال والكبار وبأثر رجعى يعود لمراحل التنشئة الأولى.

ويعتمد إدراك الفرد للآخرين وتقديره لهم ومودته إياهم وأمانته ليس فقط على ما ائتمن عليه بل وولائه لمن ينتمى إليه، ومدى عطفه على جماعته ومجتمعه وإيمانه بمبادئه وفهمه لنفسه أو مفهومه لذاته.

سابعاً : اللغة وعملية التنشئة الاجتماعية :

لا تستطيع عملية التنشئة الاجتماعية أن تحقق هدفها دون اللغة . فالكلمات رموز أو علامات تشير إلى أشياء فى مواقف معينة وتحمل معانى الأشياء فى تلك المواقف، وعن طريق هذه الرموز يستطيع الفرد أن يستجيب للأشياء حتى فى حالة عدم وجودها فى مجاله الحسى المباشر، وعن طريق اللغة يتمكن الفرد من تحديد سلوكه سلفاً بالنسبة للمواقف المستقبلية، وهذا هو أساس عملية التفكير . فاللغة سلوك لفظى يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل فى حياته اليومية ويسلك نحوها سلوكاً معيناً، ويمكن باستخدام اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معانى من موقف إلى آخر، أى يمكن تعميمها وتعميم سلوك الطفل نحو المواقف المتشابهة .

فاكتساب الطفل لكلمة واستدعاؤها قد يقوم مقام الأم فى توجيه أو ضبط سلوكه، أى إنه باكتسابه للكلمة يسلك سلوكاً يتمشى مع اتجاه الأم أو النموذج . وهذا يساعد على نمو ما يسمى بالقدرة على الضبط الذاتى Self Control .

وعندما يقوم الطفل بأدوار الآخرين - كما سبق أن ذكرنا - وبالتعبير عن اتجاهاتهم بأسلوبه يستخدم اللغة، ومن ثم تكون ذات الطفل .

والكبار يكون فى استطاعتهم باستخدام اللغة أن ينقلوا إلى الطفل معانى المواقف المختلفة التى يواجهها فى حياته وكذا عند توجيهه . ذلك لأن الكبار يستطيعون باستخدام ألفاظ لها دلالات أو معان خاصة من خبرات سابقة أن يكونوا عند الطفل اتجاهات سلوكية معينة بالنسبة للمواقف التى لم يخبرها الطفل .

وباختصار فإن اللغة تهيئ الفرد للقيام بدوره الاجتماعى خير قيام بفهمه بداية للمعايير المشتركة التى تمثل القدر المشترك الذى يبنى عليه التفاعل والتأثير والتأثر وبفهمه للأدوار الاجتماعية، فضلاً عن أنها أداة الفرد للتعبير عن مشاعره

وحاجاته. وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن اللغة أداة تصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية القائمة على تبادل الحوار وفهمه، وإقامة علاقات اجتماعية تتسم بالعمق.

ثامنا : مراحل عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال :

لم تختلف الآراء فى وضع مراحل للتنشئة، بقدر ما اختلفت فى كون هذه المراحل تتم فى الطفولة للفرد (محدودة ولها نهاية) أو تستمر عبر عمر الإنسان (مستمرة ولا نهائية) وسوف نعرض لمراحل التنشئة فى ضوء هاتين الوجهتين.

١ - مراحل التنشئة كعملية محدودة لها نهاية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للطفل فى ضوء هذه الوجهة بثلاث مراحل :

أ - المرحلة الذاتية :

ويتعلم الطفل فى هذه المرحلة أن يتكيف لمطالب جسمه وحاجاته البيولوجية والظروف البيئية المحيطة، ويقبل المعانى التى حددها الكبار للمواقف التى يمر بها، كما يظهر ذلك عند معاملتهم له، وهنا يمكننا القول بأن الطفل يكيف نفسه لسلوك الكبار.

ويستجيب الطفل للمواقف المختلفة بحواسه، وتحدد بالتدرج بعض أنماطه السلوكية نتيجة ما يترتب على استجاباته من نتائج، فيتعلم بالتدرج أن يستبعد بعض الأنماط السلوكية التى لا تؤدى إلى إشباع حاجاته البيولوجية. وقوام هذه العملية هو تناسق حسى - حركى يتحدد بعلاقة الطفل بالبيئة المحيطة وسلوكه فيها، فتصبح معالم بيئته بمثابة علامات أو إشارات لسلوك معين يأتبه الطفل تحت ظروف معينة، ولكن الكبار يكونون قد حددوا سلفا أغلب المعانى بالعادة أو بالعرف أو بالتقليد. فتدنى الأم مثلا يعنى للطفل الرضاعة، ومد الأم يدها إلى الطفل معناه أنه سوف يرضع أو يُحمل وهكذا.

ب - المرحلة المطلقة :

ويكتسب الطفل فى هذه المرحلة القدرة على الانتقال من مكان إلى آخر مستقلا نسبيا عن الكبار، ونموه الحركى يمكنه من التعامل مع الأشياء بفعالية أكبر وحرية أكثر بعيدا عن مراقبة الكبار، وإن كان كثير من عادات الطفل وأفعاله فى

هذه المرحلة تجد مقاومة من الكبار، فهم يتدخلون لمنعه من بعض التصرفات مما يترتب عليه حدوث الصراع بين الطفل والكبير، وقد يتحول هذا إلى صراع فى شخصية الطفل نتيجة للتناقض الذى يحدث فى معانى الأشياء أى حول العلامات التى كان يستجيب لها فى الماضى والمعانى الجديدة التى أصبح الكبار يفرضونها. وتتعدل بالتالى معانى الأشياء بتغير توقعاته، وتتمايز الأشياء والعلامات التى تحدد استجابات الطفل مما يؤدى إلى تعديل سلوكه بحسب قيم الكبار وعاداتهم.

ويكتسب الطفل فى هذه المرحلة ما يجب وما لا يجب، أى أنه فى طريقه لتكوين الأنا الأعلى (الرقيب أو الضمير).

وفى هذه المرحلة يقوم الطفل بممارسة الأدوار الأخرى للأفراد الآخرين فى بيئته، فالولد يلعب دور رجال البوليس ودور البائع.. والبنت تلعب دور الأم ودور المدرسة.. وغيرها.

جـ- المرحلة المشتركة للتعامل بين الطفل وبين غيره من الأفراد :

وفىها يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة فى حياته، وفيها ينتقل الطفل من فهمه وتوقعه الثابت لسلوك الأفراد إلى معرفة اتجاهات الأفراد السلوكية فى المواقف المختلفة، لقد أصبح الطفل الآن يذكر أسرار أسرته فى حالة عدم وجود الغرباء بينما لا يحق له ذلك إذا كان بين غرباء.

ويستدعى الطفل فى سلوكه وأثناء اللعب العلاقات أو الرموز التى تعبر عن اتجاهات الآخرين، ويستجيب لتلك العلاقات، وبهذا يتعدل سلوكه إلى شكل يساعده على التوافق فى تعاملاته مع الغير. ويترتب على ذلك :

- ١ - أن يصبح الطفل أكثر وعياً بذاته.
- ٢ - التنبه إلى اتجاهات الغير نحوه.
- ٣ - تكوين بعض الاستجابات المنظمة حينما تصدر اتجاهات من الغير نحوه.
- ٤ - يوحد الجوانب الأساسية لاتجاهات أعضاء أسرته فى كل متكامل نحوه بعض الأمور ويعدل من سلوكه فى ضوء هذا الإطار العام.

٥ - الابتعاد نسييا فيما يتوقعه الغير منه، إلى أن يتوقع من نفسه السلوك المناسب للموقف.

٦ - تحديد معنى الموقف الجديد فى ضوء الخبرة الماضية قبل إصدار سلوك بشأنه.

٢ - مراحل التنشئة كعملية مستمرة لا نهائية :

تمر عملية التنشئة الاجتماعية للفرد فى ضوء هذه الوجهة بأربع مراحل، وتقسم المرحلة الأولى منها إلى أربع فترات داخلية.

أ- المرحلة الأولى : من الميلاد حتى دخول الروضة.

وتتم داخل الأسرة ولها أربع فترات.

- **الفترة الأولى :** الطفل فى هذه الفترة لا تمارس عليه أية ضغوط اجتماعية، ويعيش فى هدوء وسكون. فمنذ مولد الطفل تتحمل الأم مسئولية رعايته، ويرتبط بها الطفل ويعتمد عليها.

ويمنح الطفل من الأسرة والأم كل العطف والعناية، ولا يتوقع إطلاقاً منه مشاركات إيجابية. والأم رغم حبها وحنانها على الطفل وتحقيق احتياجاته، لا تهمل واجباتها الأسرية الأخرى.

- **الفترة الثانية :** الطفل فى هذه الفترة تبدأ الأسرة معه السيطرة والضغط، وتنوب الأم عن الأسرة لأداء هذا الدور، وتحاول إعلاء سلوكه إلى سلوك اجتماعى، نظراً لتعلمه بعض الأداءات واكتسابه بعض الكلمات التى تسهل له الاتصال وإبلاغ بعض الرغبات.

ويبدأ الطفل فى التوتر نتيجة الممارسات التى تفرضها الأم، والحرمان النسبى من تلبية كل الرغبات، وهنا يكون سلوك الأم قد بدأ يتغير، ولكن هذا التغير لا يتبعه أن يتحمل الطفل مسئولية أفعاله. وتسمح الأم للطفل بممارسة بعض السلوكيات إنها فترة سماح Permissive، لكنها ليست على نفس النحو فى الفترة الأولى، وبالرغم من ذلك فهو يحب الأم.

- الفترة الثالثة : تبدأ إمكانات الطفل تنضج لتعميم الحب إلى أبعد من الأم، ويبدأ الطفل إدراك نفسه كفرد بين من يكونون الأسرة، ويعرف الأب. وتبدأ مرحلة توحده مع أفراد الأسرة. وتتخلى الأم في هذه الفترة عن مسئولياتها تجاه الطفل نسيًا إلى الأب.

ويعيش الطفل في هذه الفترة زمنا تنكر فيه أغلب رغباته الفطرية، وتلاحقه مجموعة من الأوامر والنواهي والتعليمات التي تقيد حركاته وتضبط سلوكه، التي يعجز عن فهمها رغم إدراكه لها. ويساعد ما يحصله الطفل من خبرات ومهارات في هذه الفترة على اكتساب مركز جديد في الأسرة.

- الفترة الرابعة : يتوحد الطفل في هذه الفترة مع الأب كموضوع جديد. ويبدأ دور الأم في التغيير ويصبح دورا والديا، ويبدأ نشوء الضمير ويصبح الأب والإخوة موضوعات عند الطفل يتبادل معهم التفاعلات. ويؤدي الأب في هذه الفترة دورا هاما كموضوع للإشباع العاطفي للطفل، وإن كانت الأم أكثر إيجابية نحو الطفل إلا أنها أقل مساعدة له. وتؤدي الأسرة تحولها إلى ممارسة الثواب والعقاب. إنها فترة توافق مع المراكز الجديدة في الأسرة والتي يكبت فيها رغباته السابقة.

ب- المرحلة الثانية: ويطلق عليها Parsons الطور الثانى للتنشئة، وتكون خلال مراحل الدراسة من الابتدائية حتى نهاية التعليم أو الحصول على المؤهل. والمدرسة أول نسق اجتماعي يدرك فيه الطفل التباين الاجتماعي ليس على أسس بيولوجية، بل على أساس التحصيل والقدرات، يقابل الطفل رفقا جددًا. ويواجه الطفل لأول مرة فترة توضع فيها قيم أسرته وأفكارها في الميزان.

ويتخذ الطفل نماذج غير الأب والأم كموضوع، ويتحرر أكثر من الارتباط بهما مع وجود معلم أو معلمة. ويعدل المنهج الدراسي من بعض الأفكار ويتكيف التلميذ مع النظام الاجتماعي الجديد.

حتى يصل الطالب إلى الجامعة، ويبدأ الإحساس بالفروق في التخصصات تبعًا للقدرات. ويدرك الفروق في التخصصات المهنية.



ج- المرحلة الثالثة : تبدأ من الخروج من التعليم إلى العمل . ويبدأ تكيف المرء من جديد مع الأنساق الجديدة التي يرتبط بها وازدياد عدد الأدوار وتغير توجهات القيم، وربما أدى ذلك إلى بعض التوتر، نتيجة خبرات حياة عملية جديدة.

د- المرحلة الرابعة : تبدأ بتكوين الفرد أسرة جديدة. وهي فترة تتداخل مع الفترة الثالثة، وربما تسبقها في بعض الأحيان لدى بعض الأفراد.

تاسعا : حدود التنشئة الاجتماعية :

تبدأ التنشئة منذ اللحظة الأولى فى حياة الأفراد مروراً بالعديد من الأمور حتى اختيار الوالدين للون الذى يلائم الإناث والألوان التى تناسب الذكور . فهى عملية معقدة متشابكة تتأثر بعوامل خارجية وداخلية .

والجماعات والمؤسسات الموجودة فى المجتمع تلعب الدور الأساسى فى هذه العملية مثل الوالدين والإخوة وجماعة الرفاق . وجميع هؤلاء يبذلون جهداً كبيراً ويقضون جزءاً من أوقاتهم فى العمل على إيصال القيم وتشكيل وتعديل سلوك الأطفال .

وتختلف كل من القيم والمعايير والأهداف والوسائل التى تنطوى عليها عملية التنشئة الاجتماعية عبر المجتمعات ، بل إنها تختلف داخل المجتمع الواحد من جماعة إلى أخرى ، بل وفى المجتمع الواحد عبر الأزمنة والعصور .

وتعتبر التنشئة الاجتماعية للأفراد فى مراحل الطفولة ليست كافية تماماً لمواجهة مطالب الحياة اللاحقة ، فهم يتنقلون عبر سلسلة من المراكز تكون مصاحبة لمراحل الحياة . وعلى الرغم من أن بعض توقعات المجتمع شبه ثابتة ، إلا أن هناك توقعات تتغير من عمر إلى آخر ، فى الوقت الذى ينتظر من الفرد الاستجابة لهذه التوقعات المتغيرة بأسلوب مناسب عندما يصبح فى حياته أشخاص جدد فى العائلة أو العمل أو الدراسة .

وبطبيعة الحال فإن فعالية التنشئة الاجتماعية فى الطفولة يكون لها التأثير الأعظم فى المجتمعات عديمة التغير أو ضئيلة التغير ، ولكن لا يتوقع لها الثبات . وربما يأتى الاستقرار فى مثل هذه المجتمعات الهادئة من الاستمرار مدة زمنية مع الآخرين المهمين أنفسهم ، والذين ينغمر معهم الفرد ، مثل الأبوين أو الأقارب الذين يعيش معهم الطفل حتى منتصف العمر وأحياناً الأصدقاء الذين يستمرون خلال معظم حياة الإنسان . إلا أنه حتى فى بعض المجتمعات عديمة التغير نسبياً لا تمكن تنشئة الطفل فى الطفولة نجاحه فى التعامل مع كل الأدوار التى يتم مقابلتها فى المستقبل ، كما أن الأفراد لا يمكن تنشئتهم فى الطفولة على أدوار سوف

تقابلهم فى المستقبل، ومثال ذلك دور الزوج عند الزواج والمدنى عندما يجند ويساهم كل من التنقل الجغرافى والانتقال الاجتماعى المتميز به فى مجتمع الطبقات المفتوحة فى إظهار عدم كفاية التنشئة فى مرحلة الطفولة لمواجهة المواقف التى يتعرض لها الأفراد حينما يصبحون مراهقين أو شباباً.

إن تنوع الحضارات الفرعية فى المجتمعات الحديثة المعقدة، يضاعف تأثير الانتقال عن طريق متطلبات الأدوار الجديدة وغير المنتظرة التى توضع على الفرد. كما أن التغيرات الاجتماعية السريعة التى تحدث خلال مراحل العمر تظهر عدم كفاية كثير مما وجهنا به فى مرحلة الطفولة.

وأمام هذه التحديات فإن المجتمعات تحاول وضع اللبنة الأساسية لتعلم ضرورى فى الفترة التالية من العمر عن طريق تزويد الأفراد بما يساعدهم على المبادرة والإبداع والمرونة والقدرة على مواجهة الجديد والبعد عن التلقين وغير ذلك من الصفات التى تفيد فى مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية المتغيرة.

ويضيف ذلك على المجتمعات الحديثة أعباء تجديد التنشئة الاجتماعية للأفراد الذين لم يتم إعدادهم لمثل هذه التحديات، وعلى المؤسسات التى تعنى بتنشئة الأجيال أن تتطور، ولا بد من توفير برامج تركز فيها جهودها لهذا الأمر وتأخذ على عاتقها تربية الآباء مع اختلاف الأجيال.

ويجب أن نعترف أولاً بالصفات المستمرة للتعليم والتنشئة فى مرحلة الطفولة والصعوبة النسبية فى تغيير أغلب ما تم تعلمه، وبخاصة إذا كان هناك العديد من الآراء تحذ الرأى الشائع بأن أغلب الجانب غير الواعى من الشخصية (اللاشعورى) يتجمع خلال التنشئة الاجتماعية المبكرة.

وإذا افترضنا وجود صفات دائمة للتعليم فى مراحل الطفولة، فإن تأثير مثل هذا التعلم على تنشئة الفرد فى المراهقة أو الرشد يكون أكثر تعقيداً مما قد يبدو. فليس التعلم المبكر وحده المتدخل والمحدد للتعلم المتأخر، وإنما هو واحد من مجموعة تأثيرات. والأصح أن علاقة التعلم المبكر أو عدمه بالنسبة للتعلم المتأخر تقرر هل ستحدد أو ستسهل التنشئة الاجتماعية للأفراد الأكبر سناً.

وإن كانت هناك فائدة من إحلال التعلم المتأخر بالتعلم المبكر بخصوص التنشئة والقديم بالجديد، إلا أن هناك حالات يمكن أن يسهل التعلم فى مرحلة

الطفولة التعلم فى الرشد، وبالتالى تكون تنشئة الكبار مرارا ناتجة من خلق توفيقات Combinations من عناصر استجابات قديمة، ويكون غياب تعلم معين فى مرحلة الطفولة هو نقطة سالبة فى تنشئة متأخرة لأن إتيان الفرد إلى دور اجتماعى فى حياته المتأخرة بدون معلومات ولو بسيطة من التنشئة الاجتماعية فى الطفولة يعرقل أو يعوق التعلم فى السنوات المتأخرة. إن هناك أشياء يجب أن تعرف فى مراحل عمرية معينة، وتعلمها فى الوقت المناسب (مرحلة حرجة) يجعل التعليم اللاحق ممكنا.

ورغم كل ذلك فإن الجدل ما زال دائرا حول تأثير التنشئة المبكرة أو غيابها على التنشئة المتأخرة، ولكن الواضح أن المحتوى الأساسى للتنشئة الاجتماعية يختلف بطرق هامة فى المراحل المختلفة لحياة الأفراد وباختلاف المؤسسات الاجتماعية الأساسية. ويتعلم الأفراد أشياء مختلفة فى أوقات مختلفة من حياتهم بل وفى أماكن مختلفة أيضا، ومع ذلك فإن معظم المجتمعات تعيد وضع قيمها الاجتماعية جيلا بعد جيل، وأسباب نجاحهم فى ذلك معقدة. فقد تعتمد المجتمعات إلى إدامة هذه التشابهات عن طريق التلقين الواعى أو تدريب الصغار، أو بفرض ضغوط اجتماعية على كل أعضائها من المهد إلى اللحد، أو عن طريق عدم إتاحة بدائل تكون أكثر قبولا.

وربما أضافت الأمثلة التالية مزيدا من الإيضاح وبعضا من عدم التفاؤل :

١ - أطفال الكيبوتز Kibbutz:

هناك تجربة إسرائيلية فى تنشئة الأطفال، تمت على أطفال نسبتهم صغيرة يعيشون فى مجتمعات زراعية، تعطى الأطفال فوائد ومزايا العيش فى جماعة (تربية جماعية) وذلك خلال جزء من اليوم، وترك رعاية الوالدين باقى اليوم، وأطلق على نظامهم هذا (الكيبوتز) الذى ساعد فى حل بعض صعوبات تواجهها الأمهات العاملات، وكذا عاون هذا النظام فى القضاء على بعض مشكلات المراهقين من نظير الاستقلال عن الأسرة.

إن الأطفال فى هذا النظام يعيشون فى جماعات مختلفة من حيث الحجم، وينتمون إلى مجموعات كل حسب عمره، بحيث تكون كل مجموعة تحت رعاية مربية أو مدرسة. وعلى الرغم من كون أولياء الأمور مسئولين أساسيين عن أطفال الكيبوتز إلا أن هؤلاء الأطفال يقضون وقتا كبيرا مع أقرانهم ولهم علاقات وطيدة بهم ويقضون وقتا قليلا جدا بمفردهم، ويتعود الأطفال فى هذا النظام الانفصال عن والديهم لمدة يوم أو أكثر فى سن مبكرة. مما يشجعهم ويدعم لديهم الاستقلالية من الصغر مقارنة بالأطفال فى غير هذا النظام. ولأطفال الكيبوتز شلة كبيرة من الأصدقاء مقارنة بالأطفال العاديين.

وإذا كانت المربية أو المدرسة فى نظام الكيبوتز تتولى رعاية الطفل وتعلمه الانضباط والنظام وحسن التعامل مع غيره، كما أنها فى غالبية الأحيان مصدر للحب والعطف، فإن الوالدين يصبح لديهم الوقت الكافى بمنح الدفء والحنان وتوفير المأكول لأطفالهم. على الرغم من أن الأطفال لا يعتمدون كليا واقتصاديا على والديهم كما يشير Fong and Resnick ، فكل الأطفال يحصلون على قوتهم من المجتمع الذى ينشأون فيه ويعملون فيه مما يدعم الاعتماد على النفس. ونتيجة لهذا النظام ينشأ مراهقون فى جماعات ليس لديهم نفس الخلافات أو مستواها مع الوالدين من أجل الاستقلال والشعور بالحرية، فهى تمنح وتشبع من خلال هذا النظام.

٢ - استحالة الجماعة للطفل :

وهناك فكرة تقول أن أناسا معينين لا يصبحون اجتماعيين أبدا. ولنتأمل المثال التالى الذى عرضه Lambert عن Davis و Dollard :

لقد أطلق معارف التلميذة جوليا عليها اسم المشاغبة أو المشاكسة ذات المتاعب. إن لجوليا صديقة وحيدة، فهى لا تكون جماعة رفاق مقربة أو تشترك فيها. ويرى المدرسون والتلاميذ الذين يعرفونها أنها تحب جذب الانتباه وحب الظهور، وتفخر جوليا بأن من يعرفها داخل المدرسة يعتقد أنها مجنونة ويمكنها أن تتصرف أو تفعل أى شئ من سب وشجار للرفاق أو المدرسين، ولأنها فى بيئة

غير عربية فلا تتردد فى أن تقبل زميلا لها فى فناء المدرسة . . ولا يستثنى من شجارها حتى والدها أو والدتها، وتعلم جوليا أن أمها لا تحبها ولم تحبها ولن تحبها نهائيا، ورغم أنها رقيقة الجسم إلا أنها فتاة مسترجلة تتشاجر بكلتا يديها بدلا من الأدوات الحادة كالسكين، ولا تهدأ إلا بعد أن تنتقص من فتيان المدرسة وتصفعهم على وجوههم خلال الشجار العنيف.

وعندما نعلم أن جوليا كانت فتاة زنجية من أسرة تقع فى أدنى مراتب الطبقة المنخفضة لا يعود هناك شك فى غلط تكيفها الاجتماعى، ربما أمكننا القول أن هذه الفتاة أعدت إعدادا حسنا لنوعية الحياة الضحلة البائسة التى كان من المتوقع أن تعيشها، وليس فى مدرستها أو بيتها الحالية.

٣ - محو آثار التنشئة :

وهناك مثل آخر شهير اتبعه الشيوعيون الصينيون لنزع الطابع الاجتماعى ومحو آثار التنشئة الاجتماعية السابقة من بعض الأسرى الأمريكيين خلال الحرب الكورية. لقد أجريت مقابلات مع العديد من الأسرى عقب إطلاق سراحهم، فعرف منهم أن الصينيين لم يكتفوا بمحاولة محو آثار التنشئة الاجتماعية للأسير الأمريكى فحسب، بل حاولوا أيضا أن يعيدوا تشكيلهم اجتماعيا، بجعلهم يؤمنون بالمعتقدات والقيم الشيوعية الصينية. وعلى الرغم من أن الصينيين قد نجحوا فى أمور هامشية قبلت التغيير لدى الأسير الأمريكى، إلا أنهم فشلوا فى هدفهم الرئيسى، مما يوضح قوة التأثير للتنشئة الاجتماعية التى مر بها الجندى الأمريكى قبل الأسر.

ويشير Lambert and Lambert إلى أن نزع الطابع الاجتماعى عن إنسان إلى الدرجة التى يتغير بها تغييرا جذريا يتطلب التعامل بذكاء مع البنية Structure النفسية الاجتماعية التى تتحكم فى شعوره بذاته. والجيش الأمريكى مثل باقى الجيوش، منظم بحيث يحول الفرد المجند إلى رجل عسكرى باسل، وهو أمر يتطلب عملية تنشئة اجتماعية قوية. ونظرا لعلم الصينيين الشيوعيين بذلك فقد كان هدفهم الرئيسى تدمير الثقة بين الأسرى الأمريكيين، وتم إبعاد الضباط عن

الجنود. وإبعاد الأصدقاء عن بعضهم البعض، ومنع أشكال التعارف لكي لا يجد الأسير الطمأنينة في الصحبة، وأغرى الأسرى الضعفاء بالمعاملة الخاصة كي يبلغوا عن رفاقهم، وأظهرت هذه المعاملة للأسرى غير الضعفاء حتى تنخفض الروح المعنوية وتنهدم، ومع ذلك فقد بقي كل أسير في حالة من الحيرة حول ما إذا كان هناك عملاء سريون بين الأسرى. وحينما أصبح الأسرى شبه معزولين وحيدون على هذا النحو أجبروا على الاستماع إلى أفكار دعائية مستمرة تلقن الجوانب السالبة في حياتهم السابقة والجوانب الإيجابية في حياتهم المستقبلية إذ اتبعوا الأوامر الصينية، وقد أرغم الأسرى على المشاركة بفعالية ونشاط في عملية إعادة تصوراتهم عن قياداتهم الأمريكية عن طريق الاعتراف بالأخطاء التافهة التي تحدث في جيشهم الأمريكي، هذه الاعترافات التي كانت تدعم بالمكافآت بالإضافة إلى التهديدات لغير الراغبين في الإدلاء باعترافات.

لقد شعر الأسرى بالوحدة والخوف وعدم الثقة بين بعضهم البعض، وملأت عقولهم الدعاية، والشعور بالتقبل والمعاملة الحسنة إذا تغيرت معتقداتهم، والثقة في ظهور الرعب إذا بدت منهم أدنى مقاومة. ورغم انهيار بعض الأسرى بسبب أوجه النقص في تنشئتهم الاجتماعية المبكرة، وانحنى بعض الأسرى قليلاً ثم استعادوا قواهم، وتمرد كثرة منهم ضد عملية غسيل المخ Brain washing المتبعة معهم، فمات بعضهم. وعموما فشل الصينيون في مهمتهم، ورغم أنه من غير المعروف على وجه التحديد لماذا فشلوا، ولكن يأتي مع فشلهم ما ظهر من فعالية وقوة عمليات التنشئة التي جعلت هؤلاء الأسرى الأمريكيين على هذا الصمود، لدرجة أن أحد الأسرى أخذ يقرأ بصوت مرتفع فقرة من كتاب كارل ماركس بلهجة فكاهية مما أدهش الصينيين عدم الخوف والإصرار الذي يظهر على من هم مثل هذا الأسير.

عاشرا : أهداف ومحتوى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

هناك أهداف حددها Selznick and Broom و Parsons للتنشئة الاجتماعية وقد تمثلت في :

أ - إعلاء رابطة الحب بين الطفل والأم، وإقامة التزامات حول إمكانيات الانجذاب نحو الغير.

ب - التنشئة الاجتماعية ترتبط بما تقوم به من عمليات تعليم، وبما يحتاج أن يعرفه الشخص حتى يتوافق مع مجتمعه، وحتى يتمكن من تنمية لقدراته وإشباع لحاجاته.

ج - تلقين الأطفال نظم المجتمع الذى يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع.

ء - تلقين الأطفال مستوى الطموح اللازم للعيش وسط هذه الثقافة.

هـ - تعليم الأطفال الأدوار الاجتماعية.

و - إكساب الأطفال المهارات المطلوبة للتوافق مع أفراد المجتمع، وحصولهم على الأدوات التى تساعدهم على الاندماج مع الجماعات مثل اللغة.

ز - غرس القيم وأهداف الجماعة التى ينتمى إليها الطفل والتى تشكل ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه، لتحقيق توقعات الأدوار التى سوف يواجهها يوما ما مثل إعداد الطفل لأداء دور الأخ والابن والزميل والأب.

ح - إكساب المرء نسقا من المعايير الأخلاقية التى تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة، وتمثل هذه المعايير السلطة الخارجية على الفرد.

وعموما لا توجد أهداف دون توافر أدنى محتوى يتطلب عددا من الاحتياجات الجوهرية.

لقد وهب الله الإنسان القدرة على إدراك الزمن والمكان، وهو القادر على جعله يتمكن من استحضار الماضى ومعاشية الحاضر وتصور المستقبل، مما جعل الإنسانية تتوارث ثروة حضارية تتمثل فى القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات التى يعبر عنها فى ضوء أنماط من السلوك. وتضيف الإنسانية لهذه الثروة يوما بعد يوم نتيجة للتغير والتطور. وتستثمر الإنسانية التراث بنقله للأجيال، بحيث يصبح للفرد فى هذه الأجيال وعى وإمكانية للاستجابة إلى المؤثرات الاجتماعية، وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات كى يعيش مع غيره ويسلك

مع الآخرين مسلكهم فى الحياة، ويتعلم الأنماط السلوكية التى تميز ثقافة مجتمعه عن الثقافات الأخرى. ومن هنا يحتوى ذهن الفرد على أفكار وممارسات ومعايير وقيم المجتمع الذى يعيش فى إطاره، ولا يصبح مجرد راوية أو مقلد، وهذا ما يعلنه Lindgren و Watson .

ولكن محتوى التنشئة يتطلب عددا من الاحتياطات نجعلنا نقرب بأطفالنا من السوية والتوافق الاجتماعى، وهذه الاحتياطات هى :

- البعد عن القيم والاتجاهات التى تجعل الأطفال يستسلمون للخرافات [الشيخ لحاف وأمن الغولة...].

- البعد عن العادات التى تزرع فى نفوس النشء الاستسلام أو اللامبالاة أو التواكل أو الأنانية.

- البعد بالنشء عن النماذج التى تنجح دون رادع عند استخدامها لأساليب المغافلة والتضليل والخداع والغش والكذب - الشخصية الفهلوية -

- عدم تعريض الأطفال لأنماط متناقضة من التنشئة مثل الانقياد لأوامر الوالدين بالمنزل دون مناقشة فى الوقت الذى نطلب منهم فيه إيجابية التفاعل والمبادأة وحرية الرأى أمام الزملاء والمدرسين بالمدرسة.

- عدم التناقض أثناء التنشئة للأطفال بين القول (عدم الكذب مثلا) والفعل (إنكار وجود الأم عند اتصال صديقة لها بالتليفون).

- البعد بمضمون التنشئة عن الانفتاح الثقافى المنحرف بعدم الانغمار فى نقل ثقافة بعض المجتمعات الأخرى غير المناسبة لمجتمعاتنا إلى أطفالنا [الأفلام الإباحية - قصص العنف - نماذج العدوانية].

حادى عشر : شروط تحقيق التنشئة الاجتماعية الملائمة :

هناك بعض الشروط الأساسية فى ضوئها تتحقق التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وقد عُرِفَت هذه الشروط لدى Elkin and Hardel . وفى مقدمتها أن الطفل حديث الولادة، يأتى إلى مجتمع موجود بالفعل Existing Society له

معاييره وقيمه وقوانينه، واتجاهاته، وبه بناءات اجتماعية منمطة ومنظمة، ومع ذلك تتعرض للتغير. ولا يكون للطفل المولود غير المهيأ اجتماعيا أى دراية بتلك البناءات أو التغيرات الممكنة، وتصبح مهمة الشعور والتفكير والتفاعل من جانب هذا الصغير محددة للوسائل والطرق التي يجب أن يمر بها كقادم جديد New Comer إلى التنشئة في مجتمع ما.

كما أن مدخل التفاعل الرمزي يشير إلى أن طبيعة الإنسان تتضمن المقدرة على القيام بعمل الآخرين في الوقت المناسب، وكذلك الشعور مثلهم. أو بصفة عامة القدرة على التعامل برموزهم Symbols، ولا يخفى أن هذا التعامل يختلف باختلاف الرموز الاجتماعية مثل الأصوات Sound and Voice والإيماءات Gestic and Gesticulation والإشارات Hints and Insinuation وما إلى ذلك. وهذا الاختلاف يُدّكيه وجود الطفل بين والدين ومربية وروضة أو مدرسة ومعلمة... إلخ، وربما كان كل من هؤلاء على طرف، مما يوقع الطفل في كثير من اللبس، وربما التعقيد أو التناقض في الوقت الذي تحتل هذه الجهات أهميتها لدى الأطفال. وهنا يكون الاتساق هاما جدا.

وكذلك فإن تفسير تصرفات الطفل ومظاهر تنشئته يجب أن تدور في نطاق بيئته التي نشأ فيها والتي يمكن تقسيمها إلى :

أ - تنشئة اجتماعية أولية Primary Socialization داخل الأسرة فيما قبل الست سنوات الأولى من العمر، أو يطلق عليها مرحلة مغطاة Covert وهي أعمق أثرا في تكوين شخصية الفرد.

ب - تنشئة اجتماعية ثانوية Secondary Socialization يتعرض لها الطفل خارج أسرته في الحضانة والروضة والمدرسة والمسجد والنادي ووسط الرفاق...، ويطلق عليها مرحلة مكشوفة Overt وتستمر مع الإنسان أثناء حياته، وقد يتعرض خلالها لإعادة تنشئته Resocialization نظرا لتردده على مجتمع مغاير أو أكثر عن الأسرة.

ج - تنشئة اجتماعية موازية Parallel Socialization وتعتبر موازية لأى من الصورتين السابقتين وهي عبر وسائل الإعلام (تلفزيون - راديو - قصص - مسرح...).

ثاني عشر : نتائج التنشئة الاجتماعية على الأطفال :

علمنا فيما سبق أن طريقة تنشئة الأطفال في مجتمع ما تعكس طبيعة ذلك المجتمع، بحيث نقترّب بالشخصية المشكّلة من نمط أو طريقة الحياة في هذا المجتمع.

فالمجتمعات المحبة للحروب تدرب أطفالها على السلوك العدواني، والمجتمعات التسلطية تدرب أطفالها على احترام السلطة... أما الأطفال الذين لا ينشأون بهذه الأساليب في تلك المجتمعات فإنهم يميلون فيما بعد إلى عدم التوافق وربما الانحراف. ويأتى التباين بين أنماط المجتمعات الإنسانية إلى أنماط التنشئة الاجتماعية التي اتبعت مع شعوبها والتي شجعتها تلك المجتمعات في ذلك الوقت.. ومع كل ذلك فإن التنشئة الاجتماعية تصل بالأطفال إلى :

١ - التعلم الاجتماعي للطفل :

من خلال التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل عادات وقيم وتقاليده مجتمعه، حتى يصبح فهمه وإدراكه للعالم المحيط مصبوغاً بطبيعة المجتمع، وحتى يأتى تفسيره للأمور في نطاق ذلك الفهم. ويعد هذا الاكتساب تعلماً اجتماعياً.

ويصل تأثير هذا التعلم الاجتماعي إلى أقصى درجاته في الطفولة. ويحقق التعلم الاجتماعي عدداً من الحاجات مثل : العطف والحب والاستقلال وتأكيد المكانة الاجتماعية. كما أن تقمص الطفل لدور الكبار في سلوكهم الاجتماعي له أهميته في هذا التعلم الاجتماعي للطفل. ويسهل التعلم الاجتماعي الذي حصل عليه الطفل لتعلم اجتماعي في مراحل تالية من عمره.

٢ - تكوين الأنا والأنا الأعلى عند الطفل :

تعتبر عملية تكوين الأنا من أهم نتائج التنشئة الاجتماعية، ويشق الطفل الأنا الأعلى سماعياً من أوامر الأب ونواهيته.

٣ - التحكم في العدوان عند الطفل :

لا تعنى التنشئة الاجتماعية للأطفال القضاء على السلوك العدواني لديهم ولكن يجب أن توجه التنشئة الاجتماعية النشء كي يثوروا للحفاظ على كرامتهم

وعلى أنفسهم وعلى ممتلكاتهم، وما هي المواقف التي يجب ألا يبدأ هو فيها بالعدوان

ولذلك فالتنشئة الصحيحة تراعى تجنب الأطفال مواجهة المثيرات التي تؤدي إلى العدوان وتجبر المخارج لتفريغ الشحنات العدوانية أو البدائل التنفيسية.

٤ - تعلم الأطفال للأدوار الاجتماعية :

تنتهى التنشئة الاجتماعية للأطفال بأن تعلمهم كيف يسلكون بما يتفق مع أدوار اجتماعية معينة (دور الابن - دور التلميذ - دور الأخ ...).

٥ - تعلم الطفل ضبط السلوك :

تصل التنشئة الاجتماعية بإيجاد ضوابط تأتي من داخل الطفل توجهه إلى السلوك المتقبل فى بيئته مثل :

- ضبط التبول.

- ضبط التبرز.

- ضبط البكاء والصراخ.

- اكتساب الآداب العامة ومبادئ هذه الآداب.

.....

٦ - تعلم الطفل التعلق :

إن الفرد خلال مراحل نموه من طفولته إلى رشده، يسعى لأن يكون على مقربة من بعض الأفراد، ويفصل أيضا عن آخرين أو يبتعد عنهم، وبذلك تتخذ تنشئته وجهتها السوية.

ومن مظاهر التعلق عند الطيور سير الفراخ وراء الأم، ولدى الحيوانات التصاق صغار القردة بالأم.

ومن مظاهر التعلق عند صغار الأطفال .. كف الطفل عن الصراخ عندما تحمله أمه، والمناغاة والابتسام للأم أسرع من الآخرين عندما يداعبونه .. واستجابات الترحيب عندما يجد الأم مقبلة مثل تحريك الأرجل أو رفع الأذرع.

وكذا الزحف خلف الأم عندما تمشى أمامه والالتصاق بها عندما تحمله أو الهروب إليها طلبا للنجدة حينما توجد أشياء تخيفه .

٧ - التوافق الاجتماعي للطفل :

خلال عملية التنشئة يتغير سلوك الطفل ليتسق ويقترب من سياق الجماعة التي يعيش معها أو وسطها، ويخضع أكثر بمرور الوقت للالتزامات الاجتماعية، ويتم ذلك طبقا لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل، وفي ذلك محاولات للتوافق مع الآخرين والبيئة المحيطة . . ويصل الأمر قرب الطفولة المتأخرة إلى توافق اجتماعي إذا ما كانت التنشئة قد اتخذت وجهتها الصحيحة .

٨ - نقل ثقافة الأجيال :

تعمل التنشئة السوية على إكساب الفرد ثقافة من سبقه . فنجد مثلا يرتدى نفس نوعية الثياب أو الزي ويفضله على غيره من أنواع الزي، ويطالب بالاحتفال بالمناسبات التي علمها إياها أسرته أو وسطه الاجتماعي .

واختفاء مثل هذه النواحي وغيرها لدى الأطفال من جيل إلى آخر يعني فشلا في جزء من أجزاء التنشئة، وإذا كثرت نقاط الفشل في أجزاء وأجزاء فإن التنشئة لا تكون قد حققت وظيفتها الثقافية، وربما أدى ذلك إلى انتهاء مجتمع قائم أو تحوله إلى مجتمع آخر .

٩ - السمو بحاجات الطفل :

تصل التنشئة الاجتماعية بالأطفال إلى عدم غلبة بعض الحاجات البيولوجية مثل الطعام على اتباع أو الإتيان بسلوك حميد، ويشبع فقط الحاجات البيولوجية التي يرضى عنها المجتمع في ضوء الضوابط المعمول بها مثل الحاجة إلى الجنس، ويرجى بعض الحاجات في الأوقات غير المناسبة .

١٠ - تعلم الطفل عدم الاتكالية :

إن السلوك الاتكالي يرتبط لدى الأمهات من الإفراط في حماية أطفالهن، وهو ما لا تؤكد عليه التنشئة السوية، ويبدو هذا الإفراط في اتباع الأنظمة الصارمة للتغذية والرضاعة والتشدد في فطام الطفل، لأن ذلك يؤدي إلى إحباط الطفل الذي ينعكس بدوره على الميل إلى الاتكال على الغير .

ثالث عشر : الإخفاق في تنشئة الأطفال :

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي أكبر الإنجازات ، يؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الأفراد حياة تعسة فيها شقاء مستمر ، إنهم يفتقدون القدرة على التكيف ويعانون سوء التوافق Maladjustment ، ويضعون عراقيل في طريق غيرهم ، وربما نتج الدمار في بعض الأحيان مثلما يحدث لبعض المجتمعات . بل إن الحروب كما يشير عبد الرحمن عيسوى ماهى إلا نتيجة الفشل الذريع في عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات .

وبسبب الإخفاق في تنشئة بعض الأفراد نجدهم أكثر عرضة لأن يصابوا بالذهان Psychosis أو يدمنوا الكحول Alcohol Addiction أو إدمان المخدرات ، وربما سقطوا في الجنوح Delinquency أو الجنسية المثلية Homosexuality أو اندرجوا تحت وطأة المرض النفسى Neurosis .

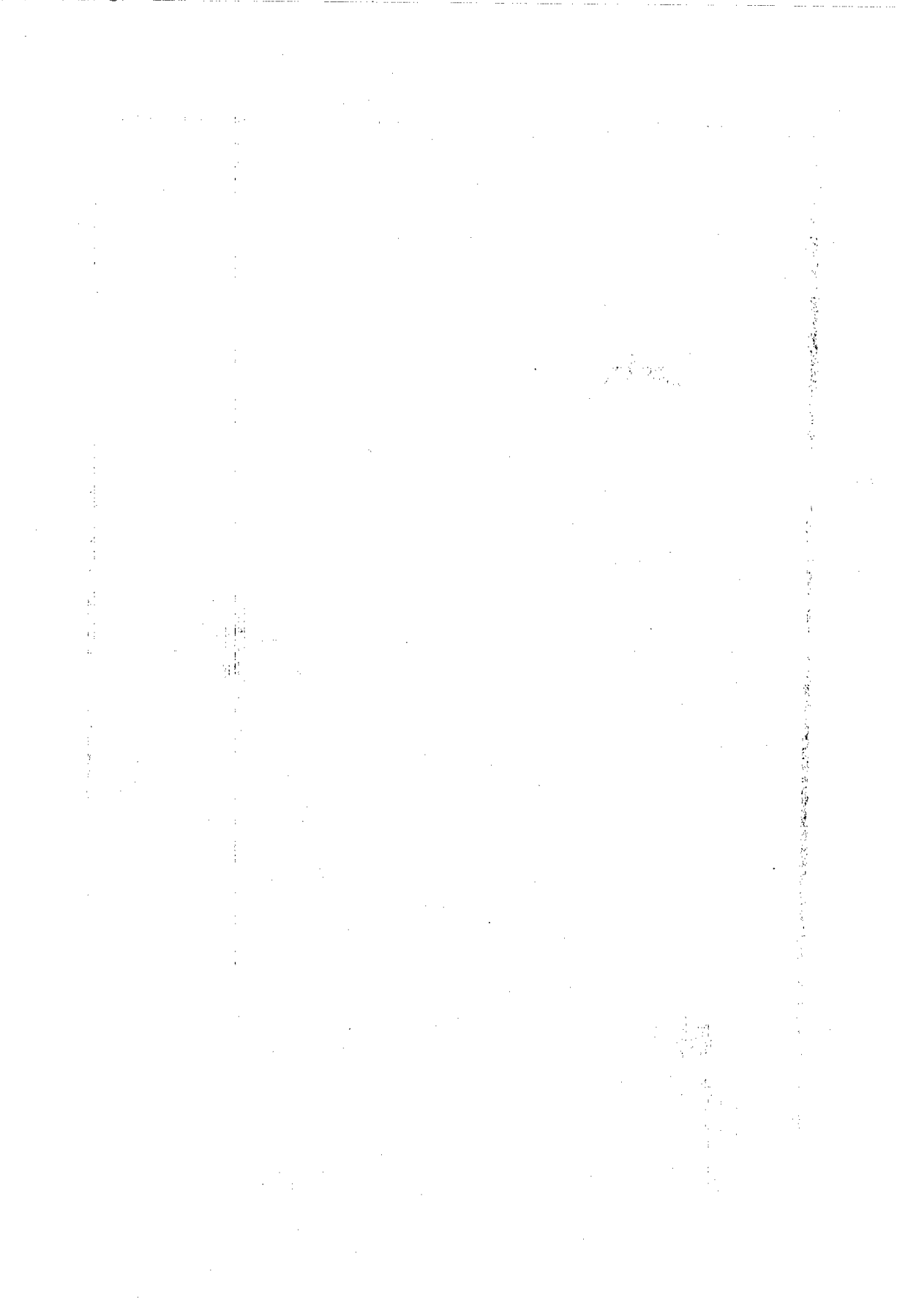
وهناك مجتمعات رغم تقدمها العلمى والتكنولوجى إلا أن انتشار الأمور السابقة بين أبنائها نسبته عالية ، مثل المجتمع الأمريكى .

وأهم مرحلة فى التنشئة هى مرحلة الطفولة ، فإذا أهمل الطفل فى بدء حياته ، خرج فى الأغلب عن السائد والمعروف فى الجماعة ، فاسد الأخلاق مرتكباً للأفعال الذميمة منحرفاً وجانحاً عن السواء .

الفصل الثانى

دور الثقافة
فى تنشئة الأطفال





أولاً : للثقافة معنى :

الثقافة هى مجموع ما يتعلم وينقل من نشاط حركى وعادات وأفكار وقيم وتقاليد ومعتقدات واتجاهات وفكرة الصواب والخطأ وما ينشأ عن ذلك من سلوك ومشاعر وأنماط للعلاقات يشترك فيه أفراد المجتمع، كما أنها مجموع طرق ووسائل صنع الأشياء والتكنولوجيا المستخدمة فى ضوء القوانين والقواعد المنظمة والديانات المعتمدة.

ويتعلم الفرد عناصر الثقافة أثناء نموه الاجتماعى، أى منذ نعومة أظفاره من خلال تفاعله فى المواقف الاجتماعية. وتؤثر الثقافة فى تشكيل شخصية الصغير؛ ولذلك فهى تحدد سلوك الطفل الاجتماعى وحتى الكبير عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى أو التنشئة الاجتماعية. فهى تبلور الأطفال وتشكلهم خلال مراحلهم المبكرة عن طريق نظم أولية Primary Institutions أو أعراف أولية مثل المتعلقة برضاعة الأطفال وغطائهم وتعليمهم ضبط عمليات الإخراج . . ونظم ثانوية Secondary Institutions .

فالثقافة نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى والقبول الاجتماعى بين أفراد المجتمع الواحد، وتوافر أنماط اجتماعية عامة مرضية يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، وهى تنتقل من جيل إلى آخر، وهى ليست فطرية، وتعتمد فى وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع، وإن كان هذا الوجود والاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها على الرغم من أنها وسيلة للتماسك بين الأفراد فى مجتمع واحد.

إن الاستعدادات الممكنة التى تأتى مع الطفل لا تصبح واقعة إلا بعد تشربه الجزئى للثقافة التى ولد فيها، فهى توفر للطفل ما يؤمل أن يكون عليه. فالطفل فى بداية حياته يتقبل الثقافة التى ينشأ فيها مثل تقبله للهواء والماء.

والثقافة توفر للفرد وسائل إشباع حاجاته البيولوجية، فليس على الطفل أن يتعلم فى بداية حياته كيف يجلب لنفسه الدفء أو ينقذ نفسه من الجوع أو العطش، أو يوفر لنفسه الأمن. إذ إن الأنماط التى توفر هذه الأمور الأولية وتوجهها توجد فى الثقافة ويتفاعل معها الفرد منذ طفولته. كما أنها توفر للطفل - منذ مولده حتى يصبح كهلا - المعانى والمعايير التى توضح الأحداث هل هى طبيعية أم غير طبيعية؟ هل هى منطقية أم غير منطقية؟ هل هى جمالية أم قبيحة؟ هل هى هامة أم تافهة؟.

وتعتبر الأسرة الوعاء الثقافى الأول الذى ينشأ فيه الأطفال، فهى وسيط الثقافة الأولى لما يلى :

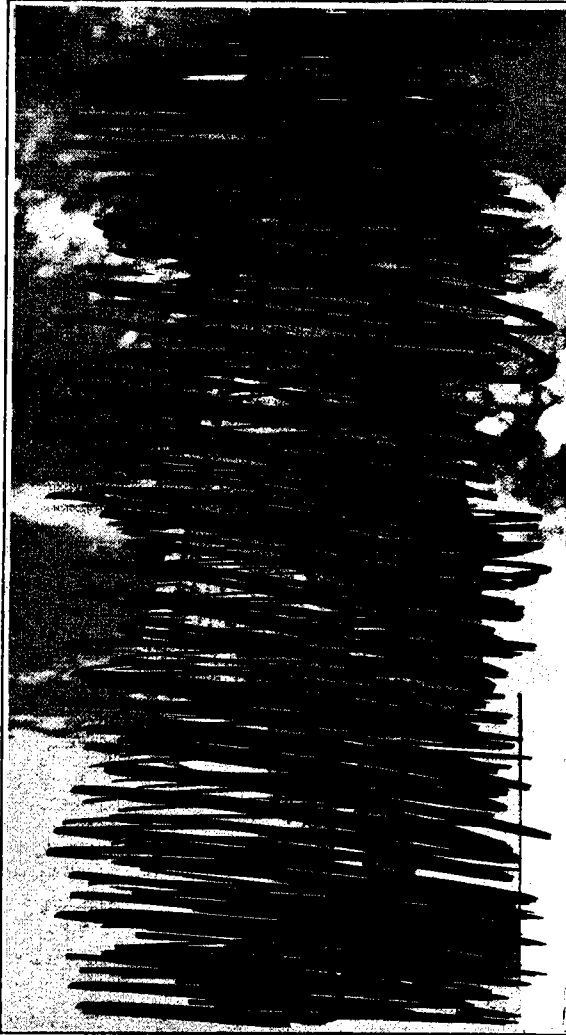
- ١ - ترعى الطفل أوليا فى الغذاء والنظافة والملبس ... إلخ.
- ٢ - توجه الطفل للتعامل مع غيره من خلال مبادئ وأساسيات التعامل خذ - هات - أعط - اشكر ... وهكذا.
- ٣ - تنقل التراث الثقافى للطفل بتعريفه وتعليمه وتلقينه العادات والتقاليد التى يجب أن تراعى وأوقاتها ومناسباتها.
- ٤ - تساعد الطفل فى تعلم المبادئ الأولية التى تساعد على التوافق الاجتماعى فى ضوء رغبات الآخرين وإمكاناتهم.

ولما كانت الأسرة هى الخلية الأولى فى المجتمع، لذا فإن النمط الشائع بين أسر المجتمع الواحد يعكس ثقافة ذلك المجتمع. وتصبح الثقافة السائدة فى المجتمع لها دورها فى تشكيل شخصية الإنسان الذى نشأ فيه، وينعكس ذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التى ترسم الإطار العام لسلوكيات الأفراد، وهذا ما جعل Mead تضيف أهمية دراسة المجتمعات البدائية وغير البدائية لإعطاء صورة عن تأثيرات الثقافة السائدة على سلوك الأطفال، وهو الأمر الذى لم يغفله المؤلفان الحاليان.

ويشير ماهر عمر إلى أن دور التفاعل بين الأطفال الصغار وبين الثقافة المحيطة بهم تفسره النظريات التطورية للمعرفة Cognitive - Development Theories على أنه يسهم إلى حد كبير فى تنشئتهم الاجتماعية المتعلقة بتحديد

أدوار الجنس Sex - Role التى يمارسونها بما يجعلها تتصف بالذكورة أو الأنوثة . ومن ثم يستنبط الطفل من هذه الثقافة نمطه السلوكى الذى يجده معمما على أفراد جنسه من الذكور إذا كان ذكرا ، أو معمما على أفراد جنسه من الإناث إذا كانت أنثى .

وإذا كانت النظريات التطورية للمعرفة تركز بصورة أساسية على دور التفاعل الإيجابى بين الأطفال والثقافة السائدة فى دعم التنشئة الاجتماعية التى تحدد



الأنماط السلوكية لأدوار الذكور منهم ولأدوار الإناث ، فإن نظريات التقمص Identification Theories تربط التنشئة الاجتماعية لصغار الذكور بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال التى يقلدونها من النماذج الذكرية التى يلتقون بها أو يشاهدونها أو يقرءون عنها فى كل مرحلة من مراحلهم العمرية ، ولأسيما مرحلتى الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة مثل الآباء والأقرباء والأصدقاء والزعماء والقادة والفرسان . . وغيرهم . كما تربط هذه النظريات (التقمص) التنشئة الاجتماعية لصغار الإناث بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار النساء التى يقلدنها

من النماذج الأنثوية فى مراحلهم العمرية المختلفة مثل الأمهات، والخالات والعمات والمدرسات... وغيرهن.

أما نظريات التعلم الاجتماعى Social Learning Theories فتربط التنشئة الاجتماعية للأطفال بما يكتسبونه من سلوكيات نمطية لأدوار الرجال أو أدوار النساء، بناء على ما يتعلمونه من المحيطين بهم من وسائل الإعلام المنتشرة حولهم مستخدمين مبدأ التعزيز أو الدعم Reinforcement للسلوك النمطى الصحيح للدور الملائم لجنس الطفل ومبدأ الإطفاء للسلوك النمطى غير السليم للدور المخالف لجنس الطفل.

وسوف نعرف فيما يلى بعض النظم التى تختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، وربما باختلاف الطبقات داخل نفس المجتمع. وسوف نقسمها إلى نظم أولية ونظم ثانوية :

ثانيا : نظم تشكيل الأطفال تبعا للثقافة :

١ - النظم الأولية :

أ - نظام الرضاعة :

إن الأم بتنظيمها عملية الرضاعة للطفل تمهد لإعداده لنظام التغذية المتبع فى الثقافة التى تعيش فيها، إن هناك معايير اجتماعية تتصل بتغذية الطفل تختلف باختلاف الثقافات من حيث درجة تشدد الجماعة فى إلزام الطفل الناشئ بها عند التطبيع. مثلا إن الطفل يعتمد على ثدى الأم لمدة أطول من الغذاء الصناعى أو العكس، أو إن الطفل يعتمد على ثدى الأم لفترة قليلة جدا خشية التأثير على رشاقتها وجسدها.

وربما يختلف الأمر داخل الثقافة الواحدة باختلاف الطبقة الاجتماعية والحضارية، فبينما نجد الأم فى الريف المصرى تحافظ على رعاية عملية غذاء الطفل عن طريق الثدي نجد الأم فى المدينة تتعجل عادة تقديم الرضاعة الصناعية.

ولا تقتصر أهمية الرضاعة على مجرد إطعام الطفل، بل يحس الطفل أثناء الرضاعة بالحب والعطف والطمأنينة والتمتع بعملية المص فى فترة مبكرة والتى تنعكس آثارها على إقبال الأطفال على مص أصابعهم فى حالة عدم إتاحة فرص

كافية لهم للامتصاص من ثدى الأم، وعلى أى حال فإن الأطفال الذين تقل فرصتهم فى الرضاعة الطبيعية أو الصناعية غالبا يزداد ميلهم فيما بعد لمص الأصابع بالإضافة إلى مشكلات أخرى.

ب - نظام الفطام :

تختلف الثقافات فيما بينها فى توقيت عملية الفطام، وكذا الطريقة التى تتم بها هذه العملية، فبينما تتم بقسوة فى بعض المجتمعات نجدها فى مجتمعات أخرى يبدو فيها اللين، وإن كانت الثقافات كلها تمهد للأمر بإطعام الطفل بمواد لينة وإعطائه السوائل والعصائر.

فهناك ثقافات تهجر فيها الأم طفلها بضعة أيام حتى يتعود فراق ثدى الأم بينما نجد ثقافات تتخذ من الصبار أو المر دهانا لثدى الأم لتفجير الطفل فى حين نجد ثقافات تستخدم الشطة أو الفلفل.

وعلى أى حال فالقسوة فى عملية الفطام لها آثار سلبية على البناء النفسى للطفل، وليس غريبا أن يعانى الطفل عقب تلك القسوة من قلق دائم.

كما أن الحرمان المبكر للأطفال من ثدى الأم يجعلهم يقتربون مستقبلا من الاتصاف بالبخل والحنين الدائم للأم أو بديل لها، بينما الحرمان المتأخر يجعلهم يقتربون مستقبلا من الاتصاف بالشجاعة والكرم والميول الاجتماعية.

ج - نظام الإخراج .

تختلف الثقافات فى السن التى تبدأ فيها عملية تعويد الطفل ضبط الإخراج، فبينما نجد بعض الثقافات تهتم بهذه العملية وبحرص شديد فى عمر مبكر، نجد ثقافات أخرى تتدرج فى هذا الحرص وربما لا تعتنى بالأمر.

إن الخبرات الصدمية المبكرة المتبعة فى ضبط الطفل لإخراج الفضلات تؤدى إلى ما عرف بتشكيل الخلق الشرجى الذى يتبدى فى مظاهر الميل إلى البخل والمبالغة فى النظام والنظافة والدقة، كما أن القسوة فى التدريب على الإخراج تؤدى إلى النزعة العدوانية والميل إلى المبالغة Exaggeration.

وتشير البحوث إلى أن التدريب على الإخراج يمكن أن يتم ببسر، ودون ردود فعل سيئة إذا كان الطفل متقدما فى السن بصورة تسمح له بفهم التعليمات المناسبة، ولا يمكن أن يتم ذلك بسهولة قبل عمر السنة والنصف.

د- تعديل العادات الجنسية :

تختلف الثقافات فى بعض النواحي المتعلقة بالجنس، وتختلف فى مقدار التسامح فى هذا الأمر عند تنشئة الأطفال.

ففى ثقافتنا العربية نعود الأطفال على ستر العورة فى سن مبكرة وخاصة فى الطبقة المتوسطة والعليا، كما نلزم الطفل بأداء التخلص من فضلاته فى أماكن محددة أو بشروط محددة.

وفى الوقت الذى نجد فيه ثقافتنا تحيط الجنس بجو شبه غامض أمام الأطفال نجد ثقافات أخرى ربما تنبه له، وربما تقدم مقررات وبرامج تربوية للأطفال الأكبر سنا. وإن كان أغلب علماء الشعوب يعترفون بضرورة تعديل الميول والغرائز وخاصة الجنسية لضمان النظام الاجتماعى.

وفى الوقت الذى نجد فيه المجتمعات الإسلامية تفرق بين البنين والبنات فى المجتمع وفى المضاجع فى سن محددة، نجد مجتمعات أخرى لا تعير الأمر أى اهتمام، وهذا ما سوف يبدو لنا بوضوح عند استعراض نماذج من طرق المجتمعات فى التنشئة للأطفال.

هـ- اللعب والثقافة :

الألعاب جزء من ثقافة الناس وأسلوب حياتهم العام، وتمدنا الدراسة الدقيقة للألعاب ببعض الاستبصارات عن نوع الثقافة.

وللألعاب وظيفتان بجانب أنها تخلص الإنسان من الملل. فهى تمثل طريقة لتعليم الأطفال وحتى الكبار بعض الطرق للقيام بالأشياء المهمة، وهى تقدم كذلك نوعا من العلاج، حيث إنها تسمح للشخص الواقع فى نوع ما من الصراع الثقافى أن يعيش فترة فى عالم خيالى أسهل تتجنب النماذج التفسيرية فيه ذلك العالم الحقيقى الذى يزعجه.

ويذكر Lambert أن John Roberts وزميل له أن :

- ابتداء ألعاب إستراتيجية مثل البوكر أو المونوبولى أو الشطرنج التى تمنح فرصة تجربة اتجاه الأمل فى النجاح من خلال اتخاذ قرارات ذكية، يتصل بالضغط العامل على إيجاد الطاعة فى عملية التنشئة الاجتماعية.

- ألعاب الحظ مثل الروليت أو البنجو أو السلم والشعبان ترتبط بالتدريب على المسؤولية.

- ألعاب المهارة الجسدية مثل المطاردة والتسابق بالأقدام أو السباحة تنشأ أو تفضل حينما تكون الضغوط نحو الإنجاز عالية.

ومما هو جدير بالملاحظة أيضا من وجهة نظر عبر ثقافية أنه حيثما توجد أنواع عديدة من الألعاب فى المجتمع يوجد قلق بشأن الأداء الإنجازى. وباختصار فإن ثقافة الألعاب فى المجتمع تمنح الأفراد فرصا للتخفيف من القلق بشأن سلوكهم الإنجازى (لأن الريح أو الخسارة فى اللعبة ليس له أى ناتج غير تخفيض القلق)، بينما تعمل فى نفس الوقت على تدريب اللاعبين على عمليات التنافس نفسها.

وتتخذ الألعاب أشكالا معقدة لدرجة تصبح فى الظاهر على الأقل مخالفة لفعاليتها الأصلية مثل البهجة والسرور وغيرها، كما نلاحظ ذلك فى ألعاب القمار، وهو ما توافق على ممارسته بعض المجتمعات والبيئات وتحرمه بيئات أخرى.

والطفل إذا كان يريد أن يلعب فلأنه يريد أن يلهو ويمرح، ولكن هذا لا يمنع من تحقيق بعض الأغراض الجدية عن طريق اللعب، كما لا يمنع من أن تكون متعة اللهو غير ظاهرة مباشرة على الطفل ذاته لأنه يمارس اللعب بكامل الجدية. وإننا نحدث خلطا فى الوقت الذى نحاول فيه أن نقطع على الطفل لعبه لشأن من الشئون، حيث يظهر تدمره الشديد، وقلما فهمنا سبب ذلك، إنه جدية الطفل فى لعبه فوق كل الأسباب.

وإذا نظرنا إلى ما يمارسه الطفل من الألعاب داخل الأسرة وما يرتبط بها من إعداد وتمارين للقدرات والمهارات أو تنفيس عن الصراعات أو القلق، فهو أيضا له دوره فى تكوين حب النظام المتمثل فى وضع الأشياء وضعا معيناً فى الزمان أو المكان بناء على قواعد، وإتمام هذا النظام يصحبه شعور بالانسجام وإدراك له. وميل الطفل إلى النظام عملية تشقيفية اجتماعية تسربت بوادرها من هندسة المباني والأثاث والملابس... وهذا ما يجعل النظام لا يتعد عن المعنى المطلق وإنما هو نظام البيئة الاجتماعية الكبيرة التى يحيا فيها الطفل، فالطفل هنا يحاكي نظام البيئة من أبنية (بنى كوم أو هرم من الرمل) ومناسبات (تطلق الطفلة مجتهدة الزغاريد للعبتها الصغيرة فى لعبة عروسة وعريس) ومواقف (تمسك الطفلة عصا وطباشير حينما تلعب مع الأطفال دور المدرسة).

وتظهر هذه العوامل الاجتماعية المؤثرة في حب الطفل للنظام من خلال الألعاب المناسبة للزمان والمكان، فهي تختلف باختلاف البيئات الاجتماعية بل تختلف باختلاف الطبقات داخل المجتمع الواحد.

حقا إن هناك ألعابا تتشابه بين الأطفال في جميع أنحاء العالم، ولكننا لا نرى في هذا ما يعارض هذه النسبية ولا ما يدعو إلى افتراض أنها تبعا لذلك ألعاب بالقطرة. فنحن نرى فيها مجرد تشابه من جهة، ومن جهة أخرى فإن تشابه البشر في القدرات والإمكانات العقلية لمكونات مع اتصالية الحضارات كفيل بتوضيحه. والملاحظ أن الطفل يصاحبه الخجل عندما يخرج عن قانون اللعب أو لا يحقق النجاح المناسب فيها وربما يعيرّه غيره من الأطفال، وإنه يتقبل الجزاء وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن هذه الطاعة لقانون اللعب وعن الداعى إليها.

إن اللعب لا يحظى لدى كثيرا من البيئات العربية عموما، وأغلب العائلات المصرية خصوصا بالاهتمام اللازم، وذلك نتيجة تصور ضمنى يحمله كثير من الآباء المصريين للعب على أنه نشاط ثانوى على الأقل، وأن الطفل الجدى البعيد عن اللعب هو المثالى، فعن طريق تصرف الآباء والأمهات بوحى من هذا التصور فى علاقتهم بالطفل، يتكون لديه تناقض وجدانى بين ميوله الطبيعية إلى اللعب وبين إرضاء رغبة الكبار فى أن يروه مقلعا عن اللعب أو مقلدا منه بقدر الإمكان، منصرفا إلى الأمور الجدية، بالإضافة إلى رغبته فى أن يكون مثل هؤلاء الكبار، مندمجا فى منظومة علاقاتهم.

وإننا لنشاهد بين وقت وآخر كثيرا من الأسر العربية تقارن بين الأطفال بقولهم: «ذاك الطفل هادئ مجد أما أخوه فعقله فى اللعب والجري». إن الإيحاء هنا قوى التأثير فى جعل أحد الطفلين يمعن فى هدوئه وانصرافه عن اللعب للحصول على مثل هذا الإطراء، وجعل الطفل الآخر يكون صورة غير صالحة عن نفسه وعن اللهو واللعب. وكلتا الحالتين تساهم فى تكوين مفهوم لذات الطفل غير سوية.

إن الاعتراف بمشروعية اللعب للطفل، لا ينفصل عن الاعتراف باستقلالية شخصيته، وحقه، وحرية. إن هذه الظاهرة المتمثلة فى عدم الاعتراف بحق الطفل فى اللعب تظهر فى التسلطية التى يقطع بها الآباء على أطفالهم ممارسة ألعابهم لقضاء أمر من الأمور التى يرونها جدية، وما ييديه الآباء فى نهى الطفل، وربما يفاجئه أحد الآباء وكأنه متلبس.

حقاً إننا ربما نلاحظ مع ذلك فى بعض العائلات ذات المستويات الثقافية منحهم حق الطفل ببعض حرية اللعب وبخاصة مع طفولته المبكرة، ولكن كلنا أصبح الطفل أكبر عمراً، قل نصيبه فى الحصول على هذا الحق. كما أن معظم الأسر المصرية فقيرة من اللعب، وما يمارسه الأطفال من الألعاب إنما هو من قبيل تركه لشأنه يفعل ما يشاء، عندما تصبح الظروف مناسبة من وجهة نظر الآباء، أى عندما لا يكون هناك خطر من تكسير أو إحداث ضجة أو صياح أو نزاع، وبالتالي عندما يكون لعب الأطفال جميلاً كتحرك السلحفاة أو تنقل العصافير داخل قفص صغير من السلك، هادئاً يمثل سلوك الكسالى لا حركات الشياطين.

وسواء لعب الأطفال لعب الملائكة أو لعب العفاريت فليس فى معظم البيوت المصرية وسائل أو أدوات للعب، لأن أهم دور فى الأسرة هو توفير المأكل والمشرب والملبس وتأديب الأبناء وعقابهم إذا لزم الأمر لا إتاحة جو للعب أو المرح كما هو موجود فى مجتمعات أخرى. وحتى إن توافر اللعب فإن مبدأ عدم الاعتراف بحرية الطفل وحقه فى اللعب بها مرفوض إلى حد ما، والأجدى من وجهة نظر الآباء النظر إلى هذه اللعب وهى مرتبة أو مرصوصة فى جوانب من صالات الاستقبال أو فى مكان بحيث لا يتمكن الطفل من الوصول إليها خوفاً عليها من الكسر وليس خشية على الطفل من الشعور بالإحباط.

إن تنشئة الأطفال مرتبطة فى جزء كبير منها بما يمارس من ألعاب فى المنزل، وبمقدار ما يشارك به الآباء أطفالهم فى اللعب وهم صغار، وما يعطونه من وقت معهم ليصبحوا أعضاء فى اللعبة، ولا تكتمل التنشئة السوية فى حرمان الطفل من هذا الجانب أو ممارسة اللعب خفية وتسترا.

و- التدريب على الاستقلالية :

تختلف الثقافات فيما بينها فى مدى الشدة واللين المستخدم لتعويد الأطفال على ممارسة أمورهم وألعابهم والمشاركة فى بعض الأمور.

وقد اتضح أن سلوك الاعتمادية والاتكال عند الأطفال يرتبط بالتشدد فى فطام الطفل واتباع نظام محدد فى تغذيته، كما أن الإحباط الذى يعانيه الأطفال مثلما يحدث أثناء اختيار الأشياء أو اللعب يؤدى إلى ميل متزايد من الاتكالية على الغير

كما أن من عوارض الإفراط في حب الطفل وتدليله أن ينشأ طفيلياً، عالة على غيره.

في الشعوب الإسلامية والتي تتخذ من الدين قانوناً مستمراً، ينهى الدين عن الاعتماد على الغير ويظهر المسؤولية الفردية، ويحذر من هذه الصفة الذميمة. وفي هذا الصدد يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام : «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»، كما أن انتظار ما في أيدي الناس أساس الحرمان المادي، ويسبب الذل والهوان عند الله وفي أنظار الناس، وفي ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام : «الْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ عَزٌّ لِلْمُؤْمِنِ».

ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم في سورة الطور آية ٢١ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾.

ولقد وجدت علاقة ضعيفة بين سلوك الاعتمادية لدى الأفراد وهم أطفال في عمر ثلاث سنوات ودرجاتهم في سلوك الاعتمادية حينما أصبحوا راشدين، كما أن الأطفال المعتمدين في عمر ٦ سنوات أميل لأن يكونوا سلبيين ومعتمدين في الرشد.

والبنات أكثر استقراراً في سلوك الاعتمادية مقارنة بالذكور، بينما الذكور أكثر استقراراً في سلوك تأكيد الاستقلال. وتؤكد على ذلك Maccoby مشيرة إلى أن هناك اتساقاً في سلوك الاعتمادية على الغير عند الإناث خلال المراحل العمرية المختلفة مقارنة بالذكور. كما تختلف درجة الاعتمادية عند الأطفال الأكبر وفقاً لاختلاف التعزيز والعقاب الذي يتبعه الوالدان والمحيطون بالطفل.

وقد دلت البحوث على أن السلوك الانتكالي عند الأطفال يرتبط إيجابياً بما لدى بعض الأمهات من ميل إلى الإفراط في الحماية لأطفالهم، وهذا يختلف باختلاف المجتمعات وثقافتها. والثقافة تنقل هذا السلوك من جيل إلى جيل مثله مثل أنواع أخرى من السلوك.

ز - التدريب على العدوان :

على الرغم من أن كثيرا من الآباء والمعلمين فى أغلب الثقافات يذمون السلوك العدوانى إلا أن هذا السلوك شائع عند الأطفال فى الثقافات المختلفة وبدرجات وأساليب متفاوتة .

ومن الأمور الشائعة فى مجال العدوان كسلوك، أنه يُسبق بإحباط غالبا، وقد عرض Dollard وزملاؤه فى كتابهم الشهير Frustration and Aggression العلاقة بين العدوان والإحباط . وبالرغم من ذلك فإن العلاقة رغم وجودها فى أحوال كثيرة إلا أنها غير مؤكدة من حالات أخرى كما سبق أن ذكرنا .

إن هناك آباء فى ثقافات معينة يحاولون عمدا تعليم أطفالهم الذكور وخاصة ممارسة العدوان من قبيل الدفاع عن النفس، وربما لتصورهم كى يصبحوا رجالا أشداء فى المستقبل .

كما أن سلوك الوالدين المتبع فى وقف المنازعات الشائع بين الأطفال ربما أسهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة فى تنمية العدوان . فالوالدان اللذان يستخدمان العقاب البدنى بأسلوب متطرف يميل أطفالهم إلى أن يكونوا عدوانيين . وتعد دراسة Patterson ذات أهمية خاصة فى هذا المجال، فقد تبين اختلاف بيئات أو ثقافات أسر الأطفال العدوانيين عن الأطفال العاديين .

إن الطفل الأمريكى مثلا حينما يكون قد اقترب من المراهقة يكون قد شاهد ما يقرب من ١٣٠٠٠ حالة قتل خلال برامج تلفزيونية، وهو أمر لا يصل إليه الطفل العربى، وإن كانت الدلائل تشير إلى إمكانية انتقال تأثير مثل هذه النماذج العدوانية بعد انتشار الأطباق الفضائية المعروفة بـ Dish .

إن الثقافة تنقل هذا السلوك بين الأجيال، وربما حدث نوع من الاطراد فيه .

٢ - النظم الثانوية :

وتتمثل فى النظم الاجتماعية التى تشكلها جملة الأفعال والأفكار التى يجدها الأفراد أمامهم جاهزة ومفروضة عليهم، وقد يتجاوز عليها بعض الثوار أو المفكرين والمصلحين ويغيرونها ويجددونها، فإذا حدث التغيير فى هذه النظم وأثبت

فعاليته يصبح الجديد مفروضا على هؤلاء المجددين وبقية أفراد المجتمع والأجيال المتعاقبة إلى أن يأتي ثوار جدد.

وفيما يلي سوف نعرض لأهم النظم الاجتماعية :

أ- نظام الاقتصاد :

تتميز الحياة الاقتصادية لكل بيئة اجتماعية بنوعية خاصة، بناء على طبيعة ما تنتجه وما تستهلكه في ضوء كونها زراعية أو صناعية.

والطفل الذى يربى فى ظل حياة اقتصادية زراعية أو صناعية مثلا يتأثر بها، بناء على الوضع الذى هى عليه من حيث الكم والكيف ومن حيث القوانين المنظمة والمبادئ المعمول بها مثل :

(١) مبدأ توزيع الثروة :

وأول ما يحدده هذا المبدأ درجة الغنى والفقر التى تكون عليه أسرة الطفل فى ضوء كسب قوت حياة الأسرة بالجهد الشاق أو الجهد المعتدل فى ضوء الآفاق السهلة أو المعقدة العسيرة للغنى.

وهذا يؤثر فيما يمكن أن يوفر من غذاء وملبس وتعليم ومستوى ذلك الذى توفره. ولا تؤثر درجة الغنى والفقر فيما ذكرناه، بل فى درجة حرمانه من عواطف الأم. ففى الظروف الصعبة ربما اضطرت الأمهات إلى ترك أطفالهن لساعات أو طوال اليوم للعمل خارج المنزل من أجل توفير ما يسد رمق الأسرة أو أكثر بقليل.

وتحت هذا الوضع وعند إحساس الطفل به، تتكون بذور الكراهية والنفور من بعض فئات المجتمع المحظوظة، وتنمو بذور احتقار النفس والشعور بالنقص.

وربما قال البعض إن أمامنا بعض الحالات التى كانت على شكل أطفال محرومين تمكنوا بجهودهم أن ينجحوا ويحصلوا على الثروة، ولكن ذلك لا يستتبعه بالضرورة سلامة البناء النفسى لأغلبهم، فضلا عن شخصيته البخيلة الشرسة. إن من المعروف أن أبناء الفقراء يدركون وحدة النقود فى مجتمعهم أكبر من حجمها بالنسبة لغيرهم من الأطفال الأغنياء.

(٢) مبدأ السياسة الاقتصادية :

إننا أمام ثلاثة منطلقات لهذه السياسة، إما سياسة ليبرالية مفتوحة أو سياسة موجهة أو سياسة معتدلة بينهما. والنظام المعمول به يجعل الأفراد منذ أن كانوا أطفالا يشعرون بمستوى المسؤولية الاجتماعية أو الفردية التي يتحملونها أو التي يجب أن تكون على عاتقهم.

(٣) دور الطفل كمنتج :

ينتهى مبدأ توزيع الثروة ومبدأ السياسة الاقتصادية بتحديد دور كل فرد فى الإنتاج. وهذا الدور يجعل الفرد يشعر بذاته وأهميتها وفعاليتها إزاء نفسه وإزاء الآخرين من أبناء مجتمعه، وحتى وإن كان الفرد صغيرا، فهناك من الأطفال من يشعرون بانعدام أهميتهم نتيجة وجودهم حتى فترة المراهقة غير مؤهلين لشيء. إن ذلك نتيجة المبادئ التي اعتنقتها مدارس الصغار القائمة على أن مرحلة الطفولة كلها فترة إعداد وليست فترة إنتاج ولو بسيطا.

إننا نلاحظ أطفال الريف أو البدو يمارسون أعمال الزراعة أو الرعى منذ سن ٦ سنوات أو أقل أو أكثر بقليل، ويشعر هؤلاء الأطفال بمسئولياتهم كاملة، فى الوقت الذى نجد نظائريهم من الأطفال فى المدينة يبقون غير مدركين لأمور الحياة حتى فترة المراهقة.

والنظام الاقتصادى فى المجتمع الذى يقوم على جهود أحد الجنسين يجعل الجنس الآخر يعانى من الاغتراب Alienation ، إن العامل الاقتصادى المبني على دور كل من الذكر والأنثى فى الإنتاج هو الذى يؤدي إلى تطوير بنية الأسرة من سيادة المرأة إلى سيادة الرجل، أو إلى التعاون بينهما، كما نشاهد اليوم فى أغلب الأسر فى الدول المتقدمة أو بعض طبقات المجتمع المصري.

ب - نظام السياسة :

من المعروف أن البيئة الاجتماعية العامة ترتبط بقيام السلطة، ومع تطور وتعقد الحياة الاجتماعية تتعقد نظم قيام السلطة. والنظام السياسى يطبع الحياة العامة للأفراد بطابع مميز فى المنزل والشارع والمدرسة، ونتيجة لوجود الطفل فى هذه الأماكن لأوقات ليست بالقصيرة؛ يمارس أهل الطفل والطفل نفسه بعض الحقوق السياسية التي ينشأ فيها ويتنشأ عليها.

فالنظام السياسى الاستبدادى يقلل من وجود المصانع المشتركة بين أفراد المجتمع عن طريق ما يليقه فى نفوسهم من خوف ورعب، والطفل الذى يترعرع فى ظل نظام من هذا النوع يهيا لأن يكون انطوائيا وأنانيا.

والطفل الذى يترعرع فى مجتمع ديمقراطى، يجد أمامه العلاقات اليومية التى تنعكس عليه آثارها المتمثلة فى الاعتزاز بالنفس وبالمجتمع وأفراده.

فالطفل الذى يشاهد مراسم اختيار رئيس دولته وما يسبقها من حرية فى اختيار الزعيم، ويعيش ظروف الكشف عن قضية مثل قضية وترجيت أو تطرفات سابقة للرئيس الأمريكى كليتون . . . وكيف تتخذ فيها الإجراءات القانونية . . يرى كيف أن منصب الرئاسة لا يحمى صاحبه من الاتهامات له أو لكبار المساعدين . . وينمو هذا الطفل واثقا من نفسه معتزا برأيه وغير خائف من قول ما يرى ورؤية آثار ما يقول . . يرى حق الانتقاد . . فى الوقت الذى نرى فيه غيره من الأطفال الذين نموا فى ظل أنظمة نازية . . تطبق المثل القائل «من له ظهر لا يضرب على بطنه».

إن المجتمعات المتقدمة تختلف أيضا فى مستويات سياستها ونظمها، ومثال ذلك ما نلاحظه من تفتح أمريكى مقابل تحفظ إنجليزى عندما يعرض Allport مثاله عن سفينة الركاب الأمريكية التى تسمح للأطفال والكلاب بالتجوال فيها بحرية بينما لا يسمح فى الباخرة الإنجليزية للأطفال بدخول الصالونات وبعض المرافق.

جـ- نظام القضاء والدين :

هذا النظام يتم نظام السياسة، ويتوقف عليه حقوق الأفراد، فالنظام القضائى والدين يدعم نظام السياسة، ومن المعروف أن «العدل أساس الملك». وهذا العدل هو تساوى الأفراد أمام القانون وتجرد القاضى عن الأغراض وكل سلطة يمكن أن تتدخل فى أحكامه إلا القانون والدين.

فالطفل الذى ينشأ فى مجتمع عادل فى قوانينه وشرائعه عند اتخاذ القواعد أو التطبيق والتنفيذ لها يهيا لحب العدالة واحترام الغير، والطفل يتشرب كل ذلك فى علاقته بأفراد الأسرة والرفاق فى المدرسة.

إلا أن ما يعتبر عدلا فى بعض الأمور فى مجتمع ما ربما كان ظلما فى مجتمع آخر، فهناك مجتمعات قائمة على التمييز العنصرى أو على التمييز بين

الذكور والإناث. فأنظمتها فى ضوء قوانينها وتعاليمها عادلة، وفى عرف ثقافات أخرى تعد ظلما فادحا. وهذا لا يجعلنا ننسى المبادئ العامة التى لا يمكن أن تقوم عدالة بدونها مثل احترام الإنسان وعدم استغلاله، أو التقليل من كرامته.

فمثلا فى الدين الإسلامى لا تعد تربية الأطفال تربية صحيحة واجبا وطنيا وإنسانيا فحسب، بل إنها فريضة روحية مقدسة، وواجب شرعى لا يمكن الإفلات منه. لقد وجدنا فى هذا الحديث أن الإمام زين العابدين عليه السلام يصرح بمسئولية الأبوين فى تربية الطفل، ويعتبر التنشئة الروحية والتنمية الخلقية لمواهب الأطفال واجبا دينيا يستوجب أجرا وثوبا من الله تعالى، وإن التقصير فى ذلك يعرض الآباء إلى العقاب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «وتجب للولد على والده ثلاث خصال : اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغة فى تأديبه».

ويذكر على عبد الواحد وافى أن Linton درس ثقافتين تتميزان أساسا بنظم دينية مختلفة فى درجة التسامح والتشدد إحداها بجزر المركيز والثانية بجزر تانالاس بمدغشقر. فالأولى تتميز بديانة متسامحة لا تثير الخوف والرعب فى الأطفال، والثانية تتميز بالشدة والصرامة فى الأمور الدينية. وقد وُجد اختلاف بين نمطى الشخصيات للأطفال فى الديانتين. وفى الديانة الطوطمية يتضح كيف أن عواطف الطفل فى مجتمعاتها تتجه إلى الحيوان والنبات لتتبلور حوله فتحبه وتقدره، مما يدل على قوة العاطفة الدينية وأثرها على تنشئة الأطفال. فالأفكار الدينية يتأثر بها الطفل لأنها تزرع فى نفسه الحب والإيمان، وربما الرعب والخوف وربما من هذا الجنس (رجل) أو ذاك (امرأة)، فيتهيأ الطفل إلى إقامة علاقات مع أفراد وينفتح على موضوعات وينغلق على أخرى من خلال سلوك عملى، فتنبى روح التضحية بما لا يضحى به فى الظروف العادية، وتطبعه بالتسامح أو التشدد وتهينه على النحو الذى يجب أن يترجم عليه حوادث العالم المحيط به.

د - نظام العائلة :

ويتمثل فى القواعد التى تخضع لها الأسرة عند تكوينها ووظائفها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، من زواج، وطلاق، وحضانة، ونفقة، وواجبات،

وميراث.. ويرتبط ذلك بدرجة أو بأخرى بالدين والقانون باختلاف المجتمعات. فالطفل يتأثر فى تكوينه بالعلاقة بين الوالدين، ويتأثر بمن يتصل بالأسرة من أقارب ومدى أهميتهم طبقا لطبيعة المجتمع، فبعض المجتمعات يأخذ فيها العم أو الخال الأهمية الكبرى لدرجة أن عقدة أوديب تتجه إلى العم أو الخال لما لهم من سلطة حقيقية فى الأسرة حولها نظام العائلة المعمول به فى ذلك المجتمع.

وهناك نظم عائلية تبيح الطلاق فى الوقت الذى تحرمه نظم أخرى أو تمنعه، ولذلك آثاره على الأطفال فى ضوء الرابطة بين الوالدين وإيجابياتها وسلبياتها.

وتتضمن النظم العائلية حضانة الأطفال ومن يقوم بها، فالعرب قديما فى مكة المكرمة كانوا يوكلون أبناءهم إلى مرضعات، وكون الطفل يحمل اسم أبيه ولا يحمل اسم أمه، وتفاوت نصيب كل من الذكر والأنثى فى الميراث.. كل ذلك يهىئ تنشئة مختلفة عموما باختلاف الثقافة وأيضا باختلاف الجنسين.

وكذا تعدد الزوجات أو الأزواج والمحارم وغيرها، تعد نظما عائلية تختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الديانات المعتقد، وتبلور عواطف الأطفال الناشئين فى اتجاهات معينة، فتحدد له موضوعات حبه وكيفية التعبير عن هذه العاطفة.. كما تحدد له أعداءه الذين يمكن أن يكونوا موضوع كراهية باعتبارهم يخرجون عن النظام العائلى المعروف له.

هـ- نظام الأخلاق :

الأخلاق عبارة عن جملة من القواعد التى يلتزم بها الفرد مع غيره، وتحدد المبادئ التى يقيمون على أساسها علاقاتهم والمعايير التى يستندون عليها فى اتخاذ القرارات من حيث هى خير أو شر، فضيلة أو رذيلة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وهذه القواعد ثمرة تفاعل نظام القضاء والدين والعائلة وحتى النظام السياسى.. بالإضافة إلى التقاليد والأعراف، وبطبيعة الحال تختلف من بيئة إلى أخرى.

وعن طريق مفهوم «العيب» و«الحشمة» و«الالتزام» تتسرب الأخلاق إلى الطفل عبر أسرته ومدرسته وقبلها روضته. ومن هنا يتكون الضمير أو الأنا الأعلى

بلغة فرويد، وتتكون منظومة القيم الأخلاقية مصاحبة مشاعر الاستحسان والإقبال نحو موضوعات، ومشاعر النفور والاستهجان نحو موضوعات أخرى.

وبالنسبة للأطفال الصغار فى مرحلتهم المبكرة تتركز المسألة الأخلاقية حول مناطق الإخراج بصفة خاصة، وتجد كلمة «عيب» صداها إذا تعرى جزء من جسم الطفل ثم إذا تحدث بكلمة جارحة أو إذا استخدم أو لمس أشياء معينة، ثم تتسع المسألة إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة يستطيع فيها أن يقيس ما لم يُمنع على ما مُنِع .. إلى أن يصل الكبير فى الدين الإسلامى إلى أن البر حسن الخلق.

ويبدو تأثير النظام الأخلاقى على الصغير فى مرحلة مبكرة من عمره مع بدايات تدريبه على الإخراج والأكل والكلام .. وهذا ما يجعل أثرها أقوى وأطول فى المدى.

و- النظام الفنى الجمالى :

إن عناصر الفن والجمال فى المجتمعات تتمثل فى الطبيعة والموسيقا والتصوير والرسم والغناء والرقص ...

وتتضافر الأنظمة الأخلاقية والفنية والجمالية أثناء تنشئة الطفل، وفى الجانب الخلقى نجد المنع والردع والحب والتفضيل، وفى الفن والجمال نجد ذلك أيضا مع التفتح والابتكار لإظهار كل فن وكل جميل.

إن معايير نقد الفن والجمال فى بيئة الطفل تكون جزءا من شخصيته وتؤهله ليكون متذوقا. والبيئة الاجتماعية بنظامها الفنى الجمالى تمنحه ما يؤهله للكشف عن قدرة الخالق وجمال الطبيعة وإمكانات البشر، بالإضافة إلى عدم تجاوز الحدود فى بعض الأمور مثل النحت أو التشكيل كما نرى فى ثقافتنا الإسلامية. أما بقية الأمور الجمالية فهى تهيب ناشئا يمكنه التنفيس عن نفسه فى مواقف الصعبة أو المكدره التى لا بد أن يمر بها كل إنسان، فيشعر بأنه يعيش حياة ممتلئة امتلاء ليس حالة من «الرفانا» كما يقول Rogers بل انفتاحا وثقة متزايدة.

ويشير مصطفى سويف أن ما أظهرته البحوث فى الإبداع أن كاتب القصيدة يرمى من إبداعها ترميما للصدع الذى يشعر به أو الذى يعانى بين الأنا والنحن.

ز - نظام اللغة :

ويتمثل ذلك فيما تتخذه البيئة الاجتماعية من وسائل للتخاطب والتفاهم والاحترام، وما يستعمل من إشارات أو أصوات فى التعبير.

واكتساب الطفل لهذه الأمور هو جزء من الاندماج الحقيقى فى البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها.

ويعد استخدام الكلمات والألفاظ والإشارات وحركات العين أو اللسان أو الفم أو الوجه أو الأطراف مؤشرا لوصول الطفل إلى مستوى مناسب من الذكاء يمكنه من ذلك. وهذا ما يجعل اتقان نظام اللغة مرتبطا بالذكاء، وهذا ما يدفعنا بين وقت وآخر إلى إعداد اختبارات للذكاء مشبعة بالعامل اللغوى، وجعل Piaget يهتم بمجال اللغة والفكر عند الأطفال.

ح - النظام الديموجرافى Demographic والمورفولوجى Morphologie :

ويتمثل ذلك فى مناطق السكن وتعداد السكان ونسبة المعمرين وعمليات الهجرة من القرى إلى المدن.

ولهذا النظام ومكوناته آثاره على نمط الشخصية، فنجد سكان المناطق الساحلية لهم خصائصهم التى تنعكس على تنشئة الأبناء، وكذا سكان الصحارى والجبال.

فنحن لا نجد رجل الريف متقززا عندما تشاركه حيواناته مكان نومه، بينما نجد أن رجل المدينة ربما يطلب إخراج قطعة صغيرة هادئة من غرفة نومه.

ويستعرض مبارك ربيع أن سكان سوس فى جنوب المغرب معروفون بالهجرة إلى المناطق النائية داخل المغرب وخارجه، سعيًا وراء الرزق والكسب. وهم فى هذا معروفون بأنهم تجار يتميزون بالأمانة، إلا أنهم معروفون كذلك بأنهم يفارقون أبناءهم وزوجاتهم سنوات طويلا، يعودون خلالها مرة على الأكثر كل عام لرؤيتهم، وهذا يدل على أن عاطفة الحب عند الأبناء والزوجات تخالف فى قوتها ما هو موجود عند غيرهم من سكان المناطق الأخرى وخاصة سكان السواحل.

ك- التصورات عن الأطفال :

ويشبه ذلك بعملة ذات وجهين : أحدهما ما يحمله الطفل من تصورات عن نفسه، والوجه الآخر ما يحمله الكبار من تصورات عن الطفل.

وليس هناك خلاف حول التصورات التي يحملها الطفل عن نفسه في أنها انعكاس لما يحمله الكبار من تصورات عنه.

وبقدر ما تنظر البيئة المحيطة بالطفل إليه على أنه وديع، أو شرير وطبيعته شريرة وتحتاج إلى القمع، تتكون فكرة الأطفال عن ذواتهم ويميلون إلى الشقة بالنفس أو الشعور بالنقص.

وتحت هذا النطاق نجد بعض المجتمعات ما زالت تنظر إلى الذكور على أنهم أفضل من الإناث، وينعكس ذلك على الذكر والأنثى على حد سواء، فالتصورات التي يحملها الطفل عن نفسه والتي تتسرب إليه من خلال ما تثقف به بيئته، تؤثر على الدور الذي سيقمصه الطفل ودرجة قبوله لهذا الدور.

وهناك من الأطفال من يكون لهم خصائص لها أهميتها عند تنشئتهم مثل الطفل البكر والطفل الأكبر والطفل الأخير والطفل الوحيد.

ويجب أن نأخذ في الاعتبار أن التشابه في مستوى الحضارة لا يعنى بالضرورة تشابها في التصورات المتعلقة بالأطفال.

لقد أظهرت بحوث Mead عن عشائر الأرابش بغينيا الجديدة ، وهم سكان الجبال أنهم يختلفون في تصوراتهم عن الطفولة مقارنة بجيرانهم المندوكومور سكان الوادي. ففي الوقت الذي يبدو فيه سكان الجبال أكثر تعلقا بأطفالهم وأشد عطفًا عليهم، نجد سكان الوادي لديهم لا مبالاة في معاملة الأطفال. وهذا ما أظهر أطفال أرابشيين واثقين من أنفسهم مقابل أطفال مندوكوموريين يحفهم القلق والاضطراب.

الفصل الثالث

وكالات التنشئة الاجتماعية



وكالات التنشئة الاجتماعية

Socializing Agencies

ليس للمجتمع أن يترك مهمة التنشئة الاجتماعية، وهى من أهم عوامل بقائه واستمراره دون تنظيم أو تحديد لمن يقومون بها.

والوكالات هى تنظيمات أو مؤسسات أو هيئات اجتماعية أو جماعات أو وسائط، نضع لها مصطلحا لكل منها وهو «وكالة»، لأن المجتمع يوكل إليها أمر التنشئة الاجتماعية. وتعد وكالات التنشئة مسئولة أمام المجتمع صراحة أو ضمنا فى أمر التطبيع الاجتماعى لأبناء ذلك المجتمع، بهدف استمرار الوجود الاجتماعى للجماعة بالإضافة للوجود المادى. وهذا ما يجعل وكالات التنشئة الاجتماعية خاضعة للمراقبة، ومعرضة دائما للتقويم، فيوجه لها من الإثابة ومن النقد بدرجات متفاوتة.

وهناك العديد من الوكالات والوسائط منها : الأسرة، والحضانة، والروضة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ووسائل الإعلام، ودور العبادة .. وغيرها.

وقد أشارت البحوث إلى أنه عندما توجد تباينات تولد صراعات بين الأفكار، والمثل والمهارات التى تنتقل عن طريق الأسرة، والتى تنتقل بواسطة رفاق اللعب، أو بين تلك التى تنقلها الأسرة فى مقابل ما ينتقل عن طريق الروضة أو المدرسة، فإن تنشئة الطفل تميل إلى أن تصبح بطيئة وغير مؤكدة، ومن ناحية أخرى فإنه عندما تكون جميع وكالات التنشئة Socializing Agencies متفقة ومتوافقة، فإن ذلك يقلل من الصراع والخلط عند الأطفال، ولا نحسب أن ذلك يتحقق فى جو أسرى تقوم فيه مربية أجنبية مثلا غريبة عن المجتمع وثقافته، دخيلة بثقافتها المغايرة تماما لغةً وعادات وربما ديناً بعمل المنشئ الاجتماعى للطفل

منفردة أو حتى مساهمة مع الوالدين، إذ إن مساهمتها يصعب جدا أن تأتي مطابقة لاتجاهاتها، وبالتالي فهي تضيف عنصرا آخر أو عاملا دخيلا من شأنه أن يعمل على زيادة اختلاط الأمور أمام ذلك الصغير (الطفل) في مراحل تحتم على القائمين على شؤونه بتجلية الأمور وشفافيتها، حتى يمكن للطفل أن يلتقط ويستوعب على نفس النسق في يسر وسهولة.

وينبغي على أى وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية أن تعتمد على الأقل على أربعة أركان هي : المكافآت والتسامح والقبول والعقاب.

ففى هذه الأركان الأربع يكون الطفل اللياقة الاجتماعية والاتجاه نحو احترام وطاعة القاعدة أو القانون.

إن التنشئة لا تعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة كى يقول الطفل لنفسه : لا بد أن تكون ذا سلوك حسن حتى تباعد عن العقاب أو لا ينكشف أمرك. ويكون الضبط هنا من خلال الشعور بالعار. ولكن التنشئة تعلم الطفل أن يضبط نفسه من خلال الشعور بالذنب عند اقتراف الأخطاء، بحيث لا يكون الشعور بالذنب قاسيا ومبالغا فيه. إن الشعور بالعار نراه فى انتظار الطفل للربيب أو المدرس أو حتى رجل الشرطة لمعاقبته على أخطائه أو تأنيبه الحاد.

أولا : الأسرة :

على الرغم من أن وكالات التطبيع والعوامل الاجتماعية والجماعات تؤثر فى تنشئة الأطفال، إلا أن الأسرة من أهم الوكالات التى تقوم بهذه العملية.

والأسرة نظام اجتماعى معقد يتضمن وظائف متداخلة بين أعضائها، وهذه الوظائف يمكن أن يحدث بها من التغيير فى الشكل أو فى سلوك واحد من أفرادها نتيجة متغيرات مثل وجود أحد الوالدين فقط Single Parent أو عمل الأمهات Working Mothers.

والأسرة هى الخلية الأولى التى يحثك الطفل بها، وهى المكان الأول الذى تبدأ فيه معالم التنشئة الاجتماعية للطفل ابتداءً من عامه الثانى.

وتتكون معظم الأسر فى مجتمعاتنا الحديثة من الأب والأم والإخوة والأخوات، فلقد تعرضت الأسرة فى تطورها إلى التقلص فى حجمها من حيث

عدد الأفراد الذين تضمهم، ففي أشكالها البدائية كانت تضم بالإضافة إلى هؤلاء الأجداد والأحفاد والحلفاء والأنصار. وإذا كانت مجتمعاتنا العربية ما تزال تضم نماذج من أسر ممتدة، كما هو شائع في الأسر القروية والأسرة البدوية، وبعض الأسر الكبيرة في المدن، إلا أن الشائع الآن هو الأسرة النواة التي تشمل الأبوين والأولاد.

ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على وظيفتها في إعداد أفرادها لحياة المستقبل، ومن المهم هنا أن نلاحظ فيما يخص الوظيفة التربوية للأسرة أن تقلصها من حيث الامتداد لا يعنى بالضرورة تناقصها في التأثير من حيث العمق.

وفى أغلب الدراسات التي تناولت الأسرة يحاول الباحثون إيجاد العلاقة بين خصائص الوالدين واتجاهاتهم وأساليبهم في معاملة الأبناء، وبين شخصية هؤلاء الأبناء أو النمو العقلي أو الاجتماعي لهم. ولقد كانت هذه الدراسات تضع في حسانها أن أسلوب الوالدين يقرر سلوك الأبناء متعاملة مع الأمر بمعالجات ارتباطية لا تعلن عن سبب ونتيجة.

فنتائج الدراسات التي انتهت إلى وجود علاقة بين العقاب الجسدى وجنوح الأبناء الذكور لا تعنى أن اتباع الآباء لهذا الأسلوب أدى إلى زيادة سلوكهم المنحرف، فربما شارك مع العقاب الجسدى من الوالد سرعة غضب الطفل وكثرة إلحاحه في الطلبات مما جعل الوالد يقبل على أساليب قاسية وشديدة للسيطرة، يمكن أن تكون قد بدأت بالمعقولة وتوضيح المبررات وتفسير الأمور دون جدوى، مما جعله يتبع أساليب أشد من سابقتها مثل الحرمان من الرحلات أو منع الخروج مع الأصدقاء أو حتى مشاهدة التلفزيون، وجاءت أساليبه الجديدة غير مجدية. وربما أصاب الوالد الإحباط وخيبة الأمل، فأسرف في العقاب القاسى للتغلب على تمرد الطفل.

وهكذا يدفع الأطفال والديهم أحيانا للإقبال على أساليب للمعاملة لم تكن في الحسبان، بل نبعت من خصائص وسلوكيات الأطفال أنفسهم أو خصائصهم كما اتضح في نموذج الوالدية المقترح في هذا الكتاب، وكما سوف يتضح في الفصل السادس. وليس من الإنصاف أن نقول إن مثل هذا النوع من الأطفال

مستولون عن أنفسهم وما يحدث لهم، فإن الظروف الاجتماعية والاقتصادية وسلسلة من المتغيرات الأخرى ربما تشارك فيما يصدر. إن التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة لا يحدث بين الطفل والديه، بل يحدث بين كل أفراد الأسرة بالإضافة إلى الظروف والمتغيرات المحيطة. والأمر هنا ليس بين طرفين، بل يمكن تشبيهه بميدان مع طرق متقاطعة.

وترجع أهمية الأسرة في تنشئة الأبناء إلى ما يلي :

- أن الأسرة وما تشتمل عليه من أفراد هي المكان الأول الذي يتم فيه بأكورة الاتصال الاجتماعي الذي يمارسه الطفل مع بداية سنوات حياته الذي ينعكس على نموه الاجتماعي فيما بعد.

- إن القيم والتقاليد والاتجاهات والعادات تمر بعملية تنقية من خلال الآباء متخذة طريقها إلى الأبناء بصورة مُصَفَّاة وأكثر خصوصية. فهناك عوامل كثيرة تتدخل في إكساب الأبناء القيم والتقاليد منها : شخصية الوالدين، والمستوى الاجتماعي والاقتصادى للأسرة، وجنس الابن، وهذا ما تعرضنا له في النموذج المقترح في الفصل الخامس. فالمعايير والقيم المرغوب تشكيلها في فتاة من طبقة اجتماعية منخفضة ووالد متسلط سوف تختلف بالتأكيد عن المعايير والقيم المرغوب تشكيلها في فتاة من طبقة اجتماعية راقية ووالد متسامح.

ويعتبر الآباء بمثابة مصفاة Filter تصفى أو تنقى القيم قبل عبورها إلى الطفل، كما أنهم نماذج Models أمام الأطفال يقلدونهم.

- الأسرة هي المكان الوحيد في مرحلة المهد وما بعدها بقليل للتربية المقصودة، ولا تستطيع أى وكالة أخرى تقريبا أن تقوم بهذا الدور، فهي تعلم الطفل اللغة وتكسبه بدايات مهارات التعبير.

- الأسرة هي المكان الذي يزود الأطفال ببذور العواطف والاتجاهات اللازمة للحياة في المجتمع.

- الأسرة أول موزل لثقافة المجتمع إلى الطفل.

- الأسرة أكثر دوماً وأثقل وزناً من باقى الوكالات المؤثرة على الطفل وبخاصة في مرحلة الطفولة، وأكثر أهمية في تأثيرها من تأثير الجيران والأقارب والأقران وحتى المعلمين.

- إن التفاعل بين الأسرة والطفل يكون مكثفا وأطول زمنا من الجهات الأخرى المتفاعلة مع الطفل.

- الأسرة هي الجماعة المرجعية التي يعتمد عليها الطفل عند تقييمه لسلوكه.

والوالدان لديهم أفكار وآمال عن الخصائص الشخصية والاجتماعية التي يرغبان تحقيقها في أطفالهم، ورغم ذلك فلا توجد معادلة سحرية لتحديد التنشئة الفعالة السوية، ورغم ذلك أيضا يعرف الآباء أن هناك أساليب لها آثار سلبية على الأطفال وأساليب لها آثار إيجابية عليهم.

وفي كثير من الأحيان نجد حالات متشابهة في المعاملة الوالدية ومستوى الأسر الاجتماعي أو الاقتصادي، وتشابه بعض المتغيرات الأخرى، ولكن تأتي سلوكيات أطفال هذه الأسر المختلفة في صور متباينة.

وكما أن على الأسرة أن تربي طفلا يلتزم بقيم ومعايير مجتمعه عليها ألا تنسى أن لكل طفل فرديته. فمعرفة الوالدين للحالة المزاجية للطفل تجعلهم في موقف أحسن من حيث توجيه عملية النمو الخاصة به. فمثلا إذا كان الطفل من النوع البطيء التقبل للأمور كان على الأهل ألا يتعجلوه في تقبل المواقف الجديدة، فقد يؤدي ذلك إلى ارتفاع خوفه وربما ميله إلى الانسحاب والسلبية.

وكذلك إذا كان لدينا طفل من الصعب تهدئته نجد أن التسامح لا يتناسب معه وربما يشجعه على التمداد في الصباح حتى يحصل على ما يريد، ولكن إذا أحيط بجو حازم عطوف كانت النتائج أفضل.

وللطفل أثر مباشر على علاقة الوالدين ببعضهما البعض، فالطفل إذا كان مريضا أو عصبيا أو معوقا زاد من عبء المسئولية، وينعكس ذلك على مقدار التحمل للوالدين وعلى فترة الاهتمام والرعاية بالإخوة أو نوعية هذا الاهتمام، وربما انعكس الأثر على دور الوالدين برمته في الحالات السيئة للأطفال.

وعلى الرغم من أن عملية التنشئة الاجتماعية يمكن القول أنها تبدأ من السنة الأولى من حياة الإنسان إلا أنها تصبح بطريقة واعية ومنظمة مع بداية التحرك ونشاط الأطفال وبدء اللغة، ولم يعد التدليل على نفس النحو السابق أو نفس المستوى، لقد بدا له ضوابط وحدود وبدا الآن مصطلح لا تفعل كذا واردا

على نحو أكثر مما سبق. لقد بدأ التدريب على الإخراج وبدأ المرح والتشجيع على السلوكيات المقبولة، والعقاب على السلوكيات غير المقبولة. . هنا بدأت عملية التطبيع الاجتماعي. . إن الآباء الآن يقومون بتعليم أبنائهم القواعد والقوانين الاجتماعية.

والأطفال دائما يميلون إلى تقليد الآخرين وفي مقدمتهم الآباء كنماذج. . . وعملية التقليد هذه توجد كثيرا من التشابهات بين هؤلاء الأطفال وآبائهم. ويطلق المتخصصون في علم النفس على ذلك التطابق والتوحد Identification كما سبق أن أشرنا، ويطلق عليها علماء الاجتماع مصطلح المحاكاة Immitation التي تبدأ في فترة مبكرة من عملية التنشئة داخل الأسرة.

وتتم عملية التنشئة بسهولة وفي أحسن صورة إذا أحيط الأطفال بيئة مملوءة بمعايير وقيم مجتمعهم. أما إذا وُجدوا في بيئة آباء منحرفين أو حتى متقلبين عاطفيا فالاحتمال الأكبر أن ينموا بسلوك وقيم منحرفة.

إن الأطفال الذين يأتون في أسر تتصف بالأمانة والجِد والعمل غالبا ما يتصفون بالخلق والإحساس بالغير ودافع الإنجاز Achievement Motivation. ومن أشهر أنواع السلوك القابلة للتقليد والمحاكاة القدرة على ضبط النفس والسلوكيات الأخلاقية والسلوكيات المناسبة لكل جنس.

وعلى الرغم من أن الوالدين يعدان النموذج الأول للمحاكاة، فهناك أيضا الإخوة والأصدقاء. وبالتدرج تؤدي عملية التقليد إلى مفاهيم. . نحن - هم. . وهناك ثلاث خصائص والدية تسهل أو تساعد على تقليد الأطفال للوالدين هي : الحنان والعطف - القوة - العقاب وتؤثر كل منها في عملية التقليد. ويختلف تأثيرها باختلاف الجنس (ذكور - إناث).

فالإناث يملن إلى تقليد النموذج الذي يتصف بالحنان والعطف، ويميل الذكور إلى تقليد النموذج الذي يتصف بالقوة والهيمنة أو السيطرة. كما أن العطف والحنان يسهل تقليد الحركات والأخلاق والتعليقات، والقوة تسهل تقليد اتخاذ القرار وإيجاد الحلول.

ولقد شاع منذ وقت ليس ببعيد تأثير عمل الأم على تنشئة الأطفال. ويرى Etaugh أن أطفال الأمهات الراضيات سواء يعملن أم لا، لهن درجات غير مختلفة

فى التوافق النفسى والاجتماعى . ويبدو أن الإشراف الكافى من قبل العاملات هو الذى يسد الشغرة الشائعة عن تأثير غيابها . إن المهم هنا هو استقرار بيئة الطفل وموقف الأم تجاه عملها ووظيفتها كأم ، فمشكلات الأطفال إلى حد بعيد لا صلة لها بعمل الأم أو وجودها المستمر فى المنزل . إن الاستقرار الأسرى والوفاق بين الوالدين خلف التنشئة المناسبة للأطفال .

ولقد أشارت بعض الدراسات أن الأمهات العاملات يواجهن صراعا فى الأدوار نتيجة تحملهن لأعباء متنوعة ، مما ينعكس على العلاقة بين الأم والأبناء . ولكن هذا يتضاءل حينما يكون هناك نوع من التعاون والدعم من قبل الزوج لزوجته فى إنجاز بعض المهام أو المشاركة فيها ، وإن كانت من اختصاصات الأمهات فقط . حتى وجود الزوج أثناء الولادة يعمل على تخفيف حدة الآلام ، كما أن لعب الآباء مع الأطفال ومناغاتهم وحملهم وهددهتهم يخفف الكثير على الأمهات ويجعل الحياة الأسرية أكثر متعة ويجعل الأب يدخل عالم طفله كما سوف يتضح بالتفصيل فيما بعد .

إن الفاحص لعلاقة الطفل بأمه كموضوع أول لحبه ، وكأول شخص يتعرف من خلاله على العالم يجد أن الأب يدخل متأخرا عالم الطفل . إن ذلك راجع إلى كونه لا يلبى رغبات حيوية بالنسبة للطفل .

ومن المعروف فى مجتمعاتنا العربية أن الآباء غالبا لا يولون الأطفال عناية فى الأسابيع الأولى ، وحتى الشهور الأولى من باب أنه ربما لا يليق بالرجل . وهذا لا يمنع من مداعبة الطفل . والملاحظ أن الأم كثيرا ما تحاول توجيه انتباه طفلها إلى وجود أبيه بمجرد إحساسها أن الطفل أصبح الآن بإمكانه تحويل نظره . مما يشير هنا إلى أن الأب يكون خارج عالم الطفل لفترة معينة . ولكن هذا التأخير لا يعنى أن دخول الأب سوف يكون ثانويا ، بل يمكن أن نقول عنه أنه يدخل عالم الطفل بقوة ، وتبعاً لشدة هذه القوة يكون الأثر على علاقة الطفل بالأب ، بل وبالأم أيضا والإخوة .

وهذا الدخول القوى من قبل الأب فى عالم الطفل من مدخل التأديب ، حيث يكون الأمر والنهى للأب ، وحيث يجد الطفل اندماجه الحقيقى فى الأسرة وفى المجتمع متوقفا على استيعاب عالم الأبوة وتمثله Assimilation بما فيه من سلطة وقيم ، يجعل تقمص شخصية الأب ضرورةً تتطلبها عملية النمو ذاتها ، بفعل

موقف الاندهاش Astonishment من مدى قدرة الأب على التأثير فى الأسرة ومن فيها، وفيما تعانیه من ابتئاس وما تشعر به من ابتهاج، فهو مفتاح عوالم أسرته.

ومن هنا تتولد حالة نفسية للطفل نحو الأب نسميها عاطفة الإعجاب. تلك العاطفة التي تبدو فى موقف ثابت نسييا ومستمر للطفل تجاه الأب، تتسرب فى أعماق الطفل، وبذلك يتسرب عالم الأبوة بما فيه من قيم داخل الطفل، ويكون العامل الأساسى فى تكوين الطفل من الزاوية الاجتماعية وفى تنشئته.

إن دراسة علاقة الطفل بالأب من منظور إعجابى، يخالف الرؤية الفرويدية التي تركز فى هذه العلاقة على الكراهية والعداء.

حقا إن فى تحليل عقدة أوديب لدى فرويد ما يبين اختلاط هذه الكراهية بعنصر الإعجاب. ولكن محور النشاط النفسى فى نظريته يظل حول الكراهية والعداء. وتفاصيل عقدة أوديب تعطى الأب إمكانية تجعله قادرا على أن يتجنب هذا النوع من العلاقة، أو ألا تجعل علاقته بابنه مصطبغة بهذه الصبغة وحدها، أى أن الموقف التربوى من قبل الأب فى علاقته بابنه هو القادر على الحيلولة دون تعقد الموقف بعناصر الكراهية والعداء.

ولكن ذلك لا يمنع مطلقا أن يكون إعجاب الطفل ممزوجا بعواطف أخرى ملائمة ومنافية. على أن تعرض الطفل للإجباطات وضروب من المنع والردع من قبل الأب (النموذج) ظاهرة طبيعية فى مراحل نموه، وهى الكفيلة بتقوية الجانب الإرادى فى الطفل. ولكنها من دون شك تثمر حزازات ومشاحنات فى نفس الطفل تجاه أبيه، وتكون بالتالى ذلك التناقض الذى لا يخلو من عاطفة من العواطف، وهو احتواؤها على عناصر وجدانية واتجاهات متناقضة. وعلى ذلك ليس من المغامرة فى شىء أن نذهب إلى أن عناصر كراهية وغيره تجاه الأب تتولد فى نفس الطفل مصاحبة للإعجاب به.

فإذا كانت الدهشة باعث الإعجاب بالأب كنموذج، فإن الرهبة والخوف حتى فى أقل مستوياتهما من سلطة هذا النموذج وقوته المادية والمعنوية ومكانته، وعلو صوته ورأيه وقدرته على التوجيه والتأثير فى حياة الأسرة، هذه الرهبة وهذا الخوف كفيلا أن يولدا فى الطفل مشاعر كراهية وغيره من الأب. وإن من



المشاهد أن بعض الأطفال ابتداء من عمر الثالثة يبدؤون في إظهار مثل هذه المشاعر المتناقضة في الظاهر لعاطفة الإعجاب بالأب عندما يقول بعضهم مخاطباً الأب: لماذا تفعله أنت؟ أو يخاطب الأم قائلاً: لماذا يفعله أبي ولا أفعله أنا؟.

إن عاطفة الإعجاب بالأب تنشأ في جوها السليم عندما يشعر الطفل بأنه مرغوب فيه ومحبوب. فانعدام النضج الانفعالي لدى بعض الآباء كانهدام الرغبة في الأطفال تؤدي إلى أسوأ الآثار العاطفية على الأطفال. ومن المعروف في مثل هذه الأحوال

عن الآباء أنهم يتخذون لموقفهم من الأبناء تبريرات مصطنعة، كأن يعلل بعضهم ذلك بأسباب اقتصادية أو اجتماعية، بينما يكشف التحليل عن عوامل نفسية لا شعورية لمواقفهم تلك. ويؤكد ذلك ما هو معروف في آباء آخرين من تقبل لأطفالهم وحسن معاملتهم وعلاقتهم بهم مع سوء حالتهم الاقتصادية.

وعلى ذلك يمكننا القول أنه بالإمكان أن تنشأ عاطفة إعجاب بالأب تيسر إدماج عالم الأبوة في عالم الطفل، وتسهل بالتالي عملية التمثيل والافتداء، ومن ثم التنشئة الأسرية المشودة. وإن انخفاض مستوى النضج الانفعالي للأب سواء تجلى في مظهر الرفض اللاشعوري للطفل، أو في مظهر العلاقة الاستحواذية به، ذات الحب التملكي، لا يؤدي إلى انحراف عاطفة الإعجاب بالأب لدى الطفل فحسب، بل يؤدي إلى آثار نفسية تنعكس على الأب نفسه ويكون لها ردود أفعال على ذلك الصغير الذي يجب أن يكون في حالة انفتاح لعالم الأبوة، فلا يجد ما يحاكي من نماذج سوى مظاهر مرضية.

حقا إن ثم عمليات نفسية إعلائية أو تحويلية يمكن بواسطتها تحريف هذه التأثيرات عن مجراها المتوقع، ولكن تلك العمليات ربما تبوء بالفشل.

ولعل ما عاناه «هتلر» فى طفولته من طريقة وأسلوب أبيه نحوه من قسوة وما علق فى اللاشعور لديه من ارتباط هذه القسوة بمستوى اجتماعى منخفض لموظف بسيط أنشأ عنده رغبة فى تحدى الواقع، هذه الرغبة الكامنة خلفها اندفاع ضد شخصية أبيه، وبالتالي نحو مستوى اقتصادى واجتماعى فوق ذلك الأب. إن هذا كله كان دافعا لا شعوريا «لهتلر» فيما قام به من أعمال.

وعموما فكلما اتجه موقف الأب مع طفله إلى الصداقة والتفاهم وتجنب السلطة والعنف أثمر ذلك عاطفة إعجاب الطفل وسهل اندماج عالم الأبوة وقيمه ومعاييرها، ومن ثم جزءا كبيرا من قيم ومعايير المجتمع الذى ينتمى إليه ذلك الأب العادى. وأصبح الصغير فى سبيله إلى تنشئة اجتماعية راضية مرضية، وانعكست آثار ذلك على علاقة الأم بالطفل الصغير وعلاقة الصغير بإخوته، أي على التفاعل الاجتماعى فى الأسرة كلها، وإن كانت هناك عوامل تؤثر على ذلك التفاعل الاجتماعى فى الأسرة وعلى نوع ودرجة تأثير الطفل به فى أثناء تنشئته الاجتماعية يمكن إجمالها فى:

- الطبقة التى تنتمى إليها الأسرة: إن الأسر تختلف فى تفاعلها مع الأطفال باختلاف المستوى الاقتصادى والمستوى الاجتماعى والمستوى الثقافى الذى يميزها.

فقد تبين أن أمهات الطبقة المتوسطة أكثر واقعية فى التعامل مع أطفالهن، على حين أن أمهات الطبقة العالية الأفضل تعليما يملن إلى معاملة أطفالهن بطريقة أكثر دفئا وأكثر تفهما وقبولا، كما أنهن أقل تدخلا فى شئون الصغار. أما أمهات الطبقة الدنيا فلديهن ميل إلى معاملة أطفالهن بالعنف والعقاب الشديد، وخاصة فى التدريب على استخدام المرحاض. وفى أسر الطبقة المتوسطة كان نفوذ وسيطرة الأب تدعو إلى الاطمئنان والأمان نسبيا مهما كانت أعمار الأبناء. على حين نجد أن الأب فى الأسر ذات الطبقة الدنيا يميل إلى فقد سلطته على ابنه المراهق.

وتبدو الاختلافات فى الأسر حسب طبقتهما فى نواح متصلة بالتنشئة الاجتماعية مثل: نوع وكمية المسؤوليات التى تلقىها على الطفل - المرح والتشجيع ودفع المعاملة وتجنب العقاب - مستوى ضبط عدوانية الأطفال - مستوى الشدة

المتبع فى ضبط عملية الإخراج - أسلوب التغذية - اتجاه الأسرة نحو الأمور الجنسية التى يديها الأطفال وتصرفاتهم نحوها.

ولا يغيب عن الأذهان أن تأثر الأسرة بشقافة الطبقة أو المجتمع الذى تعيش فيه، لا يعنى إلغاء الخصائص الشخصية للوالدين وطريقة تعبيرهم عن مشاعرهم وأساليب توجيههم لأطفالهم كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الخامس.

كما أن نتائج أطفال الطبقة الفقيرة يمكن أن تكون إيجابية على الرغم من حرمانهم من الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية.

فنجد ارتباطهم الشخصى والعائلى للأصحاب والجيران الذى يدعم المشاركة والدعم المتبادل. وعلى الرغم من سخريتهم من الأقدار والتشاؤم من الحياة إلا أنهم أكثر واقعية فى نظرتهم إلى المحيط من حولهم. كما أن إحساسهم بأنهم عرضة للآزمات وأنهم مهددون، ينمى عندهم الإحساس والوعى والقدرة على مواجهة الضغوط والصراعات. بعكس أطفال الطبقة الوسطى الذين يواجهون معاناة فى مواجهة المواقف الصعبة.

وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة فى طرق حياة وخصائص كل طبقة إلا أنه لا توجد اختلافات فى القيم والأهداف من تربية الأطفال. والاختلاف يكون واضحا فى بعد القوة والتوجيه الذاتى للطبقة المتوسطة مقابل الخنوع والطاعة فى الطبقة الفقيرة.

فالآباء فى الطبقة الوسطى يفرضون الاحترام والطاعة للسلطة بينما يفرض آباء الطبقة الاجتماعية الوسطى حب الاستطلاع والتحكم والسيطرة على النفس والقدرة على تأجيل إشباع الرغبات والعمل من أجل تحقيق الأهداف طويلة الأمد.

وفى الطبقة الوسطى يكون الآباء أقل عنفا وشدة مع الأطفال حديثى السن من الميلاد حتى سن خمس سنوات، ويكونون أشد نصحا وتقويما وتوجيها لأبنائهم فى مرحلة المراهقة. ويتوقعون من أطفالهم النضج المبكر فى تحمل المسؤولية، ويخططون لأطفالهم أهدافا وإنجازات عالية يجب تحقيقها.

أما فى الطبقة الفقيرة فالآباء يكونون أشد عنفا مع الأطفال حديثى السن من الميلاد حتى خمس سنوات، ويقل هذا العنف تدريجيا ويتحول إلى نوع من التهاون والتسامح الشديد مع الأطفال الأكبر سنا. وربما عاد ذلك إلى توقعات الآباء المنتظرة

من الأبناء للاعتماد على أنفسهم والاستقلال الاقتصادى . بعكس توقعات الآباء فى الطبقة المتوسطة لهذا الاستقلال الاقتصادى عند الانتهاء من التعليم الثانوى أو الجامعى لأبنائهم .

- حجم الأسرة : تتأثر شبكة العلاقات والتفاعلات داخل الأسرة من ناحيتى اتساعها وتعقدتها بحجم الأسرة ومن ثم التطبيع الاجتماعى للأطفال .

إن البحوث تشير إلى أن أكثر من ٨٠٪ من الأسر تشتمل على أكثر من طفل أى بها ثلاثة أفراد فأكثر، وكلما زاد حجم الأسرة قلت الفرصة أمام الآباء للاحتكاك والتقارب بين كل فرد على حدة، وكذا قلت مساحة هذا الاحتكاك، ولكن تتسع الفرصة للتفاعل بين الإخوة .

وكلما زاد عدد الأبناء فى الأسرة حددت الأدوار فى العائلة وطبقت الأنظمة بشكل صارم، وتفرض القوانين فرضاً على أفرادها، ولا يستطيع الآباء تدليل هذا العدد الكبير وإلا انقلب الأمر إلى شبه فوضى .

إن الأسرة ذات الطفل الواحد مثلاً، تظهر فيها ثلاث علاقات ثنائية هى العلاقة بين الطفل والأم، وبين الطفل والأب، وبين الأب والأم . ويزداد هذا العدد من العلاقات حينما يكون حجم الأسرة خمسة (أب وأم وثلاثة أبناء) وعندما نأخذ فى الاعتبار العلاقات بين شخصين والعلاقات بين الشخص وأكثر من شخص يصل عدد هذه التفاعلات الممكنة إلى ٦٥ علاقة . هذا الكم الضخم من العلاقات يؤثر من غير شك على طبيعة العلاقات وعمقها العاطفى، وعلى أنماط السلطة ونوعها، كما يؤثر على الأنشطة الممارسة والمشكلات التى يخبرها الطفل وإخوته سواء كان الطفل طرفاً أو مشاهداً لها .

ووسط هذا الحجم يقل الوقت للشرح والتفسير ويزداد ميل الآباء إلى بعض القسوة للضبط والتحكم .

وإذا زاد العدد يكون دور الفتيات واضحاً فى المساعدة على تربية الأطفال الأصغر . والتفاعل الأقل مساحة مع الآباء وسط هذا العدد يظهر الاعتماد على النفس بدرجة أكبر أو يكون الانخفاض نسبياً فى مستوى التحصيل الدراسى للأبناء . وتشير البحوث فى نتائجها إلى انخفاض فى مستوى الذكاء عموماً، وتعد دراسات يسرية صادق من الدراسات الرائدة فى هذا المجال على عينات عربية .

ويعد من عيوب صغر حجم الأسر على التنشئة الاجتماعية للأبناء، ذلك التركيز والعمق في العلاقات العاطفية بين أفراد الأسرة الواحدة مما يترتب عليه الحماية الزائدة للأطفال بالإضافة إلى ضيق مجال تحركه وتعامله وخبرته وربما ظهور الغيرة بين الأطفال.

- الترتيب الميلاي للطفل : سوف يظل الطفل الأول متربعا على عرش الحب والرعاية والاهتمام لدى الوالدين إلى أن يصل طفلهما الثانى وبعده الأطفال الآخرون، عندئذ تختلف طريقة التعامل اختلافا واضحا، لقد أصبح هناك أطفال آخرون يشاركون الأول هذا الاهتمام وربما يسرقون منه تلك الرعاية.

وعلى الرغم من أن الطفل تظهر عليه علامات الغيرة لإحساسه بفقد جزء من الاهتمام، لكن تبقى الحقيقة بأن تفاعل الوالدين مع الطفل الأول كانت أعلى من مستوى التفاعل مع الطفل الثانى أو الأطفال الآخرين، لدرجة أنه ربما يقتصر احتكاك الآباء بأطفالهم بعد الأول على الاستجابة لحاجاتهم وتلبية مهامهم الأساسية.

لقد جاءت الدراسات معلنة أن التعليقات والمحدثات تكون موجهة غالبا للطفل الأول على الرغم من قدوم إخوة آخرين له، مما يرفع معه الحصيلة اللغوية مقارنة بإخوته. كما يلاحظ ما يلى :

بخصوص الطفل الأول : تكون توقعات الوالدين للطفل الأول أكثر والآمال أعلى، ويكون دفع الوالدين للطفل الأول على أن ينجز بطريقة أعمق، بالإضافة إلى تحميله المسؤولية وإقحامه فى بعض الأمور أكثر من إخوته. ويقع الطفل الأول أكثر من إخوته فى العقاب وربما العقاب الجسدى.

بخصوص أواسط المواليد : يكون الوالدان الآن بعد خبرتهم مع الطفل الأول أكثر مرونة وارتخاء فى معاملاتهم، وربما عاد ذلك إلى تمرسهم مع الطفل الأول الذى يعتبر طفل التدريب وكبش الفداء، ويقول البعض أنه يأخذ حد السكين.

وهذا ما يجعل للطفل الأول خصائص أكثر وضوحا مثل القدرة على ضبط الذات والقلق مع انخفاض مستوى العدوانية، والجدية والتفوق الأكاديمى فيما بعد، وكذا التفوق المهنى ربما للمعايير العالية التى يضعها الوالدان له. ويميل هؤلاء

الأطفال إلى عدم الثقة بالنفس والشعور بالخوف من الفشل، كما أنهم أكثر إدراكا للخطر وأقل إقبالا على المغامرة.

ونتيجة لهذه الحساسية لدى أوائل المواليد فإنهم يكونون أكثر عرضة للوقوع فى اضطرابات، ومشكلات نفسية مثل اضطرابات النوم والتبول اللاإرادية، أما أواسط المواليد فهم يقعون بين طرفين إخوة أكبر وآباء لديهم بعض التهاون عن ذى قبل.

ويكون مستوى الإنجاز الأكاديمي لهؤلاء الأطفال أقل من أوائل المواليد وأحيانا ضعيفا، وقوة تركيزهم ضعيفة ومداهما قصير، ونجدهم دائمى البحث عن رفاق، ومرحين وباحثين عن المتعة وأكثر جرأة ومخاطرة.

بخصوص الطفل الأخير : هذا الطفل غالبا مدلل، إنه (آخر العنقود) كما يقال. يتوافر لديه كثير من النماذج - إخوة والدين - يشعر غالبا بالأمان. ومثابر - ومتفائل وأكثر ثقة بالنفس مقارنة بالطفل الأول، وله شعبية عنه.

١ - الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في الأسرة :

يطلق عليها البعض ميكانيات التطبيع الاجتماعى، وهى أساليب نفسية واجتماعية، مقصودة وغير مقصودة واضحة أو ضمنية تتخذها الأسرة لإكساب الطفل سلوكا أو تعديل سلوك موجود لديه. ومن أهم هذه الأساليب :

أ - الاستجابة لأفعال الطفل :

إن مجرد استجابة الوالدين أو الإخوة لأفعال الطفل، يؤدى إلى تأثير على هذه الأفعال وعلى المشاعر المتصلة بها. وحتى هذا لصغار الأطفال، فالطفل الذى يصدر صوتا ما ويستجيب له عضو من أفراد الأسرة (مجرد استجابة) فإن الطفل يميل إلى تكراره، وكأنه يعلن لنا أن نكرر معه الاستجابة لما يفعل، وهذا ما يحدث حتى مع الأطفال الأكبر سنا. وبطبيعة الحال يبدو أن استجابتنا هنا للطفل استجابة إثابة أو مكافأة.

ب - الثواب والعقاب للطفل :

إلا أن الاستجابة للطفل كما يمكن أن تكون نوعا من المكافأة قد تكون نوعا من المعارضة أو التثييط أو العقاب. وهذا شئ شائع بلا استثناء فى جميع الأسر.

إن الوالدين أثناء تعاملهما مع الطفل يستعملان الثواب أو المكافأة والتأيد عندما يصدر من الطفل سلوك يرغبانه أو يحبذانه أو عندما يظهر من المشاعر ما يتناسب مع الموقف. وكذلك يوقع الوالدان العقاب فى عكس ذلك.

وتتدرج الإثابات من مجرد نظرة رضى أو إيماءة موافقة إلى هدية أو تقبيله، ويتدرج العقاب من إشارة ناهية باليد أو إغماضة لها معنى بالعين أو تقطيب اللجين أو ضغط على الشفتين إلى الحرمان من متعة أو العقاب البدنى.

وبطبيعة الحال يختلف الثواب والعقاب فى الدرجة والنوع باختلاف طبقة الأسر، فبعض أنماط السلوك لا يعاقب عليها مستوى طبقى وربما شجع عليها فى الوقت الذى يرفضها مستوى طبقى آخر.

مثال ذلك السلوك العدوانى الذى يشجع عليه لدى أطفال المستوى الاقتصادى والثقافى المنخفض، بينما يعاقب عليه الطفل فى المستوى الاقتصادى والثقافى المتوسط، وإذا كانت الأسر فى المستويات المنخفضة تميل إلى استعمال العقاب الجسدى، نجد الأسر فى المستويات المتوسطة تميل إلى استعمال الحرمان أو العزل قليلا لبعض الأطفال.

ج- إشراك الطفل فى بعض المواقف الاجتماعية :

ربما دعا الوالدان أو أحدهما الطفل بقصد الذهاب معهما فى موقف عزاء أو موقف عرس بقصد إكساب الطفل السلوكيات المناسبة فى مثل هذه المواقف، وربما جاءت الدعوة لهذه المواقف وغيرها عن غير قصد . . . وهنا يتعلم الطفل ليس فقط كيفية السلوك المناسب بل والمشاعر المناسبة فى مثل هذه المواقف . . . وهنا يكون التعلم بالتقليد وربما بالتقمص.

ء- التوجيه الصريح لسلوك الطفل :

قد يلجأ الوالدان إلى توجيه سلوك الطفل بطريقة مباشرة وصريحة، فتعلمه ما يجب وما لا يجب أو تدريبه على السلوك المناسب وربما هيأت له من المواقف الحية لدعم خبراته وسلوكياته.

وإذا كانت الأساليب السابقة يغلب عليها إمكانية الحدوث للأطفال، فإن تغيرا جوهريا يحدث لديهم عندما يبدأ مفهوم الذات Self Concept فى البروغ أى

عندما ينظر الطفل إلى سلوكه باعتباره موضوعا، فيصبح هذا السلوك خاضعا منه للتأمل، والحكم والتقدير بل والتقويم، وعندما يضع في اعتباره اتجاه المهيمن في حياته مثل الوالدين، وعندما يدرك إمكاناته ومكانة الآخرين وما يرتبط بها من التزامات وتوقعات للسلوك وحقوق للآخرين واجبة عليه، في ذلك الوقت تزداد الفعالية والإيجابية للطفل، وتتدفق قدرته على العطاء دون الاكتفاء بالأخذ، ويتحرك مع كل ذلك قوى التنشئة الاجتماعية لتصبح داخلية بعد أن كانت كلها خارجية، وبالتالي تنسع الخطى في طريق التطبيع الاجتماعي.

٢ - معالجة آثار الإحباط علي الأطفال أثناء تنشئتهم اجتماعيا داخل الأسرة :

إن أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها الأسرة لا تخلو من تعطيل أو كف لبعض رغبات أو نزعات الطفل. وأحيانا يكون العقاب مسيطرا على الأمر نتيجة إقبال الطفل على سلوكيات غير مقبولة. ويكون نتيجة ذلك تراكم لشعور الطفل بالإحباط ومن ثم كراهية أو مشاعر سلبية نحو الوالدين أو الإخوة الأكبر.

وتظهر مؤشرات الإحباط في عناد الطفل أو عدوانه على إخوته أو الانطواء وغير ذلك من المؤشرات. . . وكلها ردود فعل طبيعية. . . ومن الضروري على الوالدين الاعتماد على أساليب تتجنب معها تعقيد الأمور أو زيادة عمقها وحدتها. ومن أساليب مواجهة هذا الطفل المحبط :

أ- تعادلة القائم علي التنشئة : ويظهر في موازنة الأب مثلا بين ما منع الطفل منه وما يمكن أن يسمح له به كبديل. فإذا حرم الأب طفله من عمل سلوك يستغرقه باعتباره غير مناسب فإنه غالبا يجب أن يسمح له بممارسة سلوك آخر يحقق له إشباعا. وكذا الأم التي تعاقب ابنها ثم يعقب الأمر نوع من الملاطفة مع هذه الصغيرة «تضرب وتلاقي» وذلك بعد مدة كما سوف نرى فيما بعد.

ب- تعادلة الطرفين : ويطلق عليه البعض التعادل المشترك، أي التصرفات التي يقوم بها مثلا الوالدان ليعادل كل منهما أثر الآخر «واحد يشد والآخر يرخي» وليس المقصود هنا التسلطية والتهاون بل الحزم والدفء الداعم للوالد الآخر. ومثال ذلك الأب الذي مارس نوعا من العقاب على طفله، فإن الأم تتولى تخفيف

الآثار الناتجة عن العقاب بحيث لا يؤدي تخفيف الأثر إلى إلغاء التأثير أو التمرد على الأب أو تكوين اتجاهات سلبية ضده.

ج- تفريغ شحنة الطفل : وهو أسلوب يعتمد إلى امتصاص الصدمة وخفض التوتر الناتج عن الإحباط بسبب العقاب أو غيره، ففتح الأم مثلا أو الأب للطفل مجالا للتعبير اللغوي أو الرمزي عن انفعالاته بطريقة مناسبة، وإذا لم يتح هذا التفريغ القائم على التنشئة يمكن أن يقوم بها شخص داخل الأسرة مثل الأخ الأكبر أو الجد أو العم ومن الممكن ضيف أو صديق للأسرة.

٣ - معالجة ما يصيب الوالدين من إحباط أثناء قيامهم بالتنشئة :

من نتائج قيام الوالدين أو أحدهما بتنشئة الأبناء أن يصابا بالتوتر والضييق والإحباط، مما يترتب عليه اتجاهات سلبية نحو الأطفال، وربما عبر بعض الآباء عن ذلك ليس فقط أمام الكبار مثلهم، بل أمام أطفالهم، فيقول الأب مثلا أو الأم : «أنا زهقت منكم ...» أو تعبيرات من هذا القبيل.

والأساليب السابقة التي تخفف الإحباط تعمل بوجهها الآخر على تخفيف العناية من القيام بدور المنشئ. وكذلك فالأحداث الصريحة بين أعضاء الأسرة تساعد على تخفيف آثار الإحباط.

وتعد الآثار الإيجابية لما يقوم به الوالدان من دور في عملية التنشئة وظهور هذه الآثار على سلوكيات أطفالهم، نوعا من الإشباع يجعل الوالدين يتحملان عناء رحلة التنشئة الاجتماعية لأطفالهما.

ثانيا : دار الحضانة Nursery School :

بعض الأسر تدفع بأطفالها بين الثانية والرابعة من العمر إلى دار الحضانة، وهذا التوجه المبكر لوضع الطفل في مؤسسات مفترض أنها تربوية يمكن أن يكون بالنسبة إلى العديد من الأطفال خبرة ثمينة جدا.

وأوضح قيمة للطفل في إرساله إلى الحضانة، هي أنها تهيئ له الفرصة للعب مع أطفال من نفس عمره تقريبا، في جو تنظم فيه الألعاب والأدوات، وكذلك تنظيم الفعاليات والأدوار للأطفال بما يتناسب وعمرهم ودون قيود.

والطفل الذى يذهب للحضانة، ولا يصبح المنزل هو اهتمامه الوحيد، ولا غرفته هى مكانه المفضل، ولا أبواه وإخوته إن وجدوا هم أصدقائه فقط. لقد أصبح له غرفة أخرى يقوم بالمشاركة فى ترتيب أو ترتيب بعض أدواتها، وأصحاب جدد يسعد برؤيتهم كل يوم فى أغلب الأحوال، لقد أصبح له شىء آخر يثير اهتمامه. إنه يقابل مربية تهتم به وبالعابه بطريقة تختلف عما تفعله الأم وعن جو المنزل الذى تعود عليه.

فإذا كانت دار الحضانة مكانا جيدا، وكان تكيف الطفل معها مناسباً، فإن الطفل لن يقضى فى الحضانة وقتاً ممتعا فحسب، بل إن الذهاب لها يكون بالنسبة له خبرة تزيد من تكيفه مع حياته المنزلية واكتشافه لعالم جديد.

وثمة أطفال آخرون يبدوون غير متقبلين للمكان الجديد، ويبدو ذلك من عدم استمتاعهم الظاهر عند الذهاب، وأحيانا تزايد ثورتهم أو تعبههم أو ربما مرضهم. وغير ذلك من الإشارات التى تدل على أنهم يلقون عنتا فى الذهاب إلى الحضانة.

١ - بنية الحضانة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

فى هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما حجم سكان الحضانة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع الحضانة.

أ - حجم سكان الحضانة : إن عدد سكان الحضانة لاشك أكثر من عدد أفراد الأسرة التى أتى منها الطفل، لقد أصبح الآن بين عدد أكثر من الأطفال، ويرى داخل غرفة النشاط مشرفة تشبه الأم، وهناك عاملات يترددن بين وقت وآخر للحفاظ على النظافة، ويصاب الطفل فى البداية بنوع من الدهشة مع هذا العدد الكبير، وربما يبكى مثل أطفال معه، ولكنه أصبح يصمت أو يهدأ مثلما حدث لأطفال آخرين، إنه مقلد جيد حتى لسلوك البكاء أو الهدوء والطاعة الذى يظهر من قبل أطفال آخرين معه، إنه يذهب مثل بقية الأطفال إلى حوض الرمل حينما تطلب المشرفة منهم ذلك، ويعودون إلى غرفة النشاط حينما تطلب منهم ذلك... إننا الآن فى سبيل خطى للمسايرة وسط الجماعة.

ب - التفاوت العمرى والجنسى لمجتمع الحضانة : إن أفراد الروضة من الأطفال لا يختلفون عمريا، ولكن الطفل يلاحظ نساء فى عمر أمه يطلبن منه

أحيانا تنفيذ بعض الألعاب أو الذهاب إلى الحمام أو إحضار علب الألوان، ويجد الطفل أن الذين معه من الأطفال ليسوا من جنسه فقط بل من الجنس الآخر.

٢ - الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية بالحضانة :

ويطلق عليها ميكانيات التطبيع الاجتماعي، ومنها :

أ- برنامج الحضانة: هناك برامج لبعض دور الحضانة، ودليل للمشرفة، وعبر المناشط المدرجة بالبرنامج التي يشارك فيها الأطفال يكون هناك بث لبعض المعايير عن قصد مثل الاشتراك مع الجماعة والتعاون مع الأطفال والنظام وترتيب أدوات اللعب على الأرفف المنخفضة .. وغيرها.

ب- المناشط الحرة : إتاحة الفرصة للطفل كي يلعب حرا هدف جوهرى من أهداف الحضانة، وهو فى ذلك إما يستقل بلعبه أو يشارك فردا أو أكثر، ويكون نتيجة ذلك إنجاز بعض الأعمال مثل أكوام الرمل أو نقل الماء بالأواني أو ... وأحيانا العراك والشجار الذى لا يلبث أن ينتهى باللعب ثانية دون تدخل المشرفة، وكلها خبرات مناسبة للأطفال فى تنشئتهم، عند تفضيل لعبة على أخرى أو صديق على آخر أو الدخول فى شجار.

٣ - المشرفة وعملية التنشئة الاجتماعية للطفل بالحضانة :

من المفروض أن تضم الحضانة مشرفات يعرفن كيفية مساعدة الأطفال الذين هم من جنسين مختلفين على اللعب المفيد والمرح ... بعيدا عن التزمّت والصرامة أو الضيق والقلق من الأطفال. والمفروض على المشرفة فى هذا المجال أن تكون ذات بال طويل وقادرة على توجيه سلوكيات الأطفال المفاجئة واستغلالها فى النشاط الذى تقدمه لبقية الأطفال.

إن المشرفة لا يتوقف دورها على العمل وسط الأطفال أو رعايتهم عموما وقت الحاجة، ولكن أن تتحدث مع الأمهات حول أمور أطفالهن ومشكلاتهم. وهنا نكون مع مربيّات عطوفات موجهات لسلوك الأطفال ولسنّ متسلطات عليهم. وعبر هذا الدور الذى تقوم به المشرفة فإنه يمكن عرض صورته فيما يلى :

أ- المشرفة كمنفذة للبرنامج : وفقا لما هو وارد فى دليل المشرفة يجب أن يتم السير فى غرس أوليات السلوك الحسن كالمشاركة والمرح وحب النظام.

ب- المشرفة كنموذج سلوك : المشرفة بالإضافة إلى أهمية كونها موجهة لسلوك الأطفال دون تزمّت أو تسلط يجب أن تكون الشكل الذى يحتذى به . لأن الأطفال يقلدون جيدون حتى لأبسط السلوكيات التى تصدر من الكبار . فتكون منظمة وصبوراً ولا تنفعل بسهولة مع المواقف المحبطة . إن الأطفال يقلدون المشرفة فى مواجهة مثل هذه المواقف ، فالمشرفة التى اندفع الماء بقوة فى وجهها من الصنبور وصرخت تكون قد فشلت أمام الأطفال فى مواجهة المواقف المحبطة مقارنة بالمشرفة التى ابتسمت .

٤ - رؤية الآباء لدور الحضانة فى تنشئة الأطفال :

إن من المدهش أن نسمع بعض الآباء يقولون إن مشكلات أطفالهم مثل العناد أو قلة الأكل أو العلاقات السيئة مع الإخوة قد قلت أو اختفت مع مواصلة الطفل الذهاب للحضانة . وتقول بعض الأمهات إن الطفل أصبح أكثر استماعاً وطواعية . وإن كان هناك من الأمهات من يقلن إن الطفل تعلم المزيد من التمرّد والعصيان وأصبح لا يسمع الكلام ، أو يقلن إن الطفل يبكى باستمرار عندما يعرف أنه فى طريقه إلى الحضانة .

وهكذا فليس هناك إصرار على وجوب ذهاب جميع الأطفال إلى دار الحضانة ، وتبعاً لحالة الطفل فإنه يجب أن ينظر بجدية فى تأجيل ذهاب الطفل للحضانة وليكن سنة مثلاً ، ولكن من رأى أن غالبية الأطفال تستطيع أن تتكيف مع ظروف الحضانة وتفيد منها ويساهم ذلك على تنشئتهم الاجتماعية .

ثالثاً : رياض الأطفال Kindergarten :

من المناسب للغاية أن يتجه المعنيون بتنشئة الأطفال للأخذ بفكرة جعل روضة الأطفال جزءاً معترفاً به من كل مدرسة ابتدائية رسمية ، كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ونسبة من الأطفال ليست قليلة بين الرابعة والسادسة يوجهون إلى الروضة سواء كانوا قد ذهبوا من قبل إلى الحضانة أم لم يذهبوا .

ولما كانت الفترة العمرية بين الرابعة والسادسة فترة تكيف سهل لدى الأطفال، ورياض الأطفال تسير على نفس النهج الذى تسير عليه دور الحضانة، ولا تطالب الطفل إلا بفعاليات حركية أو عقلية استكشافية أو فعاليات لعب فردية لهذا العمر. فإننا لا نبالغ إذا طالبنا المدارس الابتدائية بتقديم ودعم هذه الفعاليات بجدية فى غرفة الدراسة حينما ينتقل إليها الأطفال.

وإن كانت العوامل التى أدت إلى انتشار رياض الأطفال والحضانات تكاد تكون واحدة، ومن هذه العوامل خروج المرأة للعمل، وظهور الأسرة قليلة الحجم أو الأسرة النوواة. بالإضافة إلى أن البيئة خارج المنازل أصبحت خطيرة وصاخبة ولا تشجع حاجات الأطفال للانطلاق.

ولقد كان لإصدار الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ من إعلان حقوق الطفل، واعتبار عام ١٩٧٩ عاما دوليا للطفل، أكثر الأثر فى توجيه الأذهان إلى أهمية إعطاء الأطفال فرصا أكثر مناسبة تعوضهم ما ينقصهم فى بيئاتهم. وهذا لا يقلل من شأن فروبل وغيره من الذين أسدوا إلى الطفولة عموما وفكرة رياض الأطفال بافتتاحه أول روضة للأطفال فى عام ١٨٣٧.

لقد أطلق Froebel مسمى «المدرسة القائمة على غرائز الأطفال الفعالة» على روضته، ثم سماها «مدرسة التربية النفسية» وبعد ذلك أطلق عليها اسم «حديقة الأطفال» ومنه ظهرت التسمية التى شاعت فى جميع أنحاء العالم وهى «روضة الأطفال» ولذلك يعد فروبل المؤسس الحقيقى لرياض الأطفال.

وأعطى فروبل قيمة كبيرة للعب والموسيقا والتشكيل والرسم والتلوين، وأكد على أهمية الأنشطة اليدوية ودراسة الطفل للطبيعة.

والروضة تقدم الأفكار والمناشط فى جو مرح وفى هواء طلق كلما أمكن ذلك. كما أن الاهتمام بمبادئ الصحة مثل غسل الأيدي ومبادئ الدين مثل حمد الله وشكره والمبادئ الوطنية عن طريق الممارسة الأخلاقية جزء جوهري من مهمتها.

وتأتى Montessori فى عام ١٩٠٧م معلنة أن الأطفال ينبغي أن ينالوا قدرا كبيرا من الحرية فى عملهم تحت رعاية مشرفة، وأن المقاعد رمز للاستبداد. والأهم من ذلك أن يكون لكل طفل أدواته التى يختارها بنفسه ويعمل بها ثم

ينادى المشرفة لترى ما يفعل، وتطلب من الأطفال الصمت لحظات أو ثوانى ثم يتصورون ويتخيلون ويفكرون فيما يحبون أن يعملوا ويصنعوا، وتستطيع الحرية على هذا النحو تكوين نظام، فليس النظام شيئا مجردا قائما على الرهبة، ويصبح المشى فى الحقول أو وسط الحديقة والمشاركة فى زراعة بعض النباتات وملاحظة نموها من المناشط الهادفة.

فللروضة أهداف منها : تنمية الشعور بالثقة لدى الطفل وفى الآخرين، فى جو غير قهرى، وتنمية الاستقلالية فى القبول والرفض والذهاب والعودة مع تعويده وجود وقت لا يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريد. مع تجنب إجراجه أو إشعاره بالخجل.

والروضة تهدف إلى تنمية رغبة الطفل فى العمل مع غيره، ويتعلم أن يكون له دور وللآخرين دور. كما أن الاعتماد على النفس من خلال خلع الأطفال للمعاطف وغسلهم للأيدي مثلا يمكن أن ينمو. وهذا بالطبع لا يتنافى مع دور الروضة فى تهيئة الأطفال لحياة المدرسة وممارسة مناشطه لمبادئ القراءة والكتابة والرياضيات مبتعدين عن طريق التلقين وعبر برامج أو أركان أعدت لهذا الغرض.

إن دور الروضة ينحصر فيما يبدو فى كونه دور تهيئة أو استعداد لدخول المدرسة وليس بديلا عنها، أو عوضا لها، فمهمة الروضة تكمن فى اكتشاف قدرات الطفل ومواهبه النامية والسماح لبراعمها بالظهور عن طريق النشاط الحر الموجه، مع تزويده بمهارات اجتماعية مثل التحية والاستئذان والعفو والسماح.. فى جو طليق خال من الضغوط أو الإرهاق للطفل، وهذا ما يجعل الطفل يشعر بأن الروضة مكان آمن يشعر فيه بالرضا، ويزيل من نفسه ما يعتريها من رهبة أو خوف، حين يترك المنزل ليجد نفسه فى محيط جديد، وتقوى عنده سمة الجرأة ليصبح أكثر انضباطا وأقرب إلى النظام وأكثر تقبلا له، فينتظم فى المدرسة فيما بعد دون جو مضطرب.

١ - بنية الروضة وأثرها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال :

فى هذا النطاق يتطلب الأمر التحدث عن جانبين هما : حجم سكان الروضة والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمعها، ولن يختلف الحديث عما عرضناه

عند تحدثنا عن دار الحضانة من قبل . إن الفارق ليس كبيرا بين الجو في دار الحضانة ورياض الأطفال كبنية، ولكن الاختلاف فيما يدرك الطفل، وفيما يرى ويسمع .

في الروضة ينتقل الطفل إلى بيئة جديدة عليه تماما إن لم يكن قد التحق بالحضانة حيث يتساوى في المعاملة مع أطفال مثله، وهنا تمتد عملية التنشئة الاجتماعية تدريجيا، إذ إن الأمر يتطلب تعلمه كيف يتقبل ذلك ويسلك معهم السلوك المناسب - سلوك نحو الآخرين - وهنا يبدو مفهومه عن نفسه وعلاقاته بالغرباء من سنه، فتنمو اتجاهاته الخلقية والأساليب التي تجعله يتعامل بنجاح مع الآخرين . والطفل هنا لا يعلم ماذا يحدث ولكنه يحدث .

٢- الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية

في الروضة:

وفي هذا نتعرض لنظام برنامج العمل بالروضة والمناشط الحرة:

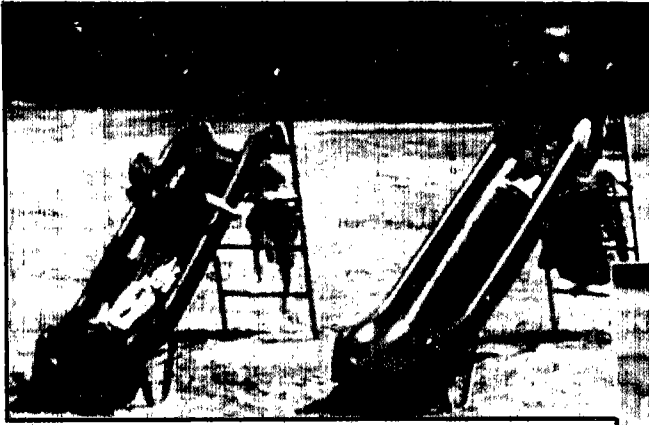
أ - نظام برنامج الطفل في الروضة: من غير المقبول أن روضة أطفال تكون بدون برنامج، وهناك برامج متعددة ربما تختلف باختلاف المدن داخل نفس الدولة، وقد أخذت برامج رياض الأطفال أنماطا متنوعة متألّفة تارة ومختلفة تارة أخرى، ولقد اقترحت Doreen قضيبات ثنائية تتراوح بينها هذه البرامج .

برامج محددة البنية مقابل برامج غير محددة البنية .

برامج تؤكد على المهارات المعرفية مقابل برامج تؤكد على المهارات الوجدانية .

برامج تعتمد على التعليم مقابل برامج تعتمد على الاستكشاف . . وغير ذلك .

كما أن هناك ما يطلق عليه نظام الوحدات التعليمية Teaching Units . وقد وضعت Eliason مؤشرات لجملّة من الوحدات التعليمية تدور حول الألوان والأعداد والأحجام ووسائل النقل والأصوات والحيوانات . . إلخ، وغير ذلك من البرامج والأنظمة .



وإن اختلفت المداخل للنظام المعمول به نجد أنها تنطوى على أهداف لها أهميتها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال، مثل الاستقلال الذاتى والجرأة والدعابة والضحك وتعلم أدوار الجنس والإصغاء والتقييد بالتعليمات بالإضافة للعادات المناسبة للمواقف وغيرها.

ب - المناشط الحرة المنضبطة : مما يلاحظ أن البرنامج المحدد البنية لا يعنى أنه محدد بصورة مطلقة، أو بصورة لا تترك أى مجال لمبادرة المعلمة، أو لاقتراحات الأطفال المفاجئة أو الآتية. كما أن البرنامج غير محدد البنية لا يعنى العشوائية التى لا يحكمها ضابط، كما أن الدافعية الخارجية لا تعنى التجاهل أو الإهمال لكل الدوافع الذاتية من لدن الطفل. ويبدو من ذلك أن الطفل أمام عمل جاد مشوق. ودور يستوعب ميول الأطفال الطارئة ضمن المناشط اليومية، وهذا ما يمكن الطفل من تطوير مفهومه عن إمكاناته وذاته وضبط النفس وإدراك المسئولية والتعاون. وكلها من قبيل النمو الاجتماعى.

٣ - المشرفة وعملية التنشئة للطفل فى الروضة :

تبدو الحاجة إلى مشرفات يحبهن الأطفال، فى الغالب يبدأ حبهن للأطفال ويأتى فى المقابل حب الأطفال لهن. مشرفة تحترم إمكانات الطفل ورغباته ولا تحكم عليه بمقاييس الكبار، لديها القدرة على أن تجعله يعبر عن أحاسيسه

ومشاعره، و متمكنة أن تكون مستودعا لأسراره البسيطة النامية، والإفضاء بمشاكله مع غيره.

إن دور المشرفة يجب أن يتضمن دور الملاحظ والموجه لأعمال الطفل تاركة له بعضا من حرية التصرف، ليشعر بأنه يقوم بعمله بوحى من ذاته ووفق رغبته وإرادته، ولا يعنى ذلك أن تترك للطفل فى الروضة الحبل على الغارب، بل تراقبه عن كثب وتكون له القدوة. إن المشرفة تؤدى دورها متجنبنة الإساءة إلى الطفل، لا توبخه أو تحرمه من المشاركة فى النشاط، وعليها أن تتبعد عن كل ما هو من شأنه أن يسوء علاقتها معه، كما تزيل من نفسه ما قد يعترىها من رهبة.

فعلاقة الطفل بالمشرفة التى يراها الآن والأطفال الذين وجدوا معه سوف تحدد ماله وما عليه .. معنى الحق ومعنى الواجب .. دون أى نوع من أنواع التلقين، إنها طبيعة وجوده فى ذلك المجتمع. إن ذلك أول بدايات الإحساس بالانتماء للمجتمع الذى أصبح عضوا فيه. والطفل حتى الآن لن يسمع ولن يفهم معنى كلمة انتماء فى هذه السن المبكرة، ولكن بذرتها قد وضعت فى أعماقه.

أما الأخلاق والاتجاهات الاجتماعية فلن تنمو تلقائيا لمجرد وجود الطفل وسط ذلك المجتمع الجديد (الروضة). إنما للمشرفة فى الروضة دور هام فى إعداد اجتماعيا حيث يكون الطفل ما زال متمركزا حول ذاته وأحيانا ممارسا للعدوان، وهو يرى المشرفة فى توجيه تصرفه وفعل سلوكيات أخرى، يحس أنها جميلة لأنها من المشرفة التى أصبح يحبها، مشرفة أصبحت تشركه معها ومع غيره من الأطفال فيتحول تمركزه حول ذاته إلى نوع من المشاركة والتعاون.

وعبر هذه الأدوار التى تقوم بها مشرفة الطفل فى الروضة يمكن عرض صورها فيما يلى :

أ- المشرفة كمنفذة للبرنامج : وفقا لما هو وارد فى البرنامج المعمول به تسير المشرفة فى دعم أوليات السلوك المناسب للمواقف، متيحة له فرص الإفضاء بما يخالجه والتعبير عما يشعر به.

ب- المشرفة كنموذج سلوك : المشرفة يجب أن تكون مرحلة ضاحكة، مرنة الحركة مستبشرة، لا تستخدم الصراخ فى توجيه دفة الأمور، تحب الأطفال، وتظهر حبها لأدائهم.

جـ- المشرفة كمنفدة للمكافأة ولتعزيز السلوك الإيجابي المشرفة تكافئ الأطفال على أعمالهم عن طريق السماح لهم بالقيام بأعمال جديدة، ولا تستخدم معهم أساليب الحرمان.

٤ - رؤية الآباء لدور الروضة في تنشئة الأطفال :

إن دور الوالدين لا ينتهى بمجرد دخول طفلهم الروضة، وإنما هو امتداد لدور المنزل. وإن من الواجب أن ينظر الوالدان تبعاً لظروف ابنهما غير الراغب فى تقليل فترة دوامه بالروضة.

ويقول آباء كثيرون أن الروضة بالإضافة إلى أنها أراحتهم من أطفالهم، تعلمهم أشياء مفيدة، وسلوكيات هامة للغاية. إلا أن هؤلاء الآباء يطلبون المزيد من جهود الروضة فى تعليم الأطفال الكتابة والحساب واللغة، ونسوا أو تناسوا أن الهدف الأول والأهم للروضة هو العمل على إسعاد الطفل، وإكسابه العادات المقبولة فى سنه وبيئته. وهى أمور أهم من التنشئة الاجتماعية.

رابعاً : المدرسة

المجال المدرسى هو المجال التربوى المقصود الذى تحدث فيه الظواهر التربوية التعليمية، وهو بالتالى مجال نفسى واجتماعى فى نفس الوقت، ويقصد به جميع الظواهر التى تحدث فى وقت معين بالنسبة لفرد أو مجموعة ما فى جو المدرسة.

فالمجال المدرسى مجال نفسى واجتماعى، لا يمكن فيه فصل الظواهر النفسية فى الأفراد عن الظواهر الاجتماعية الخاصة بالمجموعات التى تلتقى فيه وتتفاعل فى إحداث الظواهر التربوية. فالتغيرات السيكولوجية الخاصة بالأفراد من حاجات وأهداف ومدرجات ... تلتقى بالتغيرات الاجتماعية من منظومات القيم الثقافية، وهذا ما يجعل المجال المدرسى مجالاً عاطفياً لسببين :

الأول : أنه مجال معرفة ولا يمكن أن توجد آلية معرفية بدون عناصر وجدانية، كما لا توجد الأخيرة بدون الأولى داخل المدرسة.

الثاني : إنه من حيث هو مجال نفسى واجتماعى هو مجال علاقات إنسانية، وحينما تكون علاقات إنسانية تكون هناك عواطف

إن مرحلة المدرسة تبدأ فى حياة الطفل منذ السادسة فأكثر، إنها توافق مرحلة الهدوء بالنسبة لنموه النفسى والاجتماعى، لأنه يكون قد تجاوز مرحلة المعارضة والعناد أو فى سبيله للخروج منها. فهو بذلك قد خطا فى مراحل الاندماج الاجتماعى. كما أن حياته العاطفية قد اغتنت واكتسبت خبرات لا بأس بها، فى مواقفه من ذاته أو من الآخرين ومن الموضوعات المحيطة به.

وبعد دخول الطفل المدرسة، يصبح خاضعا لها فى نسبة كبيرة من وقته، فالمدرسة تؤثر فيه بما تعطيه من واجبات منزلية Home Assignments واستذكار وواجبات اجتماعية من خلال روابط تربط الطفل بالزملاء، وجمعيات وجماعات مدرسية.

إن البيئة الأسرية والوسط الاجتماعى بصفة عامة، يكون قد مارس تأثيرات على الطفل فيما يخص إعداداته للحياة المدرسية : فالأسرة فى مواقفها من الطفل ومعاملتها له طوال ما مر من عمره قبل هذه المرحلة وكذا الحضانة أو الروضة قد جعلته يحمل تصورات خاصة عن جو المدرسة، وعن شخصية المعلم وجزء من دوره، وطبيعة العمل المدرسى، وهذه كافية لجعله مكونا بعض العواطف الإيجابية أو السلبية تجاهها.

لقد ترددت على مسامع الطفل مقارنات كثيرة بينه حيث لم يدخل المدرسة بعد وبين أخيه الأكبر الذى دخلها، أو غيره من أبناء الجيران المنخرطين فى حياة المدرسة. كما أنه قد تأهب لكثير من المواقف التى تجعله ينظر إلى دخول المدرسة كمرحلة ضرورية لا بد منها، وذلك لإحراز قيمة إضافية لذاته وتوسيع دائرة ممتلكاته وتصرفاته. فدخول المدرسة يعنى امتلاكه لأدوات مدرسية وزى خاص، وعناية خاصة عند الخروج وفى فترات الامتحانات.

إن هذا التهيؤ لحياة المدرسة الذى تمارسه البيئة على الطفل، والتهيؤ الذى يقوم به الطفل ذاته قد ينطوى على مظاهر سلبية أو إيجابية.

فقد يغلب على هذا التهيؤ عامل القمع، بحيث تكون حياة المدرسة وعيدا وتهديدا لانطلاق الطفل وحيويته، وهذا ما يجعلنا نسمع صراخ الأطفال حفاوة فى الفسحة أو فى حصص الألعاب أو مع آخر اليوم الدراسى أو مع آخر يوم فى الدراسة وبعده تبدأ الأجازات.

كل هذه أمور تعلن أن الطفل يشعر بأن المدرسة أقيمت للحد من رغباته ولقمع حريته أيضا. لكن الطفل يصبح مقتنعا بضرورة المرور بهذه المؤسسة أو الوكالة ليحظى بالمكانة أو الاعتراف، فهو عن طوعية يشارك فى قمع ذاته وممارسة الضغط على نفسه. ويعنى ذلك أن الطفل رغم ما سمعه ويسمعه عن الدراسة ويعايشه فيها يقبل عليها، وقد اتخذ موقفا منها وتكون فى أعماقه ما يشير إلى إمكانية تقبله لها أو نفوره منها. ولا شك أن باستطاعة المدرسة أن تصلح كثيرا من الموقف السالب الذى أصبح لدى الطفل ولكنه يبقى دائما موقفا مبدئيا له دوره وتأثيره فى كثير من المجتمعات.

وللمدرسة وظيفة اجتماعية هامة، هى استمرار المجتمع الذى هى فيه، وذلك بأن تيسر لأطفال المجتمع، تمثل قيم هذا المجتمع ومعايره، وتدريبهم على السلوك الذى يرتضيه عموما فى المواقف والمناسبات، وهى بذلك وكالة من وكالات التنشئة الاجتماعية ذات الأهمية.

وقد تكون المدرسة أول مجتمع يواجه الطفل بمفرده بعد خروجه من المنزل إذا لم تسنح له ظروف الالتحاق بالروضة. ويختلف هذا المجتمع الجديد عن أسرته التى قضى فيها فترته السابقة.

إن أسرة الطفل كجماعة أولية كانت العلاقات تتميز فيها بالمواجهة والعمق والدفع، وإن الطفل فيها تقدر قيمته لذاته، أما الآن وقد دخل المدرسة فهى جماعة ثانوية، ليس فيها دائما علاقات المواجهة لا بين المدرسين والأطفال ولا بين الأطفال بعضهم البعض، فالعلاقات ليست على نفس الدرجة من العمق والحرارة.

فأعداد الأطفال داخل المدرسة كبيرة مقارنة بالأسرة، وتبدل المدرسين من عام إلى آخر، بل ومن مادة إلى أخرى يجعل تكوين مثل هذه العلاقات ونموها أمرا صعبا جدا، كما أن المدرسة كتنظيم اجتماعى له وظيفة محددة، لا ترحب بنشأة هذه العلاقات؛ لأن تقويم التلاميذ وتقديرهم جزء أساسى من وظيفتها، وإن نشأة علاقات حميمة عميقة بين المدرسين والتلاميذ أمر يؤثر فى سلامة أداء المدرسة لدورها التقييمى.

إن العلاقات فى المدرسة أهم ما يميزها أنها رسمية يغلب عليها الخضوع لقواعد محددة ومعايير متفق عليها يخضع لها الجميع، أو على الأقل مطالبون بالخضوع لها.

وبعد تقدير قيمة الطفل فى المدرسة قائما على أساس مختلف عما كان فى الأسرة، ففي الأسرة كان مصدر قيمته ذاته وأنه أحد أبناء الأسرة، أما فى المدرسة فقيمة التلميذ تنبع من ثلاثة جوانب.

الجانب الأولى مقدار ما يستطيع أن يتعلمه، أى تحصيله المدرسى، والثانى مدى مساهمته لأنظمة المدرسة وقواعد السلوك المطلوبة، أما الجانب الثالث فهو مشاركته فى الأنشطة اللاصفية ومدى ما يهتم به فى ألوان النشاط.

والاختلاف بين الأسرة والمدرسة فى طبيعة العلاقات والتفاعلات، لا يعنى فقدان أو انقطاع الصلة بين الوكالتين، فالمدرسة تدفع الإمكانيات العقلية والمهارات الاجتماعية التى بدأتها الأسرة أو الروضة وتبنى عليها ما يتناسب مع طبيعة المجتمع.

١ - بنية المدرسة الاجتماعية وأثرها فى التنشئة الاجتماعية

للأطفال :

فى هذا النطاق يتطلب الأمر الحديث عن أربعة أمور رئيسية هى : حجم سكان المدرسة، وحركة المجتمع المدرسى، والتفاوت العمرى والجنسى لمجتمع المدرسة والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى لمجتمع المدرسة.

أ - حجم سكان المدرسة : لا نختلف أن عدد الأفراد الموجودين فى المدرسة ضخم، من تلاميذ ومدرسين وإداريين. والطفل أصبح الآن - بعد دخوله ذلك المجتمع الجديد - مطالبا بأن يكتسب لنفسه مكانا، واستخلاص هذا المكان والاعتراف ليس بالأمر الهين أو الذى تسمح به المدرسة بسهولة، وإنما يحتاج إلى ماثرة من التلميذ ومنافسة وتغلب على الصعوبات والعقبات، وربما تعرض الطفل للضياع وسط هذا الخضم الهائل، وخاصة عند انتقاله من أسرة تميل إلى صغر الحجم فى عصرنا الحالى إلى مدرسة تتجه إلى التضخم والاتساع، وقد يترتب على هذا فقدان ذلك الصغير للثقة بالنفس نسبيا وربما لاحترام الذات، مما يترك آثارا سلبية على نموه الاجتماعى ومن ثم تنشئته الاجتماعية.

ومع الأعداد الكبيرة لا يسهل عادة إقامة علاقات اجتماعية عميقة بين التلاميذ بعضهم والبعض وبين التلاميذ والمدرسين، ولا يتمكن المدرس من إنشاء هذه العلاقات بينه وبين التلاميذ بسهولة إلا إذا كان عدد التلاميذ مناسباً.

ب- حركة المجتمع المدرسي : إن أعضاء المدرسة يتميزون بالحركة والتغير، فالتلاميذ يتغيرون بالنجاح من سنة إلى أخرى أو حتى الرسوب، والمدرسون يتغيرون مع سنوات الدراسة وربما ينقلون.

وإذا كانت هذه الحركة لأعضاء المدرسة تتيح للتلميذ فرصاً وخبرات جديدة ومواجهة مع أنماط جماعية وأفراد مثل الذين يواجههم مستقبلاً في المجتمع، فهذا أمر لازم لعملية التطبيع الاجتماعي، إلا أن فيه ما يجعل الطفل غير شاعر بالأطمئنان وخاصة مع سنواته الأولى بالمدرسة.

ج- التفاوت العمري والجنسي لمجتمع المدرسة : إن أفراد المدرسة مختلفون من حيث العمر، ففي المدرسة الابتدائية مثلاً نجد من هم في السادسة من العمر ومن هم في الثانية عشرة، وربما وجد تلاميذ وتلميذات، وربما وجد فيه مدرسون ومدرسات من أعمار أكبر. إن هذا الاختلاف والتفاوت له أهميته في التنشئة الاجتماعية للطفل. فهو يمنح الطفل فرصاً للتعامل مع فئات عمرية مختلفة من الجنسين، مما يجعله يتعلم أو على الأقل يلاحظ بعض أنماط التعامل والسلوك. وغالباً جرب بعضها وأصبح على الطريق لاكتسابها.

ومن ناحية أخرى ربما كان لذلك أثر سالب، فقد يأتي توقيت الخبرة التي يلاحظها أو يسمعها ليس في وقته أو مواعده، فالتلميذ الذي لم يصل إلى سن البلوغ قد يسمع عن الاحتلام من تعامله مع تلاميذ أكبر منه.

د- التفاوت الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع المدرسة : لا يأتي التلاميذ في نفس المدرسة من مستويات اجتماعية واقتصادية متشابهة تماماً إلا تحت بعض الشروط، وغالباً ما نجد أنهم أتوا من أوساط ثقافية واجتماعية مختلفة إلى حد ما، ويؤثر ذلك في العلاقات التي تنشأ بين التلاميذ بل وفي صبغتها.

وينعكس ذلك على تنشئة الطفل، فالحياة المدرسية نوع من التفاعل. ولا يتوقف الأمر على مستويات التلاميذ، فلمستوى المدرسين أنفسهم أثر أيضاً، فلقد

أظهرت البحوث أن المدرسين من طبقة ما (متوسطة أو غير ذلك) يدعمون قيم واتجاهات ومعايير وسلوك هذه الطبقة في تلاميذهم من نفس الطبقة.

وربما كان هناك نمط طبقي شائع في مدرسة ما، تنعكس آثاره على سلوكيات التلاميذ مقارنة بالتلاميذ في مدارس أخرى لهم نمط طبقي آخر أكثر شيوعاً. وعموماً فإن التكوين الطبقي لتلاميذ المدرسة يؤثر على أنماط التفاعل والسلوك فيها، وبالتالي على دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية لهم.

٢ - الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية في

المدرسة :

يطلق البعض كما سبق أن ذكرنا مصطلح ميكانيات التطبيع الاجتماعية على هذه الأساليب ومنها :

أ - عن طريق المقررات المدرسية : فقد تلجأ وزارة التعليم إلى الاعتماد على طرق مباشرة لبث قيم ومعايير غلب عليها الاتفاق في المجتمع، وتأتي هذه القيم صراحة في الكتب المستخدمة بالمدارس وأثناء شرح المدرس، أو تحدث بأساليب غير مباشرة مثلما يعرض مدرس للرياضيات مسألة عن الاستثمار أو التأمين، أو عندما يطلب المدرس من التلاميذ أن يحكوا قصصاً عن الصدق وعن الأمانة والمنافسة أو عن الإخلاص. وعلى الرغم من ذلك فالمدرسة تعطي التفوق الدراسي في المقررات الدراسية أهمية كبرى فيما تمارسه من أساليب التنشئة الاجتماعية لتلاميذها الصغار.

ب - الأنشطة المدرسية : هناك أنشطة مدرسية منظمة وموجهة ليكتسب منها الطفل بعض المعايير والقيم مثل حسن الاستماع للمتحدث، أو التوقعات المرتبطة بالمكانة للقائد والمرءوس، مثلما نجد في النشاط المسرحي أو في نشاط التربية الرياضية والمباريات، أو ما هو متوقع من الغالب والمغلوب في مباراة، أو المتوقع من المضيف أو المستقبل لزائر في حفل.

ج - الثواب والعقاب للتلميذ : يمارس ممثلو السلطة المدرسية الثواب والعقاب، فنجد تشجيعاً لقيم معينة وتعزيزاً لتصرفات التلاميذ بأنواع من الثواب مثل المدح ومنح الجوائز وإعطاء الامتيازات، ويحدث العكس فيما يتصل بالقيم والسلوك الذي لا يتفق مع النظام المدرسي. والمدرسة في ذلك مثلها مثل الأسرة

فى تطبيق الثواب والعقاب، وإن كانت الرسمية فى التطبيق من جانب المدرسة تبدو واضحة.

فطبيق مبدأ الثواب والعقاب من جانب المدرسة نابع من أداء التلميذ وليس من كونه ابنا فى الأسرة، هذا الأداء الذى يقارن فى ضوء أداءات التلاميذ الآخرين وترتيباتهم فيه، ولا يتم منح التعزيز أو توقيع العقاب فى ضوء عمق عاطفى كما يحدث داخل الأسرة، ولا تبدو فيه الحدة الانفعالية، فالمنفذ غير متعاطف فى جميع الأحوال لأنه يطبق نظاما يعرفه الجميع.

د- تحقيق استقلالية الطفل عن الأسرة : تتمسك المدرسة بأن يخبر الطفل علاقات ومعاملات وتفاعلات مختلفة فى النوع والدرجة عما عهده فى أسرته من خلال فاعلية الثواب والعقاب المستخدم، وتحرص المدرسة على هذا الاستقلال باعتباره شرطاً لازماً لنجاح ما تفعله لتنشئة الطفل اجتماعياً.

هـ- تقديم نماذج للسلوك : وهو من الأساليب التى تقوم بها المدرسة لتنشئة الأطفال، إما بالحديث عن النموذج وشرحه ومناقشته بقصد الترغيب فى الخصائص المقبولة، أو بمجرد عرضها دونما ترغيب، أو دعوة للاقتداء بالنموذج. وعلى أية حال فتأثر الطفل بالنموذج متوقع فى الحالتين.

ومع كل الأساليب التى تتبعها المدرسة فى سبيل تنشئة الأطفال، لا يخفى على الأذهان، أن الطفل لا يبقى خاملاً أو مستقبلاً للأساليب المستخدمة معه، فالتلميذ يلاحظ ويعيش كل ما يجرى فى المدرسة من أحداث صغيرة وكبيرة، تتعلق بالزملاء أو بالمدرسين أو حتى أصحاب السلطة، وما يدور فيها من مناسبات كالامتحانات أو زيارة المسؤولين. إن التلميذ ليس مسجلاً جيداً فحسب بل مشاركاً فعلاً فى كل هذه المناسبات، وله دوره النشط الذى تقصده المدرسة أو تسهل له أن يتبناه.

٣ - معالجة آثار الإحباط على التلاميذ أثناء تنشئتهم داخل

المدرسة :

الأمر مختلف تماماً بالمدرسة، فليس من الضرورى فى المدرسة - كما هو الحال فى الأسرة - أن نقوم بمعالجة آثار الإحباط أو الألم الناتج من الحرمان من ممارسة نشاط داخل المدرسة، أو عدم الحصول على جائزة لتدنى مستوى التلميذ،

أو خفض درجته فى السلوك مع نهاية الشهر لتجاوز حذود الألفاظ اللائقة مع الزملاء، أو توقيع أى نوع من أنواع العقاب الأخرى المسموح بها فى المدارس .

٤ - المدرس وعملية التنشئة الاجتماعية :

المدرس هو المركز الذى تلتقى عنده بالتلميذ كل النظم الموضوعه فى المدرسة وكل الأساليب المتبعة للتنشئة الاجتماعية .

والمدرس له عدد من المكانات والأدوار الاجتماعية التى تحددها المؤسسة التى يعمل بها، وهو يعمل ويؤثر فى التنشئة الاجتماعية للتلميذ من خلال هذه المكانات والأدوار .

والتلميذ يدرك المدرس بصورة قد تتفق أو تختلف عن تلك الصورة المحددة اجتماعيا بواسطة نظم التعليم أو التربية، ولا يمكن أن نغض البصر عن خصائص المدرس ونواحى شخصيته وانعكاساتها على دوره .

ثمَّ ظاهرة مؤكدة يعرفها كل من مارس مهنة التعليم، كما يعرفها عن تلاميذه الأطفال أو حتى المراهقين، تلك الظاهرة هى المحاولة المبدئية من جانب الدارس والمدرس لتصنيف الآخر .

فأول ما يفكر فيه المدرس هو أن يعرف نوعية التلاميذ الذين وكل إليه أمورهم، كما أن التلاميذ يقومون بنفس المحاولة، وفى ضوء هاتين المحاولتين نجد الهدف هو العثور على مفتاح شخصية الطرف الآخر للسيطرة عليه وربما أسره .

وإذا كانت للمدرسين وسائل ومظاهر أرقى لتحقيق هذا الأسر، فإن التلاميذ قد يتخذون فى هذا السبيل ما يدعو أحيانا إلى الرثاء، لو أن بعض المدرسين يقعون مع ذلك فيها، مثال ذلك ما يلاحظ من تسابق فئة خاصة من تلاميذ الفصل على تقديم بعض الخدمات للمدرس، كتنظيف المكتب أو مسح السبورة . . إلخ . مع أن مثل هذه الأعمال يمكن أن تحقق فى جو من التنظيم مبنى لفائدة الجماعة وليس للتقرب من المعلم .

إن التلاميذ رغم صغر سنهم فى المدرسة الابتدائية، يدون وكأنهم سيكولوجيون صغار بالنسبة لمعلميهم أو بالنسبة لأبائهم حينما كانوا يعتمدون المساومة لتحقيق المطالب أو وصف الطرف الآخر .

ومن الملاحظات أن نجد المدرس وهو يسأل تلاميذه الصغار بطرق متنوعة عن أفضل مدرس بالنسبة لهم، فهذه الواقعة التي تبدو في ظاهرها مجرد فضول، إلا أنها تدل في عمقها على أن المدرس يسأل في سبيل جلب الاعتراف بأنه الأحسن، أو ليتعرف على الأقل على الصورة المفضلة لدى التلاميذ التي يمكنه بواسطتها أن يستحوذ على دارسه، وهو نوع يشبه نوع الموقف الذي يتخذه أحد الوالدين سائلا الطفل إن كان يحب أمه أو أباه أو أيهما أفضل ولماذا؟ . إنه موقف المساومة والارتشاء العاطفى والأناثية فى الاستحواذ على الطفل .

ومع أهمية مثل هذه المواقف فى العلاقة الناشئة بين المدرس والتلميذ، وقوة دلالتها، على أن دور المعلم فى المدرسة يتحدد بواسطة هذه التصورات التى يكونها من الواقع، أو انطلاقا من تصورات التلاميذ .

ومهما كان الأمر فإن للمدرس أدوارا من المفيد أن نستعرضها :

أ- المدرس كمنفذ سياسة : وفقا لما تتطلبه سياسة المدرسة، يعمل المدرس على إكساب التلاميذ القيم والمعايير وأنماط السلوك التى تعكس سياسة السلطة التربوية فى المجتمع، وليس من حقه التغيير، وإن كان تنفيذ هذه الممارسات للإكساب يعكس ذاتية المدرس وخصائصه الشخصية، وربما وقع فى صراع بين السياسة المطلوب تنفيذها منه وما يؤمن به، إلا أنه فى النهاية عليه أن يسير طبقا للسلطة التربوية الكبرى، وهو فى ذلك يكون قد اتخذ أحد المسالك لعملية التنشئة الاجتماعية للتلاميذ .

ب- المدرس كممثل سلطة : السلطة داخل المؤسسة التعليمية ضرورية، وللمدرس نصيب منها بقدر ما يسمح له بإحداث التأثير المناسب فى مجالات ضبط سلوك التلاميذ والحكم عليهم واتخاذ قرارات تتصل بهم .

والتلميذ هنا من خلال تفاعله مع مدرسه الذى يعتبر ممثلا للسلطة، يتعلم أن هناك قوى مراقبة لضبط سلوكه، وأن هناك سلطات تقدير وتقويم ترزنه وتحكم عليه حسب أدائه وسلوكه .

ج- المدرس كنموذج سلوك : المدرس يجب أن يكون مثالا أو نموذجا للتلميذ، ومتوقع منه أن يسلك تبعا لصورة لها أهميتها . إلا أن الأمر يختلف بين التلاميذ عند اتخاذهم مدرسيهم أو أحدهم نماذج لهم . فالتلميذ الذى يتبنى لمستوى

اقتصادي مرتفع قد يحب مدرسا ويحترمه ولكنه ينظر إليه أنه من فئة أخرى أو من جماعة معينة، وربما نظر إليه على أنه أقل منه في المستوى بحيث لا يتمنى أن يصبح مثله، بعكس الحال إذا نظر إلى هذا المدرس تلميذ له مستوى اقتصادي منخفض. وهذا لا يعنى أن التلميذ صاحب المستوى الاقتصادي المرتفع لا يتأثر ببعض السمات البارزة في هذا المدرس.

إن التأثير العاطفي لشخصية المدرس في التلميذ، يأتي من مبدأ اتخاذ المدرس كنموذج، فكل الظروف القائمة في مجال المدرسة وشروطه المادية والمعنوية، ومضمون عملية التنشئة التي يقوم بها المجتمع تؤدي إلى هذه النتيجة. وإن المدرس نفسه وهو يتعامل مع التلميذ يكون في ضوء هذا المبدأ، كما أن التلميذ يعامل المدرس على أساس منه.

وهذه النموذجية الشاملة على المستوى المعرفي والأخلاقي والوجداني هي ما يجعل العمل التربوي صعبا، وهو أمر واضح من تردد وتخوف المبتدئين في التدريس أو المقبلين عليه. وهذا التأثير للنموذج ربما استمر معهم وعلق بهم إلى مراحل متأخرة من حياتهم، وخاصة ما يتصل بالجانب الخلقى والمهني من شخصية المدرس.

د- المدرس كممثل قيم : إن المدرس في سلوكه ومن خلال مركزه الاجتماعي يعكس العديد من القيم مهما اختلف المدرسون، مثل قيمة النظام، وقيمة المعرفة والتحصيل، وقيمة المسايرة الاجتماعية أو التمشي مع الأوضاع. ويتأثر التلاميذ عبر سلوك المدرس وتصرفه في المواقف بهذه القيم، في الفصل أو أثناء النشاط أو أثناء حفلة أو مباراة.

هـ- المدرس ككفيل أو مُعيل **Supporter** : ربما كان أعمق تأثير للمدرس في نمو التلميذ اجتماعيا، هو ما يشعره التلميذ بأنه مكفول بالمدرس أو أن المدرس راع له. تلك العلاقة التي تقوم على الاهتمام والحرص من جانب الكفيل (المدرس) على المكفول (التلميذ) وتنعكس من التلميذ في صورة احترام أو إعجاب بهذا المدرس، ويسقط معها الفتور بين التلميذ والمدرس مع بقاء الموضوعية والاتزان.

٥ - نماذج العلاقة بين المدرس والتلميذ أثناء تنشئته :

إن العلاقة بين المدرس والتلميذ وشكلها لها أثر فعال على تنشئة التلميذ اجتماعيا. إن هذه العلاقة هي علاقة بين طرفين أحدهما أدنى والآخر أسمى، فالمدرس مكتمل افتراضا ونموذج يحتذى به، والتلميذ تابع في مرحلة التكوين، والمدرس كممثل للسلطة يوقظ في التلميذ ردود فعل من قبيل مشاعره نحو الأب. ولا يعنى هذا أن صورة كل من الأب والمدرس تتطابقان، أو أن تأثيرهما واحد على التلميذ.

ويمكن إجمال نماذج المواقف بين المدرس والتلميذ فى ثلاثة :

أ- الفتور : فى مثل هذا الموقف يتمثل التلميذ كوسيلة يؤدى بها المدرس وظيفته التعليمية، أو يرضى بها رغباته الشخصية.

وفى هذه العلاقة يصبح الهم الرئيسى للمدرس هو ضخ المعلومات فى ذهن التلميذ، ويبلغ حد اللامبالاة بهذه الفئة من المدرسين إلى انعدام أى قلق يمكن أن يخامرهم حول مدى استجابة التلاميذ لعملهم، أو حتى حول ما حُسر فى أذهانهم من معلومات. فموقف المدرس هنا خال من كل لون عاطفى وأحيانا يهتم المدرس بالسرد والشرح لحبه لمادته وجبه لإثبات ذاته. والأمر هنا ينطوى على أنانية من المدرس.

ولا يمكن الحديث عن أى علاقة هنا، لا علاقة الخضوع أحيانا للتلميذ والفتور أحيانا أخرى من المدرس ومادته.

ب- المبالغة فى حب التلميذ : على النقيض من الموقف السابق، إنه ليس موقف الخلو من الدفء العاطفى، بل موقف فيض الحرارة العاطفية. يظهر هنا الاهتمام الزائد بالتلميذ والغيرة الشديدة على مستواه التحصيلى، ومستوى أدائه عموما، إنه موقف حب التلميذ، يهدف المدرس من ورائه إلى اقتناص الضحية (التلميذ) وربطه فى حبال علاقة لا يريد له منها فكاك، إنه استحواذ، وهو مظهر للأنانية من جانب المدرس أيضا لا تتاح معه للطفل فرصة المناخ الضرورى لتبلور عاطفة إعجاب، ولذلك فهذا الأسلوب وإن اختلف مع موقف الفتور واللامبالاة السابق فى مظهره لا يختلف عنه فى طبيعته، فكل منهما موقف تسلطى. وإن كان

الموقف الأول يؤدي إلى موقف سلبي في التلميذ، فإن الموقف الثاني يولد داخل التلميذ صراعا وتوترا وربما تمنى الفكاك من هذه العلاقة .

وتعد درجة النضج الاجتماعي والعاطفي للمدرس من الأمور التي لها أهميتها في هذا الشأن، وتؤدي إلى تكوين مواقف عاطفية مناسبة إزاء الدراسة عموما .

ج - الاعتراف بشخصية الطفل : إنه موقف خال من الأنانية، موقف يعترف باستقلالية الطفل، ويترك مجال النمو العاطفي للطفل مفتوحا، لا يأسره بحب زائد ولا يقتل فيه اعتبار الذات عن طريق لا مبالاة عاطفية أو تحكم ضمنى .

إن الطفل شديد الحساسية بمواقف الآخرين إزاءه، لذلك فهو أقدر من غيره على استشفاف دلائل الاعتراف بشخصيته، وهو قابل للإجابة بالمثل، وهذا ما يؤدي إلى تكوين علاقة انسجام بين المدرس والتلميذ مبنية على اقتناع التلميذ شعوريا ولا شعوريا بنموذجه (استاذة) خارج كل قيد مادي أو معنوي .

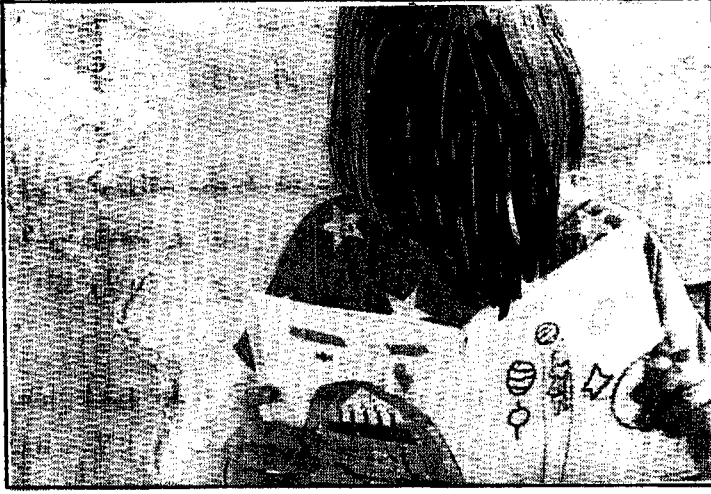
ويعمل المدرس نتيجة نضجه على تخليص التلميذ من الأسر الوجداني، والخروج به من دائرة التقليد والاحتذاء، ليمارس قدرته على الاختيار .

وبفضل علاقة الانسجام العاطفي ونكران الذات هذه يتكون ثنائي مثالي Ideal Couple بين المدرس والتلميذ، وفي ظل هذه العلاقة تنمو عواطف الاحترام للذات وللغير، وللمدرس خصوصا، ولا يجب أن يكون التصور من هذا الحديث وجود علاقة ذات بعد واحد، لأن علاقة الانسجام الحقيقية بين المدرس والدارس ليست مجرد حوار بين شخصين، بل تأخذ مضمونها كعامل في إطار الفصل الذي يدرس فيه التلميذ من حيث هو مجموعة تلاميذ أو ما يعبر عنه الفصل - المجموعة Groupe - Class وبذلك تكون هذه العلاقة ذات امتداد في جميع الاتجاهات .

١ - معالجة ما يصيب المدرس من إحباط أثناء قيامه بالتنشئة :

يصاب المدرسون غالبا بخيبة أمل مع بعض تلاميذهم، ويزيد الأمر صعوبة إذا كان هؤلاء الأساتذة من أصحاب المبالغة في حب التلميذ أو حتى الذين يعترفون بشخصية التلميذ . وذلك يجعل المدرسين في حالة من التوتر والقلق إزاء ما كانوا يتوقعونه وما حدث بالفعل سواء من تفوق أو تأخر للتلميذ أو حتى سلوك صدر

منه. وربما قال بعض الأساتذة إن هذه المهنة سيئة، أو وضعوا لها أمثالا تشير الضحك أحيانا، وتواسى المدرس المنفعل أحيانا أخرى.



وقد أشرنا أنه لا توجد أساليب لمعالجة إحباط الأطفال في المدرسة تخفف من عنائهم، وكذلك لا توجد وسائل لمعالجة ما يحدث للمدرسين من إحباطات. ولكن الأحاديث الصريحة التي تتم بين المدرسين أحيانا، وتوقيع العقاب على التلاميذ المخالفين ربما يخفف القليل من آثار الإحباط. كذلك تعد النتائج الإيجابية مع نهاية الامتحانات ليست فقط إشباعا لحاجة المدرسين إلى التقدير بل وتخفف أيضا من عناء الإحباطات، بالإضافة إلى الامتحانات القليلة التي ربما يوجهها بعض الآباء المخلصين لمدرسي أبنائهم.

ومن الآراء الحديثة إشراك أحد تلاميذ الفصل ليقوم بدور المدرس (قرين المدرس) Peer - Teacher وفي الغالب ما يكون أكبر التلاميذ عمرا، يعاون المدرس ويعلم الأطفال الأصغر. ويستفيد من هذا الأسلوب كل من المدرس والطفل الأكبر والطفل الأصغر. ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام عرفته التربية الإسلامية واشتهر باسم «العريف» الذي يطلق على التلميذ الأكبر الذي يتمكن من ضبط سلوك التلاميذ في غيبة المدرس، ويقلل هذا الأسلوب نسبيا من بعض الإحباطات.

٧ - رؤية الآباء لدور المدرسة في تنشئة الأطفال :

معظم الآباء يتوقعون أن تقوم المدرسة بمعاونة الأسرة في تنشئة الأطفال اجتماعياً، أى بتدريبهم بشكل واسع على اكتساب القواعد الخلقية والاجتماعية.

فإلى جانب المهارات المعرفية التى يتعلمها الطفل فى المدرسة كالقراءة والحساب والكتابة فإنه يجب أن يكتسب معلومات عن المعايير والقيم والأدوار الاجتماعية.

ولكن فى حين يتفق جميع الآباء أن يتعلم أولادهم الكتابة أو غيرها نجهدهم يختلفون فيما يتعلق بالمعايير والوسائل التى تتخذها المؤسسة فى عملية التنشئة الاجتماعية.

ويرى البعض مثلاً أن على المدرسة أن تؤكد على صفات الطاعة والأدب، ويرى آخرون ضرورة معاونة الطفل على التعبير عن ذاته وثقته بنفسه، ويرى البعض الآخر أن تكون التنشئة دينية.

هناك قواعد أخلاقية واجتماعية تعمل فى ضوءها المدرسة مثل التأديب والطاعة ... وقد لا يكون لمثل هذه القواعد أهمية أو غير مناسبة للبيئة خارج الفصل، حيث يكون التقسيم بين الأقران قائماً على مبدأ الشجاعة والجرأة والاستقلالية والحرية.

ولا تسلم الوكالات التعليمية والتربوية عموماً من تقريظ أولياء الأمور وملاحظاتهم رغم الموقف الضخم الذى تقوم به هذه الوكالات مع أعداد كبيرة من الأطفال.

خامساً : جماعة الرفاق (الأقران - الأنداد) Peer - Group

يبدى الأطفال بعض مظاهر المشاركة الوجدانية مع بعضهم البعض من سن مبكرة. ولا نغالى إذا قلنا أنها تبدأ من العام الأول للميلاد، فنجد أن الطفل يلاحظ غيره من الأطفال ويكون فغالباً يبكى مثلهم. ويزداد تأثير الأقران فى سن المدرسة وقبلها بقليل حيث يطرأ على سلوك اللعب عند الطفل تغير ظاهر فى نمط اللعب.

فيستحول نمط لعب الأطفال من اللعب الانعزالي Isolated Play إلى اللعب الاجتماعي Social Play ويلاحظ تفضيل الطفل اللعب في جماعة الأقران عن اللعب مع الكبار.

والجماعة جملة أفراد أو أشخاص، تربط بينهم علاقات متبادلة ومتداخلة، ويضمهم وعى، ولا يمثل دخول فرد فيها زيادة عددية فحسب، بل تغييرا كيفيا فيما يخص تأثيراتها الوظيفية السلوكية فيه.

والجماعة تبدو كلاً مخالفا لمجموع عدد أفرادها، ليست منعزلة بذاتها، بل توجد داخل تنظيم اجتماعي تظل تتأثر به مستمدة منه نماذجها، ومتفاعلة على نحو ما مع بقية ما فيه من مجموعات أخرى، هذه المجموعات التي تتفاوت في مقدار اتساعها، ومدى توافر أعضائها، بحيث يمكن التمييز بين جماعات كبرى وجماعات صغرى ... كما أن الجماعة كيفما كانت حدودها ومداهها، تحتوى داخلها على ترتيب وتنظيم للأعضاء حسب أدوارهم ومستوياتهم.

فهناك منصب الرئيس أو القائد أو الزعيم Leader ومن ينوب عنه أو يساعده، أما الطابع العام لسلوك جميع الأفراد فهو التعاضد والتعاون.

والتلاميذ في الفصل، من حيث إنهم مرتبطون بعلاقات متبادلة فيما بينهم، وبوعى وبأنماط ثقافية مشتركة، يكونون بالفعل جماعة، وهو قابل كمجموعة كبرى نسبيا إلى أن يضم مجموعات صغرى.

إن وجود الطفل في المدرسة بين مجموعة من الرفاق يجعلنا نرى في هذه العلاقة صورة جديدة لعلاقة سبق أن عرفها في الأسرة، وهل علاقته بإخوته، فلكل من مجموعة الإخوة في الأسرة ومجموعة رفاق الفصل الدراسي توجد مرحلة تكوين يشرف عليه ويوجهه كبار. مما يجعل الاهتمامات والمطامح والمشاكل مشتركة بين رفاق المدرسة، كما كانت هناك اهتمامات ومشاكل مشتركة بين كل طفل في الأسرة وسائر إخوته. وهذا بالطبع لا يعنى أن هذه العلاقة نسخة طبق الأصل من علاقة الطفل بإخوته، وبالتالي فليس من الضروري أن يترتب عليها نفس التأثير العاطفي الذي يترتب على علاقته بإخوته. غير أن ما نعينه بتشابه العلاقتين هو أن الطفل مستعد للدخول في علاقة مع آخرين، بناء على خبرة تكونت لديه في ضوء علاقته بإخوته، بجوانبها السلبية والإيجابية.

ولا شك أن العلاقة بالإخوة إذا كانت قد سارت فى طريقها الإيجابى السليم من ناحية تأثيرها العاطفى، أصبح سهلا على الطفل الاندماج والتفاعل مع جماعة الرفاق بالفصل المدرسى، إلا أن كل علاقة مع ذلك تبقى لها تأثيراتها العاطفية الخاصة. وعلى الأقل فإن عمق العلاقة بين الإخوة، رغم ما فيها من صراعات أحيانا، تساعد الطفل على تحمل الصدمات المنتظرة فى علاقاته الجديدة مع جماعة أو جماعات الرفاق. وتبقى له الجماعة الثابتة المستقرة التى يلجأ إليها كلما احتاج إلى ذلك.

وتقوم جماعة الرفاق أو الصحبة أو الأقران أو الشلة بدور هام فى عملية التنشئة الاجتماعية، فهى تؤثر فى قيم وعادات واتجاهات الأطفال، وحتى الكبار. وفى الصحبة، يجد الطفل مجموعة من الأطفال يتصل معهم ويقاربونه فى العمر والميول.

ويحرص الفرد فى أى مرحلة عمرية يصل إليها على الانتماء إلى جماعة من الأصدقاء يتقاربون معه فى العمر من أجل تحقيق قدر من التفاهم المتبادل، وقدر من الإحساس المشترك. كما أن مدى تأثير الفرد بالجماعة أو الصحبة ومدى ما يتقبله من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها يتوقف على درجة علاقة الفرد بشلته، فكلما ازداد مدى تمثّل الفرد لما اصططلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية دل ذلك على قوة ارتباطه وتأثره بها.

ويبقى باستمرار المبدأ الذى تقام عليه جماعة الرفاق أو الأقران، هو تكونها من أعضاء يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس من المساواة سواء كانت تتكون من أفراد أو راشدين.

وأساس المساواة هنا فى التعامل والتفاعل بين الأطفال، له وجهان: أحدهما إيجابى ويتمثل فى ضم أطفال آخرين من نفس العمر تقريبا وغالبا من نفس الجنس ويستطيع أن يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس المكانة المتساوية. والجانب السلبى هو استبعاد الراشدين منها أى من هم ليسوا آباء أو أمهات أو مدرسين، ويعتبر هذا الراشد حتى وإن وصلت الجماعة فى عمرها إلى مرحلة المراهقة بمثابة مكانة لمغترب Status of Alien.

١ - البنية الاجتماعية لجماعة الرفاق وأثرها على التنشئة

الاجتماعية للأطفال :

إن البنية الاجتماعية لجماعة الأقران ليست على نفس المستوى من التحديد والتعقيد كما هو الحال في الأسرة أو المدرسة، ورغم ذلك فإنه يمكننا التحدث بخصوص هذه البنية عن بعض الأمور الجديرة بالتناول.

أ- حجم جماعة الرفاق : يصل حجم جماعة الرفاق في الغالب إلى ثلاثة أفراد فأكثر، ويظهر الأطفال الكبار أن الانتماء إلى هذه الجماعة يخلصهم من حصار الأسرة، يتصرف في رحابة كما يشاء، ويكتشف الطفل حينما يصبح على مشارف البلوغ أو قبلها بقليل أنه مكبل بأغلال أقوى مما كان يتوقعه وإن كانت من صنع جماعة الرفاق أنها جماعة ضاغطة Pressure Group، ويجد نفسه منقادا لضغوط الجماعة سواء شاء ذلك أم أبى، وذلك كسبا لرضاء أعضائها وحرصا على تقبلهم الدائم له.

ب- استمرارية جماعة الرفاق : ليس من خصائص جماعة الرفاق استمراريته إلى فترات زمنية طويلة، فهناك جماعات رفاق تستمر لأشهر معدودة كما أنها لا تتجدد ولا يحتفظ بكيانها بالأعضاء أنفسهم.

وإن كانت هناك حالات معينة تحتفظ بها الشلة Clique بوجودها واستمراريته مثل مجموعة المكفوفين من أبناء حى معين أو أبناء لطبقات عليا في المجتمع التي يكون استمرارها وسيلة لتحقيق بعد نفسى أو اجتماعى.

ج- التجانس العمرى والجنسى : غالبا ما تقوم جماعات الأقران على أفراد من نفس العمر ومن نفس الجنس، فهناك جماعات أفرادها إناث، وأخرى أفرادها ذكور، ونادرا ما تنشأ جماعات تشمل الجنسين معا فى مجتمعاتنا العربية.

د- البساطة والتعقيد : هناك أشكال من جماعات الأقران يمكن تصنيفها على النحو التالى :

(١) جماعة اللعب : وهى أبسط أنواع جماعات الأقران، وتتكون بصورة تلقائية لإشباع الحاجة إلى اللهو أو اللعب والمرح. وتظهر أول ما تظهر بين الأطفال فى الفئة العمرية ٣ - ٤ سنوات. وليس لهذه الجماعة أى قيود أو قواعد مشتركة.

(٢) **جماعة اللعبة** : وهى جماعة تشارك فى لعبة جماعية مع تأكيد على قواعد وأصول وقوانين للعبة يجب الالتزام بها، وفيها يقع الثواب والعقاب بناء على الالتزام. وهنا يبدأ التشكيل الاجتماعى للأدوار والمكانة لكل عضو.

(٣) **الشلة (عصبة) Clique** : وهى مستوى أعلى من التعقيد فى المشاركة الحميمة بين الأفراد، وفيها لا يسمح بدخول أفراد معينين داخلها ويكون هناك اتفاق على استبعاد نوع معين من بينها، وتصل درجة التماسك والعلاقات الحميمة بين أفرادها إلى اتخاذ أنماط سلوكية مشتركة، تصل أحيانا إلى ارتداء نفس النوع أو الشكل من الزى. وتعد جماعة الرفاق عندما تصل إلى هذا المستوى مصدر إشباع عاطفى لأعضائها. والشلة بين أبناء الطبقة الوسطى تبدو أكثر رسمية وتقيدا بعكس الشلة من أبناء الطبقة العليا وأبناء الطبقة الدنيا.

(٤) **العصابة Gang** : وهى أقصى درجة من درجات التعقيد والتنظيم، وإن كان أهم ما يميزها الصراع مع السلطة أو مع عصابات أخرى.

ولدى أفرادها خبرات متراكمة من الصراع، ورموز مشتركة وشعارات وإشارات، وتعتبر نموذجاً اجتماعياً لما يمكن أن يصل به شكل جماعات الأقران نتيجة لظروفهم من قوة ضغط على سلوك أعضائها والانقياد لأوامرها.

(٥) **جماعات تلقائية النشأة ورسمية التكوين** : وهى التى تتكون فى الأندية أو المدارس، وربما تحولت إلى جماعة أقران على شكل الشلة بعد فترة من التفاعل وغالبا ما يشرف عليها الراشدون، وهذا ما يجعل البعض يقول إنها ليست من جماعات الأقران. لأنها تنشأ من أعضاء يتلقون وجهة نظر الراشدين فى الأمور العلاقية لأعضاء هذه الجماعة، وهى ليست مجالا لتفريغ التوتر والشحنات الانفعالية نتيجة مسار الأفراد أثناء عملية التطبيع، وإن كانت تسمح بجزء منها أحيانا.

وإذا كانت الصحبة عموما لها وظائف جوهرية للأطفال، منها أن يجد الطفل من يسايره من الأفراد من نفس سنه، وتنمية الإحساس بالقيم والحساسية نحوها

وتوصل الطفل إلى مستوى مناسب من الاعتماد على النفس بالإضافة إلى المساهمة في تكوين الاتجاهات والأدوار الاجتماعية، إلا أن أثر الصحة في عملية التنشئة أثناء مرحلة الطفولة يظهر في عدد من النقاط

- دخول الطفل في جماعة يعد نوعاً من النشاط الاجتماعي وتكوين الصداقات ومن ثم النمو العاطفي.

- الالتزام بالقواعد خشية الوقوع في النقد.

- الدخول في أدوار اجتماعية مثل الزعامة أو القيادة.

- الشعور بالاستقلالية والاعتماد على النفس والقدرة على اتخاذ قرارات بسيطة.

- الدخول في ممارسات لتجريب بعض أنواع السلوك الجديدة أو المحرم التحدث عنها داخل الأسرة أو المدرسة.

- إتاحة الفرصة لتقليد سلوك الكبار في جو سمح أو مرج.

- إتاحة الفرصة للالتزام وتحمل المسؤولية.

- إشباع أهم حاجات الأطفال غير الأولية وهي : الحاجة للشعور بالمكانة والانتماء.

- إكمال ما ينقص الطفل من معلومات لا توفرها الأسرة أو المدرسة أو تتجنبها (المحرمات الاجتماعية).

- تساعد الطفل في الحصول على استقلال شخصي عن الوالدين أو المدرسين.

- ملاحقة التغيرات والألعاب الجديدة.

- ممارسة أدوار اجتماعية مثل صلح الأقران، أو إثارة الخلاف.

- تنمية الاعتراف بحقوق الآخرين.

٢ - موقع الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة في

جماعة الأقران :

تعمل في جماعات الأقران وسائل أو أساليب للتطبيع أو التنشئة الاجتماعية

نعرضها على النحو التالي

أ- الثواب والعقاب : إن وجود أفراد داخل جماعة الأقران يلزم كلا منهم بأنماط السلوك ، وكل فرد يهمه أن يحظى بانتباه وتقدير ورضى باقى أفرادها ، أو يحصل على رضى المهمين فيها وألا يستمر فى عضويتها وتلفظه الجماعة . وهنا يكون العقاب ، وربما اقتصر على الاستهزاء أو النبذ . ويكون الاحترام لعضو الجماعة بمثابة مكافأة أو إثابة له ، وربما السماح للمشاركة أو الانضمام للأنشطة .

ب- النماذج : داخل جماعة الأقران ، قد يصبح أحد الأعضاء ذا قيمة خاصة تجعل منه مثالا يحتذى ، ويحاول أن يتوحد أو يتقمصه باقى الأعضاء ويكون باقى أعضاء الجماعة أكثر استعدادا لتقبل أفكاره وآرائه .

ج- المشاركة فى اللعب : وهى خاصية أو أسلوب لا يظهر تأثيره بوضوح على التنشئة الاجتماعية مثلما نجده فى جماعة الرفاق ، وإن كان هذا الأسلوب يعد مشتملا على أساليب أخرى مثل أسلوب الشواب والعقاب ، فعن طريق اللعب يعرف الطفل الحدود اللازمة لممارسة اللعبة والقواعد المنظمة لمشاركته أو إخراجه نهائيا . وقبول الطفل لهذه القواعد يحدث تدريجيا ، وهو خبرة لها قيمتها فى تطبيع الطفل ، لأنها تضعه وجها لوجه مع خاصية هامة من خواص المؤسسات الاجتماعية ، وهى الالتزام حتى تستمر عضوية الفرد .

٣ - معالجة آثار الإحباط أثناء التنشئة داخل جماعة الأقران :

هناك أمور محبطة على بعض أعضاء الجماعة ، فعدم الاعتراف بأهميتهم أو أهمية ما يبدون ، ربما يسبب نوعا من الإحباط ، ولا تقوم جماعة الأقران فى أغلب الأحوال لإزالة هذا الشعور ، وبخاصة أن الفرد أصبح عضوا فيها ، وربما وصل الأمر لعلاقات حميمة بين الأعضاء ، ويكون التسامح من العضو فى حد ذاته أو ارتضاء المكانة وسط هذه الجماعة وارتضاء رواد له أو رضى زعيم الجماعة ، بمثابة تخفيف لما أصابه من إحباط . وإن كانت هناك جماعات رفاق تخفف من آثار الإحباط التى بدت على بعض أفرادها من منطلق العاطفة التى تربطهم ومدى الجرح الذى أصاب العضو . كما أن لمساندة الجماعة للعضو مقابل الجماعات

الأخرى، وإفادته بالرأى فى مشكلاته الخاصة والصعوبات التى تقابله أحيانا، والأمور - التى تتطلب منه اتخاذ قرار - تجعله يتسامح فيما أصابه من عقاب أو إحباط من الجماعة نتيجة اختلاف فى الرأى أو عدم التزام بقواعد متفق عليها أو متعارف عليها.

٤ - رؤية الآباء لدور جماعة الأقران فى تنشئة الطفل :

ليس لدى الكثير من الآباء فهم واضح لجماعة الرفاق أو الأقران، وإن كان بعض الآباء يعتمدون عليهم فى تصفية بعض مشكلات الأطفال مع الأسرة وبخاصة الأطفال الكبار والمراهقون، وربما يعتمد عليهم بعض الآباء فى تصفية الخلافات بين الأطفال.

إلا أن المفهوم الشائع لدى الآباء كما يشير إليه Krumboltz وزميله هو قلق الآباء بسبب خضوع أبنائهم لتأثير الرفاق، وبخاصة إذا كانت صورتهم لدى الوالدين أنهم رفقاء سوء أو هم كذلك فعلا، لأنهم يشكلون مصدر خطر كبير على سلوكياتهم. وينصح الآباء بضرورة تعليم أولادهم، أثناء تنشئتهم، أساليب المناقشة والحوار لأية معايير أو قرارات أو التزامات تفرض عليهم دون خوف وبلا تردد أو امتثال تلقائى، ولا غبار على رأى الآباء فهم حريصون على أطفالهم.

يقول رسول الله ﷺ : «إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك : إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما تجد منه رائحة طيبة. ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة». وقال ﷺ : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وقال ﷺ : «لا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، وإياك وقرين السوء».

ولكن يجب أن نعلم أطفالنا صورة الصديق الحسن، ونمهد له بكيفية التعرف على الأصدقاء من منطلق أننا لا ننكر ضرورة تمهيد الأطفال للاستقلالية، أو الانتقال التدريجى من الاعتمادية أو الانتكالية فى نطاق الأسرة إلى الاستقلالية الموجهة فى رحاب جماعة من الرفاق من نفس العمر، مع مراعاة ضرورة الالتزام بمعايير الأسرة.

سادسا : النوادى والساحات الشعبية والجمعيات

تنبئ طريقة تنظيم النوادى وكيفية تسييرها عن الأهداف التى يرمى إليها المنظمون، ومدى عنايتهم، بتكوين إطار تربوى تتوافر فيه شروط معينة. لذلك فإنه كلما تطورت الأهداف تطورت طرق الإعداد والتنفيذ. والغاية التربوية للنوادر والساحات والجمعيات هى تعويد الطفل الطاعة وتوزيع المسئوليات، وإسناد جزء من تربية الطفل إلى الطفل نفسه تحت رعاية شخص أكبر سمح الأخلاق.

وفى الأندية والساحات تجمعات من الأطفال، لكل منها ميل مشترك، فالميل والرغبات لها دور كبير فى تنظيم هذه المؤسسات، لدرجة أن هناك نوادر تقوم على نشاط مميز لها ينبع من ميل المشتركين.

وتؤدى الملاعب عند توافرها وتجهيزها تأثيرا فى وجدان الطفل نحو مجال من أهم المجالات المشروعة الأداء والممارسة وهو اللعب. فاحتفالات المجتمع أو بعض شرائحه بمظاهر اللعب المتجلية فى تشجيع الرياضة المنظمة (كرة القدم - السباحة - ...) يشتت أنواعها يجعل الراشدين والأطفال ينظرون إلى أبطال هذه الرياضات نظرة الإكبار والإقدام فيبدون نماذج تحتذى فى هذا المجال، ليس على مستوى ممارسة اللعبة وإتقانها وممارسة سلوك اللاعب بل على مستويات أدنى مثل ارتداء نفس لون ملابس اللعب أو نفس رقم اللاعب المحبب.

إن الملاعب والساحات الرياضية والنوادر تُرغب الأطفال وحتى الكبار إلى ممارسة الرياضة، وفضلا عن أن هذا فيه استفادة مشروعة من أوقات الفراغ وشغل لها، فهى تنمى الأجسام وتحافظ على البنية، بل تكون واحدة من مجالات الترويح.

إن نظرة بسيطة إلى المباريات الرياضية الأسبوعية، وما يحيط بملاعبها أو الأجهزة الإعلامية الناقلة لها لتدل على قوة الشحنة العاطفية التى يحملها الأطفال بين جوانحهم وما يمكن أن ينعكس على قبولهم للصفات الخلقية لممارس الرياضة من تحمل وثقة بالنفس وتعاون.

وهناك أندية متعددة النشاط، لتحقيق رغبات المشاركين. فى جو ممتلئ بالآلفة، يجد فيه كل عضو ما يشبع رغباته من اطلاع ولعب وندوات وأنشطة

خدمة بيئة وغيرها كما أن هذه المؤسسات تستثمر اهتمامات الأطفال الثقافية والعملية، وتنمي تذوقهم للفنون والآداب والرياضة

والهدف من ذلك تنشئة الأطفال وتنمية حصيلتهم العامة وإكسابهم للمهارات عن طريق الممارسة، بالإضافة إلى تنمية الإحساس بالتذوق الفني والتشكيلي والغنائى من خلال مناشط يقيمها الأطفال بأنفسهم وجهودهم الذاتية. والنوادر والساحات الناجحة هي التي تزود الأطفال بما لا تزودهم به المدرسة، أو تضيف على ما يمكن أن تزودهم به المدرسة.

ولذلك فدور هذه المؤسسات هو تحقيق نوع من التعلم الذاتي عبر استخدام المؤلفات والآلات التعليمية والمبتكرات الحديثة بالإضافة إلى الأنشطة الرياضية التي تنمي المهارات المختلفة في القفز والجري... وكذا التدريب على أنشطة تنمي المهارات اليدوية مثل الحياكة والحفر.

ولن تكون هذه الأداءات في الأندية والساحات والجمعيات دون تفاعل اجتماعي بين الأعضاء من أطفال أو مدربين ورواد.

ويكون المبدأ الأساسي هو احترام شخصية الطفل واستقلاليته أثناء الأداء داخل هذه المؤسسات مما يشعره وينمي فيه القدرة على العطاء ودافع الإنجاز والروح الرياضية، والابتعاد عن الأنانية وتقبل وجهة نظر الغير فيما يؤديه، وكلها من قبيل التنشئة الاجتماعية.

إن معرفة الفرد بأن هناك متميزين في أداء مهام معينة وغير متميزين وإنه يمكن أن يأخذ موضع الريادة في مجال لا يتمكن منه زميل آخر. ويستطيع أن يبدى الرأي في أمور، كما يسمع الرأي الآخر. كل ذلك يجعله قادرا على تقدير ذاته وسط عمل جماعي مما يسهم عموما في نموه الاجتماعي.

ويبقى الشيء الهام الجوهري وهو شعور الطفل بأنه عضو في مؤسسة من هذا النوع فيدعم ذلك شعوره بالانتماء.

١ - الأساليب المقصودة وغير المقصودة للتنشئة الاجتماعية فى الأندية والساحات والجمعيات : ومن هذه الأساليب :

أ- ممارسة الأنشطة : هناك كثير من النوادى لها مناشط محددة، ولها برامج موجهة، وتهدف من ممارسة الأطفال لهذه المناشط تنمية الاستقلالية والتعاون وغيرها. وإعطاء فرص لتفوق الأطفال فى مجالات ثقافية ورياضية واجتماعية، مما يعزز ثقتهم بأنفسهم ويجعلهم نماذج لغيرهم من الأطفال.

ب- تقديم نماذج للسلوك : ربما اهتمت بعض النوادى أو الجمعيات بالحديث عن نماذج فى صورة أشخاص لهم أداءات متميزة كالمتفوقين فى مجالات الرياضة ومجال الثقافة العامة وغيرها، وإن كان الهدف تعريف الأطفال بهذه النماذج إلا أن مجرد التعريف فيه الكثير من الترغيب.

والنموذج المقدم هنا لا يشترط أنه يكون من بين الأطفال عموماً أو أطفال النادى أنفسهم، فربما كان النموذج شخصاً لا نتحدث عنه فى ندوة أو اجتماع ولكنه شخص يمارس عمله باحترام واقتدار على خلق حميد داخل هذه المؤسسات، وربما كان رائداً من رواد الأندية أو رئيساً للنادى، وهنا يصبح ذلك الرجل أو ذلك الشاب مثلاً يحتذى يدركه الأطفال ويعيشونه.

٢ - الرائد فى النادى، والمشرف فى الجمعية ودورها فى التنشئة الاجتماعية للأطفال:

لرائد بالنادى عدد من الأدوار، فهو ينظم العمل، ويدير البرنامج المعمول به فى النادى أو يشارك فى إدارته ويحافظ على انسجام هذا البرنامج ورغبات المترددين، كما أنه يتابع أماكن وأدوات النشاط والقائمين عليها، فضلاً عن أنه يكون علاقات مع المشاركين من الأطفال فهو يكون علاقات مع أولياء أمورهم فى ضوء من المعايير والقيم، وهذا ما نلاحظه على المشرفين على الجمعيات أيضاً.

إن ذلك يجعل عمل الرائد والمشرف أكثر فعالية وبصماته أكثر وضوحاً، وتعد النوادى الناجحة دليلاً على وجود رواد ومشرفين ناجحين.

والطفل يدرك ذلك بصورة غير مباشرة، فلا يبدو الرائد أو المشرف أمامه كمنفذ سياسة بل كنموذج للسلوك، فيحب الطفل انتماءه لهذا المكان وترداد

فعاليته الاجتماعية مع الكبار داخل النادي ومع أقرانه، وهنا يكون الاحترام المتبادل القائم على قيم ومعايير يرتضيها الجميع - الأهل - المشرفون - الأطفال أنفسهم. إنها معايير المجتمع ككل

سابعاً : دور العبادة

تقوم دور العبادة بدور هام وفعال في حياة الناس، بتأكيد القيم الخلقية، وعبادة الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

ودور العبادة تقوم بتنقية فكر البشر، وتطهير قلوبهم وتصحيح نفوسهم، وإيقاظ ضمائرهم، وضبط سلوكياتهم وتصرفاتهم.

إن دور المساجد مثلاً لا يتجلى فقط في ربط المسلم بربه، وإعلان توبته، وتوجيه شكره لله، بل وربط الفرد المسلم وإدراكه لقيمه والمحافظة عليه.

ودور العبادة عموماً تعلم الفرد التعاليم الدينية، ومعايير السلوك، وتنمي ضمير الإنسان وتضع أسس التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾ ويفسر الإمام الباقر هذه الآية : «قولوا للناس أحسن ما يحبون أن يقال لكم». وكان جعفر عليه السلام يقول «عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتجهم بعضهم على بعض».

وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل فى ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان فى ذلك».

وتوجه دور العبادة أساليبها إلى الكبار والصغار. وتحت الأديان على تنشئة الأطفال تنشئة دينية واصطحابهم مع الكبار إلى دور العبادة.

ودور العبادة تعد مظهراً من مظاهر البيئة الاجتماعية. إن دور العبادة كما عرفت فى كثير من المجتمعات القديمة والمعاصرة، لا يقف تأثيرها عند كونها مكاناً لممارسة الشعائر الدينية، بل إنها كمؤسسات مارست تأثيرها فى أعمق مظاهر الحياة

الاجتماعية، فما زال من القادة فى بعض الدول من يتولون السلطة فى بلادهم فى هذه الدور وبتأييد من القائمين عليها، وتعقد عقود الزواج أيضا داخل هذه الدور أحيانا.



ويرتبط بمفهوم دور العبادة ما يسمى بالأضرحة المقدسة وأولياء الله الصالحين، وهذه ذات آثار قوية فى بيئتنا العربية، وخاصة ما يشيع حولها من ضروب الشعوذة والخوارق والمعجزات، والتي تتضارب مع أسس وقواعد الدين الإسلامى. وهذا يعد أمرا غاية فى الأهمية من حيث تأثيره على أذهان البعض، ودخوله إلى وجدانهم.

والطفل الذى يعيش فى بيئة يشيع فيها تأثير الأضرحة وأولياء الله الصالحين سواء الصحيح منها أو غير الصحيح، وما يقترن بها من أنواع الممارسات وأحيانا بعض الغرائب التى تقام أمام أنظار الأطفال، تدخل فى أعماق الطفل وتشد ذهنه

وتهز وجدانه، فتحدد له بعض تصوراته عن ظواهر هذا العالم، وكيفية التعامل مع بعض المشكلات والعقبات التي يمكن أن تقابله مستقبلاً. لقد رأى الكثير من الكبار يلجئون إلى ذلك الأسلوب.

إن التصورات التي تملأ ذهن الطفل إزاء قبور بعض أولياء الله، وعواطف الاحترام التي تولدت داخله إزاءها، تحدد نوعية التعامل مع بعض موضوعات العالم المحيطة، وسوف نسري في نموذج تنشئة الطفل من قرية فرنسية ما يشير إلى ذلك في فصل قادم.

أساليب دور العبادة في تنشئة الأطفال :

تتخذ دور العبادة عدداً من الأساليب لتنشئة الأطفال :

أ- تحديد وتوضيح مسئولية الوالدين في تربية الطفل :

إن مسئولية الآباء لا تنحصر في إدارة الحياة المعيشية المادية للأطفال بل إن عليهم أن يقوموا بتربيتهم تربية إيمانية صالحة.

إن تأديب الأطفال وتربيتهم أهم في نظر الإسلام من الاهتمام باحتياجاتهم الجسدية، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «ما نحل والدٌ ولداً نحلاً أفضل من أدب حسن».

وتقوم دور العبادة بتوجيه نظر الآباء إلى رعاية الأطفال وتنشئتهم، قال تعالى: ﴿... حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾، وقال تعالى: ﴿فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾.

ب- التهيب والترغيب : تقدم في دور العبادة ما يصلح الناس عموماً في الدنيا والآخرة، فترغب في عمله وممارسته، وتنهى عن الأشياء التي تجعل الناس على قرب من العذاب والنار في الآخرة وسوء العيش في الدنيا. وسماع الأطفال لبعض من هذه القواعد ومشاهدتهم التزام الكبار بأداء الفرائض يعد ترغيباً لهم في الإقبال على ممارسة أو تقليد النماذج السلوكية الحسنة والطيبة، وتهيب لمن يقبل على أفعال لا يقبلها الله مثل : السرقة والكذب والغش، وكلها أمور يعد تجنبها من قبيل التنشئة الحسنة للأطفال.

جـ- مخاطبة العقل بأمثلة ونماذج : تقدم دور العبادة أمثالا حية ونماذج للسلوك من التراث أو من الواقع ، وشعور الطفل أثناء وجوده بالخضوع لله سبحانه وأداء الصلوات من قبل الكبار شعور لا يمكن إحدائه عبر أساليب أخرى كالكتب أو النصائح بعيدا عن دور العبادة . فالخشية التي يشاهدها في عيون الكبار ومنهم أبواه مثلاً ، والتضرع إلى الله سبحانه كما يتابعها في رفع أيدي الناس شكراً وطلباً للرحمة والمغفرة والصحة والعافية وسعة الرزق ، وسماعه للأدعية المختلفة . كلها أمثال حية على طريق التطبيع الاجتماعي للأطفال فينشأ الطفل على التقوى والبر (حسن الخلق) ، وقول الصدق والشفقة واحترام الكبير نتيجة غرس القيم الذي تم بأسلوب مزجت فيه بفكرة التدريس حدود الدين وطريق الحياة .

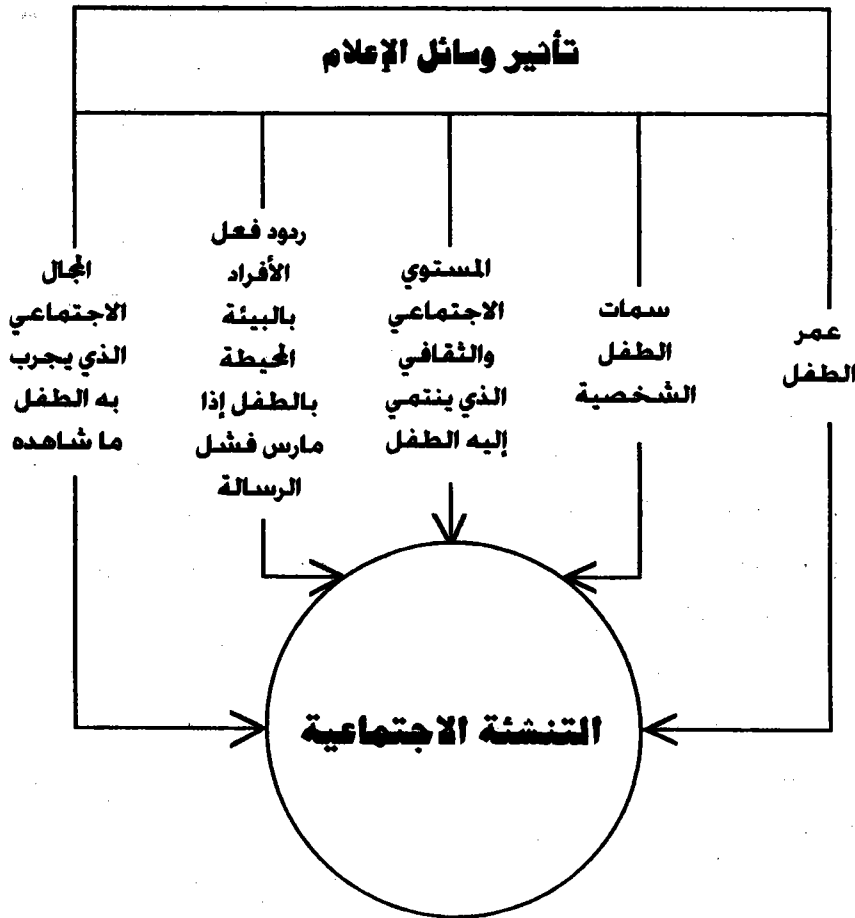
ثامنا :وسائل الإعلام

تعددت وسائل الإعلام التي أصبحت تشد الطفل من مجلات وكتب هزلية Comics وتلفزيون وسينما ومسرح . . . ووسائل الإعلام تحدث تأثيرها بما تنطوي عليه من إحاطة الأطفال بموضوعات . وإغراء الأطفال واستمالتهم ليسلكوا بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للترفيه والترويح وهو هدف يأتي في المقدمة .

والاستفادة من وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للطفل ليست حديثة ، فالحواديت والقصص والملاحم الشعبية ، كانت تستعمل قصدا وبغير قصد في إكساب الطفل كثيرا من عادات المجتمع وتقاليده . إلى أن أصبح الآن للطفل مساحة من صفحة أو أكثر في جريدة يومية أو مجلة خاصة به أو برنامج إذاعي موجه يقصد له ، ووسائل الإعلام عموما لها خصائص تنسحب على مجال الأطفال ، فعبرها لا يحدث تلاق بين القائم على الوسيلة والطفل مثلما نرى في الأسرة والمدرسة والنادي ، كما أنها تعكس جوانب من الثقافة العامة للمجتمعات الأخرى التي لا يعيش فيها الطفل مثل مجتمع البادية ومجتمع الريف والمجتمعات الأخرى الأوروبية والأمريكية . وترداد أهمية وسائل الإعلام بالنسبة للأطفال والكبار في مجتمعاتنا الحديثة ، كما تزداد جاذبيتها ، بحيث أصبحت تحتل من الوقت اليومي لهؤلاء الكثير .

ورغم أن وسائل الإعلام لها أسلوب وطريقة في العرض، إلا أنه لا يجب أن ننظر إليها في معزل عن بقية وكالات التطبيع الاجتماعي مثل الأسرة والمدرسة و... كما لا يجب أن ننظر إليها في معزل عن العوامل الشخصية لمتلقي الرسالة الإعلامية.

وإن كان تأثير وسائل الإعلام عموماً على تنشئة الأطفال يتأثر بعدد من العوامل منها أيضاً المرحلة العمرية لمتلقي الرسالة الإعلامية، وحاجات الأطفال، والمستوى الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليه الطفل، وردود فعل الآخرين عند ممارسة الطفل لما تعرض وسائل الإعلام (من أسرة وأقران وجيران...) ومدى توفير البيئة الاجتماعية التي يجرب فيها الطفل ما عرض من شخصيات ونماذج عبر وسائل الإعلام.



وإذا كانت الغالبية ترى أن وسائل الإعلام تقدم للأطفال تثقيفاً، على اعتبار أن الثقافة طريقة حياة. فإن تثقيف الطفل من شأنه أن يجعله يعيش حياته بطريقة أكثر فعالية، ولن يقبل المفهوم الذى يتندر به القلة قائلين إن الثقافة إحدى الكماليات التى لا تتوافر إلا لذوى القدرة على الحصول عليها والاستمتاع بها من أبناء طبقة الصفوة فى المجتمع. إن تثقيف الطفل ضرورة حيوية من ضروريات الحياة التى يتحتم تزويد جميع الأطفال بها، بغض النظر عما بينهم من فوارق طبقية. ويبقى السؤال: كيف يتم ذلك وبأى طريقة يمكن التقديم، وما شروط المقدم للرسائل اللازمة لهذا التثقيف؟.

ويميل الكثيرون إلى إرجاع ما يلاحظونه من تباينات وانحرافات فى سلوك الطفل إلى واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام. والواقع أنه لا يجب النظر إلى الأمر بهذه البساطة فإنه إذا كان تقليد الأطفال للرسائل المقدمة وارداً فإن تغيير أنماط السلوك السوية والقيم الأخلاقية الموجودة من السواء إلى الانحراف ليس بالأمر السهل. ويجب الحذر عند تحدثنا عن علاقة سببية بين التعرض لرسائل إعلامية معينة وانحراف سلوك الأطفال. إن الجريمة والعنف فى وسائل الإعلام لا يحتمل أن تكون هى المحرك الأول والوحيد للنجاح، بل إنه يجب أن تتوافق هذه الرسائل الإعلامية مع ميول واستعدادات وظروف الطفل الاجتماعية والثقافية.

إن الوسط الاجتماعى الثقافى الذى يعيش فيه الطفل وردود فعل المحيطين به من أفراد الأسرة، وجماعة الأنداد أو... ليست بمعزل عن اقتراح الأطفال لانحرافات متفاعلة مع ما يقدم بالرسالة الإعلامية ومستوى توافق هؤلاء الأطفال.

ولكن المشكلة الأكثر جوهرية هى نوع ما يقدم ومصدره، ومدى اتفاهه مع قيم وتقاليد المجتمع الذى يعيش فيه هؤلاء الأطفال.

على اعتبار أن الثقافة هى الإمتاع العقلى والوجدانى لابتكار الفن والمعرفة، ولما كانت الثقافة غذاء وجدانياً واجتماعياً فكرياً محبباً يسعى إليه الإنسان سعياً ولا يتلقاه فرضاً أو عنفاً أو تلقائياً، ولا يساق إليها طوعاً أو كرهاً، وبما أن الثقافة بنت البيئة، ولها مذاقها الخاص فى كل بيئة من البيئات، إذن هى إن تجردت من بيئتها فقدت طعمها ورائحتها.

إن ما يصلح لمجتمع معين من أهداف توجه عملية التشقيف، قد لا يناسب مجتمعا آخر، بل إن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها مجتمع في مرحلة معينة من مراحل حياته قد لا تصبح صالحة لنفس هذا المجتمع في مرحلة أخرى نتيجة لما ينتابه من تغير على مر العصور، ويستدعى التخلص من بعضها أو تعديلها في البعض الآخر أو استحداث أهداف جديدة تتناسب مع طبيعة وسمات مرحلة تاريخية معينة في حياة المجتمع، فأهداف أى مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بتدرج السلم القيمي فيه، وكلما حدث تغير في هذا السلم القيمي نتيجة للتغير الاجتماعي، كان من الضروري أن يحدث تغير في أهدافه يتناسب مع هذا التغير القيمي، معنى هذا أن الأهداف لا تمثل شيئا ثابتا جامدا لا يتغير، بل يجب أن تكون المرونة من أهم سماتها لكي تصبح مناسبة، ليس فقط لمجتمعنا المتغير، بل ولاتجاهات تيارات التغير في المجتمع العالمى الذى يعتبر عالمنا جزءاً منه يؤثر فيه ويتأثر به فى عملية تفاعلية متبادلة لا يتوقف تأثيرها ما دام احتكاكنا واتصالنا مستمرا بالعالم الكبير الذى نعيش فى جزء منه، ولكن لن يكون ذلك على حساب النواحي العامة والخطيرة فى مجتمعنا الأصيل.

والآن يتعرض الطفل لثقافات متباينة وافرة وعامرة تناقض ثقافة مجتمعه وتراث بيئته الأصلية الذى يجب أن نحافظ عليه باستمرار، ففيه من العراقة والمجد ما يفتخر به كل عربى، وقد لا ينسحب هذا القول على القليل مما يتعرض له الطفل من ثقافة، ويكمن الهدف أولا وأخيرا من وراء ما يتعرض له الطفل فى إعداد أجيال صالحة لخدمة الوطن، ويلح السؤال: لمن ساعد هذه الأجيال ولماذا؟ إنها تعد لخدمة أرض عربية إسلامية تتميز بثقافة متميزة وتراث أصيل يطلب من أجياله المقبلة المحافظة عليها فى مرونة وعناية، وكيف يكون ذلك إلا من شخص نبت وترعرع وتشبع وأصبح يملأ أعماقه بثقافة ذلك الوطن الذى ينتمى إليه.

إن لم تنبع ثقافة الطفل من أرضه وبيئته التى ينتمى إليها فإن ذلك يعد مساهمة على الانسلاخ من هذه البيئة والتناقض معها فى فترة ما.

وإذا كانت هناك ثقافة ما أعدت لشعب ما قصد أطفال هذا المجتمع وذلك الشعب ثم مرأهقيه ثم شبابه، وها نحن الآن نستعين بثقافات متباينة من أجل

أطفالنا العرب فهل سوف نتمم المسيرة ونستعين بثقافة غير عربية للمراهق ومثلها بعد ذلك حينما يصبح هؤلاء شباباً؟ إن الإجابة بنعم أو لا على مثل هذا التساؤل فيها كثير من الخطورة، فإذا قلنا : نعم . فمعنى ذلك أننا نبني أجيالاً لأى بيئة وأى أمة، وإذا قلنا : لا، فماذا سوف نقدم للطفل الذى يتعرض لهذه الثقافات المتباينة الآن حينما يصبح مراقباً وحين يدنو من الشباب، فإن كان لا شىء سوف نقدمه فهذا خطير، وإن كان ثقافة من نوع مختلف وإطار للسابق غير مؤتلف، فإننا سوف نكون السبب فى إحداث فجوة وتكوين هوة بين ما ترعرع عليه ذلك الإنسان فى طفولته وما يتطلبه الآن فى مراهقته، وأخيراً سوف يكون القول أين ولد؟ وفى أى بيئة سوف يستقر ولأى مجتمع سوف يضحى ويخدم وينمى؟ إنها بيئة وطنه العربى الإسلامى العريق .

وإذا كانت هناك من الثقافات التى تثبت من القيم المستوردة والأفكار القادمة من الخارج، فإنها بلا شك سوف تحتاج إلى تطبيق . . وفى أى مجتمع سوف يطبق . . . ومن هنا سوف تكون العاقبة .

إن نقل نماذج الغرب بجانب الصواب، فالغرب له وجهه الجميل ولكن له أيضاً وجهه اللاجميل .

إن من أعماق كل مجتمع يمكن أن تشتق ثقافة مرنة لأطفاله تنبع من أصالة وعراقة تراثه يشاركها فى ذلك تراث وثقافة مجتمعات قريبة الشبه وتشارك معها فى خلفياتها الثقافية أو جذورها التاريخية، مثل هذه المجتمعات القريبة الشبه والمشاركة الخلفية والتاريخ سوف تتقارب أهدافها فى بناء أجيال المستقبل المتميزين الواعين بأصولهم، ومن ثم نكون فى ذلك على الطريق المأمون .

إن هذا لا يقلل من الجهود الكبيرة التى تبذل وبذلت فى خدمة ثقافة الطفل العربى والتى تظهر واضحة جلية معلنة عن نفسها .

وعلى أى حال فإن وسائل الإعلام للطفل تتمثل فى :

١ - **التلفزيون** : بدأ عمل التلفزيون فى مصر عام ١٩٦٠م وقد تضمنت برامجه منذ البداية جانباً خاصاً بالأطفال .

ويعتبر التلفزيون جهازاً يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية، مما يزيد قوة التأثير لاستغلاله حاستين من حواس الأطفال . ورغم أن الوسائل التعليمية

تتنوع بين سمعية وبصرية، إلا أنه من المعروف أن الوسيلة الإيضاحية التى تعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل، يكون أثرها التعليمى أكثر جدوى وأكثر عمقا ودواما من الوسيلة التى تعتمد على حاسة واحدة فقط. فالصورة تزيد من مدى وضوح الكلمة ومدى فهم معناها، كما أن الكلمة توضح ما تتضمنه الصورة من أفكار ومعان، مما يساعد فى النهاية على سهولة استيعاب الرسالة الموجهة للطفل. فهو يتفوق على وسيلة الكلمة المكتوبة أو المطبوعة التى تحتاج إلى إعادة تكوينها فى صورة ذهنية قد تشوه أو قد تقصر عن التعبير عن الخبرة المباشرة التى تصفها.

لقد أصبح التلفزيون هو المسيطر الأول على ميدان الاتصال بالأطفال بين وسائل الإعلام، فقد توصل السيد خيرى وآخرون فى دراسة عن التلفزيون والصغار إلى أن الأسرة قل لديها الاستماع إلى الراديو بنسبة ٧١٪، وقل لديها الذهاب إلى السينما بنسبة ٥٧٪، وقل لديها الذهاب للنادى بنسبة ٦٨٪ تقريبا.

إن المادة المعروضة عبر التلفزيون تمثل أقرب بديل للخبرة الحقيقية وبخاصة الملون منها، فالطفل الذى لم يشاهد قبيلة من قبائل الإسكيمو أو من قبائل البدو أو... يمكنه أن يحصل على بديل لهذه الخبرة على شاشة التلفزيون بشكل لا يختلف كثيرا عن موطن الخبرة الأصلية.

وتشير الإحصاءات إلى أن أطفال المدرسة الابتدائية وما قبل المدرسة يشاهدون التلفزيون أكثر من مشاهدة التلاميذ بالمرحلة الإعدادية له، ويقل عدد ساعات المشاهدة يوميا عن ساعة.

إن للتلفزيون قدرة على تحويل المجردات إلى محسوسات، مما يساعد على سهولة فهم الرسالة المقدمة. ويعتبر ذلك مهما جدا لطفل المدرسة الابتدائية، لعدم اكتمال قدرته على فهم المعانى والمدركات الكلية.

إن مشاهدة الطفل للتلفزيون تحدث طواعية، وأن انتباهه إلى برامج يكون محاطا بتركيز أكثر من انتباهه إلى دروس المدرسة، مما جعل البعض يذهب إلى أن الطفل يتعلم عن طريق التلفزيون قدرا من الخصائص والمعلومات والقيم والاتجاهات أكثر من كل ما يتعلمه أو يكتسبه من المدرسة والكتب المدرسية.

وإذا كان لكل وسيلة جمهور خاص، وإذا كان المشقون يفضلون بصفة عامة المطبوعات كوسيلة للحصول على المعلومات بالإضافة إلى المذياع والتلفزيون فإن الأطفال يفضلون الصورة والحركة والأحاديث . . وهذا ما يقدمه التلفزيون.

إن القدرة الفائقة التي يستطيع التلفزيون بها أن يعرض غرائب الموضوعات تنمى خيال الطفل وإدراكه. كما أن الاعتماد على الصوت والصورة يقوى القدرة التذكرية واسترجاع الأفكار والمشاهد، وهذا ما يجعله وسيلة تعليمية مساعدة فى نطاق استغلالها تربوياً، وهذا من شأنه أن ينمى عواطف إيجابية فى الأطفال نحو البحث والاستطلاع والسعى وراء اكتشاف الغموض.

وهذا لا ينفى وجود مظاهر سلبية لمشاهدة التلفزيون، نجد منها على الأطفال ما يثار فيهم من انفعالات من قبيل الخوف والكره، نتيجة مشاهدة بعض المشاهد للأفلام. إن ملاحظة ما يظهر على ملامح الأطفال من تغيرات تدل على مشاركة وجدانية قوية، كما أن التقنية البارعة للمشاهد التلفزيونية تجعل الطفل يستمر لفترة طويلة بعد المشاهدة تحت تأثير هذه الانفعالات.

ومن السلبيات أيضاً إحساس الطفل بالتناقض العاطفى بين الواقع وما يشاهده على شاشة التلفزيون، ففي الأفلام المستوردة وحتى فى بعض الأفلام العربية يعيش الطفل العربى هذا التناقض بين بيئة المحافظة التى يعيشها والبيئة الثقافية التى يشاهدها على الشاشة ومنها الزى أو الملابس الخليعة والمناظر الخليعة، فيقع الطفل فى صراع بين قولنا له «عيب» أو «حرام» وبين صورة البطل الذى يراه ويشاهده على الشاشة الصغيرة وربما نشاهده معه فى نفس اللحظة. مما يعرض قيمه الأخلاقية والدينية لبعض من الذبذبة وعدم المعقولة.

وفى قرب العاشرة من العمر خاصة، وهى ما تعرف برحلة التشكك عند الطفل فيما يدور حوله من أفكار الكبار وتوجيهاتهم بدافع نمو قدرته على النقد، تصبح الذبذبة فى القيم الأخلاقية الدينية صعبة. وعندما يطغى حب بطل الشاشة يكون الطفل مهياً بطبعه لتقليده، وهنا يكون التلفزيون عارضاً لنماذج يمكن أن يتقمصها الطفل، وذلك تحت شروط سبق أن تعرضنا لها. وهذا ينعكس على

ألعاب الأطفال العدوانية، ويبلغ أقصاه عندما يصل الأمر بالطفل إلى الانتماء إلى جماعات رفاق من سبيل العصابة.

ونتيجة طول المدة التي يقضيها بعض الأطفال أمام التلفزيون والتي تصل أحيانا إلى أكثر من ٣ ساعات يوميا، وانعدام رقابة الآباء، يشعر الطفل بالكسل، وهكذا يفقد جانبا كبيرا من طاقته المتدفقة، ويفقد كذلك بالتالى جزءا من طاقته لمراجعة دروسه بالإضافة إلى إجهاد البصر والأعصاب.

ويكون مردود ذلك بالطبع سيئا على الانتباه والاهتمام ويتولد لديه شعور بالنفور أحيانا من الأعمال والواجبات المدرسية باعتبارها معارضة للمتعة والراحة. وهذا ما يجعل البعض يرى التلفزيون أداة أو سيلة «إدمان كهربائية» تشغل الطفل عن القيام بأعمال مفيدة كالقراءة والمحادثة فضلا عن تعليمه العدوان والعنف، كما أن للتلفزيون دورا فى ترويج الأفكار الشائعة أو الآراء المقولبة Stereotype أو الصور الشائعة، ورغم كل ذلك فإنه لا نكران لكون التلفزيون ينمى السلوك الإيجابى من التعاطف مع الغير، وقد أثبتت الدراسات أن تعريض الطفل لهذه البرامج يؤدى إلى تنمية روح التعاون والمشاركة عند الأطفال. على الرغم من أن البرامج التلفزيونية التى تحتوى على أدوار عدوانية وأدوار خيرة معا، غالبا ما ينجذب الأطفال إلى الدور العدوانى ويفقدون الرسالة الأخرى الخيرة. كما اتضح أن الآباء الذين يعاملون أبناءهم معاملة تتسم بالدفء والمحبة Reasoning غالبا ما نجد أبناءهم ينتفعون كثيرا من البرامج التى تحت على التعاطف.

والكثيرون يرون أن التلفزيون إذا كان ينقص من الوقت الذى يقضيه الأطفال فى أعمال نافعة مثل القراءة ومشاركة الغير، فإنه يمكن الأطفال من تعلم مهارات متعددة أخرى، ولكن على أن يكون الآباء على وعى واهتمام بأطفالهم.

وبين الإيجابيات والسلبيات لمشاهدة الأطفال للتلفزيون تجد بعض النظريات فى مجال علم النفس لها مكانا.

فنظرية التحليل النفسى لـ Freud ترى أن مشاهدة الأطفال لأفلام العنف وسيلة مفيدة للتغلب عن الذات والتخلص من العدوانية. أما نظرية التعلم

الاجتماعى لـ Bandura فتشير إلى أن الإجرام والعنف فى التلفزيون قد يشجع على العدوان عن طريق التقليد. إلا أن الدراسات الطولية أفادت بأن الأطفال الذين كانوا يميلون إلى مشاهدة أفلام العنف فى عمر ٨ سنوات قيموا من قبل زملائهم فى عمر ١٩ سنة أنهم عدوانيون، وعندما أصبح عمرهم ٣٠ سنة ارتكب عدد منهم بعض الأعمال الإجرامية. وتنتهى هذه الدراسات بأن هناك علاقة بين مشاهدة أفلام العنف والعدوان فى واقع الحياة، ولا تشير إلى أن العنف الذى شاهده الطفل فى التلفزيون كان السبب فى ارتكابه أفعالا إجرامية ولا يجب أن ننسى احتمالية إقبال الأطفال العدوانيين بطبيعتهم على مشاهدة أفلام العنف. وإن جناح الأحداث كان شائعا حتى قبل مجيء التلفزيون.

ولا يفوتنا القول بأن من آثار مشاهدة أفلام العنف وبرامج الجريمة على شاشة التلفزيون فقدان الأطفال الحساسية ضد الإجرام أو يحجز العاطفة أو الفؤاد Desensitize فتجعل الطفل يتقبل السلوك العدوانى ولا يحس أنه شئ غريب، بالإضافة إلى إعطائه فكرة عن أن المجتمع مليء بالإجرام والعنف، كما أن علاقة الآباء بالأبناء التى تتسم بالتزاع والسلبية بالإضافة لوجود مشاكل أسرية بين الزوجين ترتبط بكمية ونوعية مشاهدة الأطفال للتلفزيون.

٢ - الإذاعة : على الرغم من تميز عصرنا بالتزايد المستمر فى اعتماد الناس على المادة المذاعة بهدف الثقافة والترفيه، إلا أن الإذاعة لم تغلغل إلى عالم الطفل كما فعل التلفزيون.

والإذاعة لا تجد لها مكانا إلا عند أطفال القرى والبدو البعيدة عن الكهرباء وخلاف ذلك يأتى التليفزيون فى مقدمة وسائل الإعلام المهمة فى تلبية حاجات الأطفال ودعم قيمهم واتجاهاتهم. وبالرغم من ذلك إلا أن الإذاعة تدع خيال الطفل ينساب لتصور المشاهد والأحداث بعكس التلفزيون الذى يصور الأحداث فلا تدع خيال الطفل يعمل.

إن الاستماع للمذيع لا يبدأ عند الكثير من الأطفال إلا بعد السادسة من العمر، ومنذ ذلك الحين يصبح المذيع محببا للطفل بشكل متزايد، ويشعره بالاستقلالية فى الاستماع وخاصة إذا كان يمتلك جهازا لنفسه نظرا لانخفاض ثمن بعض الأجهزة بشدة مقارنة بالتلفزيون غالى الثمن.

٣ - السينما وأفلام الفيديو : للسينما دور مفيد فى عملية التنشئة

الاجتماعية للأطفال، فهى تخاطب مثلها مثل التلفزيون حاستين للطفل، وإن كانت تتميز عليه بشعور جديد وهو الإحساس بالخصوصية حينما يجد الطفل مكانا له مخصصا أو مقعدا مخصصا له داخل دار العرض، وكذا الإحساس بالخصوصية إذا أحضر له أحد الوالدين واحدا من أفلام الفيديو أو قام هو باختياره أو شرائه. إنها بدايات لدعم الاستقلالية عند الأطفال.

وفى معظم الحالات يولع الأطفال بالسينما وشاشتها الكبيرة، وهذا الجمهور الغفير الذى حضر للمشاهدة، إن لها متعة خاصة يشعر بها الأطفال وخاصة الذين عودوا على مشاهدة الشاشة الصغيرة (التلفزيون).

وفى سن الخامسة يكون ندرة من الأطفال قد شاهدوا فيلما خاصا بالأطفال على شاشة سينما نظرا لشيوع التلفزيون وانشغال الآباء، ولكن بعض الأطفال فى هذا العمر من الطبقة الاقتصادية المتوسطة والمرتفعة يكونون قد شاهدوا فيلما بالفيديو للصغار.

أما فى الثامنة وما بعدها فرمما طلب الكثير منهم الذهاب إلى السينما مرافقين لأحد الراشدين أو شراء واحد من أفلام الفيديو المخصص للأطفال. ويفضل أغلب الأطفال أفلام الكرتون التى تسبق العرض السينمائى، إلا إذا كانت السينما خصصت ساعات العرض كلها للأطفال، عندها يفضل الأطفال أفلام الحيوانات وأفلام الطيور الراقصة والغنائية، فغالبية الأطفال يكرهون القصص الغرامية.

وحينما يصل الأطفال العاشرة من العمر فإنهم يفضلون أفلام الحركة والحرب، إذا كانوا ذكورا، ويفضل الإناث أفلام الغناء والموسيقا، وكل من الذكور والإناث يفضلون أفلام المغامرات إلا أنهم ما زالوا يكرهون الأفلام الغرامية.

وحينما يصل الأطفال إلى الحادية عشرة والثانية عشرة يتحمسون لبعض الأفلام لدرجة أنهم يطلبون مشاهدتها أكثر من مرة.

ومعظم الأطفال يتقبلون عدم سماح الوالدين لهم برؤية بعض الأفلام أو بالتردد على دور السينما.

وتشجع المشاهد السينمائية مثل التلفزيون والفيديو على تعزيز المفاهيم وامتصاص القيم وتعزيز الاتجاهات، كما أنها تنمى لدى الأطفال المشاركة الوجدانية.

٤ - **المسرح والسيرك** : يمثل المسرح بجوه ومقاعده مكانا غريبا وعجيبا بالنسبة للأطفال، وتصبح الصورة التي كان يشاهدها فى التلفزيون أو فى السينما أو فى الفيديو مجسمة بأناس يراهم يتحركون على مقربة منه . والطفل ما زال جالسا على مقعد متمتعا بالخصوصية والاستقلالية ومشاركاً جمعا كبيرا من الأطفال، لدرجة أن الأطفال يثار بينهم الضحك فى جرعات جماعية يسعد لها الأطفال عند سماعها وينفجرون أكثر بالضحك . مما يجعل البهجة تملأ النفوس فى المواقف الدرامية والفكاهية التى تلقن الطفل قيما وسلوكيات لها أهميتها فى المجتمع الذى يعيش فيه .

٥ - **المطبوعات** : لا تزال الكلمة المطبوعة والصور محتفظة بقوة تأثيرها على الأطفال والكبار على حد سواء، وتشمل المادة المطبوعة أنواعا عديدة منها :
المجلات والكتب والقصص ودوائر المعارف والمعاجم المصورة .

وتكتسب المادة المطبوعة جاذبية خاصة بها، فالطفل يستطيع قراءة ما يريد فى أى وقت يريد، ويستطيع أن يسترجع قراءته إذا أراد . وقابلية الشئ المقروء للتشكيل فى ذهن الطفل إذا كان أعد بمهارة من قبل متخصصين، وهذا لا يمنع عيوباً، فربما كانت المادة المكتوبة صعبة، ولا يتمكن الطفل من فهمها وهناك احتمالية فهم الطفل للكلمات بتشويه أو غير قصد .

وتشير نتائج البحوث أن الأطفال المنحرفين أكثر إقبالا على المجلات الفكاهية المتصلة بالجريمة والعنف عن الأطفال العاديين، كما أن الأطفال ذوى التوافق الجيد كانوا يفضلون الأبطال الخارقين مثل سوبرمان وصوره وملابسه .

وتعتبر المسلسلات الهزلية المصورة أكثر المواد المطبوعة قدرة على جذب الطفل وإثارة اهتمامه وميله للقراءة .

وتمثل قراءة الكتب بالنسبة للأطفال مرحلة متقدمة . يصل إليها الطفل بعد أن يمر بمرحلة قراءة المجلات التى تتميز ببساطة أسلوبها وبجاذبيتها بفضل ما تحويه من صور، وبسهولة استيعاب مادتها .

ويعتبر «كامل الكيلانى» من رواد كتب الأطفال، قدّم الكثير من كتب وقصص الأطفال الأدبية والدينية والتاريخية التى ما زال أطفالنا يقرءونها حتى يومنا هذا .

والسؤال الآن : الكتب الهزلية ، هل تعتبر تهديدا إذا استثنينا كتب ومجلات الجرائم الشديدة ، فإن الكتب والمجلات يمكن أن توجه قراءتها فى داخل الأسرة ولا يتم ذلك عن طريق المعاكسة أو المنع من قبل الوالدين ، وإنما عن طريق المراقبة المعقولة .

ويتجلى الاهتمام عند الكثير من الأطفال عند الخامسة . إن بعض الأطفال يهتمون بصورة هذه الكتب والمجلات ، وبعضهم يطلب أن تقرأ له وأن تشرح . ولكن فى حدود السابعة يكون كثير من الأطفال قادرين على شىء من القراءة البسيطة بأنفسهم .

وعند الثامنة يندفع الأطفال إلى قراءة كتب المغامرات والعنف ، ويقبل الأطفال على الشراء أو الاستعارة فى حدود التاسعة من العمر .

ومع العاشرة والحادية عشرة نجد الاهتمام أصبح أشد وأحيانا نجد الأطفال فى الإجازات وقد أحاطتهم أعداد من الكتب ، وربما لا يكتفون بشراء الكتب وقراءتها وتبادلها أو استعارتها بل ينظمونها ويصنفونها ، والويل إذا نقص من هذه الكتب أو اختفى كتاب أو مجلة .

ومراقبة الوالدين ضرورية فى هذه السن ، وبعض الأمهات يشتكين من أن أطفالهن يتصرفون وكأنهم تحت تأثير سحرى ، وأنهم ينظرون بعيون رجائية إذا ما تحدث إليهم شخص وهم يقرءون مثل هذه الكتب والمجلات . وإذا كان صحيحا أنه ليس من الجاذبية فى شىء أن ترى الطفل وهو أمل الأسرة وقد انغمس مثل هذا الانغماس لأنه مثل الكثيرين من الأطفال فى نفس المرحلة العمرية .

ولاشك أن هذه الأمور جميعها تحتاج إلى تنظيم كثير . ولكن مثل هذا التنظيم من قبل الآباء أجدى من المنع الكامل . والحقيقة هى أننا لسنا قانعين أن المنع الكامل ضرورى حتى ولو كان ممكنا . إن الأطفال المستقرين عاطفيا وفى بيوت وأسر عادية تكون قراءتهم للكتب مثلها مثل بقية أنواع التسلية ، حتى وإن كانت فيها من العنف أو العاطفة الشديدة ولا تسبب الجنوح ولا حتى الاضطراب العاطفى .

٦ - وسائل التنشئة الاجتماعية في الوسائط الإعلامية :

كل وسائل الإعلام ما عدا المسرح والسيرك لا يحدث فيها تلاق مباشر بين الموجه والطفل، إلا أن أهدافها خلف توسل واضعيها واستعانتهم بمضامين متنوعة من قصة أو برنامج إذاعي. أو تلفزيوني أو رواية سينمائية.

وهناك نوعان من وسائل التطبيع أو التنشئة : الأولى تخص موجهي وواضعي المضمون والثانية متصلة بمستقبلي المضمون أي الأطفال أنفسهم.

وسائل موجهي وواضعي المضمون :

أ- التكرار : تعتمد الوسيلة أو الوسائل إلى تكرار مضامين أو مفاهيم أو أحداث معينة أو شخصيات، ومثل هذا التكرار يُعرف الأطفال الكثير عن مجتمعهم وحياة الأفراد فيه والقيم والتقاليد والمعايير السائدة.

ب- الجاذبية : لقد بلغت أساليب الجذب من القوة بحيث أصبحت تشد الأطفال حتى ولو كانوا أحيانا يرغبون في النوم.

ج- الدعوة للاشتراك : تعتمد بعض وسائل الإعلام دعوة الأطفال للمشاركة الفعلية إما بالكتابة أو بالرسم أو بالتحدث عبر الهاتف، لإبداء الرأي في حل مشكلة أو اتخاذ قرار بشأن رغباتهم أو غير ذلك. وربما استخدمت وسيلة الإعلام وسائل للتحفيز مثل المكافآت المادية والمعنوية.

د- النموذج : والنماذج قد تكون أشخاصا لهم من المكانة الاجتماعية (لاعبى الفرق)، وقد تكون أبطالاً تاريخيين، يمثلون قيما معينة يريد موجه الرسالة الإعلامية غرسها أو تدعيمها، وأحيانا تكون النماذج أطفالا أو حيوانات أو طيوراً. وأيا كان نوع النموذج فإن المضمون فيه دعوة صريحة كي يفعل الطفل مثله، أو دعوة صريحة للابتعاد عن هذا السلوك أو الاقتراب من آخر.

وسائل مستقبلي المضمون (الأطفال) :

أ- الامتنصاص : أى استيعاب ما يعرض، وللتكرار والإعادة أهمية كبيرة فى استيعاب الطفل للمفاهيم والمدرجات والعادات.

ب- التقليد : الأطفال يميلون بطبيعتهم إلى التقليد، وهذا التقليد والتأسي يتوقف على سمات شخصية الطفل وحاجاته وردود فعل المحيطين به.

جـ - التقمص : وهنا يشعر الطفل أو لا يشعر بأنه أصبح مثل النموذج ، وبذلك يكون قد توحد معه ، ويسلك مثله وينفذ تعليمات النموذج . ويتوقف ذلك أيضا على شخصية الطفل وحاجاته ومدى تقبل البيئة المحيطة لسلوكياته المتقمص .

وإذا كانت هناك بعض المخاوف التي تنتاب الآباء من تعرض أطفالهم لرسائل إعلامية لا تليق بأعمارهم ، فإن أجهزة الإعلام المعنية عليها مراعاة ذلك قدر الإمكان ، كما أن الآباء لا يجب أن يقفوا كما سبق أن أشرنا مكتوفى الأيدي . ورغم ذلك فإن لرسائل الإعلام آثارا جلية فى التنشئة الاجتماعية للأطفال ومن ذلك :

أ - إشباع حاجات الأطفال للاستطلاع والترويح والتسلية .

ب - عرض مضمون يتناسب مع فئات الأعمار بحيث يجد كل طفل ما يناسب عمره ، مراعية الخصائص الشخصية للأطفال فى كل عمر وطبيعة البيئة والمجتمع الذى يقدم فيه المضمون .

جـ - ربط الآباء بوسائل الإعلام بالإجابة على استفساراتهم وتوجيه مشكلاتهم التى تعترضهم أثناء تربية الأطفال إلى المختصين للإجابة عليها وتوضيح الحلول المناسبة لها .

٧ - رؤية الآباء لدور وسائل الإعلام فى تنشئة الأطفال :

فى الوقت الذى لا ينكر فيه الآباء دور وسائل الإعلام على تثقيف طفل اليوم ، وأنهم افتقدوا ذلك حينما كانوا أطفالا ، نجدهم يوجهون بعض اللوم لهذه الأجيال عبر وسائل إعلامهم وثقافتهم . فنسمع بعض الآباء يقولون «جيل تلفزيون» أو يقولون «جيل فيديو» . . . وتحمل هذه العبارات وغيرها نوعا من عدم الرضا فى أغلب الأحوال لحال أطفالنا .

وهذا لا يخفى الامتنان الواضح للآباء على مشروع القراءة للجميع والذي تبنته سيدة مصر الأولى «سوزان مبارك» .

وبالرغم من ذلك لا ينسى الآباء الجهود التى تبذل من قبل وسائل الإعلام فى خدمة قضاياه ليس فقط فى مصر بل والعالم العربى ، وهذا يعلن عن نفسه فى

تنوع وكـم هذا العدد الكبير مما يقدم للأطفال ومن أجلهم . وأود أن أشير إلى أنه بالرغم من أن الأطفال العرب يمثل تعدادهم بنسبة تقدر بنحو ٤٥٪ من تعداد سكان العالم العربى فى الوقت الذى تبلغ فيه نسبة الأطفال فى العالم كله ٣٧٪ من عدد السكان تهبط هذه النسبة إلى ٢٧٪ تقريبا فى أمريكا الشمالية ودول أوربا وترتفع إلى ٤٢٪ فى أمريكا الجنوبية، وعموما فى الدول المتقدمة لا تزيد نسبة الأطفال عن ٢٢٪ من جملة السكان . إن ارتفاع نسبة الأطفال العرب هذه لا يرفع نسبة الإنفاق على الأطفال فى هذه الدول العربية والذى لا يمثل أكثر من ١ ٪ مما كان من الواجب إنفاقه، وهذا ينسحب بالتالى على أداء وسائل الإعلام المختلفة لدورها الرئيسى .

ومن المعروف أن الخلية الأولى التى ينمو فيها الطفل ويحتك بها احتكاكا مستمرا ويتلقى فيها أول أنماط التنشئة هى الأسرة . والأسرة لا تعتبر الآن بالأسرة الشاملة للرعاية والتنشئة لهذا الطفل أو ذاك فى خلال سنوات حياته الأولى، وذلك كما كان حالها فى العصور الماضية، فتشاركها الآن معاونة دور الحضانة والروضة بهدفها التثقيفى التربوى ، والمدرسة بأنشطتها الصحافية والإذاعية والموسيقية وغيرها . وكذلك المادة المطبوعة من مجلات وكتب، والمذياع المرئى والمذياع المسموع، ونوادى تثقيف الطفل، وقد استبدلت مثل هذه المؤسسات التربوية ومؤسسات أخرى على بعض من تلك الأدوار والأنشطة التى كان الآباء والأقارب يقومون بها فى وقت من الأوقات، وبغض النظر عن تعرض الطفل تعرضا هائلا للمؤثرات الخارجية، فما زالت المدرسة ذات أثر فى توجيه الطفل ونموه العقلى وجزء من ثقافته وتحاول دور الحضانة والروضات جاهدة أن تساهم بدور ليس بالقليل وخاصة فى مرحلة هامة من مراحل نمو الطفل النفسى .

ويقع على عاتق الأجهزة الإعلامية الآن نسبة كبيرة من تثقيف الطفل وتوجيهه فضلا عن مساهمة المؤسسات التربوية الأخرى .

هذا . . ويؤكد جوهرية الدور الذى تقوم به أجهزة الإعلام فى إعطاء ثقافة مشتركة وخلفية موحدة لأعداد كبيرة من الأطفال وفى أسرع وقت ممكن وعبر المساحات الشاسعة والأميال المترامية من البيئات المتباعدة والقرية .

ونعود ثانية إلى داخل الأسرة، فنجد أنها أول خلية للمجتمع يقابلها الطفل، وأول وكيلة من قبل البيئة لتنشئته وتنبيهه عواطفه، وواضحة بذور القيم والتقاليد والعادات عبر الأم بالدرجة الأولى يساعدها الأب بالدرجة الثانية ويشاركها أعضاء الأسرة، إن هذا يجعل للأسرة الفضل في بث أوليات ثقافة الطفل.

ثم نعود ثانية أيضا لمدارسنا فتعتبر عملية توجيه الطفل نحو النظام الاجتماعي والسياسي القائم وتعضيد احترامه له هو أحد المسارات التي تعمل فيها المدرسة كمؤسسة تحافظ على ثقافة المجتمع وتراثه، ولكن مسئولية مدارسنا لن تنتهى بالمحافظة على الوضع الراهن ولا حتى عن طريق التنشئة الاجتماعية للأفراد القادرين على التكيف بسهولة مع البيئة الاجتماعية والمادية المتغيرة، ولكن بدلا من ذلك سوف تمتد إلى أقصى درجة ممكنة من تشجيع القدرات العقلية واستثمارها لأعضاء المجتمع الجدد من الأطفال.

وعلى مؤسساتنا التربوية أن تأخذ على عاتقها القيام بدور رئيسي للتحديث الواعي والتغير إلى جانب دورها الواعي في تأكيد الاستمرار الثقافي للمجتمع وأصالته المتميزة، وخاصة بعد انتشار وسائل الاتصال الحديثة مثل «الدش».

وسوف يصبح هناك تفافق للمشكلة نتيجة لحقيقة يشيرها الآباء وهى : أن المدرسة تبدو أنها تتغير بطريقة أكثر بطؤا عن أوجه المجتمع الأخرى، إن كل التعليم تقريبا يصبح قديما وقد يكون باليا فى الوقت الذى يعطى فيه.

إن علاج هذه المشكلة سوف يساهم فيه التقاء المؤسسات المختلفة التى تهتم بالطفل لتحديد الدور الذى تشارك به كل منها ومداه آخذين فى الاعتبار عدم ظهور الازدواجية فى الأداء أو التعارض بل التعزيز والتكامل بين هذه المؤسسات.

ومن بين هذه المصادر الكلمة المطبوعة والممثلة فى الكتب والمجلات المقدمة للأطفال. إن لها الأثر الكبير على ثقافة الطفل، فالكلمة المكتوبة هى أول وسيط ثقافى للإنسان، وظلت وسوف تظل بقدرتها وقيمتها.

والكتاب الثقافى للطفل هو الذى يقدم له الصور الذهنية والفكرية والوجدانية ويفسر له المعانى التى تتكون فى خاطره وفى خياله على مر الأيام والأعوام، ويترجم له كل التصورات والأفكار والخيالات معتمدا على الانطباعات الحسية والمعنوية فيجد فيه الطفل ومنه إمتاعا عقليا، والكتاب بمثابة الناقل للحضارة

وقيمها إلى الطفل وكذا المسهم في التربية فضلا عن عرضه للتراث بأشكال فنية جذابة وبسيطة للخبرة المهدبة وتنمية القدرة على مواجهة الحياة.

إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال بالعربية تصور في باب القصة والموضوعات الدينية وبعض الموضوعات التاريخية، وقلة نادرة هي التي تصور موضوعات علمية أو فنية ولم توجد قواميس أو موسوعات عربية للطفل العربي إلا مؤخرا رغم قلتها.

والكتابة للأطفال فن وحساسية وموهبة بالإضافة للمعرفة الدقيقة بمراحل النمو النفسى وجوانبه العقلية والاجتماعية والانفعالية واللغوية، مما يستلزم عدم السماح بتوجيه القلم الذى يكتب للطفل إلا لمن أوتى هذه الجوانب مما يدعو إلى الاطمئنان عند مخاطبة الطفل بالكلمة المكتوبة.

وعلى اعتبار أن ثقافة الطفل مجموعة من الخبرات الواجب اكتسابها، وتساعده على النمو إلى أقصى حد ممكن، فإن المنزل ودار الحضانة والمدرسة وأجهزة الإعلام والكتب والمجلات يجب أن تشارك معا لاستغلال الكثير من طاقات الطفل المعطلة والتي يمكن عن طريقها إثراء ثقافته ونموه العقلى فى ضوء اعتبارات هامة هي :

- ١ - مشكلات الطفل اليومية مصدر رائع للتثقيف والتنشئة.
- ٢ - استغلال حواس الطفل فى نموه العقلى وثقافته خير ضمان.
- ٣ - حب الاستطلاع عند الطفل ثروة يجب استثمارها إيجابيا.
- ٤ - إهمال حب الطفل للحركة واللعب فى توجيهه خطأ سوف نعاقب عليه أنفسنا.
- ٥ - تستيقظ مدارك الأطفال على الغناء والموسيقا.
- ٦ - القدرة على التخيل إمكانية ذهنية للتثقيف والنمو العقلى ومن ثم التنشئة.

والآن هل علمت الأم بطريقة ما أثر تلك المتغيرات، وهل أشير للأب عن أثره الفعال فى ثقافة الطفل ونموه، وهل حاول القاصدون والمربون استغلال تلك

العناصر كهدف عن قصد فى قضية الثقافة للصغار . وإننا إذا قلنا : وما النوع؟ فسوف نسمح لأنفسنا أن نقول : وما أقل الكم!

وإذا كانت الكلمة المقروءة هى أخلد الوسائل للثقافة، فإن الكلمة المسموعة والمرئية تفوقها سرعة فى التأثير ومدى الوصول إلى أعماق الطفل .

والأثر الخطير لكل من الإذاعة والتلفزيون على نفوس الأطفال ووجداناتهم جعلنا نهتم بإعداد برامج خاصة بهم ويتحقق من خلالها لهم الإمتاع العقلى والنفسى وتبتعد به عن التدريس فى أسلوب التقديم .

والطفل قد يجلس أمام التلفزيون ما يقرب من سدس عدد ساعات اليقظة، وعندما يجلس أمام هذه الشاشة الصغيرة فهو يتعلم نماذج جديدة من السلوك قد تدعم أنماط السلوك السائدة أو تبشر بأشكال جديدة من السلوك المقبول والموافق لمعايير المجتمع، أو قد تبث قيما وآراء وأشكالا جديدة تتعارض بل تتصارع مع قيم الجماعة وتقاليدها . وهنا تكون الخشية على التنشئة .

إن الإيمان بالفكر الغربى فيما يقدم للطفل ونقل نماذج الغرب إلى بلادنا شىء يستحق منا وقفة تأمل . إن ما يصلح هناك قد لا يصلح هنا . ويكفى أن نقول عن هذه البرامج التى تقدم هناك ويستعان بها هنا . إن أطفالنا ليسوا هم بأطفال الغرب وقيمنا التى يجب أن نربيها فيهم لا تصلح لها برامج غربية تعنى وتهتم بتنمية قيم وتقاليد خاصة بأطفالها لإتمام سلسلة قيمة تخدم ثقافة الغرب من أجل أطفال بعينهم، وذلك بهدف أن يصبح الطفل ذا ثقافة فرنسية أو أمريكية أو غير ذلك اعتمادا على القيم والتقاليد والعادات التى تبثها تلك البرامج عن قصد لأطفالها، وهل أطفالنا فوق كل ذلك يتميزون بمعايير النمو التى يختص بها طفل من ثقافة أخرى ومن مجتمع مختلف؟ لا أعتقد هذا وإن تشابهت إلى حد ما إذا جاز لنا هذا القول .

وطوق النجاة لن يكون من خارجنا دائما، بل من أعماق أصالتنا وتراثنا العربى العريق، طوق النجاة لنا برامج تؤكد قيم المجتمع العربى وتثبت تقاليد وعادات وعرفا عربيا أصيلا، فالوطن العربى له تراثه وله بناء دينامى وله تاريخ

مجيد خاص به ويتميز به، تعلنه المصادر والمراجع فى كل وقت وحين، ويجب ألا يطرأ على الأذهان السؤال التقليدى : لماذا لا نلحق نحن بلدان العالم الثالث بركب الدول المتقدمة باستيراد الثقافة؟ أقول : لأن المسألة ليست استيرادا للثقافة بقدر ما هى تفاعل للتثقيف الواعى، لأن اللحاق بهذا الركب لا يجب أن يكون على حساب عراققة وأصالة وعظمة شعوب من أعظم وأخلد شعوب العالم فيما مضى هم شعوب العالم العربى، وإلا فسوف نساعد الطامعين فى محو أصالتنا واختزال تراثنا الزاهر.

إن هذا لا ينسحب إلا على عدد فقط من البرامج، والحق أن هناك برامج أخرى لها أهميتها وقدرتها وأصالتها.

٨ - بعض البرامج فى الميزان :

ومع البرامج التى تشاهد بقصد الترفيه وتمضية الوقت واستهلاكه مع الطفل الزاخر بالإمكانات، فهى ليست تثقيفية معرفية أو تربوية وتبقى معها طاقات وإمكانات الأطفال معطلة.

إلا أن البعض يأخذ فى الاعتبار أفضل ما يمكن له واضعا فى الاعتبار غايات تثقيفية ومعرفية وتربوية إلى حد كبير. ومن هذه المسلسلات مسلسل «سنان» و«أحلى الأيام»، و«نبيه وصالح» وبعض حلقات جوهريّة جدا من «حواديت زمان»..... وغيرها.

وإذا كانت هناك البرامج غير العربية التى يستعان بها فى مثل أفلام الكارتون المحببة للأطفال المشغوفين المولعين بها، فأين الدبلجة الخاصة بها؟ فهذه مشيرات بصرية فقط يتعرض لها الطفل ويتابعها بكل حواسه كى يصل إلى المعنى وبدون تفسيرها أو تعريبها نقدح خيال الطفل لأكثر مما يتحمل الموقف، فقد يأخذ هذا الخيال لتفسيرات سيئة للمواقف التى يشاهدها فى هذه الأفلام غير الموجهة للمعنى والحدث بلغة يفهمها الطفل. إن الأمر يحتاج إلى توضيح للمشاهد وإشارة للمعنى وإشارة لمحتوى الفكرة فى أثناء متابعة الطفل ومراقبته، ومن المستحب توضيح الفائدة بنهاية العرض مباشرة حتى تكون القيمة فى طريقها للتشكيل.

وفى البرامج لا نرى تنمية القدرات العقلية فليس من هوايات للرسم والتلوين أو التذكر أو التخيل وإن كان منها بالمدرسة إلا أنه من المفضل توافرها فى البرامج التلفزيونية المحببة للأطفال بدرجة أكثر مما هي عليه الآن.

ومسلسل «سنان» من المسلسلات الهادفة والتي لها مستوى مرتفع ثقافيا وعقليا، ولها مضمون تربوى عميق، إلا أن بها شخصيات بعيدة عن الطفل، و«سنان» يحافظ على الحب والوفاء ويدعم الإخلاص ويسعى إليه ويتخذ من المثل ويرقى بها إلا أنه ما زال مرافقا «لفرفور» و«شرشور» ومعهما كما يظهر فى بعض الحلقات على الرغم من أنهما ممثلان للشر والخبث والدهاء فى الوقت الذى نسعى فيه مع الأطفال بالبعد عن الجليس السوء وعدم مرافقته.

وفى مسلسلات أخرى نجد جميع الحيوانات تأكل نفس الحلوى ونفس نوع الأكل، وتعيش فى نفس الأماكن، ويصبح الطفل فى حيرة من أمره بين ما يشاهده وبين واقعه، فضلا عن أنها قد تكون حيوانات بأشكال غير معروفة فلم يعرف ما هو هذا الحيوان أو ذاك.

وفى مسلسل «حواديت زمان» قد تشمل الحلقة الواحدة حلفتين فرعيتين أو أكثر، ويقوم نفس الأشخاص بالأداء فى الحلفتين لأدوار مختلفة الاتجاه ومتعارضة المبادئ، وذلك بالنسبة لبعض الشخصيات فقط، وهذا يعنى أنه بالإضافة للخلط الذى يحدث فى ذهن الطفل والتداخل فى الأفكار نجد التضارب فيما يتكون لدى الطفل نتيجة الدور الذى يقدمه الممثل. وهذا لا يجعلنا نقلل من المضمون التربوى فى بعض المواضع.

ومن الأفلام المحببة للأطفال «توم وجيرى» و«نقار الخشب» إلا أن الملاحظ فى معظم الحلقات كيفية تصميم «المقابل» و«الخبث» و«الشر» إلى حد ما، وهذه النواحي لا تطفى بالفعل على إمكانيات هذه الأفلام التربوية والترفيهية بالنسبة للأطفال، ولكنها فى سبيلها لتدعم النواحي السلبية كالخداع مقابل نواحي إيجابية.

و«افتح يا سمسم» فيه من الأفكار التربوية ويا حبذا إذا وجد ما يشد الأطفال كالمسابقات وأسئلة الذكاء والمفاجآت الهادفة فى شتى الخبرات وكذا إذا

استعين بأطفال أثناء الأداء، لهم نفس العمر الذى يحتويه الهدف الموجه وليس بأطفال أكبر من الهدف الموجه والمقصود. وإن كان هذا المسلسل به من الأغاني ونعلم أهمية الأغنية وفعاليتها على الأطفال ومعهم، إلا أنها أغان مباشرة ليس فيها من الخيال الذى يتمتع الطفل فيصبح للأغنية عمق فى نفسه فتشده بالحركة أو التردد أثناء الأداء فتمس وجدان الطفل وتملأ عاطفته. ويلاحظ أن كلمات الأغاني فى معظمها مباشرة للغاية والأغنية ليس لها اللمسة الوجدانية، فالكلمات لأغنية الطفل يجب أن تكون غير مفتعلة وتكون خارجة من وجدان المؤلف حتى تصل إلى وجدان الطفل ومشاعره. فالطفل حساس للكلمة الحلوة الرقيقة ذات الشاعرية والنغم والخيال والتى تشبع العقل والفكر. ولكن أين هي؟

إن الكثير من الأغاني مفتقد بل نادر بصفة عامة فى برامج الأطفال ويحتاج إلى المحتوى النفسى والتربوى الملائم للكلمة المنظومة الموجهة للصغير.

إن أغنية الطفل لم تشغل حيزاً ملائماً فى برامج الطفل هنا، وبالرغم من أن الكلمة المغناة غذاء لروح الطفل منذ شهوره الأولى، والشكل المحبب منها يكون ذا إيقاع سريع خفيف وتشمل الحوار الرقيق كلما أمكن.

والأطفال حتى الرابعة تستهويهم الحركة فيما يقدم، وبعد ذلك العمر يحتاج الأطفال إلى الخيال، فالأطفال فى حاجة إلى الخيال الحر المنطلق لأن لهم عالمهم الخاص الذى يجب أن ندع له ساعة فى النهار يخرج فيها بعقله وفكره على واقعنا المادى البحث فيصور لنفسه أشياء «كالخاتم السحري» و «مصباح علاء الدين» و «بساط الريح» أو «بحار السندباد».

لندع الأطفال يعيشون ساعة من اليوم فى دنيا لا يقيدوها منطق الواقع، ففى ذلك ودعم وتنمية لقدراتهم الابتكارية فيما بعد، وعلينا أن نحيط هذا الخيال فى نهايته بانتصار الحب والخير والجمال آخذين فى الاعتبار أنه ليس مثغنى تعاطف الطفل مع الخيال أنه لا يفهم الواقع.

وحقيقة هناك العديد من الأعمال للأطفال تظهر على الشاشة المصرية والسعودية الصغيرة تستحق التقدير، ففيها من الجهد والكم، وبألت هذه البرامج تكون على قناة واحدة أو فى أوقات متفاوتة لأنه فى بعض الأحيان قد تأخذ هذه البرامج نفس وقت التقديم على القنوات المختلفة.

أما برنامج «ناشئ» فى رحاب القرآن» الإذاعى فهو برنامج رائع، ومن المستحب أن يستضيف أكثر من طفل فى الحلقة، ويحضر النقاش مجموعة أخرى من الأطفال.

٩ - تصور الوسائل الثقافية المقروءة وتصور فى الحلول :

من المعروف أن الكلمة المكتوبة هى وسيط ثقافى للإنسان، وكانت ولا تزال تحتفظ بقيمتها وقدرتها.

والكتاب المقدم للطفل هو الذى يقدم الفكر والمعرفة ويترجم له كل التصورات والأفكار والخيالات مما يشد الطفل لإمتاع فكرى ووجدانى بنقل القيم الحضارية والمبادئ والتراث بأشكال فنية جذابة، مبسطة له الخبرة فى تهذيب، وينمى لديه القدرة على التوافق مع البيئة التى ينتمى إليها.

إن نسبة كبيرة من كتب الأطفال العربية تصور فى باب القصة والموضوعات الدينية وبعض الموضوعات التاريخية وقلة منها تهتم بالجانب العلمى والفنى أو ما يتعلق بالمجتمع الحديث.

أما القاموس العربى للطفل أو الموسوعة العربية له أو الأطالس الهامة فهى من القلة أو من الندرة.

والأمة العربية أحوج ما تكون إلى مزيد من البحث عن الشكل والمضمون الأفضل لكتاب الطفل، هذا الصغير المتعطش دوماً للثقافة بكل ألوانها. نظراً لأن الكلمة المقروءة فى ثقافة الطفل تلعب دوراً هاماً فى التنشئة الاجتماعية، وذلك بمساعدته على التعرف على أكبر قدر من ذلك الموجود فى خبرته الحالية، وتقترح له دوراً سلوكياً، وغالباً ما نجرى هذه الأدوار الجديدة فى الألعاب التى يؤدىها بمفرده أو مع زملائه، وتساعد هذه الكتب على معرفة الطفل بما هو رديء وما هو جيد وتسهم فى نمو القيم لديه، مما يجعل دور المربي توجيهياً لما يقرأ الأطفال.

والمادة المقروءة المقدمة للطفل فى حاجة إلى تقييم برغم كثرتها، لأن تقديم الكتاب للطفل فى مختلف مراحل نموه يجب أن يتم بناء على دراسة علمية وخطة متكاملة تجعل الطفل لا يمر بمرحلة من مراحل نموه إلا ويكون قد قرأ كل ما يمكن

أن يتلاءم مع قدراته الفنية والأدبية من ناحية وكل ما يشبع احتياجاته النفسية من ناحية أخرى، مما يحتم علينا أن نخضع عملية تأليف الكتاب لجهاز علمي يراقب كل ما يقدم للطفل بحيث يشعر الطفل بأن الكتاب متعة حقيقية ويستثمر الطاقات الكامنة بداخله.

وبالرغم مما أشرنا إليه إلا أن مجلات «ماجد» و«افتح يا سمسم» و«سوبر مان» و«غريندايزر» قامت بدور فعال بالنسبة للأطفال، وتشجع إلى حد كبير ما تفتقده في الكلمة المقروءة للطفل فضلاً عن سلسلة القصص التي اهتم بها محمد سعيد العريان وعبد الحميد جودة السحار وكامل الكيلاني وأحمد نجيب وما يهتم بها الشاروني ونتيلة راشد وغيرهم ومعظمها في باب القصة وبها الكثير من الأسس النفسية التربوية لأطفالنا الصغار.

وكانت هناك مجلة سعودية هي مجلة «حسن» على طريق ثقافة الطفل السعودي، ومن المفضل أن توفر صحافة للطفل السعودي ومجلات خاصة به تنبع من تراثه الأصيل، وتعتمد على ثقافة أرضه العريقة مهبط الوحي وأرض الإسلام العظيم خاتم الأديان.

إن ما يقدم في مجالات ذكرت وأخرى غيرها لم نذكرها لا يحتوي طبيعة البيئة العربية المميزة للوطن العربي ذات الرمال والصحراء الممتدة، وبدلاً من توغل الطفل في بحار دزني وثلوج شمال أوروبا علينا توجيه توغل مغامراته إلى أعماق الصحراء ومخاطرات قمم الجبال ومآزق إخراج ثروات الأرض الطيبة، وسير وحياة الملوك والرؤساء العظام، والعطاء الذي لا ينسى منهم من أجل الوطن. وما هو فوق ذلك تقديم طفولة الأنبياء والرسل ففيها من القيم العريقة والأصول الراسخة الأصيلة على أن تكون مداخلها للطفل بأسلوب يلائم حياته الحضارية الحالية.

إن إخراج «سلسلة للأرض» توضح أماكن الوطن الحبيب واتساعه ومدنه وشهرة كل منها وأشهر العظماء فيه عن طريق «مخاطرات كشاف» يؤتي من الثمار أفضل من روايات مترجمة للصغار.

ومعده بعض المقترحات لحل القصور فى المادة المقروءة :

- تشكيل لجنة متابعة كتب الأطفال لغرض الرقابة على ما يقدم والذى يعتمد البعض منه على الترفيه والسذاجة والاستهزاء بعقلية الطفل على حساب الدور الثقيفى التربوى للكتاب.
- وضع خطة عامة لاحتياجات الأطفال من المادة المطبوعة تحترم معايير النمو النفسى وتقوم على أسس نفسية تربوية.
- تخصيص جزء أكبر من صفحات الجرائد اليومية ليقدم للأطفال مادة مشوقة وذات جاذبية تعتمد على أسس نفسية وتربوية، وذلك حتى يتاح للطفل ويحيط به من كل جانب كلمة تهمة وفكرة تجذبه.
- تخريج متخصص جامعى يقدم للطفل فى مجالات متعددة منها الكتابة والكلمة المطبوعة، وقد يكون ذلك مستحبا من خلال إنشاء قسم لدراسة الطفولة تابع لأقسام علم النفس بالجامعات، هذا المتخصص الجامعى يستطيع أن يتعامل مع الطفل بأسلوب مباشر وغير مباشر (عن طريق الكلمة مثلا . . . أو رعايته كمرى بدور الحضانة أو المدارس الابتدائية) ويستحب أن يكون هذا المتخصص حاصلا أولا على ليسانس فى الأدب العربى ثم يدرس دراسات تربوية ونفسية ثم يعد بعد ذلك إعدادا خاصا يمكنه من الكتابة الهادفة للطفل.
- زيادة التقدير المادى لما ينتجه كتاب الأطفال.
- مشاركة الصغار بإيجابية فيما يقدم من مادة مطبوعة لإكسابهم الثقة بالنفس وتنمية القدرة على التعبير والطلاقة الفكرية بمساهمتهم فى تزويد المجلات بالمادة المقروءة أو الصور.
- لفت نظر الآباء والمربين عما يجب أن يكون بالنسبة لأطفالهم وما يتوافر بالنسبة لأطفالهم بالسوق المحلية ويمكن الاستعانة به.

١٠ - دعائم أساسية لبناء مسرح ثقافة الطفل المسهمة في

تنشئته :

وتنقسم إلى أسس للتفاعل المباشر وأخرى للتفاعل غير المباشر :

أ - أسس التفاعل المباشر :

- الدين والقيم الدينية محور أساسى فى كل ما يقدم للطفل أو معظمه .
- الطفل يحب المتعة والإبهار والحركة السريعة فيما يقدم والحوار الخفيف فيما يسمع .

- برامج الأطفال وكتبهم وأغانيهم وموسيقاهم صعبة فى كل مراحل تكوينها وتنفيذها تأليفا وإعدادا وتصويرا وإخراجا؛ لذا كان لابد من اختيار العناصر البشرية التى تقدمها على أساس الموهبة والمعرفة بسيكولوجية الطفل وتربيته فضلا عن الاهتمامات بالمجال أو التخصص .

- الطفل يرفض السذاجة التى تقترب من البلاهة، فالمادة المحببة له هى المادة ذكية الحوار السهلة فى غير انحطاط .

- أحب ما يكون إلى الأطفال الأشكال سريعة الإيقاع خفيفة الأسلوب المشوقة الممتعة .

- سرعة التغير فى الفقرات مع التنوع يلائم طبيعة الطفل، وهذا ما يعطى البرامج المنوعة للأطفال أولوية، تليها القصص الخرافية والواقعية ثم المغامرات .

- إطلاق الخيال للطفل يوميا لنخرج بعقله عن الواقع المادى البحت فى طريقه إلى تنمية الابتكار .

- مسرح الطفل يملأ نفوس الأطفال بهجة بعرض المواقف الدرامية والفكاهية بهدف بث قيم المجتمع، ولدينا نحن العرب تراث عربى عريق وأساطير وحضارات، مما يربط أطفالنا بجذورهم الثقافية والحضارة الإسلامية . إن المسرح حقا شئ شبه مفتقد، وخاصة إن التنوع فى وسيلة نقل الثقافة المقدمة للطفل تحقق له حاجته للتغيير، فيجب أن ينال رضاه من مصادر متعددة من التلفزيون والمسرح والكتاب والإذاعة وغيرها، إن ذلك ضمان

لدعم القيمة وتكثيف لبشها عما لو استعين بأداة واحدة أو وسيلة دون غيرها. إننا فى حاجة إلى مسرح للطفل العربى .

- التقصير فى مجال أفلام الطفل وخاصة الطفل العربى يدفع الأطفال لمشاهدة أفلام الكبار، وذلك له من الأضرار ما قد يبلغ حد الإيذاء القاتل للبناء النفسى للطفل وعقليته وعواطفه.

أين الفيلم العربى للأطفال، لا يوجد إلا نادرا، ويكاد يكون مختفيا.

- هناك فروق كبيرة بين لغة الطفل ولغة الراشد، ومن ثم فمعرفة لغة الطفل فى مراحل النمو المختلفة شىء مهم لكل من يتعرض لعمل فى وسائط ثقافة الطفل، إن هذا يحبذ وجود قاموس لغوى للأطفال.

وحتى الآن لا يوجد مثل هذا القاموس للغة الطفل ليسر على المهتمين بالثقافة ويبيدهم عن السليبات فيما يقدم.

ب- أسس التفاعل غير المباشر :

جذب انتباه الأمهات والآباء العرب عن طريق وسائل الإعلام المختلفة لبعض القضايا الهامة فى حياة الطفل ونموه، تفيد بطريقة غير مباشرة فى تنمية ثقافة الطفل العربى وهذه القضايا هى :

- التأكيد على أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل.

- التأكيد على تنمية علاقات الاحترام المتبادل بين الطفل والديه.

- التوعية بضرورة أن يصبح الأب أكثر ارتباطا بأسرته وأطفاله فى سنى حياتهم الأولى، وألا يكون رمزا للسلطة والتخويف عند أولاده بل هو رمز للثقة والحب.

- التأكيد على أن كثرة العقاب البدنى ليست وسيلة لإصلاح الصغار بل تولد الخلق المنخفض والرغبة فى التمرد والارتباب.

- تأكيد العناية الطبية والغذائية وتقديم المساعدات الطبيعية للأم والتركيز على الأسرة ذات المستوى الاقتصادى الاجتماعى الثقافى غير المرتفع كهدف.

- تبصير الأمهات بأدوار أساسية فى التنشئة كعملية الفطام والاندماج مع الأطفال وكيفيةها .

- تأكيد كيفية التفاعل بين الطفل ووالديه وضرورة إشباع حاجاته إلى العطف والحب والتقدير والتعود على المسئولية ، واكتساب خبرات جديدة باستمرار وتأكيد حب المعرفة عنده من أجل احترامه لذاته .

- تبصير الأمهات والآباء بأنهم يسهمون دون وعى منهم فى تخطيم ثقة الأطفال بأنفسهم عند الاستخفاف بهم وإذلالهم بتشبيههم بأشياء قبيحة .

- التأكيد على الوالدين فى التعود على التحدث مع أطفالهم بلغة البالغين وعدم ترويض أخطائهم .

- الإيمان بأن اللعب جزء لا يتجزأ من عملية التعلم .

إن خطة قومية لتثقيف الطفل العربى تؤكد على القيم الدينية معتمدة على تطور الشعور الدينى لدى الأطفال كأساس لبناء هذا الجانب ، وتقوية الشعور بانتماء أطفالنا لوطن عريق وتنمية الإحساس بالمسئولية نحو المجتمع الذى يعيش فيه الطفل ، يكون من قبيل تنشئة الطفل العربى .

إن هذه الخطة إذا أكدت على طاقة الطفل وإمكاناته المعطلة الآن ، وقدراته النامية التى يجب العناية بها ورعايتها على أسس سيكولوجية وتربوية لتكون مهمة بحق فى قضية تثقيف الطفل ومن ثم تنشئته .

ويعتبر إنشاء أقسام لدراسات الطفولة بالجامعة تقوم على إعداد خريجين يعرفون جيداً متى وماذا وكيف وأين يقدم للطفل من المعلومات والمعارف والقيم والتقاليد والعرف والأصول العربية العريقة ، لهو خطوة عظيمة واهتمام رائع ليس بقضايا الطفل وعالمه الخاص ، بل بتنشئة الطفل العربى .

تاسعاً: الخدم والبشكار والمربيات

كما يلون الحياة العاطفية للأطفال داخل الأسرة وجود الخدم أو البشاكير ، والحاضنات والمربيات ، وذلك إذا افترضنا دخول الأطفال فى علاقات مع واحد من هؤلاء ، فربما خلا المنزل من مثل هؤلاء .

والخدم من الذكور والإناث هم الأشخاص الذين يتم الاستعانة بهم فى المنازل لأداء خدمات مثل التنظيف أو الطبخ، وإن كانت الخدمات كثيرا ما يجدن أنفسهن فى ظروف تجعل من اختصاصهن رعاية الأطفال بالإضافة إلى أشغال المنزل.

وإذا كان مصطلح الخادم قد انتشر فى البلاد العربية الإفريقية حتى المغرب العربى وبعض دول آسيا، إلا أن بعض دول الخليج مثل الإمارات تطلق مسمى بشكار على الخدم الإيرانيين بيض البشرة الذين استمر وجودهم هناك حتى قرب الخمسينيات من هذا القرن، وكانت هذه الفئة تقوم بعمل القهوة وصبها فى المجالس ويبيعون فى المحلات ولا يطبخون ولا يقومون بالأعمال المنزلية مثل النظافة والكنس.

وكلمة بشكار من أصل فارسى، وتنقسم إلى «بیش» وتعنى «أمام» و «كار» وتعنى «عمل»، وتكون فى مجملها «داخل أو أمام العمل» وجمعها بشاكير. ويذكر فالح حنظل أنها تعنى «الخادم فى البيت».

أما الحاضنة فهى الأم الاجتماعية للطفل، ويعهد إليها بالطفل داخل الأسرة أو خارجها، فقد تكون مرضعا أو غير مرضع حسب مؤهلاتها وحسب المرحلة التى وكلت فيها حضانة الطفل، وأحيانا توظف داخل الأسرة للعناية بالطفل فى كافة النواحي حتى مع وجود الأم، وأحيانا تستقدم فقط فى حالة وفاة الأم.

والمرية أنثى تأتى لتربية الطفل ومراعاة تقويم سلوكه، وتنشئته على النحو المراد، وكذا تعليمه فى مراحل حياته الأولى.

وربما تتقارب هذه المفاهيم عندما تختلط أدوار هؤلاء، نقصد الخادمة والبشكير والحاضنة والمرية، وفيما يخص ما يعهد إلى الواحدة منهن من دور تربوى، فقد يكون دورا عابرا وحسب ظروف سيدة المنزل (أم الطفل) من كونها تقضى اليوم خارج المنزل أو داخله، أو مدى انشغالها داخل المنزل من عدمه. ومهما يكن الأمر فإن الطفل يدخل فى علاقة ما مع الخادمة أو المرية، سواء مع توافر تام لعلاقته بأمه أو توافر جزئى، ويتم ذلك يوميا سواء فى غياب الأم أو فى وجودها. وعبر هذه العلاقة يحدث التأثير المرتقب فى تنشئة الطفل. وربما وصل

الأمر لأن تأخذ الخادمة دور الأم البديلة Substitute Mother. وعندها نكون قد قلنا نعم للخادمة، لقد تنازل الأبوان عن دورهما فى تلبية الحاجات العاطفية والنفسية إلى مجهولين، وأصبح البرغم النامى يتجاوب مع مجتمعه عبر واسطة هى محض تأجير، غالبا أبعد عن أن يوفى بأبسط المطالب التربوية الإنسانية. ونادرا ما تتوافر التجاوبات عبر واسطات صحية بأسرة الطفل، كبعض الحالات التى تصبح الخدمات على علاقة لسنوات بهذه الأسرة، لدرجة تجعلهم غير مفتقدات للتبادل العاطفى مع أفرادها. ولكن غالبية الخدم يعتبرون غرباء عن الأطفال، وفى بعض المجتمعات يأتين من مجتمعات مخالفة وثقافات بعيدة.

ففى واحدة من الدراسات التى تمت فى منطقة الخليج، اتضح أن ٨٪ من مجموع المربيات فى بعض دول الخليج لهن إلمام باللغة العربية، وجاءت اللغة الإنجليزية اللغة الأولى للاتصال بين المربيات والأطفال. فكيف إذن لعملية التطبيع الاجتماعى أن يتم جزء منها فى غياب اللغة؟ إن اللغة نظام موضوع من الرموز يستطيع أعضاء الجماعة بواسطته أن يتفاعلوا وأن يتعاملوا وفق المعايير الاجتماعية فى المجتمع، وماذا يكون التوقع إذا ظهر أن ٢٥٪ من الأطفال يقلدون المربية فى اللهجة، وأن أكثر من ٤٠٪ من الأطفال تشوب لغتهم لكنة أجنبية ويتعرضون لمضايقات أقرانهم لهذا السبب، كما أن من ٦٠٪ إلى ٧٥٪ من المربيات غير مسلمات، ويمارس منهن ما نسبته ٩٨٪ تقريبا شعائرهن الدينية... إنها قدوة خطيرة أمام النشء المسلم من الأطفال فى منطقة الخليج إذا تذكرنا أن الطفل البشرى يحتاج لفترة حضانة ورعاية طويلة نسييا ويأخذ نموه الاجتماعى من خلال تفاعله مع المحيطين به مباشرة، فى الوقت الذى تنازلت فيه ٤١٪ من أسر الأطفال عن إشرافها على لعب الأطفال، وفى الوقت الذى يمكن أن يستقر بعض المربيات مع الأطفال فترة تفوق الخمس سنوات.

وعموما فإن نتائج دراسة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بعمان أشارت إلى أن وجود مربية أجنبية للأطفال أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، قلل من فرص الأطفال فى الاعتماد على النفس، بينما أشارت نتائج الدراسة على عينة كويتية إلى عدم وجود آثار سلبية للمربيات الأجنيات على الأطفال من حيث نموهم اللغوى والنفسى والاجتماعى، نظرا لاقصر أعمال المربيات على الخدمة المنزلية، وقيام

الوالدين بأغلب مسئولياتهم نحو الأبناء مثل توجيههم ومساعدتهم دراسيا والإشراف على طعامهم ولباسهم وألعابهم وصحتهم.

وإذا كانت ظاهرة الخدم واضحة في منطقة الخليج، فإن الظاهرة محدودة في مصر ودول المغرب العربي، ولكن عموما كلما ارتفعت مكانة الأسرة اجتماعيا واقتصاديا أمكن أن تتصور إمكانية وجود خدم أو مرييات.

إن العلاقة الحميمة التي نلاحظها أحيانا بين المربيات والأطفال، إنما يرجع بعضها إلى اعتماد أساليب تربوية خاطئة لدى المربية، مثل التساهل والتراخي، والتكتم على تصرفات الأطفال . . . وحتى الحنان المفرط.

وإذا كانت هذه الفئة تتخذ من هذا العمل مهنة لها، فإن تقلباتهم بين البيوت عبر السنوات يجمد حنانهم العاطفي، ويجعلهم عرضة للتذبذب في المشاركة الوجدانية، ولذلك فالأشخاص من هذه الفئة تكون علاقاتهم بالأطفال مجرد علاقات مظهرية ووظيفية في الأعم والأغلب، وبقدر ما تعمل الأسرة على توفير حياة طيبة للخادمة أو المربية يمكن أن تنتظر من الأخيرة الاهتمام والرعاية بالأطفال.

إن علاقة الأم والطفل، في جلستها أو في حركتها، أو حالتها النفسية تبدو أثناء إرضاع الطفل أو تغذيته، وينعكس ذلك على الطفل، وربما الخدم والمربيات كثيرا ما يبدو اهتمامهم بتنظيف الأطفال وملاحظتهم أثناء اللعب . . وما إلى ذلك. ولكن قد يثرن انفعالات الأطفال نتيجة توترهن أو التفزز وهن يقمن بتنظيفهم، وينعكس ذلك على شعور الطفل بذاته وقيمه بالإضافة إلى ما يستخدمه بعض الخدم من أساليب الأمر والنهي لانخفاض مستواهم الثقافي . . أو أساليب العقاب . . . لقد شاهدت بنفسى خادما يهدد طفلا في الرابعة من العمر تقريرا بضربه بالحذاء، وذلك أثناء وجودي في متجر بإحدى الدول العربية.

إن هذا لا يقلل من الجهد الكبير الذي يبذله بعض الخدم والمربيات في خدمة الأطفال بإخلاص، ولكن يظل والدا الطفل أهم عاملين أوليين، ما دام هما الشخصان الرئيسيان اللذان يتصلان بالطفل مع بداية حياته، وينطبق ذلك أيضا على أى شخصيات اجتماعية يكون للطفل بها علاقة مثل المربيات أو الخدم، حيث

يُتوقع هنا شيء من التوحد Identification يأخذ فيه الشخص اتجاهات وأنماط سلوك شخص آخر . . . وينتهى إلى تقليدها أو ممارستها، وهنا يكون قد حدث نوع من الاستدخال Internalization أو النمذجة والافتداء Modeling .

ومع مصطلح التوحد والاستدخال يكون التقبل اللاشعورى لقيم الوالدين والمربين، بحيث تصبح جزءا راسخا أو شبه راسخ فى نظام القيم للطفل، وهنا تكون العواقب إيجابية، إذا كان من يحل محل الوالدين فيه من الصفات المؤهلة، أما إذا كان من يحل محل الوالدين ليس مؤهلا نفسيا وخلقيا - فى ضوء معايير المجتمع الذى يعمل فيه - على أداء مهمة رعاية الأطفال، فالمنتظر أن يتحل الطفل سلوكيات عليها الكثير من التحفظ وربما أودعته الاغتراب.

إن الأطفال فى سبيل تنشئتهم على النحو المناسب فى مجتمع ما يجب، بالإضافة إلى تحقيقهم حاجاتهم من غذاء وملبس ومأوى، أن نوفر لهم العاطفة وفرص اللعب والتشجيع على ممارسات لغوية ودينية واتصالات رمزية مع الآخرين فى ضوء قيم ومعايير نفس المجتمع.

وهذا ما يدفع بعض الدول الغربية إلى أن تشترط أن يتعلم المنتقلون إليها لغة البلد التى يعملون فيه، وتوجد فى ألمانيا مثلا مدارس رسمية وأخرى خاصة تشرف عليها جهات مسئولة من أجل تعليم الألمانية للأجانب مقابل تكاليف زهيدة، ولذلك لا نجد أثرا للعمالة المهاجرة. إن هذا ما يجب أن يأخذ فى الاعتبار عند إحضار أجانب أو مريبات أجنبيات، تلك الظاهرة التى زحفت على المجتمع الخليجى وفى طريقها للمجتمع المصرى ومجتمعات أخرى.

الفصل الرابع

فماذج لتنشئة الطفل
من بيئات مختلفة



إن أساليب التنشئة تختلف من بيئة إلى أخرى، فتختلف أساليب التربية باختلاف الثقافات، مما يأتى معه اختلاف فى شخصيات الأطفال.

وسنعرض فيما يلى نماذج للتنشئة فى عدد من البيئات المتباينة فى مناطق متفرقة من العالم تتفاوت فى بنائها الاجتماعى من البدائية إلى الصناعية المتقدمة.

أولاً : نمط تنشئة الطفل من قرية مصرية:

إنها قرية «سلوا» تلك القرية المصرية التى تقع فى محافظة أسوان، فى منطقة فقيرة، تعتمد الحياة فيها على زراعة المحاصيل ورعى الإبل.

ويتمى أهل «سلوا» إلى أصل واحد، لقد نزحوا من شبه الجزيرة العربية، وفيها عائلتان أو عشيرتان كبيرتان، هما الجعافرة والعبادة، وتنقسم كل عائلة إلى مجموعة من الأسر، والعائلة وحدة اقتصادية واحدة يمارس أفرادها نفس المهنة، ويعتمد مركز العائلة على الملكية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

الروابط العائلية هى القوة الأخلاقية وراء تماسك القرية، وتحمل العائلة مسئولياتها كاملة عن سلوك أفرادها، وتنمى المعايير الأخلاقية بين أفراد العائلة الشعور بالانتماء واحترام الكبير والقائد.

وتختفى من مجتمع «سلوا» ظاهرة صراع الأجيال. وكل قواعد السلوك تستند أساساً على القرآن والسنة، ويعتقد السكان أن الإهمال فى تربية الأطفال يصحبه غضب من الله ونقمة منه فيحل المرض وتفسد المحاصيل.

وتسود مجتمع «سلوا» ظاهرة التنافس والغيرة بين الإخوة، والصغير يغار من يكبره، والكبير ينافس الصغير، فالاعتقاد السائد أن التنافس ظاهرة مفيدة لتحقيق النماء، ويُعتقد أن نظافة الأطفال تجلب لهم الحسد.

ويرى أهل «سلوا» أن فترة الطفولة أنسب الأوقات لفرض قواعد التأديب والنظام، ليعرف الطفل مكانه بين عالم الكبار فى القرية، ويدعم نظام التربية

المعمول به هناك أسلوب العقاب لردع الانحراف، ويشيع هناك أيضا المثل القائل «العصا لمن عصا»، وتسود فى مجالات التفاعل بين الكبار الريبة والتكتم والظن والخوف، إذ يعتقد أهل «سلوا» أن «الخوف بركة».

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:



عرض حامد عمار مظاهر التربية فى أطوار للنمو. فقد أوضح أن طور الحضانة يمتد حتى ٤ سنوات، ويفطم الطفل غالبا قبل نهايتها. ويتعلم الطفل فى هذا الطور الكلام والاستجابة لأوامر الكبار. وتتميز تلك الفترة بالتساهل

مع الطفل. وهناك اهتمام بعملية الرضاعة يرجع إلى الاعتقاد الشائع بأن ثدى الأم رمز للحنان. ويفطم الطفل بطريقة قاسية.

وحتى عمر ٤ سنوات يبدو عدم العناية بمظهر الأطفال أو ملابسهم القدر، إلا أنه بعد العاشرة من العمر لاتسمح الأسر للأطفال بارتداء الملابس الممزقة أو كشف عوراتهم.

وتقوم عملية تلقين الطفل قواعد السلوك على الإلزام وغالبا القهر اعتمادا على الأقوال السائدة مثل «إذا عصى الابن الوى رقبته». ومع هذه القسوة فى التنشئة يغرس فى نفس الطفل الخنوع، والخوف والرهبة.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة:

يفرق أهل «سلوا» بين البنين والبنات فى المعاملة وحتى عند تناول الطعام كما يحرم لعب الذكور والإناث معًا ابتداء من السابعة، بل حتى الاختلاط معًا، وعلى البنت بعد هذا العمر أن تغض الطرف كلما قابلت رجلا فى الطريق. والمجتمع فى «سلوا» يميل إلى القسوة والإلزام مع الفتاة أكثر من تطبيق هذه الأساليب مع الفتى، فالشدة هى مايميز معاملة الأسرة للبنت، ويرجع التفاوت فى

أساليب المعاملة بين الجنسين إلى القيم الدينية والقيمة الاقتصادية والاجتماعية للجنس التي تحقق للأسرة الاستمرار والبقاء

٤ - المشاركون فى التنشئة:

الأب هو العائل والمسئول عن إعالة الزوجة والأبناء، ويطلب الأب من الأولاد الطاعة والاحترام، وقلما أظهر الأب الحب والعطف لهؤلاء الأبناء. والأب له سلطة مطلقة فى تحقيق التماسك الأسرى.

وتسهم جدتا الطفل فى تربية الحفيد، وعملية تربية الطفل عملية مشاعة تتولاها العائلة كلها.

ومع نهاية ٤ سنوات من عمر الطفل، يستقطب الطفل جماعة الأطفال من نفس السن ويلعب الإخوة دورا هاما فى تكوين اتجاهات الطفل، ويقف الإخوة الكبار موقف الحراس على إخوتهم الصغار أثناء اللعب.

٥ - المنتظر للأطفال:

ينتظر أن يتعلم الطفل أنماط السلوك وبعض العواطف التى عليه تبادلها مع الأقارب، وعدم اللعب أو الأكل إلا مع أقرانه من الأقارب فقط غالبا، ومنتظر أن يحترم الطفل الكبار، وينسحب من مجتمعهم، على الرغم من تدريب الصغار على الأداء مثل هؤلاء الكبار.

من الهام لدى أهل «سلوا» أن يلحق الطفل قواعد السلوك الاجتماعى، ليتوافق مع معايير المجتمع، وتاديب الطفل عملية أساسية حتى يبقى استمرار البناء الاجتماعى، وذلك اعتمادا على ركائز الدين الإسلامى

ومع عمر الثالثة سوف يعرف الطفل أنه لن يسمح له بالتبرز خارج المنزل، وفى العاشرة يعرف أنه لا يجب أن يكشف عن أعضائه التناسلية، وعليه أن يذهب إلى المسجد ويطيع الكبار، ويتقبل السلطة المفروضة فى هذه السن، وعندها يطلق عليه «ابن حلال».

وينتظر أن يتعلم الإخوة التنافس لاعتقاد الآباء أنه أسلوب يدفع الطفل إلى التخلّى عن طفولته. وينتظر إن يتحول الطفل إلى إنسان منتج وليس عبثا اقتصاديا

٦ - نتائج ومشكلات للتنشئة فى قرية «سلوا» :

يغلب على ألعاب الصغار القسوة والخشونة، وهذه المظاهر تبدو تنفيسا عن المشاعر العدوانية ضد عنف الكبار عموما والإخوة الأكبر، والتي يحرم على الطفل التعبير عنها.

ويرى حامد عمار أن استعمال القسوة فى التربية لأولاد قرية «سلوا» تدفعهم إلى الكذب وممارسة الخداع فى اللعب.

والشخصية لدى أبناء «سلوا» عموما تتميز بالمشابرة والدأب على العمل، وممارسة الإلحاح، وردود الأفعال السريعة.

ثانيا : تنشئة الطفل فى قرية مكسيكية :

إنها قرية سانت دومنجو برىو فى ولاية أوكساكا المكسيكية. ، وهى قرية فقيرة يقوم البناء الاجتماعى فيها على ثلاثة عناصر هى القرابة والسن والجنس، وتسير على نظام الأسرة الممتدة، ويسود فيها غالبا نظام الزواج الداخلى.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

تبدو المشاركات الجماعية فى مواسم الحصاد والحفلات. ويرى أهل برىو أن الأسرة لا تكتمل بين زوجين إلا إذا ولد طفل لهما. وينظر أهل القرية إلى عدم الإنجاب كظاهرة غير طبيعية، وتسعى الأمهات لإنجاب أطفال كثيرين فى سن مبكرة. والأطفال لهم قيمة اقتصادية، ويعتقد أنهم يتعلمون السلوك المناسب تلقائيا لدرجة أن كثيرا من الأمهات لديهم لامبالاة من تصرفات الأطفال غير المناسبة كالإخراج.

ولا يمارس أهل برىو أساليب التسلط أو العقاب البدنى للأطفال، وينظرون إلى التنافس والصراع بين الرفاق نظرة كره، وتكره الأمهات اعتماد الأبناء على أنفسهم ولا يشجعونهم على الاستقلالية عنها، على الرغم من أنها تؤكد وتشجع على سلوكهم الإنجازى. ولا يهتم أكثر من نصف أهل القرية بإرسال أطفالهم للمدارس.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

ينال الرضيع عناية أمه وحنانها منذ ميلاده، وتعطى الأم ثديها للطفل كلما بكى، وتستمر عملية الرضاعة نحو عامين. ويعمل الابن بالزراعة حينما يتجاوز العاشرة من العمر، أما الابنة فتدربها الأم على أداء الأدوار النسائية. وأسلوب عقاب الأطفال الشائع هو التأنيب أو العزل من جانب الآباء، وتقف الأمهات موقف لامبالاة من الأخطاء وكل منهن تقوم بتأنيب أطفالها.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة:



يوجه الأطفال ليعاون الابن الذكر أباه فى العمل، وتساعد البنت أمها، ولا يضرب الأبناء الذكور نهائيا وأحيانا تضرب البنات، وتفضل الأمهات أن يلعب الأولاد الكبار بمفردهم، كما تؤثر الأمهات الفصل بين الجنسين فى اللعب بعد مرحلة البلوغ. أما فى الطفولة فيمكن أن يلعب الذكور والإناث معا ولكن تحت إشراف فتاة كبيرة.

والأمهات لا يفرقن بين ملابس البنين وملابس البنات، فيلبس الأطفال من الجنسين أزياء متشابهة فيما قبل ٨ سنوات تقريبا، ولا تهتم الأمهات حتى هذه السن بتربية الأولاد تربية جنسية، وغالبا لا يغطي الأبناء عوراتهم وكثيرا ما يلاحظ ممارستهم للاستمناء.

وبعد عمر ١٢ سنة يبدو التميز واضحا بين الذكور والإناث، وترتبط الإناث بأعمال المنزل وتكون أكثر احترما وإذعانا وتفرض عليها الأسرة الطاعة، وبينما تفرض الأم على ابنتها الطاعة، تعطى ابنها الحرية كاملة، إلا أن الابن يتعلم الانقياد والطاعة لأوامر الأب، ويعتنى كثيرا بتغذية البنات أكثر من الأولاد. والبنات أكثر إقبالا على التعليم من الأولاد، نظرا للحاجة إلى مساعدة الأولاد للآباء فى أعمالهم.

٤ - المشاركون فى التنشئة:

من الأمور الطبيعية مشاركة الكبار من أبناء العم وأبناء الخال فى تربية الصغار، والعائلة كلها تشارك فى عملية التنشئة، بل يرى البعض أنها أفضل من الأب والأم.

وبالرغم من أن مسئولية العناية بالرضيع تقع على الأم إلا أن أختها (خالة الرضيع) تشارك وكذا عمه الرضيع. وتنتقل الرعاية إلى الإخوة وأقارب آخرين بعد الفطام، ولا يهتم الأب غالبا بالعناية بالأطفال لانشغاله بأعماله خارج المنزل.

٥ - المنتظر للأطفال:

الطاعة أمر مرغوب فيه من الطفل. ويمنح الطفل المطيع دائما الثواب على طاعته.

ويقلد الأطفال فى أفعالهم سلوك الكبار، ولكن حياتهم ليست لعبا خالصا بل يساعدون الأسرة فى العناية بالطيور والحيوانات، ولا يتعدى نشاط الأبناء فناء المنزل، أما بعد ١٢ سنة فالمنتظر أن يعمل الابن بالزراعة.

ويتعلم الأطفال العدوانية مثل الضرب والبصق والرفس مع الأطفال الآخرين، ويتعلمون سرد الأكاذيب وقول الزور. وإن كانت هذه السلوكيات لا يعرفها الطفل من داخل أسرته.

وعلى أى حال فإنه بينما تتصف شخصية الذكور بالعنف والقسوة مثل الآباء، فالمنتظر أن نجد الإناث يتصفن بالوداعة والهدوء مثل الأمهات.

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة فى قرية بربو:

أساليب التربية المتبعة فى القرية تأتى بأفراد يؤمنون بالسحر ويقدررون العمل، ويسود بين أفراد القرية التعاون والمساواة، ومن الشاذ أن يرى أو يُسمع عن فرد استغل أشخاصا آخرين.

ثالثا: التنشئة للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية:

المجتمع الأمريكى مجتمع رأس مالى، وهو مجتمع يقوم على الإنتاج الضخم. ويتميز هذا المجتمع بعدم التجانس بين ثقافته، وتعدد طبقاته. ويواجه المجتمع كثيرا من المشكلات الصناعية الضخمة.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

تقوم التربية فى المجتمع الأمريكى على قيم متصارعة بين طبقة وأخرى، ويواجه الطفل منذ بداياته تيارات متباينة من المبادئ ونماذج السلوك داخل الأسرة وخارجها.

ويؤكد المجتمع الأمريكى على التغيير الحر للفرد، ولو على حساب التماسك الاجتماعى. ولا تخضع عملية التربية للأبناء فيه على أسلوب محدد يرتبط بنظام الدولة، بل إن التربية تعود للأشخاص، وتثمر نتائجها حسب جهد الوالدين أو أحدهما فى توجيه الأطفال.

ويتفاوت دور الأب والأم أثناء عملية التنشئة، والأسرة تلقن الأبناء قيم الطبقة التى تنتمى إليها، وكثيرا ماتتعارض قيم الأسرة مع قيم الجماعات الأخرى مثل جماعة الرفاق، وتدعم جماعات الرفاق للأطفال - وبخاصة مع اقترابهم من البلوغ - النزعات المعادية لقيم الكبار واهتماماتهم.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:

يتفاوت دور الأب والأم فى اتخاذ القرارات الأسرية الخاصة بالأطفال وفى استخدام العقاب البدنى، ووضع القيود على الأطفال. وعموما يتضح ضعف دور الأسرة فى توجيه الأبناء.

فالوالدان لا يبذلان جهدا ولا ينفقان وقتا كافيا فى المواقف التى تتطلب تقديم النصيح وتوجيه السلوك لضعف علاقات الود داخل الأسرة. كما أن هناك ضعفا فى العلاقات بين الكبار بعضهم وبعض.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين فى التنشئة



تختلف بعض الطبقات فى أسلوب تربية البنت عن الولد، ويبدو هذا الاختلاف واضحاً عند الطبقة العاملة التى تعاقب البنت على أفعال تغفرها للولد.

٤ - المشاركون فى التنشئة:

لاتضع الدولة معايير للتربية الجماعية مثلما نجد فى دولة ضخمة مثل أمريكا وهى روسيا، وإن كانت هناك دور للحضانة وروضات.

والتربية مسئولية الأسرة وحدها، وهذا ما يجعل الطفل الأمريكى أكثر عرضة أحياناً للقلق إذا ترك فى عناية شخص آخر أو فى دار للحضانة.

ولذلك فالأشخاص الآخرون دورهم ثانوى فى تربية الأطفال، وللأبوان دور مهم فى تلقين الطفل قيم الطبقة التى ينتمى إليها.

ولجماعات الرفاق دور مهم على الأطفال الكبار، وهى تعمل مستقلة عن إشراف الآباء إلى حد كبير، وتتميز بالمرونة فى أفكارها، ولذا فغالبا تتعارض مع مبادئ الأسر.

٥ - المنتظر للأطفال:

تستقطب الطفل الأمريكى مواقف السلوك الاستقلالى والحرية والسلوك المنحرف بدرجة أوضح من الطفل السوفيتى فى نفس العمر، ويعانى الطفل الأمريكى صراع القيم بين ما يراه داخل الأسرة وما يراه خارجها.

٦ - نتائج ومشكلات للتنشئة فى المجتمع الأمريكى:

لا يبدو تحديد من جانب الأسرة حرية الطفل، ولا تبدو الصورة البارزة للتربية الجماعية، كما لا يوجد توحيد مع القيم باستمرار من جانب الأطفال، ويرتضى الأطفال الغش فى الامتحانات، ولا مانع أن يأخذوا أشياء لاتخصهم أحيانا ويتجاهلون غيرهم ممن هم فى حاجة إلى نجدة.

رابعاً : تنشئة الأطفال فى روسيا:

كانت روسيا لعهد قريب مجتمعا يعتمد على النهج الاشتراكى، والمجتمع الروسى له نسق صناعى متفوق يتصارع مع الولايات المتحدة الأمريكية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

كانت التربية فى روسيا تهدف إلى إعداد طفل يتوافق تماما مع معايير الكبار، ومن أهم الأهداف التربوية خضوع الطفل للنظام واحترامه بالإضافة إلى الطاعة.

فالطفل فى مجتمع متجانس، ويعيش فى معايير متجانسة، والتنشئة فى روسيا تهدف فى جميع أطوارها إلى تحقيق الجماعة وتأكيداها، والقائمون بالتنشئة ملتزمون، وكانوا يؤكدون على غرس القيم الاشتراكية.

ومسئولية الأب فى المجتمع الروسى نحو أبنائه هى استمرار لمسئوليته نحو المجتمع، وتأكيد السلوك لصالح الجماعة.

وتهدف عملية التنشئة إلى التكوين الخلقى عند الطفل. وقد حددت لهذا التكوين برامج إجرائية يتعرض لها الأطفال بفاعلية فى المدرسة والبيت والمجتمع. ولكل سن برامجه الخاصة به فى تفصيل يحدد بالدقة ماذا يجب على الطفل عمله فى تلك البيئات الثلاث. والمعلمة أو المنشئة لها مكانة عالية، ودورها محل تقدير من جميع أفراد المجتمع، ومعروف أن مسؤوليتها خطيرة فى إعداد النشء ورعايتهم نفسيا وتربويا.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:

ليست الأسرة الروسية نظاما مغلقا عن المجتمع الكبير، فهى تعد جزءا من البناء الروسى القيمى. وتقوم التربية للأطفال على الإقناع والتشجيع والمدح، ويتم

اللجوء إلى العقاب بالتأنيب والتهديد بسحب الحب للابن المتمرد. والروس يكرهون العقاب البدنى.

ويربى الطفل على احترام العمل وتنظيمه، واحترام العمل مع جماعة وإخضاع رغباته لصالح الجماعة.

ويؤكد الروس على الحماية الزائدة، وغرس الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة.

ومنذ مولد الطفل تهتم الأسرة بعملية الرضاعة، إيماناً بإشباع الحاجات الأولية والنفسية للطفل، ومع نمو الطفل يستمر توفير الحنان والدفء الأسرى له. فيلاحظ عناقه وتقيله بكثرة عما يشاهد مع الطفل الأمريكى. ويؤدى الحب الزائد للأطفال إلى تقييدهم.

وإن لم تكن الأم متعلمة، فإنها تزود بعديد من النشرات والكتيبات، التى توضح لها بأسلوب سهل بالصور والأمثلة، كيف تتعامل مع أطفالها.

والاهتمام الأكبر من الوالدين هو تعويد الطفل الطاعة : طاعة الأوامر التى تلقى إليه، وأن يسمع وينفذ ما فيه، ويتم ذلك بلهجة وأسلوب مملوء بالمحبة والحنان والعطف. بل إن الطفل لكى يصبح مطيعاً يحاول الأب أو الأم إقناعه بضرورة تنفيذ ما يكلف به، ويتم ذلك بإعطاء أمثلة للطفل أو قص الحكايات القصيرة، أو بالمحاكاة وتقليد ما يفعله غيره.

وعندما لا يطيع بعض الأطفال الأوامر، يكون التأنيب فى بداية الأمر خفيفاً هيناً لاخشونة فيه، وخالياً مما يؤلمه نفسياً أو جسيمياً. وإذا زاد العناد، يبدأ إشعار الطفل بسحب جزء من الحنان والحب اللذين عهدهما، ويكون السحب تدريجياً، ويكون هذا السحب بوسائل مختلفة مثل تغيير ملامح الوجه، أو تغيير نبرة الصوت أو حتى طريقة لمس الطفل، أو عدم الاهتمام بالإصغاء لما يقول .. وهنا يشعر الطفل أن ثمة تغييراً لدى الكبير قد حدث.

ويهتم الوالدان بضرورة تعويد الطفل على شكر من معه فى المنزل، على ما يقدمونه من أعمال له، على أن يقترن الشكر بالابتسامة.

ومن الطريف أن مواقف الخبرات التي يمر بها الطفل في البيت أو المجتمع يحكى عنها في المدرسة أمام زملاءه وتحت إشراف المعلمة (المنشئة).

والملاحظ أنه بعد الحرب العالمية الثانية، فقدت ملايين من الرجال، وأصبح عدد النساء أعلى من الرجال بنسبة ٢٠٪، وكان على الأم أن تلعب دورا بالغ الأهمية في تنشئة الأطفال، بالإضافة لإشباعهم بالحب والعطف الزائدين، في الوقت الذي تطلبهم فيه بالطاعة.

٣ مراعاة الفروق بين الجنسين:

من الجدير بالذكر أن الأعمال التي يكلف بها الأطفال حتى سن ١١ سنة تقريبا سواء في المدرسة أو البيت أو المجتمع تنسحب على الذكور والإناث على السواء.

٤ - المشاركون في التنشئة:

الأسرة الروسية لاتنفرد بعملية التربية، فهناك منظمات للأطفال والصبية ولاتقوم الأم وحدها بتربية الطفل بل تمتد المسئولية إلى الأقارب والأطفال الأكبر سنا.

ورغم امتصاص العمل لوقت الآباء في روسيا مما يجعل الأبناء يلحقون بمؤسسات اجتماعية تتولى رعايتهم ويجعل الوالدين يعوضان الساعات الطويلة بعيدا عن أطفالهم بالحنان والحب الزائد.

وتؤسس الدولة دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الأهلية ومدرسة اليوم الكامل لخدمة أبناء النساء المشتغلات، وكل هذه المؤسسات تخدم أيديولوجية المجتمع في التربية.

ويلتحق الأطفال عامة بمؤسسات داخلية أو بمؤسسات يطلق عليها مدارس اليوم الطويل الذي يمتد من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر، ويطلق البعض على هذه المؤسسات المجمعات أو الجماعيات Collectives.

وقد اقترن دور المنزل بالمدرسة، فحينما يتحدث Bronfenbrenner وغيره يقولون أن الأم والمدرسة تفعلان كذا وكذا... فالصلة بين الاثنين والدعم دائما قائم لدعم الانتماء والولاء لدى الأطفال لمجتمعهم.

وفى المجتمعات الروسية تقوم المنشئة بتربية الأطفال بلغة مشتركة للتعامل معهم، كأن تستخدم حركة يدها تعني الصمت التام، أو حركة أخرى تعنى التصفيق، وثالثة تعنى حرية الحركة . . ويتم هذا وغيره مع مراعاة أن المنشئة تخفض من قامتها حتى يصبح وجهها مع مستوى وجوه الأطفال، فتكون عينها فى أعينهم، وليست أعلى من مستواهم تنظر إليهم من على، ولا يطيّل الأطفال أعناقهم لينظروا إليها، وإنما هى معهم فى مستوى قامتهم وحتى فى بساطة محبة إلى نفوس الصغار . . وفى بعض الأحيان حتى لاتضطّر المنشئة إلى الانحناء يصمم موقع الأطفال على مستوى عال عن أرضية وقوف المنشئة، ويطلق على ذلك التفاعل وجهها لوجه .

ويتّم تعويد الطفل ارتداء الملابس والذهاب إلى دورة المياه . . وكل هذه الأوامر تصدر عن نبرة مشبعة بالحب والحنان من المنشئة . حتى يصل الأطفال إلى مرحلة يعتمدون فيها على أنفسهم كمجموعة، وعندها تنسحب المنشئة تدريجياً تاركة للمجموعة زمام القيادة بحيث يكون الطفل مسئولاً أمام المجموعة عن تصرفاته .

وتسبينا القول بأن اليوم الأول للذهاب إلى المدرسة، يقدم الأطفال للمدرسات أو المنشئات رهورا، ويكون الجميع فى فرحة وكأنهم على موعد سعيد .

وأثناء تعليم الطفل قد تلجأ المنشئة فى بداية الأمر إلى تعزيز سلوك الأطفال وتشكرهم وتثنى على هذا السلوك . ولكن بعد أن يتأصل فيهم تصبح هذه الأعمال من الواجبات والأمور التى يجب على الأطفال أداؤها .

٥ - المنتظر للأطفال:

تهدف التّشئة فى المجتمع الروسى إلى إدماج القيم التى تؤكد على الطاعة وضبط النفس .

ويتّظر أن يتعود الطفل الالتزام والتفاعل الجماعى، والتعود على العمل الجماعى .

ولاستقطب الطفل الروسى مواقف الغش أو الانحراف مثل من هم فى مثل سنه بالمجتمع الأمريكى، فالطفل الروسى يعد ليكون له سلوك متوافق مع معايير الجماعة، ويساعد على قوتها.

اعتياد الطفل مع كل يوم بالمدرسة أن يحى المنشئة ومن يقابله من العاملين، ثم تحية غيره من الأطفال. ويحى الطفل الذى يجاوره فى غرفة الدراسة باسمه.

ويتنظر من الطفل فى المنزل العناية بملابسه وترتيبها وتعليقها. بل أحيانا ينتظر منه أن يثبت زرا فى قميصه إذا لزم الأمر وتلميع الحذاء كما يشارك فى بعض الأعمال المنزلية البسيطة.



ومن المتوقع من الطفل أن يصبح على وعى بأن الممتلكات العامة هى أيضا ممتلكاته، وكما يراعى ما يملكه ويحافظ عليه فإن عليه أن يراعى ما يملكه غيره. فالزهرة ملك للجميع فى الحديقة - مراعاة عدم إزعاج الغير - الصوت المنخفض الهادئ دون عويل - احترام المهن المختلفة - الالتزام بمواعيد المدرسة - الاستئذان - مراعاة الوقفة والجلسة - وضع الأشياء فى أماكنها المحددة.

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة فى المجتمع الروسى:

تقييد الحرية للطفل إلى حد ما، وتقوية الروابط بين الأطفال وأسرهم ومجتمعهم مع قلة الشعور بالقلق مقارنة بالطفل الأمريكى.

البعد عن الغش وعدم أخذ ما يخص الغير، وتقديم العون والمساعدة للغير عند طلب النجدة من الآخرين.

إن الأطفال الروس أقل رغبة فى المشاركة فى أعمال ضارة بالمجتمع كما أظهرت نتائج البحوث. وإن كان الأطفال نسخا مكررة فى الوقت الذى تكون الحاجة فيه إلى أفراد أكثر متميزين وليسوا فقط بالضرورة ممتازين.

خامسا: تنشئة الطفل الغجرى فى الهند:

لم يعد كل الغجريين من الرحل، إلا أن الترحال هو الخاصية التى تميزهم، ومن الصعب التكهن بمن سوف ينقطع منهم عن السفر أو لن ينقطع من جيل إلى آخر. والترحال سبب تشتت هؤلاء على وجه الأرض، لأن الترحال يتميز بالطرد والرفض.

وفى بعض البلدان تكون نصف المجموعات الغجرية من أطفال ومراهقين دون الخامسة عشرة. والمجتمع الغجرى غير متجانس، والطفل الغجرى فى مفترق طرق التقليد والتجديد والانقراض.

وقد كتب على الغجر أن يناضلوا من أجل البقاء فى مختلف مراحل تاريخهم، وغالبا ماكانت ردود الفعل على هؤلاء الرحل مناهضة عنيفة، وهناك عدم تلاؤم بين المجتمع الصناعى ومجتمعات الرحل، ويبدو أن هذه المجتمعات قد غرست فى لاشعور أفرادها مقاومة تأثيرات مايحيط بها من ثقافات.

وهناك نزوع إلى الالتحام بين الأبناء والآباء والمجموعات التى ينتمون إليها. ويلاحظ وجود الأسر الممتدة التى تحافظ على الأجداد والأبناء والأحفاد وتستوعبهم طويلا فى شبه التحام يبدو أنه أصبح غريزيا، لدرجة تصل بنا إلى إمكانية القول بامتلاك الآباء للأبناء امتلاكا حقيقيا.

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

إن المهم عند الغجر هو الجماعة وليس الفرد، وإن قانون الجماعة فوق الخيار الشخصى.

ويعتبر محظوظا من بين الغجريين من يرزق طفلا، وخاصة إذا كان ذكرا وهذا مايجعل أقرب القريبات من الأم أن تقول بطريقة شعائرية لها «أنت محظوظة» عند وضعها لطفلها.

والحظ يؤمن به الغجر ويعبر عن ضمان استمرارهم فى هذا الكون وتميزهم عن سواهم.

والولادة مجلبة للدنس طبقا لاعتقادات الغجر، فالأم تضطر الى اعتزال الآخرين أياماً محددة، وعلى الأب أن يتحصن من القذارة والابتعاد عن الأم قليلا، ولايمنعه ذلك من المشاركة فى ممارسة الطقوس المتبعة عند استقبال مولود. وهناك اعتقاد حول سلطان الأم بصفقتها واسطة مع القوى الغيبية لعلاقتها بالدنس.

ولكن هناك خشية من الاقتراب من الأم حتى لاتحدث اتصالات مشتومة مع قوى الشر العليا، لأنها غير طاهرة فى هذه المناسبة، ويجب التوقى من الأرواح الشريرة، كما يعتقدون. والعرف يقتضى أن يعيش الزوجان عند أبى الزوج إلى أن تلد الزوجة طفلها الأول إذا أرادا الانفصال عن الأسرة الممتدة.

ولامانع لدى الغجر من قبول القيم غير الغجرية للبلاد التى ينزلون بها بهدف ضمان التسامح معهم وتجنب النبذ، والنجاة من التعامل السيئ معهم.

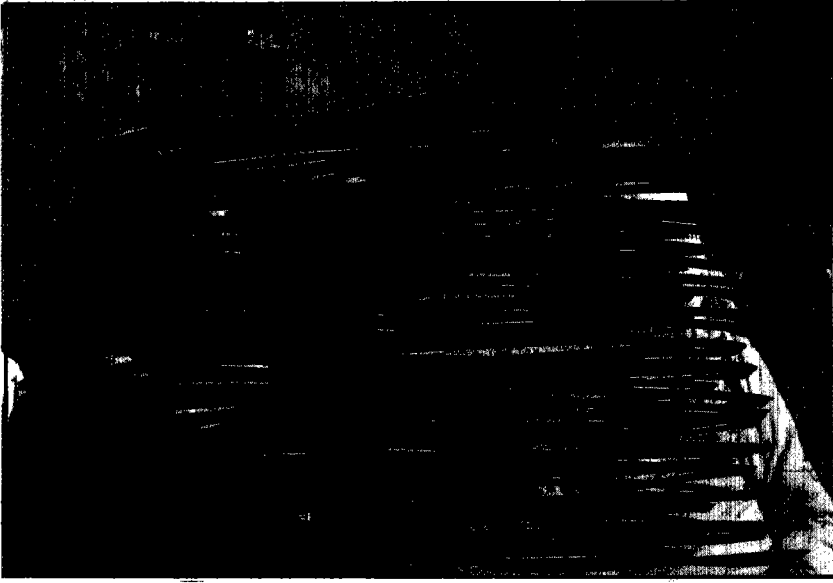
٢ - رعاية الأطفال من الوالدين:

ومع المولد يكون عهد رضاعة الطفل قد بدأ، ويظل الطفل متعلقا بأمه سنوات عديدة. وإن كانت بدائل للغذاء أصبحت تدخل على وليد الغجر.

وما أن يصبح الطفل قادرا على الحركة حتى تترك له حرية التنقل، ويساعد على أن يمشى مبكرا، وطعامه يصبح وقتها من بقايا طعام الأسرة، دون أن تتخذ له تدابير خاصة، ويأكل طوال اليوم ماتقع عليه يده دون أن يقابل من والديه بأى نهى.

أما بخصوص النوم، فالأسرة كلها تنام فى نفس المكان، وعامة مايحاذى الأطفال ولى أمرهم ذى الجنس المخالف، وتهدهد الأم رضيعها عندما يسترخى للنوم أثناء السير أو تتحدث إليه وتداعبه بأسلوب شبه ألى دون أن تعيره اهتماما خاصا، بالإضافة إلى بعض المداعبات للعضو التناسلى أو تقبيل الطفل.

وعندما يكبر الطفل يحدد بنفسه مكان نومه ووقته، دون أن يعيره الكبار اهتماما خاصا.



ولنظافة الأطفال، لا تمارس أي ضغوط، وأحيانا نجد سلوكا مزدوجا للطفل إذا كان ملتحقا بمدرسة، فيتبع أسلوبا للإخراج مثلا في المدرسة غير الذي يمارسه وسط والديه، وحرية التصرف الظاهرة التي ينعم بها الطفل الغجرى لا يعتبرها الغجر سوءا أو قلة نظام. والأم لا تطاع مثل الأب.

إن المداعبات والقبلات للطفل تؤكد أهمية الجسد في العلاقة بين الوليد ووالديه، فالأمر يصل إلى حد الالتقاء بين جسد الطفل وجسد والديه، وهو أمر سوف ينتهى عند وصول الطفل إلى سن البلوغ. فعلاقة الوالدين بالأطفال قائمة على الجنس بصورة طبيعية للغاية. وهناك تأويل لهذا التقارب الجسدى على أنه انتماء.

ومع بلوغ الطفل يحرم من هذه العلاقة ويتم اختيار زوجته دون استشارته ويتولى الأب تحديد تاريخ الخطوبة والزواج، ويقتدى بهذا النظام باستمرار.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين :

يستبشر الأهل خيراً مع ولادة الذكور، ويقال للأم أنها محظوظة. وعند سن البلوغ يعد الطفل فى المجتمع العجربى رجلاً يمكنه الزواج، ويكون للذكر حقوق أكثر من الأنثى وواجبات أقل من واجباتها، فتستسلم، كما استسلمت أمها لرغبات الزوج وتقوم بالأعمال المنزلية، ولا تخرج بمفردها، وأحياناً تدخل فى علاقات محرمة مع رجال المجموعة.

٤ - المشاركون فى التنشئة:

الطفل يقرر طريقة عيشه، والآباء العجربون لا يمنعون أطفالهم من رغباتهم. ويعيش الطفل داخل علاقات القرابة المؤسسة على الأبوية عامة حيث يعرف نفسه باسم شجرة الأب، وتتعاقد القرابات لتدعم للطفل انتماءه إلى مجموعته ضد المجموعات غير العجربية.

٥ - المنتظر للأطفال:

ينتظر من الطفل أن تكون صورة الأب لديه مثلاً أعلى لرجولته، وترك الحرية للأطفال واستقلاليتهم يفضى بهم إلى كيفية تدبير أمورهم بأنفسهم إلى حد كبير قرب الثامنة من العمر.

ورغم التحاق بعض الأطفال بالمدارس، فيدخلون فى نظام تختلف معاييرها عن معايير العجرب، لكنهم يبقون على عدوانيتهم وكثير من سلوكياتهم. وهذا الالتحاق بتعليم رسمى لا يدوم طويلاً فيتركون المدارس.

ويلاحظ أنه مع نهاية الطفولة يكون المرور من الحرية إلى المحظور، ويكون التقيد وربما ظهور الانطواء، وهذا ما يجعل الزواج المبكر حلاً لهذا الأسر الجديد.

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة للمجتمع العجربى فى الهند:

يبدو من خلال الأطوار أن الطفل لا يحصل على تفاعل منظم مع والديه، فليس هناك تدريب على الإخراج، أو النظافة، ولا صوراً للعاطفة العفيفة البعيدة عن الانطباع الجنى فى جسد الطفل.

ويفضى غياب القانون الذى يجعل الطفل يدرك نفسه وذاته إلى عملية تقليد لعالم الأجداد . وعالم الصغار لا يتدخل فيه الكبار

سادسا : نمط التنشئة فى قرية كولمبية:

لقد أطلقت الباحثة Alicia Dussan اسم لينارس Linares على القرية الكولمبية التى أجرت فيها هذه الدراسة .

ويقطن القرية سكان من البيض الملونين والهنود والعبيد السود . وينقسم الناس فيها إلى طبقة ميسورة من البيض فقط ، وطبقة وسطى ودنيا أغلبها من الملونين .

ويعتمد اقتصاد القرية على الزراعة بتقنيات بدائية ، والأسر الفقيرة تحبى أراضي الأسر الميسورة .

ويأتى إلى القرية سياح كولمبيون ينتمون إلى الطبقة الوسطى والدنيا ، يصطحب الواحد منهم معه بعض الأدوات مثل أجهزة التصوير والراديو والصغيرة ، وسلوكه يتألف جزء منه ما هو مألوف بالقرية . وتباع بعض قطع الأراضي لبعض السياح .

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

أنماط التربية للأطفال التى شاعت لسنوات طويلة فى طريقها إلى بعض التحولات بسبب الثقافة السياحية .

وكل الأمهات يعتقدن أنه لا يجب التخلّى عن رضاعة الطفل نهائيا ، وتعتقد كل الأمهات أنه لا يوجد طفل أجمل من الطفل الذى يتغذى بلبن الأم . ولاسيبيل لإسكات الطفل الباكي من وجهة نظر الأمهات سوى إرضاعه إن لم يكن مبللا .

وعلى الأب أن يقدم ثياب الوليد ، فهذا دليل على أنه سوف يقوم بواجباته نحو الطفل . أما إذا كانت الأم غير متزوجة منه فإنه يمتنع عن ذلك . ومن المعتقدات الموجودة أنه كلما كان الطفل أكبر كان تعويده على ترك الرضاعة أصعب . وترى النساء أنه لا لزوم لتعليم الأكل للأطفال ولا تعلم الأمهات أطفالهن الكلام ، ولاسيبيل لأحد غير أم الطفل أن يراه بدون ملابس .

ويتسبب تبول الطفل أو تبرزه فى نفور كثير من الأمهات والأسر، ولا يليق الحديث عن ذلك أمام الغرباء، ويستغل هذا النفور لتأديب الطفل.

وتنام الأسرة كلها فى غرفة واحدة، عادة حتى وإن كانت فى البيت غرف أخرى شاغرة . واستخدام العقاب يكون أشد عند الأسر الفقيرة.

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

الأمهات واعيات بمشكلة نقص الغذاء، ويولد الأطفال غالباً قبل تسعة أشهر لهذا السبب بالإضافة إلى ضعف الأم.

وفى المستشفى الخاص بالقرية يتمخض أغلب الأمهات، ويغذى الطفل من زجاجة فى الثلاثة أيام الأولى بعد المولد وفى اليوم الرابع ترضعه الأم من ثديها، وتأخذه فى أحضانها وتعينه على التقاط الثدي وتفضل ذلك بطيب خاطر وكثير من اللطف، وتدعه يرضع كلما أراد أو إذا بكى.

وإذا وصل الطفل عمر العام تترك الأم ثديها لطفلها، وهى غالباً ماتكون جالسة على مقعد منخفض جداً أمام منزلها ويرضع منها الطفل واقفاً.

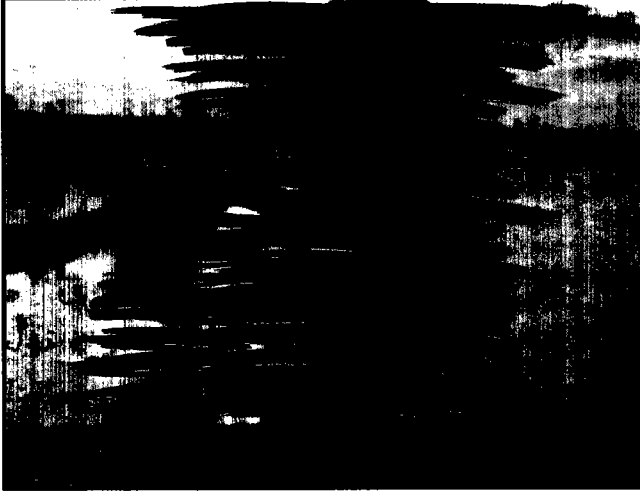
ويستمر غذاء الطفل بلبن الأم حتى الثانية والنصف أو الثالثة من العمر، وقد اعتادت النسوة دهن الثدي بمادة منفرة، فالأم لا ترفض تقديم ثديها للطفل بل عليها أن تجعله مصدر نفور لابنها بعد هذا العمر، وإن كان الطفل يبدأ فى تناول غير لبن الأم قرب الشهر السادس من عمره، مثل الحساء ثم الأرز قرب الشهر العاشر.

وعندما تطعم الأم ولدها فإنها لا تكلمه وتقتصر على إدخال الطعام فى فمه فى البداية، ثم تضع الغذاء فى يده دون أن تظهر اهتماماً خاصاً.

وفى عمر الثالثة يبدى بعض الأطفال غضبهم بقلب الطعام على الأرض أو تقديمه للحيوانات الأليفة، ويعاقب على هذا التصرف بأن يترك الطفل الذى يفعل ذلك بلا طعام سائر اليوم.

ومنذ الأيام الأولى تسعى أمه إلى تعليمه بالحركة والصوت والشعور بالجشمة نحو أعضائه التناسلية، وإذا ما اقترب منه أحد وهو مكشوف أو من غير سراويل تقول له أمه «استح، استر نفسك» وذلك عندما يتمكن من المشى. أما فى سن الحبو فهم يتركون نصف عراة دون سراويل.

والأطفال لا يبدون نظفاء بسبب قلة تبادل ملابسهم وقلة استحمامهم، وتداعب الأم طفلها بيدها حين تستخدم الصابون فى استحمامه ويكون الطفل سعيدا لهذه المداعبة.



وتعنى الأم بطفلها وتهدهده بعد الرضاعة، وبعد أن كان يوضع الطفل فى سلة ييضاوية فى أيامه الأولى ثم فى مهد فى سرير الأم فإنه فى عمر الستة أشهر يوضع فى أرجوحة النوم، وهى

عبارة عن بطانية معلقة بين حبلين، قرب سرير الأم.

وفى الشهر التاسع يبدأ توبيخ الطفل، وضربه ومع نهاية الشهر الرابع تطوف الأم بطفلها مشدوداً إلى صدرها فى الطريق، ومع حبو الطفل تحمله بشال على ظهرها، وحينما يصبح أكبر ويمشى تصطحبه معها للأماكن، ويمكنه أن يخرج عدة ساعات يومياً فيلعب مع الرفاق ويلهو بالأحجار والأزهار ونادراً ما يلعب بلعبة حقيقية.

والعقاب البدنى المفرط غير محبب، لأنه من وجهه نظر الآباء متى أفرط فيه يأتى الطفل سفيهاً. والمثل الأعلى هو أن يفهم الطفل من مجرد النظرة، والأم تصوب نحو طفلها مجرد نظرات تنبهه عن تصرفه.

ومن أنواع العقاب مع الأطفال تركهم فى الظلام، وهو ما يفزع الطفل للغاية، وينجيه الآباء إلى إخافة أطفالهم بالمتسولين ويقولون لهم: «سيأتون ليأكلوكم».

ومن المكافآت المتبعة مع الأطفال نظرات العطف والابتسامات، ومنح الحلوى أو الثياب الجديدة ونادراً اللعب، أو أخذ الطفل مع الوالدين إلى الحفلات.

والآباء الذين يشتغلون بالمحلات فى قرية لينارس، يستعينون بأطفالهم فى تحصيل النقود من العملاء أو فتح قوارير الشرب للسياح، ولقد بدأ الأطفال يتخلون تدريجيا عن صحبة آبائهم فى المزارع، لأن الريف بدأ يهجر شيئا فشيئا لانشغال الرجال بالبناء والعمران.

ويبين الكبار للصغار بكل صبر كيف يعملون، فالأم تبقى دائما بجوار بنتها عندما تعمل وتعلمها، والأب يكتفى بإعطاء بعض الإرشادات للولد ويتركه فترة ثم يعود ليرى ما أنجزه. ولايكافأ الأطفال على طراقتهم، ولا تغفر زلات لسان الطفل، ويطلب منه دائما التصرف كراشد صغير.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين:

يعامل الأطفال من الجنسين بنفس الطريقة حتى سن الثانية، ولكن بداية من هذا العمر على البنت أن تقلد أمها وتساعدھا، وعلى الولد أن يقلد أباه ويعينه.

وتعلم البنت أنها فى منزلة أقل من الولد، وأن عليها طاعة الآخرين والتحلّى بالتواضع، أما الولد فيتعلم كيف تخدمه النساء وتحترمه باعتباره ممثلا لأبيه. وهذا يتيح له فرصة أن يغضب إذا لم يعجبه شىء.

وفى عمر الخامسة تلعب البنات مقلدة الأم بالعرائس والأشغال المنزلية، ويلعب الأولاد ببناء منازل من حجارة، أو لعبة الشرطى والسكرير. ويجتمع الأولاد والبنات للعب الكرة باليد.

وفى سن الخامسة يعطى الطفل الذكر بعض الدجاج وشاة أو أكثر كرأس مال صغير له بالإضافة إلى تقاضيه أجراً على بعض مايقوم به من أعمال.

أما البنت فهى تعاون أمها فى سقى النبات والعناية بدجاج الأسرة وغسل الثياب وتقديم الأكل للأب والإخوة.

٤ - المشاركون فى التنشئة:

خلال الأسبوع الأول من ولادة الطفل، يبقى الأب بالمنزل ويترك كل أعماله، ويبقى مرافقا للأم إذا كان متزوجا. ويساعد عدة نساء من الأسرة على ضمان توفير احتياجات المنزل.

وإذا انشغلت الأم خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الولادة بشئون المنزل اهتم الأب بالرضيع . وإذا اضطرت الأم إلى ترك المنزل فيعوض الطفل إخوته الأكبر ويبدلون ما فى وسعهم معه ويتحلون بالصبر معه فى البداية ثم يتركونه يبكى . ومع الأسبوع الأول للولادة يختار الزوج والزوجة ، زوجين لا ينتميان إلى عائلتهما ، ويتولى هذان الزوجان اختيار اسم الطفل ويهبانه الثياب . وعندما يتمكن الطفل من المشى غالبا ماتركه أمه عند الأقارب فى الصباح وتأخذه فى المساء ، ويرسل الطفل لزيارة أقاربه الذين يحرصون على رعايته ولا يعاقبونه أبدا ، وعندما يكبر يعمل زيارات لحقول أعمامه وأخواله . ويكلف الأطفال الكبار أحيانا بمراقبة الأطفال الصغار ، ويغضب الأطفال الصغار إذا ما أخذ الطفل الأكبر ما فى أيديهم مثل الحلوى ، أو الدميات الطينية أو سدادات القوارير التى يلعبون بها . وأحيانا يقوم الإخوة والأخوات الأكبر برعاية الطفل الصغير .

٥ - المنتظر للأطفال:

المتوقع للأطفال فى قرية لينارس كما يرى الأهل أن ينطبع الطفل بطابع الأب أكثر من الأم ابتداء من سن السادسة ، وأن سلوك الأطفال أثناء وجود الأب بالبيت يصبح أفضل خوفا من عقاب الأب .

ويتنظر أن يعرف الطفل المطلوب من نظرة الأم أو الأب وينفذ ما يقصدهونه كما أن الطفل يتعلم مراعاة الأقارب والمسنيين واحترامهم وكذلك احترام من ينتمون إلى الطبقة الراقية ، ويتعلم الحرص على حسن هندامه عند زيارة الآخرين ويتنظر منه دائما أن يتصرف كراشد صغير .

والمتوقع منه الطاعة والجلد والإحساس الشديد بالمسئولية إزاء عائلته ، ولا تشجع أو تضخم فى تصرفاته العفوية ، وعليه احترام ما يصدره رجال الدين .

١ - نتائج ومشكلات التنشئة فى قرية لينارس الكولبية:

استخدام الضرب يجعل الأطفال يغضبون ويبولون على أنفسهم ، كما أن عقاب الأطفال بتركهم فى الظلام يجعلهم يخافون ، وعموما فإنهم لديهم مخاوف

الظلام، ولا يستمتع الأطفال بطفولتهم فترتها المعهودة، ويتعلمون الانضباط من سن صغيرة. كما يتعلمون الادخار.

سابعاً: تنشئة الأطفال عند الفينزويليين الأفارقة:

الفينزويليون الأفارقة من العبيد الذين اقتيدوا إلى فينزويلا للعمل فى المناجم وزراعة المنطقة الساحلية، وقد حصلت بعض الأسر منهم على قطع من الأراضي للزراعة فيها، وقد بنت الحكومة لهم مساكن مجهزة بالماء والكهرباء تعويضاً عن الأكواخ القديمة، وأصبح بإمكان العبيد هؤلاء شراء أجهزة التلفزيون والأدوات المنزلية.

ورغم هذه التحولات إلا أن المراهقين من هذه الفئة يهاجرون عندما يتركون المدرسة إلى المدن بحثاً عن مصير أفضل.

والآباء يرون من المهم أن يتلقى أبنائهم تعليماً ليحسنوا مستواهم من المنزل الزراعية.

١ - الأعراف والقيم الشائعة :

هناك احتفاظ بكثير من التقاليد القديمة كالشعائر الدينية والطب الشعبى والأساطير، ويحيى الفينزويليون الأفارقة «عيد القديس حنا» بأفراح كبيرة.

والطقوس الجنائزية مازالت بها بعض الممارسات الأفريقية، مثل السهر على رأس المتوفى والانتحاب الشعائرى، وتنتهى بشعيرة طرد روح الميت. ويؤمن الفلاحون الفينزويليون الأفارقة بالأرواح الشريرة والأرواح الطيبة، وعند موت أحد أفراد العائلة توضع أشرطة سوداء أو حمراء فى معاصم الأطفال لمنع روح الميت من أخذهم إلى العالم الآخر.

وتكوين العائلة يندر فيه الزواج القانونى، والكثرة الكثيرة من المعاشرات بالتراضى، ولذلك فالنسبة الأعلى من الولادات سفاح، والأمومة محببة جداً سواء كانت الأم لها أولاد شرعيين أو غير شرعيين.

ولا وجود للعنوسة. والأبناء اللقطاء لا يعانون من كونهم غير شرعيين. وإذا وجدت روابط زوجية فهى غير ثابتة ولا مستمرة. والأم هى التى تربي الطفل.

وليس للطفل من علاقة ثابتة إلا معها، لأن الأطفال يبقون معها حتى إن بدلت صاحبها أو زوجها.

وإذا وجد الأب أو الصاحب مستمرا مع الأم، فإنه لا يقوم إلا بدور ثانوى فى حياة الطفل، ويظهر بعض الآباء عطفًا على طفلهم، ولكنهم يخجلون من مداعبة الأطفال أمام الناس، وكثيرا مايساهم صاحب الأم الجديد - بعد زوجها أو صاحبها الأول - فى العناية بالأطفال.

ورغم ذلك فإن الأمهات يتمنين أن تتزوج بناتهن قبل أن ينجبن سفاحا، أو يجدن على الأقل صاحبا - عوضا عن الزوج - يكون ملتزما ومسئولا . لكن الأمهات يتنازلن بسهولة جدا إذا لم تتحقق أمنياتهن . وبالمقابل فإن الآباء يشجعون أولادهم من سن العاشرة على الألعاب الجنسية، ويفتخر الآباء بمغامرات أبنائهم . وإن كانت العديد من التقاليد تأخذ فى الزوال .

٢ - رعاية الأطفال من الوالدين :

تعتنى الأم بالطفل، تطعمه وتوفر له الملبس . والرضاعة من ثدى الأم للطفل كانت شائعة فقط فى الماضى حتى يصل عمر الطفل إلى عامين أو عند ميلاد طفل جديد وفيما بعد فإن الأمهات يطعمن الطفل من الثدي والزجاجة .

وإذا لم يأت للأم طفل آخر، فإنها غالبا ماتدهن حلمتها بمادة مرة لتنفّر الطفل وتيسر فطامه .

وتعطف الأم على الطفل بشدة، ولا تتركه باكيا مدة طويلة، ولا تعاقبه إلا بعد عمر الثانية، وتأخذ فى تعليمه مايجب أن يفعله ومايجب ألا يفعله ابتداء من هذه السن، وقبلها بقليل يتعلم الطفل كيف يكون نظيفا من عمليات الإخراج .

وفى عمر الرابعة أو الخامسة، يتعلم الأطفال أداء بعض الأعمال البسيطة كإحضار الماء والكنس وترتيب الفراش .

وفى الماضى كانت الأمهات تقص على أطفالها حكايات عن الأشباح وحيوانات خرافية، لتعلم الأطفال منها القواعد الخلقية ولمنع الأطفال من الاقتراب

من النهر وردعهم عن الخروج من المنزل ليلا، أما فى الآونة الحالية فعدد من هذه الأمور قد اندثر أو على وشك الاندثار.

والأمهات يتحلين بالصبر رغم كبر عدد الأطفال أو عدد أفراد الأسرة، وهن متذبذبات مع أطفالهن، فاليوم قد تتسامح مع نفس الفعلة التى عاقبت عليها بالأمس.

ويعامل الأطفال قرب الثانية عشرة من العمر معاملة الرشد، والأم هى أهم شخص فى تنشئة الأطفال فى الأسر السوداء بفرنزويلا، وهى التى تعلم الطفل كل مايساعده على اتباع السلوك المناسب، وليس للأب سوى دور هامشى للغاية.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين :

منذ الطفولة المبكرة، يتم التمييز بين الجنسين، ففى حين تثقب آذان البنات الصغيرات، ويبقين نادرا عاريات، فإن الأولاد الذكور قد يظلمون عراة إلى أن يذهبوا إلى المدرسة.

وابتداء من سن الخامسة، تبدأ معاملة الأولاد والبنات بطرق مختلفة تدريجيا. وإذا كان الأب يعيش فى المنزل فإنه قد يصطحب ابنه فى السفر أو عند الذهاب للحقل ويعلمه مبادئ الزراعة.

ويعاقب الأولاد بشدة مقارنة بمعاقة البنات، وخاصة فى حالات العصيان أو قلة الاحترام.

وتتعلم البنات مبكرا العناية بشئون المنزل، وفى سن السابعة يذهب أغلب الأطفال إلى المدارس، وقديما لم تكن هناك مدارس، والبنات غالبا ما يصبحن حوامل فى الثانية عشرة من العمر وعليهن تحمل المسئوليات قبل الرشد الحقيقى وتحذر الأمهات بناتهن أحيانا من الألعاب الجنسية، ويضربنهن إذا هن تغازلن مع الأولاد، ولامانع من حبسهن فى المنزل ليلا.

٤ - المشاركون فى التنشئة :

إذا كانت الأم الشابة تعيش مع والدتها، فإن الأخيرة (الجدة) قد تصبح أهم شخص بالنسبة للطفل، ولاسيما إذا كانت الأم مضطرة للعمل خارج المنزل،

وخلاف ذلك وعندما لا تتلقى الأم الشابة أى عون، فإنها تدع الطفل إلى شخص يكون له بمثابة الأم كالحالة . وإذا كانت هناك أخت أكبر للطفل فيفترض الاهتمام به من جانبها عند غياب الأم .

وعندما يبلغ الأطفال الرابعة، يشرع ذووهم فى اصطحابهم إلى الحفلات، ويعلمونهم النقر على الطبول والرقص مع الكبار .

وأصبح للمعلم فى المدرسة اليوم دور فعال فى التنشئة وبمكانه أن يؤثر فى تلاميذه سلباً أو إيجاباً وذلك تبعاً لخصاله الشخصية . ويعطى المعلمون التوجيهات المتعلقة بضروب السلوك الجديدة، المتلائمة مع التحولات الحديثة .

٥ - المنتظر للأطفال:

من سن الرابعة أو الخامسة من المتوقع أن يتعلم الأطفال أهم قواعد السلوك، وفى هذا العمر يتبين الأطفال أن للناس جميعاً أباً وأماً، وحتى إذا لم يكن الأب موجوداً، ويعرفون ما إذا كانت العلاقة بين الوالدين طبيعية أم لا .

وفى هذا العمر يكتشف الأطفال الواقع الجنسى من خلال لعبهم بالشارع، ويتعلمونه عن طريق الملاحظة بسبب الاختلاط . وإن كانت الأمهات ينفرن من الحديث عن هذه المسائل مع بناتهن، وحتى عندما يبلغن عشر سنوات ولا يقبلن نهائياً التحدث بهذا الأمر مع الأولاد الذكور .

ومن المتوقع بعد تعليمه لمدة ثلاث سنوات بالمدرسة ألا يعرف الأطفال القراءة ولا الكتابة أو يعرفونها بالكاد، لكنهم يكتسبون بعض الأفكار عن المجتمع وعن فيزيولا . وقد تسبب هذه الفترة من الدراسة ظهور بعض الصراعات لدى الأطفال بين قيمهم التقليدية والأفكار الحديثة .

ويقترض فيمن وصل إلى العاشرة من العمر أن يفعل كل شئ بنفسه، والمعاشرة مرغوب فيها جداً فى هذه الفترة وما بعدها وخاصة لدى الفتيات، ويظهر لدى البنات بعض الاحتشام فى حين يصبح الأولاد أكثر عدوانية .

وفى سن ١٢ سنة يتعين على الأطفال طاعة من هم أكبر منهم واحترامهم رغم تمتعهم بحرية شخصية أكثر عن ذى قبل .

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة لدى الأطفال الفينزويليين الأفارقة:

تشكو الأجيال القديمة من الأهمية التي أصبحت للمدرسة، ومن إهمال الأطفال لواجباتهم تجاه أسرهم، ولم يعد الآباء يعلمون الأطفال الزراعة، وأصبحوا أكثر لعبا فى الطرق مع الرفاق، ويزعم الأجداد أن الأطفال فى السابعة كانوا أكثر احتراما لمن هم أكبر سنا، وأن هناك تغييرا فى القيم والتقاليد التى سادت لفترات.

ثامنا: تنشئة الأطفال فى قرية فرنسية

إنها قرية من قرى بورغونية الشمالية، وقد جمعت المعلومات عن هذه القرية من كبار السن الذين وصلت أعمارهم تقريبا فوق الستين، والذين يذكرون أنه حدثت تحولات وتغييرات تكنولوجية واقتصادية ضخمة وحديثة عن ذى قبل فى الخمسينيات من هذا القرن.

وقديما كان مجتمع القرية مقسما إلى فئتين، الأولى أصحاب الأملاك من فلاحين وحرفيين، والثانية من الحطابين والبنائين وحراس الزراعة، لكن هذا التقسيم انقرض من القرية الآن إذ لم يبق إلا الفلاحون وصغار المقاولين وعمال الصناعة، ولا تتمايز هذه الفئات اجتماعيا إلا قليلا.

وتتكون الأسرة فى القرية من الأب والأم والأولاد الذين لم يتزوجوا ويمكن أن يقطن الجد أو الجدة الأرامل مع الأسرة، والإخوة والأخوات الذين تزوجوا يقيمون فى نفس الشارع.

والمسكن يتكون من غرفة واحدة، يتم إعداده وتناول الطعام فيه والسهر والجلوس والنوم. أما حديثا فإن المساكن تحوى عدة غرف منها للاستقبال ومنها للأكل ومنها للأطفال بالإضافة إلى مطبخ.

وفى هذا الإطار العائلى تمر فترة الطفولة التى كانت تصل إلى عمر ١٤ سنة فى الماضى وتصل الآن إلى ١٢ سنة.

وقد ظلت الأسرة حتى وقت متأخر تأوى فى بيت واحد كل الأعمار على اختلافها.

وتظل المدافن (القبور) كما كانت قديما ، أفضل متزهات الجدات ، مصطحبين معهن الأطفال الذين يجرون فيها ويمرحون .

وفى الماضى لم يكن للوالدين من مكانة أو دور فعال أو تقارب مع أطفالهم مثل الجد أو الجدة ولكن الآباء استعادوا مكانتهم ، وأصبح التقارب واضحا بين الآباء والأطفال ربما لظهور الأسرة النواة .

١ - الأعراف والقيم الشائعة:

توصى الأمهات بإرضاع أطفالهن، أطول مدة ممكنة، وفى الغالب كان الطفل يفطم بعد عام أو عام ونصف على الأكثر .

والطفولة ليس لها إلا عالم القرية المغلق، فيه من المعارف والحكايات وفيه شيوخ يهتمون جدا بتربية الأطفال . ويقضى الأطفال أغلب وقتهم فى قاعة البيت أو داخل الحى .

والمبدأ الرئيسى الذى يتخذ تجاه الأطفال هو بقاؤهم مشغولين بمهام يكلفون بها تجعلهم يقون فى مكان محدد وفى منأى عن التأثيرات الفاسدة التى تبدو على بعض القرويين، ذلك أن كل شىء ليس صالحا لأن يرى . ففى الماضى كانوا يوصون الأطفال بالآلا ينظروا إلى من كانوا على جانب كبير من البشاعة أو ضعاف العقول .

وعلى خلاف العلاقات المتوترة أحيانا بين الوالدين والطفل، كانت علاقات تتسم بالعطف واللطف تجمع الأجداد بالأطفال، وطوال مرحلة الطفولة يحتل الأجداد منزلة مهمة فى التنشئة .

والمعلم له منزلة الاحترام فى القرية، وخلال الأجازات لاينفك عن مراقبة الأطفال بالصرامة التى تعودوها منه فى المدرسة، ويخبر الآباء بسلوك أطفالهم . وعلى ذلك فهناك تكامل لإبقاء الأطفال تحت رقابة اجتماعية قوية وتنشئتهم من قبل الجدات والمدرسة والكنيسة .

ولذلك فإن ضبط النفس والالتزام واللطافة حظيت بالأولوية فى تربية الصغار بالإضافة إلى مراعاة جداول الأعمال التى يكلف به كل طفل . أما حاليا

فإن الواجبات المدرسية فى المنزل هى الشئ الوحيد الذى أصبح يكلف به الأطفال .

٢ _ رعاىة الأطفال من الوالدين :

فى الماضى كان الأطفال يلقون من أعلى إلى أسفل فى قماط ، ويوضع على الرأس طاقيـة ، ويبقون فى وضع رقاد إلى أن يتعلموا المشى .

وفى الأسرة الفقيرة يخرج أهل المنزل جميعهم إلى العمل ، ويترك الرضيع وحيدا مربوطا إلى سريره وزجاجة الرضاـعة مثبتة على حافة السرير بطريقة مناسبة . والأسرة دائما مغطاة بستائر تحمى الطفل ، والأسرة توضع على قوائم متأرجحة تساعد على تهدئة الطفل .

وبالرغم من الاهتمام بكثرة بهددة الطفل ، إلا أنهم كانوا أيضا يتركونه يبكى قائلين «ابك ، فيقل بولك» .

ومع الشهر السابع يطعم الطفل بالثرید وهو قطع من الخبز المغلى مع الزبد ، وما إن يتمكن الطفل من الخطو حتى ينقل إلى سرير كبير .

ويخيف الأجداد عند اللزوم الأطفال بكائنات مثل «ست الرياح» «ست الذئاب» وذلك حتى ينضبط الأطفال بالهدوء أو عدم الذهاب إلى أماكن بعيدة ويحكى الأجداد للأطفال القصص والحكايات التى تتوارثها الأجيال ، وفى سن مبكرة يتم تعلم الطاعة والخضوع عبر هذ القصص .

وقلما يتوافر للطفل لعب مصنعة ، ولكنه يلعب مع الحيوانات الأليفة مثل القطط والكلاب ، ويحاول ترويض البوم والعصافير التى تسقط من أعشاشها .

إن الأب والأم كانا يعتنيان ويراقبان أولادهما منذ ولادتهما ، لكنهما بحكم انشغالهما فى العمل لا يشاركان مشاركة حقيقية فى عملية تربية الطفل ، إلا عندما يصبح هؤلاء الأطفال كبارا بدرجة تمكنهم من المساهمة فى العمل ويكون ذلك قرب السادسة ، وعندئذ يظهر الوالدان دورهما فى توزيع العمل على الأطفال والمراقبة والمعاقبة ، لقد كان الطفل يكلف بالاحتطاب وكسر الأغصان ، وإبعاد الحشرات عن المحاصيل ، وإطعام الحيوانات ، ومتابعة المحراث ، وكان الأطفال

يتمنون التسلية قليلا، إنهم فى معاملة قاسية، وحينما يخرجون فى السادسة صباحا كانت أرجلهم تبلل بالندى البارد لأنهم يرتدون القباقيب فلا توجد أحذية .

وهكذا فإن الوالدين يفصلان وقت الطفل ويدبرانه . ومع تقدم عمر الطفل لايعتمد الأجداد على قصص الكائنات الخرافية ولكن يستخدمون السخرية والتهكم فى عباراتهم مثل «أنت تخاف من ظلك» . . ومع العام السابع يتحمل الطفل مسئوليات الذهاب بالحيوانات إلى الحقول أو زرع الحبوب .

وإذا كان الأجداد يؤدبون الأطفال بالكلام، فإن الوالدين يستخدمان العقوبات البدنية فبعضهم يستخدم الحريق لإيلاام الطفل أو يضربه بخرقه مبللة للتأديب . وأحيانا يستنجد الآباء بأشخاص حقيقيين مثل شيخ القرية لتأنيب الطفل، وبعض الآباء يجلدون الأطفال بالسوط .

وبالرغم من العقوبات الشديدة التى يسلطها الوالدان، إلا أنهما يكتنان للأطفال حبا وحنانا غزيرا . ولكن لانستطيع القول بأن الوالدين كانا ينقلان أى علم أو معرفة إلى أولادهما، ولكن التدرب يأتى من الملاحظة فى صمت ويكاد التعلم يقصر على النظر . كان الأطفال يفعلون لأنهم يلاحظون آباءهم يفعلون . لامجال لأى حوار، إنها تربية بصرية .

وهذا الكبت للكلمة بين الأجيال المتعاقبة لا يكون داخل البيت فحسب أو على المائدة فحسب، وإنما فى الأماكن العامة التى يتردد عليها الكبار . إن أقصى شئ يفعله الأطفال فى حضرة الكبار أن ينظروا ويسمعوا، ويروا ويتعلموا، والكبار فقط لهم حق الكلام .

ومن هنا يتعلم الأطفال كيف يتحكمون فى الكلام، ويرددونه قبل أن تنطلق به ألسنتهم، وقلما تحاور الآباء والأطفال .

أما فى الآونة الحديثة، فإن التقنية غيرت كثيرا، إذ بإمكان الفلاحات أن ترعى الأطفال، وتخلصت من نشاط الفلاحة، وإذا كانت بعض النساء تعمل طوال اليوم خارج المنزل، فلقد أصبحن يوكلن الرضيع لأحد مقابل أجر، إلا أن أغلب الأمهات الآن يكرسن كل وقتهن لرضيعهن لتقص أعمالهن المنزلية، وابتداء من

اليوم الخامس عشر لا يقيم وتطلق الأم حريته، ولا تبقيه فى مهده فقط بل تضعه داخل حاجر معد ليلعب داخله، وإذا بكى تأخذه فى حضنها وتربت عليه وتحدثه بحنان.

ويستخدم الوالدان الآن مع الطفل لغة الرضع إلى أمد طويل، ويعاملانه بطف، ويحرصان على تعليمه السلوك المهدب، «قل شكرا، قل صباح الخير، ..» والآباء أصبحوا لا يطلبون من الأطفال أى عمل زراعى ومنزلى إلا النادر، وأصبحوا يعدون لهم جداول لأنشطة وألعاب ومذاكرة، بالإضافة إلى الحرص على اشتراك الأطفال فى عالم أكثر اتساعا من مجتمع القرية.

ولم يعد الصمت والملاحظة هما أداة الأطفال فى جلسات الكبار، وحتى تلاميذ المدارس أصبحوا يهتمون أكثر بالكراسة الشخصية التى التى يجمعون فيها كل مايروق لهم عن الشعراء أو الأدب والطقس أو الضغط الجوى أو حياة الحيوان، لقد تخلص الأطفال من الجداول الملزمة للأعمال المنزلية أو الزراعية أو المدرسية.

٣ - مراعاة الفروق بين الجنسين:

فى الماضى لم تكن هناك فترات تعطى للتسلية سواء للأولاد أو البنات. واقصى ما يعطون أن تذهب البنات إلى مقر حياكة الملابس، ينصتن إلى القصص المكررة التى تفصها متعلقات الخياطة .. اللاتى يقال عنهن إنهن طائشات .. وكان الأولاد يترددون على محلات صناعة القباقيب الذى يصبح يوم الأحد حلاقا للذقن، أو إلى الحداد الذى يسقى الخمر للشاربين بعد أن ينتهى من عمله، ويستمعون فقط إلى حكايات الكبار عن الصيد والعمل ..

وكان لكل جنس منذ الطفولة انطباعاته، فالأولاد لهم أفكار حرة عن الصبر والانتخابات، وللبنات لغة الجنس وأسرار القلوب.

وفى الأعياد الدينية ينتظم الأولاد والبنات فى مجموعات تجوب أنحاء القرية بالمرور، مرددة دعاء للأهالى فى عبارات مثل «صحة طيبه»، «سنة سعيدة» ويحصلون مقابل ذلك على بعض من قطع الحلوى والسكر.

والأولاد والبنات أحيانا يمرحون خلف ما يتابعونه من قطع، وهناك فى الحقول بعيدا عن العيون المراقبة باستمرار تبدأ المداعبات بين الأولاد والبنات، أثناء

جنى بعض الثمار. . . وفى الوقت الحالى مثلما فى الماضى تجمع الذكور والإناث أماكن وسط الحقول يلهون فيها ويبدءون أول مبادئ الإعجاب والعشق .

٤ - المشاركون فى التنشئة

لقد كان فى الماضى يعنى بالرضيع أفراد مثل الجدة أو الأخت الأكبر أو إحدى الفتيات القريبات . وقد كان الأجداد يتكفلون بالطفل سواء كانوا يعيشون مع والديه بنفس المنزل أم لا ، وبصحبة الجد أو الجدة يتدرب الطفل شيئاً فشيئاً على الحياة العائلية .

وبصحبة الجد أو الجدة يجوب الطفل الحى بأكمله متنقلاً بين بيوت الجيران والأقارب ، ومن هنا يتعلم سلسلة الأنساب ، ويتعلم أخلاق القرية ، وفى أحيان أخرى يرافق الجدة إلى المقابر ذلك المكان الذى تحب أن تتردد عليه كيرات السن .

والأعمام فى الغالب يتميزون باللطف مع الأطفال ، وإن كان الأطفال يتمتعون بالقرب من الأجداد لأنهم يتيحوا لهم التحدث وتواصل الحوار عوضاً عن الصمت والملاحظة التى يجب أن يتحلوا بها فى حضرة آخرين .

لقد كان الأجداد ليسوا هم المربون فقط بل هم الملاذ والملجأ من صرامة الآباء أو للإصلاح بين الآباء والأبناء ، إنهم وسطاء طيبون .

أما الأشخاص المراقبون والمؤنبون للطفل فهم كثيرون . فلقد كان المعلم يأتى إلى الآباء ليخبرهم بسلوكيات أطفالهم ومستواهم الدراسى بين حين وآخر . أما حارس الحقول الذى يقوم بدورته كل يوم ليراقب تجاوز الحيوانات لحدود المراعى إلى مراعى أخرى . فلا يترك أى خطأ دون أن يتسبب على الأقل فى تأنيب الأطفال الذين يجب أن يتابعوا الحيوانات . ولا تهاون الكنيسة فى متابعة الأطفال .

وفى الوقت الحالى ، إذا كانت الأمهات مشغولات بالعمل ، فإن أول ماتطلب رعاية للطفل فإنها تطلب من والدته الأم أو والدته الأب أو من الأخت للأم أو الأخت للأب . وعموماً فقد أصبح الوالدان يمارسان دورهما الأساسى فى تربية الصغار والعناية بهم ، وبذلك فقد استعاد الآباء مكانتهم التى أوكلوها لغيرهم فى الماضى ، فى لطف وهدهوء .



والمفارقة أن الأجداد أصبحوا متسلحين بقرعة، حتى يطيع الصغار تعاليمهم إلا أنهم غالبا ما يحضون الأطفال ويلاطفونهم فى غياب الوالدين، ويظلون مدربي الطفل أثناء جولاتهم معهم داخل القرية وخارجها فيتعرفون على ملكية الأراضى وأوقات الزراعة وأخبار المتوفين السابقة أثناء زيارة قبورهم.

ولقد تطورت فعالية المعلم بعد الشخص الصارم القاسى المراقب، بل أصبح يعتمد على

الحوار مع الأطفال والإقناع، ويحدد التلاميذ مستوى ونوع العقاب الذى يجب أن يقع على أحدهم إذا أخطأ. والطريف أن المعلم لا يشذ عن القاعدة، فإذا نسى أن يتنعل خفيه قبل دخول الفصل فإن عليه مثلا أن يكرر قوله: «سألبس خفى» خمسين مرة.

ويبدو أن الطريقة الجديدة بالمدارس لا ترضى الأهالى، إن أمر المدرسة وصل إلى أن إحدى المعلمات استغنت عن الكتب المدرسية ولم تعد تطلب من الأطفال أى واجبات مدرسية، لقد أصبح الاعتناء بكراسة جديدة يجمع فيها الطفل بشغف الوثائق وأحوال البيئة وظروف الطقس ودرجات حرارة الجو. ومن جهه نظر الآباء أنه ساء وضع المدارس، إذ إن الأطفال ماعادوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب.

٥ - المنتظر للأطفال:

فى الماضى كان المتوقع باستمرار تعلم الأطفال عن طريق الملاحظة فقط وليس هناك أى حوار، وماكان الآباء ينتظرون من المدرسة تلقين الأطفال المعارف، إنما ينتظرون أن تعودهم على أدب السلوك وتأكيدا على ماتعلموه من الملاحظة داخل الأسرة.

ونتيجة تغير أسلوب المدارس فى الضغط على الأطفال، رأى الأهالى أن فى ذلك حرية شديدة، و ينتظر الآباء أن ترقى المدارس بمنزلة الأطفال وتكسبهم مهارة

أو حرفة، ويطلبون من المدارس تسهيل دمج الأطفال فى حياة اجتماعية أكثر تفاعلا.

٦ - نتائج ومشكلات التنشئة:

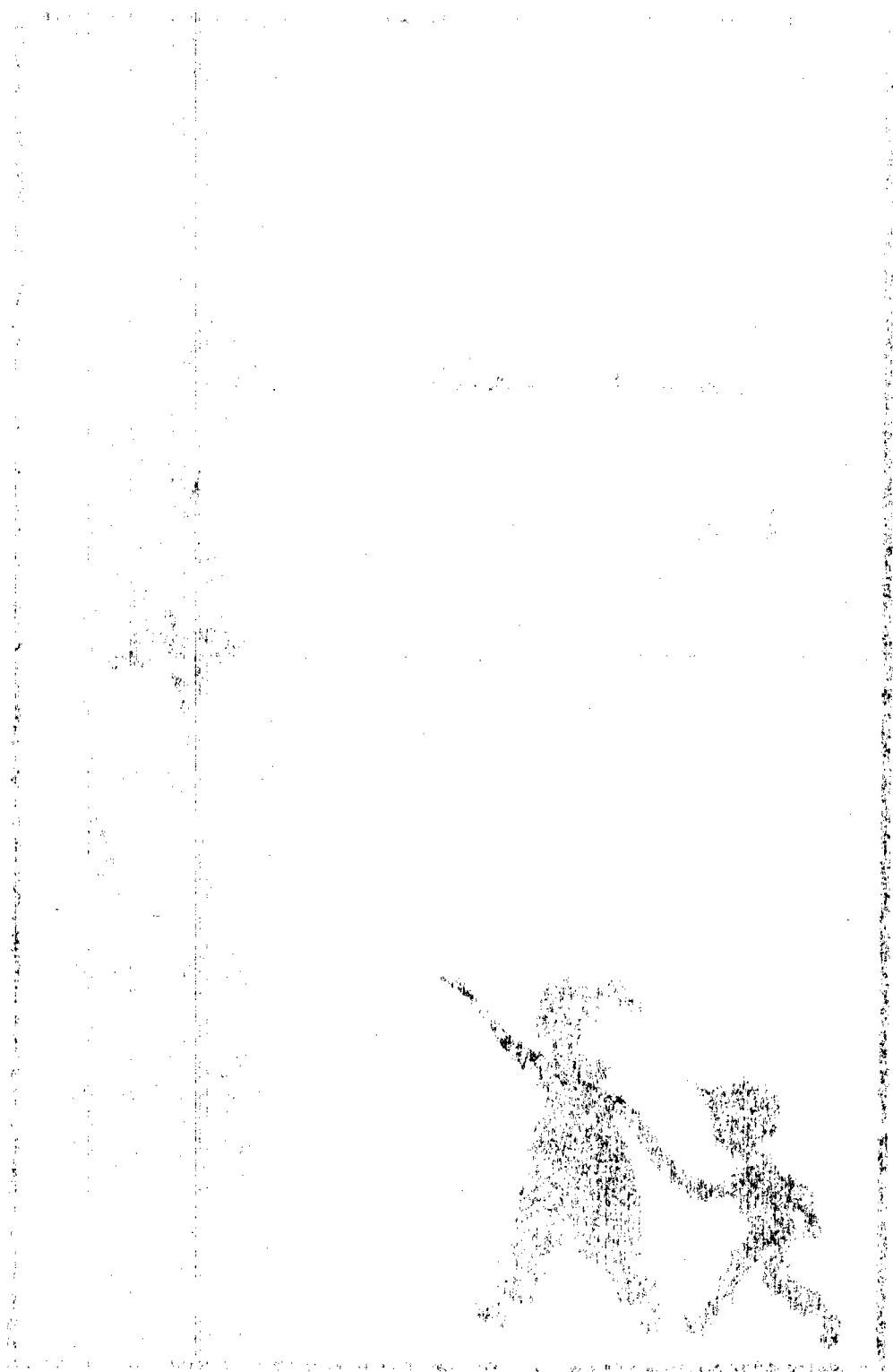
لم يزل الطفل من وجهة نظر الجدات، فاقدا لما يجب أن يكون عليه، وتستغرب الجدات من التساهل الذى أصبح مع الأطفال أثناء التعامل، وترك الصرامة للدرجة أن بعضهم رغم عطفهم الشديد على الأطفال يستعينون بمقرعة لتأديب بعض للأطفال المستهترين وهو أمر لم يكن شائعا فى الماضى.

ان الاستغناء عن بعض الكتب أصبح يثير أولياء الأمور. ولم يعد اليوم أحد من داخل المدرسة يمكن أن يأتى إلى أسرة الطفل ليخبرهم بسلوكياته وينظر الكبار إلى ذلك أنه سوف يزيد التسبب الأخلاقى لدى الأطفال ويؤدى إلى افتقادهم القدرة على التمييز بين الخير والشر.

الفصل الخامس

نحو نموذج للوالدية في التنشئة





أولاً : تفاعل الوالدين مع الأبناء من خلال نماذج وبحوث :

تبدأ الخطوات الأولى لتنشئة الأطفال داخل أسرهم ، فالأسر هي الخلايا الأولى للمجتمع ، وكل أسرة بيئة أساسية ترعى الطفل ، وفيها تكون القوى المنبثقة التي توجه الطفل مع بداياته النامية في كافة المجالات النفسية للنمو .

والقوى التي توجه الوالدين أثناء تنشئة الطفل وتؤثر على نموه بعضها يأتي من الأب وبعضها يأتي من الأم وبعضها يبدو من داخل الطفل ، بالإضافة إلى قوى تأتي من محيطات خارجة عن كل هؤلاء .

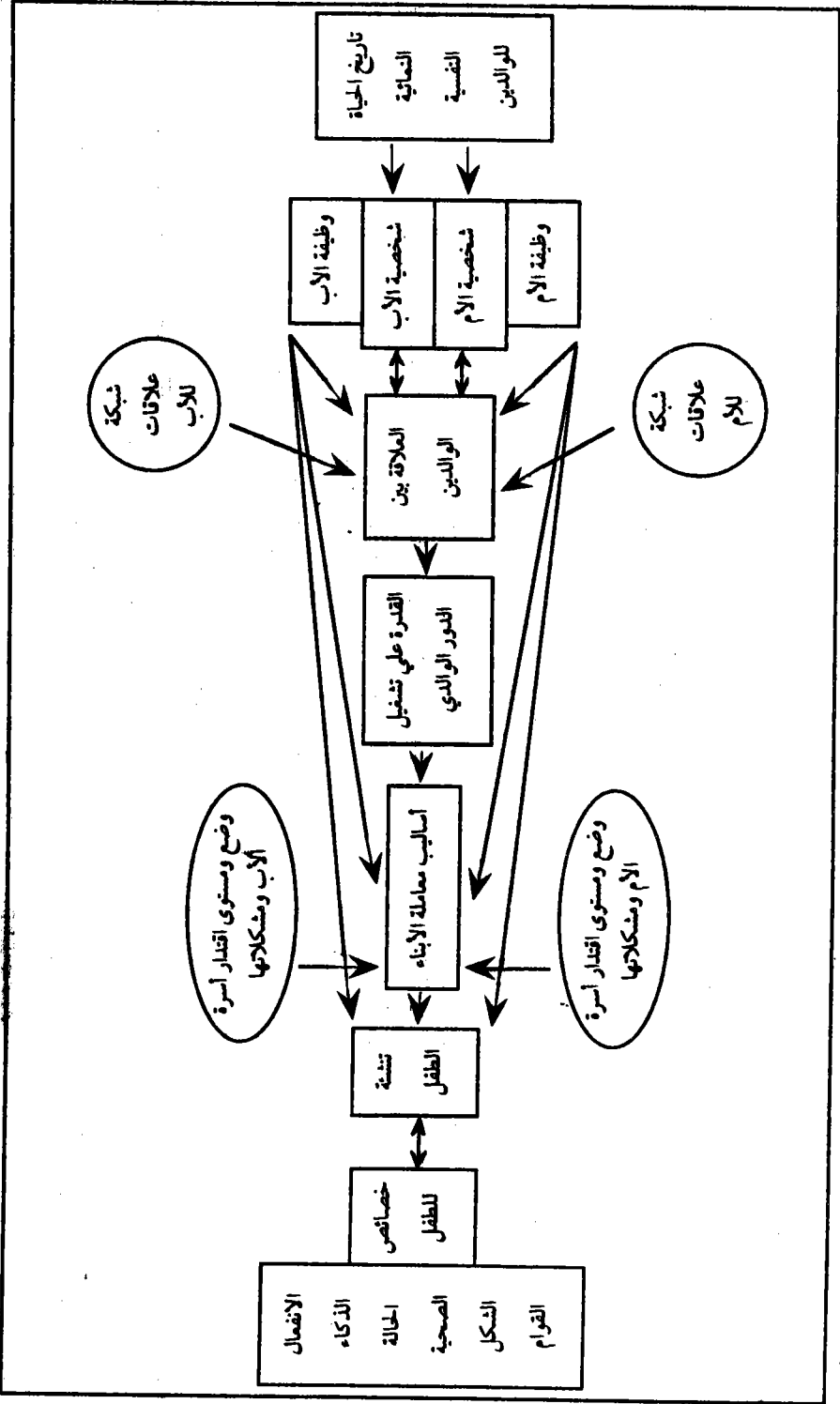
وقد اهتم Belsky بإعداد نموذج يأخذ في اعتباره كل هذه القوى وغيرها على افتراض أن تاريخ نمو الوالدين ينعكس على شخصية كل منهما بل يشكلها ، ويؤثر على علاقتهما ببعض كزوجين ومستوى تفاعلتهما مع الآخرين الذي في أدنى رتبة العزلة الاجتماعية Social Isolation ونوع معاملة الطفل وخصاله ، كل ذلك وغيره يؤثر على ذلك الطفل النامي .

ويكون من المفيد استعراض هذا النموذج مع بعض الإضافات ، حتى تظهر جملة العوامل المؤثرة على عملية التنشئة الوالدية للأطفال ، والتي أطلق عليها محددات الوالدية Determinats of Parenting .

وإذا كان Belsky لم يغفل العلاقات بين الزوجين (والدى الطفل) عند عرض نموذجه ، فإن وظيفة الوالد وعمله وشبكة علاقات كل من الأب والأم ، والوضع الأسرى لكل منهما ، متمثلاً في مستوى اقتدار كل من أسرة الأب وأسرة الأم الذى ينطوى على الوضع الاجتماعى والثقافى والاقتصادى لكل من الأسرتين لا يجب أن تختفى من نموذج لمحددات الوالدية .

والشكل التالى يوضح نموذجاً مقترحاً لمحددات الوالدية .

ومن المعروف أن شخصية الوالدين يتم تشكيل كل منهما فى ضوء التاريخ النمائى النفسى لكل منهما . ولقد جاءت البحوث بنتائج تشير إلى أن ارتفاع مستوى الثقة بالنفس لدى الأمهات ارتبط بالدفء فى المعاملة للأبناء وتقبلهم ارتباطاً موجباً ، وجاء الارتباط سالباً مع الاستهجان ، كما أن الأمهات المكتئبات تبدى استعداداً أعلى لبيئة رافضة للأطفال أو غير متقبلة لهم .



ويشير Belsky إلى أن الأب الدافئ الحنون والمتفاعل مع أطفاله يأتي بأبناء يتوحدون معه ويعتبر نموذجاً جيداً لهم بعكس الأب غير المتفاعل مع أطفاله.

والزواج السعيد يضرب فيه الوالدان لأبنائهم المثل على ما ستكون عليه حياتهم الزوجية المستقبلية، ولا يأتي الطفل في الزواج التعس إلا نقمة غالباً على والديه وعلى نفسه، لأن كره أحد الزوجين للآخر لا يخفّضه مجيء طفل لهما، وقد ينعكس الأمر على تصرفاتهما نحوه ومعاملتهما له، وبخاصة إذا جاء الطفل شبيهاً لأحدهما أو أحد أفراد أسرة أحدهما.

إن الأمهات اللاتي يشعرن بدفء منخفض وعاطفة متدنية نحو أزواجهن، يملن إلى توبيخ أطفالهن، والعلاقات الزوجية الطيبة ترتبط تلقائياً بمدح وثناء الأبناء، ومن ثم تقبلهم. وفي دراسة Santrol و Tracy اتضح أن الأطفال الذين يأتون من بيوت حدث فيها الطلاق كانت معاملتهم مختلفة تماماً عن الأطفال الذين يأتون من بيوت تقليدية.

كما أن العزلة الاجتماعية Social Isolation وضيق شبكة العلاقات للوالدين يرتبط بالاختلال الوظيفي للوالدية، وهذا لا يعني أن الانفتاح المغالي فيه في شبكة العلاقات مع الأصدقاء والجيران ورفاق العمل يكون مفيداً دائماً، والمسألة تعنى على أكثر حد أن المساندة والمشاركة التي نلقاها من الأصدقاء أو الجيران أو الأقارب لها تأثير مفيد على العلاقة بين الوالدين والطفل.

وتشير الدراسات إلى الارتباط الموجب بين العلاقات الاجتماعية وإحساس الأمهات بالكفاية عند رعاية أطفالهن، كما ارتبطت العلاقات الاجتماعية بتجنب عقاب الأطفال وتقييد حرياتهم.

ولا ينكر النموذج المقترح الحالي أخذ متغير عمل الأم ووظيفتها في الاعتبار مثلما اهتم به Belsky فعمل الأم غالباً يؤثر على مسئوليات العناية بالأطفال، ويعد من العوامل المسهمة في صراع الدور لدى الأمهات، وإن كانت الدراسات قد تعارضت في تأثير عمل الأم على رعاية الأبناء. فقد انتهت «ممدوحة سلامة» من دراسة مشيرة إلى أن عمل الأم لا يثير تعارضاً مع مطالب وحاجات الطفل، ولا يؤثر على علاقة الوالدين بالطفل.

وتأتى دراسة «كاميليا عبد الفتاح» مستخلصة أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر نضجاً انفعالياً من أبناء غير المشتغلات، كما أن الأمهات المشتغلات أكثر ميلاً إلى إعطاء الأطفال فرص الاستقلالية والتعبير عن الذات، بالإضافة إلى الإقبال بلهفة على الأطفال لتعويض الوقت الذى ابتعدت فيه عنهم. بينما نجد الأم غير المشتغلة شاعرة بالتعب والملل من أطفالها الذين تقضى معهم معظم ساعات اليوم مما يجعلها أقرب إلى استخدام الزجر والعنف معهم.

وتحدد بثينة قنديل عدد الساعات بخمس الذى بعده يقل تكيف الأبناء إذا زاد غياب الأم بعيداً عن طفلها يومياً، وتوجه الانتباه إلى نتيجة فحواها أن أبناء الأمهات المشتغلات أكثر طموحاً من أبناء غير المشتغلات.

وقد جاءت دراسة Getta et al. معلنة أن الأمهات المشتغلات يشجعن أطفالهن على التعبير بحرية عن مشاعرهم. وعند مراجعة Hoffman لعدد من الدراسات عن تأثير عمل الأم انتهى إلى أن عمل الأم يؤثر على حالتها الانفعالية وبالتالي يؤثر على تفاعلها مع الأطفال ويتبعه حرمان انفعالى وعقلى للطفل. ويبدو نفس التوجه لدى Balsky عند الإشارة إلى أن عمل الأم يؤثر فى كل من كفية وكمية سلوكها الأموى المفترق تجاه طفلها.

ويبدو أن عمل الأم لابد أن يترك آثاره على شخصية الأبناء من خلال كيفية التعامل معهم وكميته والذى يتأثر بنوع وظيفة الأم والمهام الوظيفية الملقاة على عاتقها، وإن كانت تنشئة الأبناء دالة أيضاً لمكانة الأب الوظيفية بل ونوع الوظيفة.

وتبدو العلاقة التبادلية بين كل من شخصية الوالدين ووظائفهم من جانب والعلاقات بين الزوجين (الوالدين) من جانب آخر، وينصب الأمر فى النهاية على أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، فى ضوء قدرتهم على تفعيل الدور الوالدى.

ولإيضاح معنى القدرة على تفعيل الدور الوالدى، دعنا نشبه الأسرة بمنضدة لها ثلاثة أرجل لانستوى إلا باستقامة دعائمها الثلاث (الأب - الأم - الطفل). فالطفل بحاجة إلى أبيه وأمه، وكل من الأم والأب بحاجة إلى الآخر كى يقدم للطفل ما يدعم حاجاته. وقبل كل شئ تحتاج الأم إلى إحساس بمشاركة الأب

وعيشه معها وتفضيل الرعاية التى تقدمها للطفل . وبذلك تنساب العلاقة القائمة بينهما كزوجين وبينهما وبين الطفل ، وهنا يظهر التفعيل للدور الوالدى ، الذى يعد غياب الطفل بالنسبة لهذا الدور الوالدى بمثابة كمن لهذا الدور وعدم تفعيل له .

ولما كانت الأم هى من يقدم الطفل لأبيه ، يصبح من الأفضل أن تهتم بالرضيع أثناء وجود الأب فى المنزل ، وتحت نظره ، ولأمانع من تعاونه بدلا من الإسراع للقيام بهذا الدور قبل حضور الأب إلى المنزل . وإذا كان من المفيد طلب الأم مساعدة الأب أثناء قيامها بمهامها تجاه الطفل ، فإن ذلك يجب أن يكون حسب رغبة الأب ، إذ ينبغى قبل كل شئ احترام رغباته ، فالآباء يختلفون فهناك من يمتلكهم الإحساس بأنهم أقدر من زوجاتهم فنجدهم يفضلون التدخل فى كل كبيرة وصغيرة . وإذا لم تفهم الأم ذلك فلإن الأمر يعوق تفعيل الدور الوالدى ، وأفضل وسيلة لتحقيق التفعيل المطلوب أن يساعد الأب زوجته على رعاية الطفل من غير سحبها أو إزالة معالمها كأم .

إن الطفل يتعرف أولا على الأم وعذوبتها وحنانها ، وهذا مايمكنه لاحقا من التعرف على صفاتها الأخرى كالقسوة والحزم التى تتراكم من خلال صور ذهنية عند الطفل ، وهذه الصور هى التى تشكل المنطلق الرئيسى لدخول الأب عالم الطفل على امتداد مراحل طفولته ، باعتبار الأب هو القوى ، الموقر ، الذى يستطيع دفع الطفل إلى احترام القواعد وتعاليم المجتمع ، وتقبل التقاليد .

وعندما يدخل الأب فى حياة الطفل ، يحول هذا الأخير بعض المشاعر التى أحس بها سابقا تجاه بعض صفات الأم كالحزم والقسوة ... إليه كأب وهذا ما يريح الأم إذ تتخلص من بعض الأعباء فيمكنها التفرغ لمسئولياتها الأخرى .

إن وجود الأب ضرورى جدا فى المنزل كى تحس الأم بالسعادة ، والطفل حساس جدا تجاه هذا التفاهم والتناغم بين الوالدين . والود بين الأب والأم يشكل واقعا صلبا يبنى الطفل حوله العديد من الإيهامات .

إن ضرورة وجود الأب إلى جانب الأم تكمن فى ذلك الدعم المادى والمعنوى الذى يقدمه لها فيساعددها على دعم سلطتها تجاه الطفل بفضل تجسيده للقانون والنظام اللذين تدخلهما الأم فى حياة الطفل . ودعم الأب للأم لايتطلب منه حضورا دائما فى المنزل بل يحتاج إلى وجوده الرمضى .

ويساعد وجود الأب في المنزل (إلى جانب الأم) الطفل في اختباره ومن ثم عيشه للمشاعر المتناقضة التي تتجاذبه فيتمكن بذلك من الاستمرار بحب أحدهما كى يكره الآخر (والعكس صحيح)، بينما يضطره غياب أبيه عن ساحة نموه لتوجيه مختلف المشاعر المتناقضة والمتجاوبة في ناحية الشخص نفسه، وهذا ما يشير الغموض بداخله. كما أن ذلك يُصعَّب على الأم مهمتها إذ يستحيل عليها تمثيل صورة الحنان والحب إلى جانب الحزم والمنع والقسوة عند الاقتضاء ...

إن ضرورة وجود الأب تنطلق من صفاته الإيجابية والعناصر المميزة له كذكر راشد يختلف عن الأم كأنثى، كما يختلف عن باقى الراشدين الذكور بسبب وضعه الخاص بالنسبة للطفل وإحساس هذا الطفل بقوة شخصية الأب.

وعندما يتقبل الوالدان معاً مسئولية رعاية طفلهما، فإن ذلك يشكل أرضاً خصبة لبناء منزل سعيد، قائم على التفاهم تتدلل فيه الصعوبات بصور تلقائية.

وللوسط أو الطبقة الذى يعيش فيه الوالدان والطفل دور جوهري في الطريقة التى يتفاعل بها كل نحو الآخر، وفروق الطبقات الاجتماعية والاقتصادية تعلن عن اختلافات في مستويات وأساليب التنشئة.

فلقد اتضح أن الأسر من الطبقة المتوسطة أكثر شدة وقسوة من أسر الطبقة الفقيرة في تدريب أطفالهم على النظافة والغذاء، ويعتمد أمهات الطبقة الفقيرة على العقاب البدنى والصياح عند محاولة ضبط الطفل. ويدرك أبناء الأسر ذات المستوى الاجتماعى الاقتصادى المرتفع أن آباءهم مبتعدون عن فرض القيود والتسلط.

ويعد وضع أسرة كل من الوالد والوالدة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً مهماً في توجيه الأطفال وإرشادهم والرغبة في مشاهدتهم على نحو مماثل أو أعلى باستمرار وفي الوقت الذى يحاول فيه أبناء الطبقات الراقية الحفاظ على أطفالهم فى نفس المستوى، نجد أبناء الطبقات المتوسطة والمنخفضة يسعون جاهدين للارتقاء بمستوى أطفالهم، وينعكس ذلك على توجيهاتهم لأطفالهم وأساليب معاملتهم فى ضوء ما لديهم من مستوى اقتدار.

وإذا كان المتوقع أن تترك جملة العوامل أو القوى آثارها على تنشئة الأطفال فلا يجب أن نغفل خصال Child Charactirstices ذلك الطفل النامى.

ومن أهم خصال الطفل حالته المزاجية التي تجعل الوالدين أكثر أو أقل شدة في المعاملة. فيشير Belsky إلى أن Batcy توصلت إلى أن المزاج المتقلب وخاصة في فترة الرضاعة يمكن أن يقوض الأداء الوالدى أو يعوقه. في الوقت الذى نجد فيه أن وسامة الطفل أو ذكائه يمكن أن يجعل الوالدين أكثر حماية أو اهتماماً رائداً بطفلهم.

ويعد جنس الطفل أيضاً من الخصال ذات الأهمية، ففي الوقت الذى يشعر فيه الأبناء الذكور أنهم يعاقبون أكثر، ترى البنات الإناث أن أمهاتهن تراعيهن بدرجة أعلى. ونجد أيضاً فى بعض المجتمعات العربية مكانة الذكور الواضحة عن الإناث وبخاصة قرب الطفولة المتأخرة وما بعدها.

كما أن تكوين الطفل الجسدى وصحته الجسمية ومدى إعاقته تجعل الوالدين يتخذون توجهات معينة نحو تنشئته أو معاملته. ويتوقف الأمر فى كل الأحوال على حجم أسرة الطفل وترتيبه الميلادى بين الإخوة والأخوات.

وهناك على أى حال نماذج نظرية لوصف سلوك الوالدين مع أبنائهما ربما كان من المفيد تناولها فى الجزء القادم.

ثانياً : الأساليب الوالدية فى معاملة الأبناء

هناك عدد من النماذج النظرية التى تصف سلوك الوالدين فى معاملة الأبناء. فلقد قدم Symonds نموذجاً اشتمل على بعدين قطبيين، وذلك فى عام ١٩٣٩ أحدهما يعتبر أن «تقبل الابن» من جانب الوالد أو الوالدة يقابله أو ضده «رفض الابن» من جانب الوالد أو الوالدة، والثانى «السيطرة على الابن» من جانب الوالد أو الوالدة يكون ضده «الخضوع للابن» أى لطلباته وأغراضه وأوامره وبذلك فإن البعدين تبعاً لهذا النموذج هما :

التقبل - الرفض ، السيطرة - الخضوع

وفى عام ١٩٥٩ ظهر نموذج Scheafer et al. لسلوك الوالدين فى معاملة الأبناء على النحو التالى :

Auto nomy vs Control

الاستقلال - الضبط

Love vs Hostility

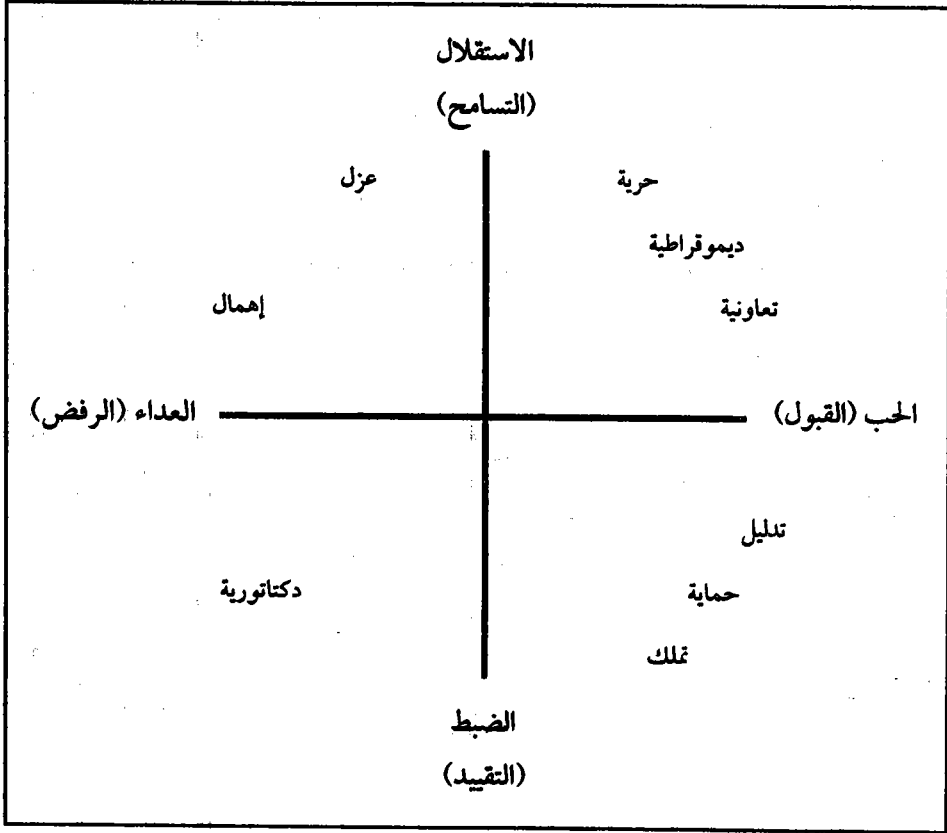
الحب - العدا

وقد ذكر البعدان السابقان بمسميات أخرى على النحو التالى :

التسامح - التقييد Permissiveness vs Restrictiveness

القبول - الرفض Acceptance vs Rejection

وقد ذكر أيضاً فى هذا النموذج بعض من مسميات أساليب المعاملة بين محاور هذه العوامل القطبية يوضحها الشكل التالى :



ولقد عرض Becker نموذجاً مقترحاً ثلاثى البعد لسلوك الوالدين فى معاملة الأبناء عام ١٩٦٩ جاءت أبعاده الثلاثة على النحو التالى :

الدفع - العداوة ، التشدد - التسامح ، الاندماج القلق - الحياد الهادئ .

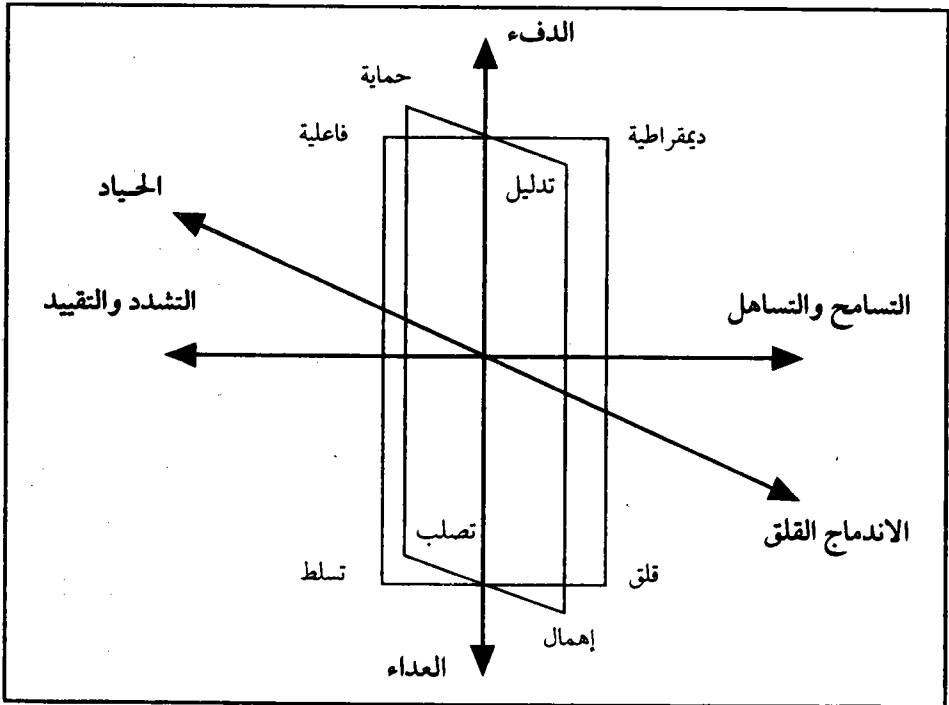
وافترض بين هذه الأبعاد الثلاثة أساليب متدرجة للمعاملة يوضحها الشكل الآتي :

أما الباحثة Baumrind فقد توصلت إلى أربع طرق يعامل بها الآباء أطفالهم هي :

الالتزام بالضبط الوالدي Parental Control
مراعاة مطالب النضج Maturity Demands
التواصل بين الوالدين والطفل Communication
الدفء الوالدي (عطف وحنان) Nurturance

وقد انتهت نفس الباحثة في عام ١٩٧١ من مراجعة دراستها في ضوء دراسة أخرى وركزت على ثلاثة أساليب يعامل بها الأطفال من قبل الوالدين، وأضافت إليهم فيما بعد أسلوباً رابعاً :

الحزم ، التسامح Permissive ، التسلط Authoritative ، الانسجام Harmony



وإذا كانت هناك أساليب للمعاملة الوالديه تمارس مع الأبناء، قد حاولت الدراسات استكشافها، فإن التباين شبه الظاهر يوحى بوجود أنماط وأساليب لآتمارس على وتيرة واحدة خلال مراحل نمو الأطفال، ولايمكن القول باستقلاليتهما، وغالبًا تختلف مستوياتها باختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للأسر.

فإذا ارتضينا التقبل أو دفء المعاملة أسلوبًا فى ضوء ما سبق، ننتظر تأثير هذا الأسلوب على انتماء الطفل للجماعات والاندماج مع الآخرين ومن ثم استدخاله للقيم والمعايير. كما أن جحود الوالدين أو أحدهما مع الطفل يفقده لجزء من الأمن ويتعلم الأناثية بالإضافة إلى افتقاد جزء من القدرة على التوافق العام.

ويكتسب أسلوب دفء المعاملة أهميته والرفض أو الجحود من قبل الوالدين خطورته كما يشير Hetherington و Park فى أن الطفل يحاول تجنب التفاعل مع والديه الجحودين كلما تمكن مما يقلل من دور والديه فى تنشئته، بالإضافة إلى توهج الغضب والعدوان الذى لا يستطيع الطفل توجيهه إلى والديه فيزيحه إلى الآخرين.

ويعد الضبط الوالدى الذى يقابل الاستقلال من أساليب المعاملة التى كشف عنها كل من Becker و Scheefer وفيه يمارس الأب أو الأم سلوكيات تغير السلوك النامى للطفل وتكف عن ميوله، ويصل الضبط إلى الصرامة حينما يضع الوالدان قواعد ويطلبان من الطفل الالتزام بها، وإذا لم يؤكد على الالتزام بها يقال أن الضبط لين. ويختلف ذلك عن الحماية الزائدة التى تعتنى بالطفل فى جميع أوقاته لتقدم كل ما يرغب لتهدئته.

وترى Baumrind أن الوالدين يحاولان تشكيل أطفالهما، فيكبحان إرادة الطفل ويخلان بتشجيع الطفل على ممارسة جزء من حريته تحت رعايتهما، وفى ذلك يكون الوالدان على مسار التسلط الوالدى Firm Discipline. ويستخدم بعض الآباء أشكالاً مختلفة من العقاب تتباين بين الكره الحقيقى إلى ممارسة الضرب أو النقد والتوبيخ وأحياناً سحب الامتيازات.

ويذكر Bordizinsky et al. أن الأبناء الذين كان عقابهم بقسوة من قبل الوالدين أصبحوا عدوانيين مع غيرهم من الأطفال وأيضاً مع المعلمين، ويتنظر من الأطفال الذكور الذين تمت ممارسة القسوة عند عقابهم أن يصبحوا منحرفين أو لهم سلوكيات مضادة لمجتمعهم حينما ينخرطون فى المراهقة.

وعلى أى حال فإن أى شكل من الأشكال القاسية والعنيفة فى التعامل مع الطفل يعد سوءاً لمعاملة الطفل Child Abuse. فالعقاب البدنى القاسى بإفراط وإهمال الطفل يعتبر من قبيل سوء المعاملة التى عند استمرارها مع الصغير تجعله يبدو له وجه عجوز عند مقارنته بمن هم فى مثل سنه من الأطفال، ولا يخفى أنه من الصعب تحديد عدد الأطفال العرب الذين يعانون من سوء معاملة والديهم، وأشكال هذا السوء للمعاملة.

والوالد المسئى لطفله بإفراط يمكن أن يكون والدًا مريضاً ويحتاج إلى علاج نفسى، ومن سماته الأكثر وضوحاً فى الغالب الذهانية ؟ ويذكر Park و Collmer أن الدراسات انتهت إلى أن الوالد المسئى فى أغلب الأحوال أسيتت معاملته وهو طفل، فهذا الأب حينما كان طفلاً كان أمامه نموذج مسئى له، والاحتمال الأعظم أن يكون قد امتص معايير وطريقته. وهذا ما دفع Belsky إلى ذكر أهمية دراسة تاريخ نمو الوالد المسئى، نظراً لإمكانية أن يكون تاريخ النمو النفسى للوالدين أو أحدهما سبباً فى سوء معاملة الأبناء.

ولا يجب أن نكون فى معزل عن خصائص المجتمع الذى يعيش فيه أولياء الأمور المتسمون بالعنف وسوء معاملة الأبناء. فالعنف السائد فى المجتمع، والذى يظهر بين أفراد أو على شاشات التلفزيون أو عبر وسائل الإعلام الأخرى يمكن أن يعلم الأبناء والآباء أن العنف وسيلة مقبولة لحل المشكلات.

ولقد ظهر أن الوالدين المسيئين إلى أطفالهما، لديهما ممارسات قليلة من التفاعلات اللفظية مع هؤلاء الأطفال بالإضافة إلى أنهم ليسوا متسقين معهم فى التعامل. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الطفل ذاته وخصائص شخصيته أحياناً تكون من أسباب معاملته معاملة سيئة من قبل الوالدين أو أحدهما.

ويعد عدم الاتساق في المعاملة Inconsistence مع الطفل سبباً في ممارسة هذا الطفل لسلوك ضد المجتمع Anti Social Behavior مثل العدوان، بالإضافة إلى الاضطرابات النفسية التي تبدو عليه.

والواقع أن الإكثار من ترهيب الطفل وتهديده على كل صغيرة وكبيرة من أشد العوامل خطورة على بنائه النفسى. كما أن التحقير والاستهزاء به أو إشعاره باختلافه عن بقية إخوته، هى أساليب للمعاملة سوف تترك آثارها فيما بعد عليه. ولكن الحزم من أنسب الأساليب التى تحقق جزءاً من الصحة النفسية للأطفال، ويترتب عليه غالباً أطفال وكبار مستقبلاً لهم شخصيات متزنة، قادرة على تقييم الأمور بموضوعية ومتقبلة ذواتها إلى حد بعيد.

وربما ينكر شخص الحديث عن دفء الأبوين أو حنانهما بحجة أن هذا الحنان أمر طبيعى فيهما، ولكن ما يحدث من البعض من غلظة وجحود يوجب النصح والإرشاد ويمحو العجب والإنكار، إن هذا يحدث وحدث بالفعل منذ القدم.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «أبصر الأقرع بن حابس رضى الله عنه النبى ﷺ وهو يقبل الحسن والحسين، فقال : إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم !!، فقال رسول الله ﷺ : من لا يرحم لا يرحم».

وإذا كان علماء النفس يرشدون إلى عدم نهر الطفل لأن ذلك يؤثر على شخصيته نجد أن رسول الله ﷺ قد سبقهم إلى ذلك.

عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فى إحدى صلاتى العشاء أو الظهر أو العصر، وهو حامل الحسن أو الحسين، فتقدم النبى ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها، قال (راوى الحديث) : إنى رفعت رأسى فإذا الصبى على ظهر النبى ﷺ وهو ساجد، فرجعت فى سجودى فلما قضى الرسول ﷺ قال الناس : يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهرانى الصلاة سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، فقال رسول الله ﷺ «كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته».

إن في عمل الرسول هذا تهذيباً لطباع شرسة، ويحد بذلك من تنطع مقيت، فإصلاح نفس الطفل وإدخال السرور على قلبه أمور هامة في المعاملة. إن الله الرحيم ليقبل الصلاة التي يشغل فيها صاحبها بالحدب على طفل، وربما لايقبل الصلاة التي توحد حول مؤديها الأبواب والحجب، وينهر من أجلها الأطفال أو يضربون خشية أن تبطل كما يزعمون.

إن الآباء الذين يشكون من فساد أولادهم بعد كبرهم، ليس لهم إبداء ضيق أو برم - فعلى نفسها جنت براقش - فهم الذين أرخوا لهم بحجة العطف والحنان، بدافع الحب المفرط. إن الإسلام دين الوسط والاعتدال - يجب على الوالدين أن يسلكا في ضوئه مع أولادهما نهجاً وسطاً، ليس فيه حماية زائدة أو تدليل أو تسلط أو تصلب أو تحقير، بل إن الأمر دفء في غير ضعف وحزم في غير شدة.

والذي يقرأ قصة سيدنا يوسف عليه السلام أو قصة سيدنا إبراهيم أو سيدنا شعيب عليهما السلام - يلتبس تنبيهاً إلى صورة حية واقعية، كان فيها الحوار بين الآباء والأولاد وليس التسلط والتصلب بل لغة الإقناع، وكان فيها أيضاً تقدير رأى الولد بما يبعث الثقة بالنفس وتقدير الذات.

يقول الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿.....﴾ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين • قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾، ويقول الله في شأن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام : ﴿فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾.

وإذا كان الثواب مهما بالنسبة للأطفال، فعقاب الطفل إذا أهمل أو جنح إلى الخطأ مباح أيضاً استناداً إلى إباحة الإسلام ضربه على ترك الصلاة عند بلوغه عشر سنين، ولكن هذا العقاب المباح أمر بالغ الحساسية على الأخطاء الأخرى التي ترتكب من الأطفال، ولاننسى ما روته عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على سواه».

وإذا كانت هناك تباينات واضحة توصلت إليها البحوث بخصوص أبعاد أو أساليب المعاملة الوالدية وانعكاساتها على الأطفال، فإنه في ضوء كل ما سبق وفي ضوء ديننا الإسلامى يمكن تصور أساليب للمعاملة لا يمكن القول بأنها مستقلة فى شكل أبعاد على النحو التالى:

(١) التقبيل (الدفع) - الرفض (المجحود) Ingratitude

إن دفع المعاملة يتمثل فى السعى إلى مشاركة الطفل، والتعبير الظاهر عن حبه وتقدير رأيه وإنجازاته والتجاوب معه والتقارب منه من خلال حسن الحديث إليه والفخر المعقول بتصرفاته ومداعبته بالإضافة إلى رعايته، واستخدام لغة الحوار والشرح لإقناعه، أو توضيح الأمور له مع البعد عن الاستياء منه والغضب من تصرفاته والضيق بأفعاله وإشعاره بعدم الرغبة فيه والميل إلى انتقاده وبخس قدراته وعدم التمتع بصحبته وظهور النفور من وجوده.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدى اتباع الرفض والمجحود للطفل، إلى صعوبة فى بناء شخصية مستقلة نتيجة شعوره بالرفض. كما أنه يكره السلطة الوالدية وينسحب شعوره بهذا إلى معارضة السلطة الخارجية. وغالبًا ما يصبح هذا الطفل متمرّدًا فى المستقبل متسلطًا ولديه شعور بالنقص.

(٢) الاستقلال - الضبط (التحكم)

هو منح الطفل قدرًا من الحرية لينظم سلوكه، دون دفع السلوك للطفل فى اتجاهات محددة أو كف ميوله من خلال قواعد ونظم يطلب منه الالتزام بها ويشجع على ممارستها دون مراعاة لرغبات الطفل أو دون تزويده بمعلومات عن نتائج سلوكه.

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يؤدى اتباع التحكم والسيطرة من قبل الوالدين، إلى الكف عن التعبير الصريح عن الرأى والتردد فى اتخاذ القرار وصعوبة معرفة الصواب والخطأ، وفى الأغلب تكون شخصية الطفل أميل إلى العصائية وعدم الانتراز الوجدانى مستقبلا.

(٣) الحماية الزائدة – الإهمال

هى المغالاة فى المحافظة على الطفل والخوف عليه لدرجة مفرطة ليس فى أوقات المرض فحسب بل فى أوقات التغذية والنظافة واللعب وممارسة المهام التى يكلف بها .

عيوب هذا الأسلوب :

للمحماية الزائدة مضارها المتمثلة فى خشية الطفل من اقتحام المواقف ، وانخفاض مستوى الجرأة ، وعدم الاعتماد على النفس ، كما أن للإهمال عواقبه على الطفل مثل التبلد وعدم الانتماء بالإضافة إلى تكوين فكرة سيئة عن الحياة الأسرية .

(٤) الديمقراطية – التسلط

البعد عن فرض النظام الصارم Firm Discipline على الطفل أو كبح إرادته من قبل الوالدين مبتمدين على سلطتهما وقوتهما ومقيمين سلوك الطفل وفقاً لمعايير مطلقة محددة للسلوك ومنتظرين دائماً الطاعة من قبله عند فرض رأيهما عليه ، وإجباره على التصرف بما يرضى رغبتهما .

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

غالباً ما يمارس الطفل نفس الأسلوب عندما يكبر ، ويبعد عن التعبير عن رأيه وينخفض مستوى مفهوم الذات لدى الذين يعاملون بهذا الأسلوب ، بالإضافة إلى تقلب انفعالاتهم والعزلة .

(٥) التدليل – القسوة Cruelty

التراخى والتهاون فى معاملة الطفل وعدم توجيهه لتحمل المسئوليات والمهام التى تتناسب ومرحلته العمرية ، مع إتاحة إشباع حاجاته فى الوقت الذى يريده هو .

عيوب هذا الأسلوب :

مع التدليل يشعر الطفل بالغرور ، وإصابته بالإحباط لآتفه المواقف الصعبة ومع القسوة قد ينطوى على نفسه وينسحب من المواقف الاجتماعية ويتولد لديه شعور بالنقص وشعور حاد بالذنب وكره السلطة والعداية مع الأطفال الآخرين .

(١) الإثابة - العقابي Parental Reward and Punishment

مايجنيه الطفل كمعزز لتقوى أو تبقى أو تكتسب سلوكيات معينة كالإثابة الأولية (طعام أو شراب . . .) أو الإثابة الموضوعية (لعب أو مال . . .) أو الإثابة النشاطية (الخروج والنزهة . . .) أو الإثابة الاجتماعية (إتسامة أو إيماءة) مقابل ما يوجهه الوالد من ألم جسمى أو نقد لفظى أو توبيخ أو استهجان أو تخفيض فى الامتيازات الممنوحة للطفل .

فعالية هذا الأسلوب :

هناك أدلة مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلا من الثواب والعقاب ، فالإثابة تعلمه ما ينبغي أن يعلمه ، والعقاب يعلمه مالا ينبغي أن يمارسه . وإحاطة الطفل بالتنوعين لها فائدة أكبر عما لو اعتمد على الثواب فقط أو العقاب فقط .

(٧) التذبذب Irresolution - اتساق المعاملة

عدم ثبات الوالدين أو حيرتهما فى نظامهما الذى يتعاملان به مع الطفل فى المواقف نفسها وتناقض أسلوبيهما عند مقارنة أسلوب معاملة كل منهما بالآخر أو داخل أسلوب الوالد الواحد تجاه نفس السلوك الصادر من الطفل أو شبيه هذا السلوك .

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

يجد الطفل صعوبة فى معرفة الإيجابيات والسلبيات ، يكون غالباً متردداً ومتشائماً ولا يصلح للقيادة ومنخفض الاتزان الوجدانى ، ويمارس السلوك ضد الاجتماعى .

(٨) الحزم - لامبالاة

إقامة ضبط متزن على الطفل يتضمن تنبيهه إلى أخطائه وحثه على الوصول إلى نماذج ناضجة من السلوك مع توضيح الأشكال السلوكية غير المقبولة فى جو من الحب وتقدير الرغبة بالإضافة إلى تشجيعه على التحاور وإبداء رؤيته .

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

التسبب فى أداء الأعمال ، ممارسة التخريب وألعاب العنف . رفض النظام - ولا يمنع الأطفال عند هذه المعاملة من الضبط الذاتى .

(٩) التفرقة - المساواة

التفضيل والاهتمام بأحد أو بعض الأبناء عن طريق الحب أو المساعدة والعطاء أو منح السلطة أو التمتع بمزايا دون اكتراث بمشاعر الأبناء الآخرين .

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

الغيرة والخوف من المستقبل والأناية بالإضافة إلى فقدان الثقة بالآخرين .

(١٠) الاعتزاز (التقدير) - الاستهزاء (التحقير)

الثناء على الطفل وإظهاره بأنه محل إعجاب وتقدير مع البعد عن خداعه أو الاستخفاف بتصرفاته وأفعاله وقدراته وانفعالاته وإنجازاته .

عيوب القطب السالب لهذا الأسلوب :

انخفاض مستوى الثقة بالنفس وبالتالي انخفاض مفهوم الذات . وضعف الولاء للأسرة والشعور بالإحباط .

* * *

الفصل السادس

الوالدان كأجزاء من مشاكل تنشئة
الأطفال وأجزاء من الحلول



أولاً : إعطاء الطفل الانطلاقة الأولى :

ليس هناك ما يضير فى أننا نريد أن ندفع الطفل الدفعة الأولى ، ومع هذا لن يفيد أن نكون آباء «مشيرين» أو أن نرغم الطفل على فعل شىء قبل أن يكون مستعداً له ، أو أن نغمره بالتعليمات خلال اليوم مما يقيد حرية الطفل وإحساسه بالحياة الهادئة . وبينما الآباء يكافحون فى هذه الورطة راغبين أن يعطوا طفلهم كل ميزة مشيرين إلى كل شىء أمامه ، فمع ذلك لا يريدون أن يضغطوا عليه أو يدفعوه أكثر من اللازم ، فلاتوجد ورطة حقيقية إذا وصل إلينا المعنى الحقيقى للانطلاقة الأولى .

إعطاء الانطلاقة الأولى يعنى ببساطة تعليم الطفل شيئاً قبل أن يتعلمه بنفسه عن طريق البيئة الطبيعية المحيطة به .

على سبيل المثال : فترة ما قبل المدرسة لاتعلم الطفل غالباً القراءة أو الحساب أو الكتابة أو السباحة أو العزف على آلة موسيقية أو الأمور الاجتماعية ، وتكوين الأصدقاء ، والعثور على الصحبة الجيدة ، أو الإنصات إلى المدرس والتوافق مع الآخرين .

ومع ذلك فالأطفال يكونون مستعدين نفسياً وعقلياً للقراءة أو الموسيقى أو الحساب ... إلخ . ولكى نستمتع بذلك فى سنوات ما قبل المدرسة فإننا نعطيهم الدفعة الأولى إذا بدأنا بتعليمهم فى هذه السن المبكرة «الانطلاقة الأولى» إن الطبيعة والبيئة المحيطة لا تسمح بتعليم الطفل ذلك فى الوقت الذى يكون فيه غير مستعد للتعلم والتلقين ، ولأسباب معينة فهو ينتظر ، إذن فالمهم هو ليس أن نجعل الطفل أرفع مقاماً وأعلى منزلةً من الأطفال الآخرين ، بل نجعل حياته مليئة بالحرية والسعادة . لاتخف على طفلك من أن يلتحق مبكراً بفصول تعليمية ، لكن إذا لم يرق له ذلك بعد حضوره عدداً من المرات ، فليس من العدل أن يستمر أو نرغمه على الحضور ، ومن الأفضل إيجاد النشاطات التى تشغره بالمتعة والمعلم الذى يرتاح إليه . فالطفل سيتحدى نفسه ويحاول أن يحرز تقدماً فى الأشياء الغامضة بالنسبة له ولن يكون هناك داع لأن ندفعه الآن بل على العكس ما سوف نفعله هو أن نحاول إخراجه من حمام السباحة أو إبعاده قليلاً عن الكمبيوتر .

لا يوجد شيء سليم أو غير سليم بخصوص توجيه الطفل وإرشاده وتعليمه القراءة فى هذه السن الصغيرة، إن هذا يتوقف على رغبة الطفل واستعداده، فلا يجب أن نمنع الطفل من تعليم القراءة أو السباحة إذا امتنع مرة عن قبولها فيجب البحث عن طريقة أكثر تشويقاً لذلك.

تقول إحدى الأمهات : لقد اعتقدت أن من المهم لطفلى أن يتعلم القراءة فى فترة ما قبل المدرسة لسببين : الأول : أنى ظننت أنه قد يستمتع بها عندما يصل إلى الدرجة التى يستخدمها كقراءة الكتب المحببة إليه، ثانياً : إن ذلك قد يعطيه الانطلاقة الأولى فى المدرسة فيكون مستعداً بدرجة أكبر للتعليم عن أقرانه.

ومع ذلك فأنا أعلم أننى لو ألقيت إليه بمجموعة من الحروف ودربته عليها فسيصيبه ذلك بالملل، وبدلاً من هذا فأنا أعلمه ذلك من خلال القصص وعندما أكون فى الحديقة أو أثناء اللعب سأفعل ذلك قليلاً هنا وقليلاً هناك، وأتوقف عندما يفقد الرغبة فى ذلك، ودائماً ما أستمد الأشياء الطبيعية الممتعة ليتعلم بها أثناء القراءة، ويجب أن أتوقف أثناء القراءة وأسأله عن هذا الحرف وكيفية نطقه «هذا شيء عظيم برافو» هكذا نقول له إذا أجاب جيداً، أو «إنها هـ» إذا لم يعرف، ثم أستمر فى القراءة وأتوقف ثانية عند نفس الحرف أو حرف آخر وعندما يحرز تقدماً فسوف يتعرف على الحروف فى الشوارع والحدائق وفى التلفزيون وبعد محاولة ربط الحروف بالكلمات المعروفة (ماما، بابا، لعبة... إلخ) سنجده يتمتع بمعرفتها وسيسأل إذا لم يعرف حرفاً يريد أن يعرفه، والشئ المهم هو ألا تتعجل أو تندفع لطلب شيء يفعله إلا إذا كان مستمتعاً بذلك أو نتوقف إذا فقد الرغبة.

إن هذه هى الإنطلاقة الأولى لأنها توسع مدارك الطفل وتثري حياته، فليس من مصلحة الطفل إرغامه لأنه سوف يكره القراءة ويزيد ذلك سلوكه الاعتراضى للهروب منها.

ثانياً : أفضل التوقعات

إننا نريد لأطفالنا أن يكونوا أذكياء، وذوى دين، رياضيين، واجتماعيين، وكل هذا طبعاً شئ جميل، لكن يجب علينا أن نكون حريصين فى أن نتساءل ماذا نريد ؟ وماذا نتوقع، وماذا يطلب من طفلنا ؟ وهل هذا مفيد له أم لا ؟ . معظم الآباء تصيبهم الحساسية بخصوص ضعف معين فيهم ويتوقعون (أو يأملون) أطفالهم بأن يكونوا على قدر من المهارة والقوة فيما افتقدوه . فعندما تكون سميناً سوف تزداد حساسيتك بالنسبة لوزن طفلك، وماذا يأكل، أمّا إذا كنت من محبى الجلوس على المقاعد فسوف يدفعك هذا لأن تنتظر من الطفل ممارسات رياضية فوق العادة .

فلا بد أن نكون على دراية بأن مشكلتنا تتضح فى مثل هذه المواقف، فليس من الضروري أن يكون الطفل بطلاً رياضياً أو قوياً فوق العادة . ونحن نظل نعلم أبناءنا فى هذا المجال لنساعدهم على التقدم، ويمكن أن يكون عندنا التوقعات ونساعد أطفالنا على تحقيقها، لكن يجب أن يكون هناك حدود لتلك التوقعات، ولا يجب أن نصاب بالإحباط إذا لم تحدث، فيجب أن نساعد الطفل على التعلم بالطرق السليمة مع إحساسه بالاستمتاع بها بدلا من دفعه وإرغامه على كل فعل، والمزيد مما نريده .

ثالثاً : المنافسة مع الآباء الآخرين

عندما نرزق بأول طفل فإننا نراقبه كظله ونقارن بينه وبين الأطفال الآخرين، وبيننا وبين الآباء الآخرين، بل ونشعر بالخوف والفرع عندما نرى غيرنا من الآباء الآخرين يفعلون أشياء قد تبدو مفيدة لانفعلها نحن ثم سرعان ما نكتشف كم من الحماسة أن نتنافس مع الآباء الآخرين .

إنك سترى الأطفال دائماً أذكى من طفلك وأكثر طاعة ولا يستخدمون تلك الكلمات الساذجة بل يتحدثون ثلاث لغات، أو يقومون بعمل العمليات الحسابية عندما يبلغون أربع سنوات، ولأنك تحكم على نفسك وعلى طفلك من هذا المنطلق وبهذه الطريقة فستخسر دائماً .

وإذا رأيت أبًا لديه طريقة ناجحة لتعليم طفله السباحة فلتسأله عنها وتحاول تطبيقها فلن يجدى أن تشعر بالغيرة منهم.

إننا نتذكر مرات كثيرة قمنا فيها بالخروج مع عائلات أخرى رأينا فيها كيف أن الآباء في منتهى الرقة عند إطعام أطفالهم، وقد أظهروا العديد من الطرق لجعل الطفل يضحك ويأكل كما لو كان هذا درسًا في التربية للطفل، ونحن لانستطيع عمل شيء، فمن الطبيعي أن يحدث هذا الاضطراب مع الطفل الأول خلال السنة الأولى، ومن الممكن أن نراقب أسلوب الآباء الآخرين ونقتبس منهم الطريقة المثلى لتعليم الطفل القراءة أو السباحة أو التعرف على كيفية التغلب على المشاكل الخاصة بالأكل أو الذهاب إلى الفراش، لكن ليس من المفيد حقًا أن نتبارى معهم وندفع بابننا إلى ذلك، فهذا يؤدي إلى أن نفقد متعة التربية، مع العلم بأن الشخص الذي ينصت ويراقب ويتعلم أذكى وأمهر من الذى يتحدث ويستعرض.

رابعاً : علاقة الأبناء بأحد الأبوين

فى وقت معين نجد أن الطفل يبدو قريباً من أحد الأبوين أكثر، وهذا يكون قاسياً على الآخر، فعندما يولد أول طفل، فإن الزوجين يقرران أن أحداً منهما سيتوقف عن العمل لرعايته - غالباً ما تكون الأم - فسوف ترضعه وتعتنى به عناية كاملة، ومع هذا فإن الأب سيكون له وظيفة جديدة أو على الأقل سوف يزداد حمل المسؤولية الملقاة على عاتقه أكثر من ذي قبل.

وبينما تلازم الأم بيتها فإن لديها وقتاً أطول (ومسئوليات أكبر) لطفلها وسيكون الترابط بينهما أسرع وسيكون اعتماد الطفل عليها فى كل أموره أكثر من أبيه، وسنجد الطفل نفسه فى حالة من الضيق عندما تترك أمه الغرفة أكثر من أن يفعل أبوه ذلك، وفى المساء نجد الأم تخبر الأب بكل أفعال الطفل الجديدة التى حدثت صباحاً، وهنا يشعر الأب بالغيرة من الوقت الذى تمضيه زوجته مع ابنه والعلاقة التى بينهما.

فيأتى واجب الأم لتكون حساسة تجاه وضع الأب واحتياجاته، كما يجب أن يدرك الأب أنه من الممكن أن يخصص وقتاً لطفله يقوى به علاقتهما (فى المساء أو أيام العطلات مثلاً). ويجب أن يدرك أيضاً أن علاقته بطفله يمكن أن تكون قوية

ولكنها مختلفة عن علاقة الأم. قد يمكن للطفل أن يعتمد عليه فى بعض الأشياء ولكن اعتماده الأكثر يكون على والدته فى هذه السن.

وبعد ذلك، فالمهم هنا أن ينشأ الطفل فى أسرة قوية الروابط ويحصل على الرعاية والحنان الكافيين بغض النظر عمن يقوم بذلك، فالأبوان يجب أن يقررا معاً ما يجب أن يفعلوا، ومن سيفعله ومتى سيشاركه الطرف الآخر فى المسئولية وبذلك يصبح لكل منهما وظيفة محددة تناسب التغيير الذى يحتاجه الأب أو الأم أو الطفل.

وبداية من السنة الثانية أو الثالثة يبدأ الطفل فى التعرف على جنس الأب أو الأم المشابه له فيبدأ الولد فى تقليد أباه أكثر من أمه فى اللبس، والرغبة فى الذهاب إلى العمل معه، فسيصعب على الأم (خاصة إذا جلست فى المنزل) أن ترعاه، فبعد أن كانت تعلمه كل شىء ويعتمد عليها فى كل ما يفعله من قبل تجده فى يوم ما يراقب أباه أكثر، ويريد أن يكون مثله، وبينما يكون الأب خارج المنزل معظم الوقت فقد يكون شيئاً خاصاً وفريداً أن يراه معه فى المنزل وقد يتجه إليه أكثر عندما يكون الأب والأم معاً، وربما كان هذا قاسياً على الأم التى ضحت بعملها وراحتها وهواياتها ومتعتها وعلاقاتها الاجتماعية خلال عامين كاملين للعناية بطفلها، وفى النهاية يكون هذا هو المقابل.

خلال هذا الوقت يأتى دور الأب فى أن يكون حساساً لمشاعر الأم واحتياجها لمزيد من الترفيه والنشاطات الاجتماعية، وينبغى أن يناقشا معاً دور كل منهما، وأفضل ما يمكن تقديمه لطفلها مع الامتتان والتقدير من كل منهما لأفعال الآخر بدلا من الغيرة والحقد.

أما الآن وبعد أن وجدنا أنه يمكن أن يمر على كليهما مرحلة العلاقة القوية بالطفل أكثر من الآخر، فالنظرة الأخيرة تعتمد على الحب والوقت والمجهود المبذول معه خلال حياته، ولايتوقف على كونك أباه أو أمه أو أنك تلازمه فى المنزل خلال الستة أشهر الأولى أو من يغذيه ومن يغير له الحفاضات والملابس.

الطفل يشبه أحد الوالدين :

إنه لمثير للدهشة أن تجد هذا الكم من الآباء يسألون نفس هذا السؤال، وأكثر إثارة للدهشة أن يصاب أحدهما بالإحباط عندما تكون الإجابة فى صالح الآخر،

ومن المضحك أن ترى رد فعل الآباء عندئذٍ وهم يضعون أنوفهم (عيونهم، شفاههم) بجانب الطفل ومحاولة إقناعك بشدة التقارب بينهما... «كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ إن لها نفس ملامح الوجه، وأنفها في وسط وجهها تماماً مثلى لكن والدها أنفه معلقة هناك»... فبعض الآباء يأخذون هذا بجدية ويعتبرون أن الطفل الذى له ملامح من أحدهما أنه يحبه أكثر ويكون قريباً منه أكثر بل ويميل إلى التشبه به دائماً، وطبعاً هذا هراء.

من الطبيعى أن يشبه الطفل أبواه وبعض الملامح تكون مشتركة منهما معاً أو بينهما كلون الجلد مثلاً لكنه فى النهاية يكون أكثر الشبه منهما معاً.

ليس عيباً أن نسأل هذا السؤال (وسوف يفعله معظم الآباء) مادمنّا لاندده أكثر من اللازم أو نجد فيه أى قدر من الأهمية، فالطفل الذى له ٤٧ وجه شبه من أمه مقابل ٢١ من أبيه لايعنى هذا أن يكون قريباً منها أو يماثلها، فهناك أشياء كثيرة قد لانراها ولانستطيع مقارنتها مثل الطموح والشخصية وما إلى ذلك، أما شكل الأنف فحقيقة لايعنى شيئاً.

نحن نولد بجينات وراثية قد تنعكس فى المستقبل تأثيراتها على الحيوية أو العدوانية ولايجب أن ننسى تأثير الطفل بالبيئة المحيطة وبالأسرة وبكل الأحداث المتلاحقة منذ ولادته.

إن الطفل لم يولد مثل أبيه وأمه فكل الناس مختلفون، والناس المختلفون عبارة عن نتاج اثنين مختلفين أيضاً (بما تتحكم البيئة المحيطة فيهم) فمن الضرورى أن نتذكر هذا، فقد يورث أطفالنا هذا التفكير ويؤذيهم أن يلاحظوا الغيرة والتنافس بين أكثر اثنين يحبونهما فى هذا العالم.

قد يصبح السؤال هذا أقل أهمية عندما نعرف أن ملامح الطفل تتغير خلال الست سنوات الأولى، يقول الأب : لقد كان طفلى شديد الشبه بى حتى بلوغ عام، له نفس الوجه، ونفس القدم، ونفس اللون، وعندما تم أربع سنوات فقد أصبح نسخة طبق الأصل من زوجتى، وهذا شائع حدوثه، وكلما زاد نمو الطفل قلت التغيرات الطبيعية وتطورت التغيرات فى الشخصية، وفى معظم الأوقات نجد

الآباء يفاجأون بما يفعله أبنائهم وقد يرونهم شخصيات مستقلة وفريدة ولا يشبهون أى إنسان آخر .

فإذا وصل هذا المفهوم إلى أذهاننا وأدركنا أن اختلاف الطفل يحدد باختلاف شخصيته وطباعه وليس باختلاف أنفه، فسوف نتغلب على هذا الضيق الذى يصاحبنا (والأطفال أيضاً) عندما نسأل من يشبه الطفل أكثر .

سادساً : الندية بين الأشقاء Sibling Rivalries

إن هذا الموضوع يظهر على الأفق بمجرد ولادة الطفل الثانى فيفقد الطفل الأكبر كثيراً من الأضواء المسلطة عليه، والأم تكون مشتتة ما بين الطفل الجديد وآثار الوضع، والأب أيضاً يود قضاء بعض الوقت مع المولود مما يُشعر الطفل الأكبر بالغيرة من هذا الزائر الثقيل .

وهناك طرق كثيرة لمنع هذه الندية بين الأشقاء فقبل ولادة الطفل يجب أن نتحدث عنه وعن السعادة التى سيجلبها لأخيه الأكبر . . . «سوف يحبك كثيراً، سوف نُحضر لعباً كثيرة لتلعب بها، إنك الآن ستكون الأخ الأكبر . . . إلخ» . ونشركه فى تسمية المولود والعناية به ونوجه له أسئلة مثل «هل تساعدنى فى تغذيته وتحضر لى البيرونة، هل ستعلمه كيف يلعب باللعب» وكذا التحدث معه عن هذا المولود ونشعره برفسه داخل بطن أمه قائلين له «هذا هو أخوك» ولا نقول «ابن والديك أو أحدهما» .

وعندما يولد الطفل يجب أن يأخذ الأب ابنه ليرى المولود الجديد ووالدته فى المستشفى، ومن الأفضل أن يكون فى انتظار الابن هدية باسم المولود الجديد، فسوف يؤدى ذلك إلى بداية من الروابط القوية بينهما، ونقول : «خالد، انظر ماذا أعدت ميرام لك؟ إنه شئ جميل حقاً أن يكون لك أخت تحبك لهذه الدرجة» .

ومن الضرورى أيضاً أن يقضى الأب وقتاً أكثر مع طفله الأكبر، فيشعر الطفل أنه لا يزال هناك أمل فى أن يحصل على الاهتمام، وعندما يكبر المولود تشجع الطفل الأكبر ونثنى عليه عندما يتصرف تصرفاً إيجابياً تجاه الأصغر «خالد،

هل تستطيع أن تضحك أختك؟» فإذا فعل أو حاول فيجب الثناء عليه بشدة «كيف استطعت أن تفعل ذلك؟ أنا لم أستطع أبدًا، لابد أنها تحبك جدا، انظر كيف تراقبك، إنك فعلا أخ عظيم» فستجده بعد ذلك يستمتع باللعب معها وعندما تبدأ فى إصدار الأصوات تبين للولد كم هو ممتع أن يقلد صوتها ونصفق لها عندما تقلد أصواتنا، فينتج عن كل هذا كثير من الاهتمامات المشتركة والتقارب الملحوظ بينهما.

طبعًا سيأتى اليوم الذى ترى الطفل الأكبر (بالصدفة أو بغيرها) يطعن الطفل الأصغر بالسيف (اللعبة طبعًا) أو يدفعه، أو أى تصرف سلبي من هذا القبيل، فالتعامل مع هذه المواقف يكون كالتعامل مع الغضب والعدوانية. كما سوف يتضح فيما بعد. وهذا ليس بالضرورة أن يكون نوعًا من الندية بين الأشقاء لكن إذا سمعت مرة قوله «إنها أخذت لعبتى» ولم يكن لعب بها فى هذه اللحظة فهذا من الندية وهنا يجب أن يتعلم الطفل - بعد أن نتأكد أن لديه لعبًا أخرى كافية - المشاركة والعدل مع أخته بأن نقول : «حسنًا ما اللعب الذى تود أن تلعب بها ؟ إذن ميرام سوف تلعب بالباقي» وتُظهر كوالد بعض التصميم على أن تلعب هى باللعب التى لم يستخدمها فيُسعره هذا أنه كما أن له الحق فى الاختيار واللعب كما يحلو له فليس هناك مانع من أن تشاركه أخته.

هناك مفهومان للتعامل مع مثل هذه المواقف التى يشعر فيها الطفل الأكبر أن الأصغر مفضل عنه، أولاً : يمكن أن نربط بينهما بلعبة تجمعهما معًا فهذا يكسر الجمود الذى ربما يكون بينهما، وخاصة إذا استمتعا معًا بهذه اللعبة، أما الثانى فيعتمد على أن تقوم بإشغال الطفل الأكبر . . . «خالد»، هل تريد أن تمر على صديقك عمرو؟ هل تريد أن تلعب بالطائرة؟ فلتنذهب إلى منزل «طارق»، هذا لأن الطفلين لن يتمكنوا من اللعب معًا بصفة دائمة فنحاول أن نلهى الطفل الأكبر بعمل شىء آخر يفضلُه.

سابعاً : المشاركة فى المسئوليات بين الآباء

معظم الآباء يتحدثون عمن يفعل وماذا يفعل قبل ولادة أول طفل ولا يتكلمون بعد ذلك مرة أخرى، فلا أحد يستطيع أن يتخيل مدى صعوبة تربية الأطفال، والجمع بين العمل والأسرة. ثم إن الناس يتغيرون بمرور الوقت، فالاحتياجات تتغير، والمسئوليات أيضاً تزيد بدون أن ندرك ذلك، وبمرور السنين تجد لديك عدداً من الأطفال كل منهم فى حاجة إلى الذهاب إلى المدرسة والطبيب ولا يمكنك أن تغلق باب المسئولية الساعة الخامسة مثلاً.

يقول الأب : إنى أتساءل ماذا تفعل زوجتى خلال يومها، وأشعر بالغيرة من وجودها بالمنزل طوال اليوم بينما أواجه مشقات وأهوال الحياة خارجه، إنها لاتعرض لهذا الضغط الفظيع الذى أتحملة من العمل، وذات يوم شئت الظروف أن تحضر زوجتى حالة وفاة خارج المنزل وتتغيب طوال اليوم فقامت أنا بدورها فى ملازمة المنزل وهنا شعرت أننى سوف ألقى حتفى، إنه لشيء مختلف تماماً أن تتمتع بهذا الوقت الجميل مع الطفل فى المساء أو فى العطلات أو أن تقضى معه يوماً كاملاً، فلا يوجد وقت للراحة أو للتفكير بدون إزعاج أو إطعام... وبعد أن رجعت أخبرتها أننى أكثر الأزواج تقديرًا وعرفانًا وامتنانًا لها.

لقد كان هذا درساً مفيداً، فمن الضرورى أن يستعرض أحد الأبوين إذا أمكن مسئوليات وتبعات الآخر قبل أن يشكو من الجزء الخاص به، وعلى العكس قد يرغب زوجته أن ترى حجم العمل الذى يقوم به وتشعر بالسعادة أنها ليست مكانه.

لذلك يجب على كل من الوالدين أن يقدر متاعب ومسئوليات الآخر ويحاولان التخفيف بعضهما عن بعض عندما يعانى أحدهما من الضيق أو الملل أو طلب المساعدة عند المرور بتلك الأوقات العصيبة.

الصباح والشجار أمام الأطفال

كلنا يتتابنا شعور بالغضب بعض الأوقات ونحتاج لتنفيس الغضب والجدال مع شريك الحياة. إن هذا طبيعى، وهذا إنسانى فى نفس الوقت، ولكن يصعب على الطفل جداً أن يرى هذا، وهذان الشخصان هما كل العالم بالنسبة له هما أساس منزله.... أما أن يراهما يتشاجران فقد يعصف ذلك بعواطفه.

والمفهوم الأقرب أن تكون حساساً لطفلك وتقلل الشجار قدر المستطاع فليست هذه الطريقة التي نعلمه بها كيفية مناقشة الأشياء وما الذى نفعله عندما نشعر بعدم الرضا، فإذا استشعرت مبادئ الغضب فمن الأفضل أن تبحث عن مكان آخر للجدل والشجار . هذا طبعاً شيء صعب لكن إذا نظرنا بحساسية إلى مدى تأثير هذا على طفلك فسوف تؤجل الغضب إلى مكان آخر ووقت آخر، أما إذا ازدادت الخلافات الزوجية كل يوم بكثرة فيصعب اللجوء إلى أخصائى فى الزواج لاستعادة السعادة الزوجية .

ثامنا : تأثير الانفصال والطلاق بين الوالدين

Separation and Divorce

إن هذا الموقف لا يبعث على السعادة، وليس من السهل معرفة أى طريقة لإزالة آلامه، وكلنا نستطيع مع ذلك أن نقلل حدوثه قدر الإمكان . فإذا كان الآباء غير سعداء معاً ومختلفين فى الطباع فلن يكون هناك فائدة من الاستمرار . هذا بالنسبة للأطفال، فالشجار والجدال بينهم قد يكون أسوأ قدوة للطفل . إنه يصبح فى حالة من الضيق والحزن . ويؤدى ذلك إلى حدوث تنافس بين الأب والأم لكسب الطفل مما قد يجعله مدللاً لدرجة الفساد، فلن يظهر له أى منهم بعض الصرامة والحزم فيفقد النظام الذى يجب أن يتبعه لينجح فى حياته .

وقد أثبتت البحوث أن تأثير الانفصال بين الأبوين أقل كثيراً من وجودهما بهذه الحالة السيئة معاً .

يمكن أن يكون هناك بعض المشاعر بين الأبوين، وبالطبع سيكون عند كل منهم أفكار للتعامل مع بعضهما البعض، ومع ذلك فيجب أن يكون هناك وقت للتحديث حول مسؤولياتهما تجاه الطفل، إن الحديث ليس فقط لتوضيح الحقوق وترتيب المعيشة وحقوق الزيادة وتكلفة الملابس، إنما يجب على الآباء أن يوضحوا للطفل بطرق إيجابية إذا ما تأزم الأمر ماذا يحدث حوله ويؤكدوا على عواطفهم تجاهه، ويعطوه حرية الاختيار فى الإقامة مع أى منهما، وكذلك ما يريد فعله فى أيام العطلات . . . إلخ . ولا نتمنى أن يصل الأمر إلى الانفصال فهو يحتاج رؤية أبويه معاً وهم متوادان قدر المستطاع، أما الآباء فيحتاجون إلى الكلام معاً عن طفلهم من وقت إلى آخر .

تاسعا : جليس الطفل :

إن معظم الآباء محاطون بالعمل ومع ذلك يشعرون بالذنب تجاه عدم قضاء الوقت الكافي مع أطفالهم وخاصة في سنواتهم الأولى . ولا يوجد أسباب حقيقية وراء هذا الشعور، فالآباء يجب أن يراعوا اهتماماتهم واحتياجاتهم وفي نفس الوقت يراعوا الالتزام تجاه أطفالهم . ومن الأفضل أن يكون الآباء مستمتعين بالتزامهم هذا ولديهم الاستعداد لتغييره، ليس هناك أى شىء سليم أو غير سليم بخصوص مربية فى المنزل أو جليسة أو بقاء الآباء فيه لتربية أبنائهم فالشىء الجيد أو السيئ يتوقف على نوع الشخص الموجود، وكيفية العناية اليومية . وإذا أراد الآباء البقاء فى المنزل فإن نوعية تلك العناية والرعاية تكون أكثر أهمية وأفضل من أى شخص آخر يقوم بها . وإذا كانت مسئولية الطفل الكاملة ملقاة على المربية فالآباء سيكونون مطالبين بتحقيق علاقة جيدة مع أطفالهم واتخاذ القرارات بخصوص نظامهم كما يجب أن يظل لديهم وظيفة إيجابية فى التوجيه والحوار مع المربية أو الجليس والتأكيد على حصول الطفل على قدر من الوقت الممتع الذى يقضيه مع والديه . كثير من الآباء يمشون فى المنزل مع طفلهم ولكن لا يجدون الوقت للكلام أو القراءة أو اللعب معهم فمعظم الوقت يضع فى احتياجات الطفل - التغذية، تغيير الحفاضات ... إلخ، إذا كان صغيرا .

وبعض الآباء يسود اعتقاد فى أذهانهم بشأن إبقاء الطفل أطول فترة ممكنة بجانبهم، فهؤلاء مطالبون بتلبية جميع رغبات الطفل وحمايته والغيرة عليه من أى شىء، مثل هذا الأب لا يساعد طفله بل يضره اجتماعياً ونفسياً ويحرمه من مشاركة زملائه وتكوين العلاقات والصداقات .

إن هؤلاء الآباء يحبون أطفالهم بشدة ولكنهم لا يعلمون أن هناك فترة من الوقت لا يجب أن يظهروا فيها هذا الحب . فالهم هنا ليس مقدار حبك للطفل ولكن الآباء الذين يعرفون متى يلقون بالشئ على الطفل، ومتى يعاقبونه لا يحبون الطفل أقل بل هم ببساطة يعرفون ماذا يفعلون .

عاشرا : تفضيل الوالدين لأحد الأبناء :

كل الأطفال ليسوا سواء، فمنهم من يكون أكثر ذكاء وأكثر حساسية More Sensitive أو أكثر وسامة، ونحن ككثير من الآباء نجد هذه الصفات محبة إلينا وقد ننجذب إلى أحد الأبناء عن الآخرين. هذا خطأ كبير وقد يؤذى بقية الأطفال نفسياً، فإذا عاملنا أحداً منهم بصورة مختلفة، أو إذا بالغنا في الشاء والاهتمام بأحد منهم وإهمال الآخرين فقد يؤدى ذلك إلى حدوث مشاكل بين الأطفال بعضهم وبعض بل وبين الأطفال وآبائهم.

عندما يجد الآباء أنفسهم متحيزين إلى أحد الأطفال يجب أن يتأكدوا من عدالتهم فى التعامل وتقسيم الوقت بينهم جميعاً. وفى معظم العائلات نجد أن هناك طفلاً يعتبر خاصاً، لكن كل الأطفال لديك يعتبر لكل خصوصية بطرق مختلفة، إن المهم ليس أن تفضل أحدهم على الآخر لكن المهم أن تحب الجميع فإذا استطاعوا جميعاً أن يجذبوك نحوهم فى أوقات مختلفة فليس من الضرورى أن يكون أحدهم أكثر قليلاً من الآخر. إن الوقت الذى يمضى فى اللعب والكلام ومداعبة طفلك هو الذى يقوى الروابط والانجذاب بين الطفل وأبويه، وهو الأكثر أهمية فى حياتهما بينما تقل عنه أهمية بقية المسئوليات الأخرى.

بعض الآباء يشعرون بالذنب وربما الغيرة من قوة علاقة الطفل بمربيته وتقول الأم : «إنه يجب أن أكون أنا... فأنا أمه» وعلى العكس يمكن أن نصاب بالإحباط إذا لم تستشعر العلاقة الطيبة بينهم، وقد نفكر فى إيجاد مربية أخرى. ومما لا شك فيه أن تقوية علاقتك مع الطفل سوف يغير كلا منكما وإذا لم تسمح الظروف بذلك فإنه كلما كانت العلاقة طيبة بين الطفل ومربيته ازدادت متعة الطفل ومعلوماته ونموه.

حادى عشر : حب الأطفال أكثر من اللازم :

كلا . . لا يوجد حب أكثر من اللازم للطفل ، ومع ذلك فهناك مشاكل تظهر على السطح تشبه الحب الزائد ، بعض الآباء يدللون أطفالهم ويرفضون توبيخهم أو إجبارهم على نظام معين ، وهذا ليس تعبيراً عن الحب فالحب هو أن تبذل الجهد الكافى فى الرعاية والتنظيم لطفلك ، وكما نرى من بعضهم يهملون كل هذه الاهتمامات لكى يخصصوا وقتهم للبقاء مع الطفل فقط فيؤدى ذلك بالطفل لأن يظل طفلاً للأبد . ويجب على الآباء أن يدركوا أنه سيأتى اليوم الذى يتخرج أبناؤهم فيه من الجامعة ويتزوجون وينجبون أطفالاً بعيداً جداً عن أعينهم فنحن لا يجب أن نتوقف عن حبهم ولكن يجب أن نحب أشياء أخرى وأشخاصاً آخرين أيضاً . وإلا أصبحنا معتمدين عاطفياً عليهم بينما يقل اعتمادهم علينا بمرور الوقت .

الفصل السابع

دور الوالدين في

تنشئة الأبناء على المبادئ



المبادئ المتناولة هنا عامة «قواعد سلوك الطفل»، وحدوثها ليس مشروطًا بسوء سلوك الطفل، إنها تلك المبادئ التي يجب أن تنفذ بدقة لتصل إلى العلاقة المثالية بين الآباء والأبناء.

ولذلك تعتبر هذه المبادئ مفيدة لتعليم معظم (أوكل) ما تود أن تعلمه للطفل مثل الفضولية أو الاستطلاع Curiosity والإبداع Creativity والقراءة وآداب المعاملة والحساسية، ومعرفة الأرقام والحروف والألوان . . . إلخ. وتعليم الطفل مقولة «لوسمحت»، «شكرًا» تعليم أسماء الناس والملابس (بنطلون، قميص، جزمة)، وتعليم بعض القواعد السيرة الخاصة بالمنزل، وتعليم كيف يلبس الطفل ملابسه بنفسه أو كيف يتصرف في المسجد، كل هذا يمكن إحصاؤه وتحقيقه. وهنا سيكون حوارنا البسيط عن تعليم المبادئ.

أولاً : استدلال الطفل عبر النمذج Modelling

إن أسرع طريقة لتعليم طفلك هي عمل نموذج له. لنوضح ذلك بمثال : إذا أراد طفلي لعبة طفل آخر، فسأبحث عن لعبة للبيع وسأذهب معه لاشتريها ثم نلعب بها أمام الطفل الآخر ونقول : كم لعبتنا جميلة ومسلية، ثم نطلب منه أن نبدل لعبتنا بلعبته، وبهذه الطريقة يتعلم الطفل كيف يتعامل مع هذا الموقف. وإذا طلبت منه كتابه حرف (ب) فأنا لأعطيهِ الورقة والقلم فقط وإنما أرسم أمامه الحرف وأطلب منه أن يقلد هذا الرسم بنفسه، وبالطبع يتم ذلك مع التشجيع في أول مرة.

إنه لمن العجب أن نتخيل مدى تعلم الأطفال من النمذج. فأنا عندى جهاز كمبيوتر فى المنزل وطفلى الآن موقفه رافض. ففى بادئ الأمر على تعليمه مفتاح (الدخول)، (الخروج) ثم (الصعود والهبوط على الشاشة) ثم كيف نضع الديسك، وكيف يشغله، وبعد ذلك عاونه كيف يفرق (وأنت تمارس) بين البرامج المعدة إذا كانت فعلاً متعلقة بشيء من الأشياء المشوق بها، أو المهارات حتى المعقدة، إن ذلك أكثر تأثيراً، لأن الطفل أو حتى الكبار يتعلمون ببطء وبكثير من الأخطاء إذا تم فقط توضيح كيفية عمل ذلك، فالتمثيل والدلالة أسرع طريق للتعليم.

ثانيا : زيادة قدرة الطفل العملية لتوجيهه

زيادة قدرة الطفل وتسريعها هي طريقة أخرى من طرق توجيه وتعليم الطفل، مثال ذلك إذا أردنا من الطفل إحضار «معطف» من بين الملابس، ففي بادئ الأمر نجعل المعطف مكانه واضحا وفي مكان ظاهر عن بقية الملابس أو حتى نبعد كل الملابس عنه حتى يُختار الاختيار الصحيح ثم نعيد الكرة مع وضع شيء آخر بجانب المعطف وليكن الحذاء ثم نضع شيئين ثم ثلاثة فأربعة وهكذا.

عموماً علينا أن نجعل الموضوع سهلاً في بادئ الأمر بتوفير مساعدة خارجية ثم نخفف هذه المساعدة، فإذا لم يستطع الطفل مثلاً إيجاد حرف (B) فمن الممكن أن أجعله الحرف الوحيد، الموجود، وأشير إليه أيضاً أو أجعله أكبر وأظهر من بقية الحروف فإذا عثر الطفل عليه أربع أو خمس مرات بالمساعدة فأنا أقلل من حجم المساعدة تدريجياً حتى يتمكن من العثور على الحروف بصورة طبيعية من بين بقية الحروف المشابهة.

وفي بعض الأحيان لايجوز للمساعدة أن تكون واضحة، فإذا أراد الطفل فتح شنطة الأوراق فيكفي أن نقول له «اضغط على الذهبي» وإذا ألقى بالملابس المتسخة فنقول له «أرجوك في مكان غسيل». ربما يتطلب الأمر مجرد الإشارة إلى الخطأ إذا لم يغسل يديه بعد خروجه من دورة المياه.

وأحياناً يمكن للنموذج نفسه أن يستخدم في زيادة القدرة . . . مثلاً إذا كان ابني يحب الديناصورات فلنأخذ نشترى بعض الكتب والصور ونقص صورة الديناصورات وأسأله : ما هذا ؟

وبالطبع فسوف لايتذكر، ولذلك سوف أساعده قائلاً أنه (الديناصور العملاق) وإذا ظهر هذا في قصة أخرى ولم يتذكر فأنا أكتفي هذه المرة بأن أقول «إنه العملاق» ثم يكمل هذا الباقي وهكذا حتى بمجرد ذكر أول حرف «د.د.د. .» سيتعرف عليه بنفسه وبسرعة. وهناك عدد لانهاثي من الطرق للمساعدة على (زيادة القدرة) للطفل، وتقريباً كلهم يعلمون بهذه الطريقة مثل ارتداء الملابس، السباحة، الرياضة، الكلام، المشاركة، الأدب، وهكذا فعند مساعدة الطفل لارتداء البنطلون نكتفي أولاً بأن يغلق السوستة، بنفسه ثم نترك له فيما بعد أن

يرفع البنطلون ثم يغلق السوستة، وفي مرات تالية وعندما يصبح ذلك سهلاً نتركه يدخل قدميه داخل البنطلون ثم يرفعه ثم يغلق السوستة وهكذا نقلل تدريجياً من حجم المساعدة (زيادة القدرة) حتى يستغنى عنا تماماً.

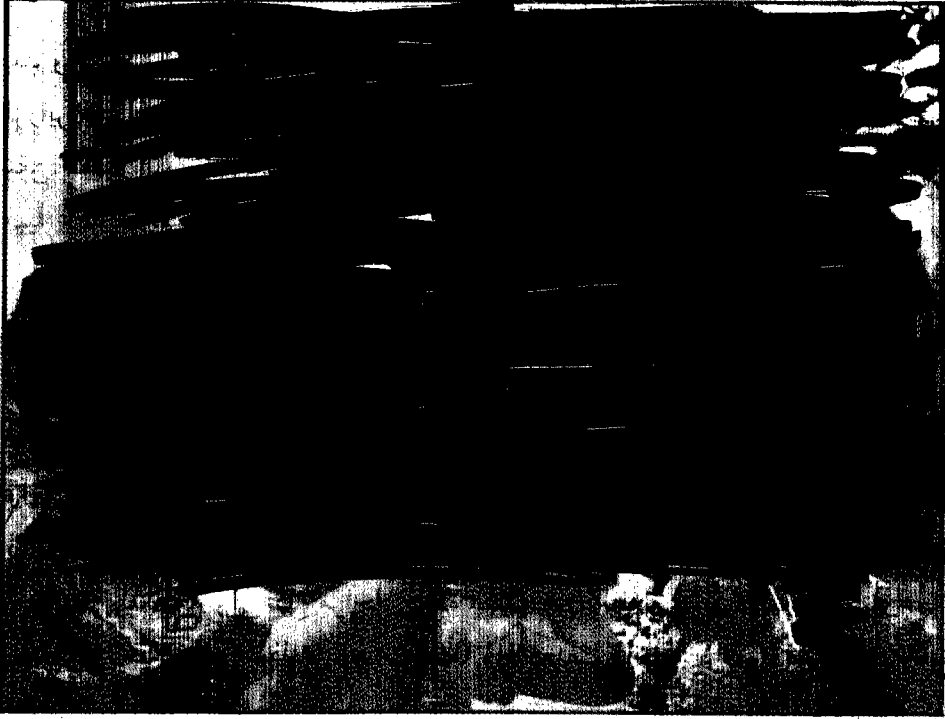
يجب على الآباء أن يحذروا من تعليم الطفل أى شيء لم تصل إليه قدرته بعد وإلا أصبحت العملية معقدة ومقززة وتأتى بنتائج سلبية. وكمثال فإن ترزير الزراير من أصعب عمليات ارتداء الملابس بالنسبة للطفل ولا يجب أن يتعلمها حتى يتقن عملية اللبس كاملة بغض النظر عن أسلوب التعليم هذا، فإذا لم يكن الطفل مهياً عضلياً ونفسياً لذلك فلن يتعلمها.

ومع ذلك إذا لم يكن الطفل مستعداً للتعليم الآن فلا يعنى هذا أن نتوقف عن المساعدة. وكمثال فإذا لم يكن الطفل قادراً على اللبس بنفسه فلنحرب خلع الملابس أولاً فهي أسهل، ثم نستخدم بعد ذلك فكرة تقليل المساعدة فنقوم بخلع كل ملابسه ونرفع فائلته إلى أعلى رأسه ونتركه أيضاً ليخلع قميصه ثم نخرج يدا واحدة ونتركه يخرج الأخرى ثم يخلع القميص. وباستمرار هذه الخطوات البسيطة يمكن تعلمه كيف يخلع قميصه، بنطلونه، شرابه، حذاءه، ويضعها فى المكان المخصص لذلك، وفي كل مراحل زيادة القدرة فإن الطفل يجب تشجيعه عند عمل الصواب (حتى إذا تم ذلك بمساعدتك) وإذا حدث وأخطأ مرتين فلا بد من زيادة حجم المساعدة.

ثالثاً : تقسيم طريق الوصول إلى الهدف :

المقصود هنا ببساطة تجزئة الهدف إلى خطوات صغيرة، وتعلم الطفل خطوة واحدة كل مدة زمنية فمن المستحيل أن نبلغ هذا الهدف مرة واحدة. فكتابة الحرف (هـ)، وإيجاد مكان الحديقة، ومعرفة رقم التليفون أو العنوان (ومهارات أخرى كثيرة) يمكن تعليمها إذا تم تجزئتها والتعامل مع كل جزء على حدة، فمثلاً لتعلم ربط رباط الحذاء يمكن أن تعمل الرباط كله إلا الجزء الأخير نتركه للطفل كي يحزم العقدة، ومرحلياً أجعله يضع دائرة تحت الثانية ثم يخبرنا، وبعد ذلك أجعله يلف الدائرتين بنفسه ثم يضع واحدة تحت الأخرى ثم يشد وهكذا وبفس الطريقة يمكن تعليم كتابه حرف (A) فيمكن أن يرسم كله عدا الخط الأوسط نتركه له

ليرسمه فإذا تحقق ذلك نترك خطين لكى يرسمهما بنفسه وهكذا. أو نستبدل هذا بأن نرسم الحرف بالنقط مع تقليل عدد النقط بالتدريج حتى يرسمه بدون أى نقط.



ولتعليم الطفل كيفية الذهاب للحديقة أو المدرسة أو لبيت أحد أصدقائه، نسير معه فى الطريق عدة مرات ونسأله أى طريق نسلك عندما يكون هناك عمارة واحدة فقط قبل المكان، ثم نتوقف قبل المكان بعمارتين ونسأل ثم ثلاثة ونسأل عند كل عمارة فإذا أخطأ فى أى مكان ندله طبعاً على الطريق الصحيح بعد ذلك نسأله عند نفس المكان فى أيام أخرى فسيكون قد تدرب بالطبع على الطريق الصحيح وهكذا نزيد إلى أربع عمارات تدريجياً حتى ينتهى الطريق.

رابعاً : حب الأطفال لاهتمام وانتباه الوالدين :

إن المتعة الرئيسية للأطفال بين ٦ أشهر و٦ سنين هي جذب انتباه والديهم .
ويفعل الأطفال أى شىء للحصول على اهتمام الوالدين ، وقد يتوسل الأطفال قائلين : من فضلك يا بابا هيا نلعب ، أو بتخبئة الألعاب ، الطعام ، أو إخفاء الحذاء الذى قد تبحث عنه الأم ، وقد يغفو إلى حضنك ويمطرك بوابل من القبلات .

وقد يصرخ ويغضب ويجذبك إلى غرفة اللعب لكى يحظى باهتمام شخص له . وقد يحاول الأطفال أن يقولوا أى شىء وكل شىء ابتداء من «أنا حزين جداً» إلى أن يصل إلى الاقتراحات مثل القيام بالألعاب المفضلة لك بقوله «هيا نلعب شطرنج» وبكثير من الطرق . . . إنه وقت جميل جداً يعتمد الأطفال علينا فيه ولا يخفون عنا ذلك ، وعلى هذا فإن حبنا واهتمامنا ومساعدتنا لأطفالنا من السهل تحقيقها لأن الأطفال دائماً وأبداً يطلبون حبنا ورعايتنا ، إنك سوف تحب هذه الفترة (عادة) أنك سوف تشعر بارتياح تجاه هذا الطفل . عموماً فإن الأطفال سيفعلون كل ما فى وسعهم لكى يحصلوا على مزيد من الاهتمام والرعاية .

إنهم يحبون هذا الاهتمام جداً ، ولهذا عندما تكون الطفلة قريية وتسال عنا لكى نرعاها فإذا بنا نذهب إليها بسرعة شديدة ، فماذا سوف تفعل عندما تكون وحيدة وتحتاج إلى جليس ، سوف تصرخ بالطبع ويزداد صراخها ارتفاعاً إذا لم نذهب إليها مسرعين فى الوقت المناسب ، وأخيراً ربما تقوم بالدببة بقدميها وإلقاء اللعب إذا تهاونا ولم نذهب .

وعلى الجانب الآخر إذا لاحظت طفلك يقوم بمشاركة طفل آخر نفس اللعبة وذهبت إليه وقلت له «هشام إنى فخور بك جداً لقد سمحت لصديقك أن يشاركك فى اللعب بلعبتك وهذا ما يفعله الكبار» ومنذ ذلك سيرغب دائماً فى أن يشاركه أحد أثناء لعبه (وقد يعرض دائماً على أصدقائه مشاركته اللعب) وبعد فترة فإنه باستمرار يمدح الأشياء الخاصة التى يفعلها . إنك سوف تجعله يأتى إليك مسرعاً فى المطبخ ويقول : انظرى أمى لقد سمحت ليسرا بمشاركتى فى ألعابى ، إنه بدأ بتخزين هذا فى داخله ويتعلم أن هذا الفعل جيد وصحيح ويستحق عليه الثناء .

ومع ذلك لابد من ملاحظة مدى أهمية المرح والثناء فى أن الطفل لا يستطيع أن يفرق بين العادة السيئة والعادة الصحيحة إلا إذا حظى باهتمام منا.

إنها أساليب سوف تقوى وتعضد فى أى نوع من السلوكيات الإنسانية المرغوبة، إن الآباء الجيدين يملكون نحن بصده الآن من المرح والاهتمام إلى الأشياء الجيدة التى يفعلها الأطفال، بينما يتأكدون لعدم مجاوزتهم للحد الأدنى من المدح والاهتمام عندما يتصرف الأطفال تصرفات غير مقبولة وغير مألوفة على الإطلاق. بعض الآباء لديهم فتور لإظهار مشاعرهم ونادراً ما يستخدمون الثناء لأى شخص، ولابد من تشجيعهم ليمارسوا المدح عندما يكونون مع الطفل، إنه لشئ جميل أن يأتى المدح بشماره «بأن يقوم الطفل بدوره بالسؤال عنك أكثر... ويسمع لك أكثر وينادى عليك أكثر»، هؤلاء الآباء طبيعياً سوف يجدون أنفسهم سريعاً يستخدمون الثناء والاهتمام فى كل مكان وبطرق متعددة وجديدة فى كل المجالات المختلفة المتعلقة بالطفل.

عندما يستخدم الثناء بكثرة نجد مشاكل سلوكية أقل، وعلى سبيل المثال، المشاجرات، التخريب، إلخ... إلخ، إن من السهل عندما يكون البيت مملوءاً بالحب والدفء أن يكون غياب هذا الحب والمدح مضيقاً للإنسان بدرجة كبيرة، إنه يصبح أكثر سهولة لكى تتعامل مع غضب الأطفال وأخطائهم، لأن إظهار عدم الرضا والتوقف أثناء اللعب أو أثناء المحادثة، بغير الدفء المحسوس فى عينى الأب والحنان المنبعث فى صوت وشكل الأم.

وليس من معادل للحب والرعاية التى اعتاد الأطفال أن يحصلوا عليها. وسوف يتوقف الطفل بسرعة لفعل الأشياء التى تؤدى إلى عدم رضاك أو عدم إظهارك للحب. وباختصار فإن السخاء غالباً فى استخدام الثناء والاهتمام يجعل طلباتك ورغباتك أكثر تأثيراً ويبعد بنا عن اللجوء للعقاب إلى حد كبير.

إن أهمية الثناء وغيره يؤدى إلى التأكيد عليها فإنها تجعل التعلم متعة، وبدونه سيكون هناك حافز ضعيف للطفل كى يتعلم ما نود أن نعلمه إياه، وبه يشعر الطفل بالراحة والأمان تجاه ما يحب أن يفعله فيستمتع بالتعليم ويحاول ذلك بجدية فيتحول العمل إلى متعة إذا شاركناه فى العمل (الاهتمام) بدلا من مجرد التوجيه

بالكلام (أو الانتظار أن يفعل ذلك بنفسه). إن بعض الآباء لا يأخذون الوقت الكافي في المشاركة والاهتمام والتشجيع لأطفالهم وملاحظة مجهوداتهم، وكل تقدم يتم إحرازه، والنتيجة أن الطفل لن يشارك ولن يتقدم.

خامساً : استخدام التغذية الراجعة Feedback

التغذية الراجعة هي خطوة أساسية في التعلم. إن التغذية الراجعة يستدل الطفل منها على أن مايفعله صحيح، أو يمكن أن يكون أصح، والتغذية الراجعة تعنى أننا نقوم بعمل تقييم شامل وتصحيح لسلوك الطفل إذا احتاج الأمر، فإذا كان سليماً نقول للطفل : (مافيش مانع - هذا صحيح - استمر) وإذا لم يكن سليماً تماماً فإننا نقول (تقريباً هذا جيد، ولكننا نرجح الأفضل - لقد اقتربت ولكن دعنا نحاول مرة أخرى).

والتغذية الراجعة يجب أن تكون على علاقة بالسلوك - سليم أو غير سليم، فالأمر ليس تعليقاً أو نقداً للطفل ولكن لسلوكه، فلننا نقول إن السلوك كان خطأ ولا نقول أن الطفل كان خطأ. إذاً فإننا نركز على السلوك لسيين : الأول أنه يمكن تحسين السلوك والتغذية الراجعة، والثاء سوف يساعدنا على ذلك، والسبب الثاني أننا لانريد أن نعطي انطباعاً للطفل أنه سيئ وغبي وما شابه ذلك. إن السلوك هذا يمكن أن يكون سليماً أو غير سليم لكننا لانريد لسلوك غير صحيح متعلق بجانب واحد أن يلقي بظلال قاتم على بقية سلوكيات الطفل. والتغذية الراجعة دائماً مفيدة وخاصة إذا كان الطفل عنده بعض المشاكل، إذا كان مثلاً ليس لطيفاً مع أصدقائه فإن التغذية الراجعة تكون على كثير من الأشياء السليمة وغير السليمة التي يفعلها. فيقول الأب : «أنا أعجبت بالطريقة التي اختبأت بها وأنت تلعب الاستغماية» أعتقد أن طارق بكى لأنك دفعته بشده لذلك دعنا نذهب معاً للاعتذار». وبمقدار تقدم الطفل في مهارة أو في سلوك معين كالرياضة أو الأناقة يتطلب ذلك التقليل من التغذية الراجعة، فإنها تكون مفيدة عندما يبدأ الطفل في تعلم شيء جديد أو تعلم شيء لايجب أن يفعله (مثل الغضب أو العدوانية). وعندما يكون الطفل في مرحلة التعلم فإن التغذية الراجعة سوف تعود إلى أسرع

طريقة لذلك وفى نفس الوقت فإنه سوف يقلل من التعقيد عندما لا يتكرر نفس الخطأ مرات عديدة، وأخيراً فإن التغذية الراجعة يجب أن تكون مقرونة بالثناء. وعندما يتحسن أداء الطفل.

إنه ليس كافياً أن نقول : «لقد فعلت ذلك بطريقة سليمة» إنه لقول جاف أليس كذلك ؟ إنه يمكن أن يفعل ذلك بصورة صحيحة ولكن لن يفعله مرة ثانية ولكن إذا أضفنا الثناء «لقد فعلت ذلك عن جدارة إن هذا رائع» فإن هذا سيحثه فعلا على المزيد وسيشعر بتحسن ويحاول بجدية أكثر، لذلك ستكون هناك متعة أكثر فى الأداء.

سادسا : ماذا نخبرنا الطفل بخصوص مشكلاته

إن معظم ما يفعله الطفل - سيئ أو جيد - هو الاتصال وتبليغك بشيء ما. لذلك يجب أن تصغى إلى ما يخبره الطفل ومن الضروري أن نفهم لماذا يتصرف الطفل هكذا ونحاول تعليمه الطرق الصحيحة لما يريد أن يفعله.

هناك أسباب عديدة للتصرفات السيئة، ولكن سببين فقط يجب أن ننظر لهما نظرة خاصة (وقد نوقشت بقية الأسباب من قبل).

أولا : إن الطفل سيحاول بشتى الطرق ليجد طريقة، وهذا لايعنى أنه يندس فيما لايعنيه وإنما يحاول أن يتعلم طبيعة الأشياء وكيفية الحصول عليها. فكل ما يحتاجه فى ذلك الوقت هو الاهتمام، وأن يجلس أحد بجانبه ليلعب معه أو يجلس بجانبه ويمسك بيده عندما يشاهد التلفزيون أو يذهب للنوم. إن الأطفال فى الحقيقة سوف يتحكمون برغباتهم فى كثير من أوقاتنا مع زيادة الاهتمام بهم فى كل لحظة، ففى بعض الأوقات يمكن أن نفعل أشياء معهم أو قد لا يكون عندنا الوقت أو الجهد لذلك، وإذا أقدم الطفل على عمل شيء جديد بطريقته، فإنه يمكن أن يصرخ أو يبكى أو يضرب أى شيء إذا لم يحصل على ما يريد وينفس السرعة التى يريد بها، فإنه يمكن أن يلقي بالزهريّة أو يكسر اللعبة أو يقذف الطعام أو الحذاء ولايعلم أن هذه الزهريّة قيمة وإنك قد تفضل أن يكسر شيئا أرخص، أو يقفز عليك ويمسك برأسك أو يضع أصبعه فى أذنك أو أنفك أو فمك إذا تجرأت وكنت مشغولا عنه.

إنه عادة من السهل أن تعرف ماذا يريد الطفل إذا أخذت الوقت اللازم لملاحظته والاستماع إليه، فإنه سيقوم هو بذلك فمثلاً يقول «دعنا نلعب» ويأخذك إلى اللعب وسيضحك عندما تشاركه اللعب.

إنه سوف يساعدك على فهم ما يقصده وستكون رسالته لذلك، (الابتسام أو الصراخ أو الرفس . . . إلخ). واضحة جداً.

المشكلة هنا أنه كلما ازداد تطرف السلوك يزداد معه مقدار الاهتمام والرعاية، فمن الصعب عدم ملاحظته (وخلال الستين الأولين تكون في منتهى الحرص) فالطفل تعلم أن يبكي أو يصرخ ليحصل على الخدمات وبسرعة ويتعلم أن هناك طرقاً أكثر تأثيراً (الغضب، العدوانية، الاحتجاج . . . إلخ) لجذب الانتباه.

ثانياً : للأطفال أن يتجنبوا عمل شيء لا يرغبون في عمله مثل الذهاب للنوم، ارتداء الملابس، أخذ الدواء، الأكل وهم يلعبون، فستكون المحاولة ببعض من سوء السلوك للابتعاد عن ذلك. أو أكثر من ذلك فيتظاهرون بعدم وجودهم أو يختبئون أو مجرد أن يديروا رءوسهم بحيث إنك لا تستطيع أن ترى الطفل وعيناك إلى عينيه عندما تريد أن تحدثه إنه لشيء مهم فهم رغبات الطفل لأن الأسباب لهذا السلوك سوف تحدد كيفية التعامل، وعامة إذا فهمنا لماذا يفعل الطفل ذلك فإننا يمكن أن نتوقع أسوأ السلوك الذي سوف ينتهي إليه، ويمكن أن نعلمه السلوك الصحيح. لكننا نفعل هذا فقط إذا شعرنا بما يريده.

إذا كان الطفل يريد الاهتمام أو الانتباه فيجب أن نكون حريصين على ألا نبدأ اللعب أو المناقشة أو احتضانه إذا تصرف بسوء سلوك ليحصل عليه، وإذا كان يحاول تجنب شيء - ارتداء الجاكيت أو الجزمة، الذهاب إلى النوم فإنه سيكون من الخطأ أن نهمله لأن الإهمال يولد الغضب (فسوف لا يذهب إلى النوم أو لن يرتدى الجاكيت). إذا كنا لانعلم ما يريده الطفل فسوف لانعرف ماذا يمكن أن نفعل حيال سوء سلوكه سواء أن نهمله وأن نهتم به، وأكثر من ذلك أننا لا يمكن أن نعلمه الطريقة الصحيحة للتعامل مع الموقف إذا كنا نعرف ما يريد الطفل مثل الطريقة الصحيحة لكي نجذب انتباهه أو أن يكون بها صداقات.

سابعاً : عقاب الأطفال Punishment

هل العقاب ضرورى ؟ أحد الأصابع للطفل دخل فى عيني والآخر سبب خدشاً مؤلماً فبدون تفكير قمت بصفعه على يديه صائحاً فيه . كلا . فبكى . . . لقد فزعت . . . هكذا قالت الأم . إنها أول مرة أضرب وبدأ قلبى يرتعد خوفاً وبعد تلك اللحظة قمت بتجميع شتات نفسى موضحة له لما لماذا لايجب أن يفعل ذلك وما هى الطريقة الصحيحة للعب .

وفى الساعة الواحدة صباحاً كنت فى فراشى أحملق فى سقف الحجرة يتملكنى الضيق فلايجب أن يكون هذا هو الأسلوب المناسب لمعاملة الطفل . إنه حدث فجأة وكان قلقى على مدى سرعة حدوثه وما قد يعنى هذا له ، المهم أننى كنت قادرة على التراجع والتفكير فيما سأقوله لأى أم أخرى فهل ذلك وهذا هو ما كنت سأقوله ، إنك لست شريرة . . إنك لم تؤذى أحداً ، ذلك لم يكن تعسفاً أو استبداداً - فالطفل قام بفعل سيئ بسيط ، وكان هناك زيادة فى رد فعلك .

إن هذا سوف لايتترك صدمة على الطفل وعلى علاقتكم إلا إذا حدث هذا كثيراً أو لأسباب خاطئة .

إذاً المهم ما الذى نتعلمه من هذا ؟ ، لايجب أن يكون العقاب باندفاع ، وإذاكان لابد منه فإنه يجب أن يكون بالأسلوب الصحيح . فهناك أسلوب صحيح وآخر غير صحيح ، واستخدامه بالطريقة غير الصحيحة . قد يسبب مشاكل خطيرة للطفل بمرور الوقت .

وفعل هذا باندفاع هو إحدى الطرق الخاطئة . وهناك طرق أخرى فإذا تم ذلك بالطريقة الصحيحة المعتدلة فإن التأثير سيكون إيجابياً .

ليس المجال هنا للحديث عن صحة أو خطأ استخدام العقاب ، إنها قضية أدبية وليست عملية بالدرجة الأولى . أولاً من المهم أن نفهم ما هو العقاب وكيف يكون عقاباً؟ ومتى يكون سوء تصرف؟ وما هى الطريقة الصحيحة ؟ وغير الصحيحة لاستخدام العقاب؟ .

١ - ما هو العقاب (آثار استخدامه)؟

العقاب هو أى رد فعل سلبى يتبع أى سوء سلوك فيقلل من حدوثه .

أولاً : رد فعل الآباء لابد أن يكون سلبياً بالرغم من وضوح الخطأ وغالباً ما يعلم الآباء ما يود أطفالهم عمله وما لا يودون عمله. لكن يجب أن نضع في اعتبارنا أن كل مشكلة من هذا العقاب لابد أن تتضمن اهتماماً ورعاية. ولبعض الأطفال يكون الاهتمام إيجابياً حتى لو كان كله بالسلب وعدم الاكتراث، هذا خاص بالفعل الذي يحصل على قدر كبير من الرعاية والاهتمام من الآباء (يمكن أن يكون الآباء يعملون جاهدين طوال اليوم. ربما يشعرون أن الطفل يشعر بالتسلية بنفسه في هذه الحالة والحالة الأخرى الطفل يتمتع بأى اهتمام يمكن أن يحصل عليه حتى البكاء والصراخ وحتى العقاب (الاهتمام السلبي). بعض الآباء الآخرين يجمعون بين رد الفعل الإيجابي والسلبي تجاه سوء السلوك. إنهم يمكن أن ينشغلوا في مناقشة طويلة شاعرين بالذنب ومحاولين راحة الطفل بعد عقابه مباشرة (أو إرساله إلى غرفته مع لعبة قائلين بصوت هادئ وبنعومة. لا يا طفلى لا يمكن أن تفعل ذلك). وباختصار إذا كان العقاب مستخدماً فيجب أن يكون رد الفعل سلبياً وبدون اهتمام إيجابي مثلاً، ومحاولة التخفيف أو التهئية أو الدخول في مناقشة مطولة بعد ذلك.

ومن غير الممكن أن نلقن الطفل أكثر من درس في آن واحد فيجب أن تكون الرسالة واضحة ومختصرة قدر الإمكان. وأحد أشهر أنواع العقاب هو التوبيخ فهو غالباً مؤثر ولكن نشاهد معظم الآباء يستخدمونه بطريقة غير صحيحة، ومثال ذلك بعضهم يقول : «لا تفعل هذا» وهو بعيد عنه، وهنا الخطأ لأنه ليس سلبياً فتتكرر هذه الجملة للطفل أكثر من مرة وأمه بعيدة عنه فى المطبخ فيستخدم الطفل نفس الخطأ ليحصل على انتباه والدته.

وهناك خطأ آخر مشترك للآباء عندما يكونون فى أشد الضيق من فعلة أبنائهم نجدهم يتحولون إلى تخفيف الفعلة واحتضان الطفل ومحاولة إهمال ما قد حدث بل واللعب معهم وإلقاء ما حدث وراء ظهورهم. فهذه رسالة معقدة لأن الثواب تم عندما حدث سوء سلوك.

إن أكثر الطرق تأثيراً هو جذب الطفل فى التو واللحظة تجاهك وتوجيه نظره إليه مباشرة وقول «لا» بصوت صارم وبدون صراخ، ودعه يذهب ثم ابدأ فى عمل شئ آخر بدون ساعيتين مثلاً، بدون أمور للاندماج معه، وبدون نكد، أو ترفيه.

ثانياً : العقاب هو أهم نوع من أنواع رد الفعل السلبي فإنه لايعنى بالضرورة الضرب أو حتى الصياح فإن النظر شزراً أو عدم الرضا أو التوبيخ و«لا» ليس أقل من الضرب على اليدين عقاباً، لكن بعض الأطفال يضايقهم جداً أسلوب التوبيخ عندما يكون علناً - أى أمام الآخرين أو أمام أصدقائهم - كثير من الأطفال تحطم قلوبهم عند ظهور عدم الرضا عنهم من الوالدين، إنهم يتضايقون كثيراً أن نأخذ أى لعبة بعيداً عنهم، أو أن نخرجهم من الحديقة أو نرفض أن نلعب معهم أو أن يلعبوا مع أصدقائهم. كل هذه أنواع من العقاب ولا نحتاج بالضرورة لاستجلاب الضرب. إن التوبيخ له تأثير كبير على الطفل أكثر بكثير مما نظن وعادة ما نحتاجه بشدة إذا تم بالطريقة الصحيحة، إن معظم الأطفال تصل إليهم الرسالة إذا تم جذبهم من كلتا ذراعيهم نحوك وبسرعة وبصرامة قائلاً : «لاتضرب أختك» مظهراً على وجهك وتصرفاتك كل الشدة والجدية.

ثالثاً : العقاب لابد أن يتبع سوء السلوك فوراً، فلا يجب الانتظار أو التأخير، فإن الأطفال سيتأكدون من أن مافعلوه قبل العقاب مباشرة شئ سيئ، فإذا تأخرنا ولو دقائق فإننا نسمح بأن يفعلوا شيئاً آخر قبل العقاب بالمعارضة ويظنون أنهم يعاقبون عليه. ونفترض أن الطفل يشارك أصدقاءه اللعب أو حتى يلعب مع نفسه ثم أنت تحضر قائلاً بصوت غليظ «ممنوع الضرب» فإنه سوف يتوقف عن اللعب ومع هذا لم يكن هذا ما أنت تقصد أن تعاقبه عليه.

إنها تعتبر رسالة مختلطة ومعقدة، فليعرف الطفل لماذا تفعل ذلك الآن وما هو الخطأ الذى ارتكبه ومتى ؟ وبالرغم من نيتك الحسنة فإن العقاب إذا لم يتم فى الحال فمن المحتمل أن يشكل صدمة. ولايجب فقط أن يتبع العقاب السلوك غير السليم ولكنه يجب أن يحدث فقط عند حدوث هذا السلوك، وليس لنا أن نتصرف باندفاع ولايجب أن نتأخر فى رد الفعل، فإذا كنا فى حالة مزاجية سيئة أو مشغولين أو متضايقين بسبب ما من الطفل فلا نبعد هذا عن الطفل. فالطفل لا يعلم ما الخطأ الذى فعله وجعلك فى هذه الحال السيئة فإننا يجب أن نتأكد تماماً من أننا نربط العقاب بسوء السلوك لكى يفهم الطفل على ماذا يعاقب.

رابعاً : العقاب يجب أن يتبع سوء السلوك دائماً، فلاشئ يمكن أن يكون أسوأ من أن تعاقب فى مناسبة ولا تعاقب عند حدوث نفس السبب فى مناسبة

أخرى، فإن الرسالة هنا تكون مشوهة للطفل، لأنه يود أن يعلم إن كان تصرفه سليماً أم لا.

خامساً : معدل أو مقدار العقاب يجب أن يقل بمرور الوقت ، إذا لم يحدث ذلك فإنه سيكون خطأ كبيراً، وهذا لايعنى اختفاء هذا السلوك السيئ إلى الأبد ففي أول مرة تعاقب فيها الطفل اعتبرها هى الحالة الحقيقية فإذا عوقب الطفل بالضرب مرتين أو ثلاثاً فى اليوم فإننا نعاقبه مرة واحدة فقط فى اليوم أو أقل ونستمر فى التقليل .

سادساً : التحذير يجب أن يكون دائماً مستخدماً فى مرحلتين . الأولى : بأن نقول : «يجب أن نغلق التلفزيون بعد خمس دقائق» فأنت تسمح بذلك للطفل أن يجهز نفسه للتغير القادم فى نشاطه . وفى بعض الأحيان فهذا وحده يمنع الغضب، الثانية : بأن تحذر بمعنى «إذا لم تذهب إلى السرير حالا سأعد من واحد إلى ثلاثة ثم سأحملك ولن نقرأ القصة» ثم تنفذ، لأنه يجب أن يعرف أنه سوف يحدث بغض النظر عن أى شىء . عندها يتعلم الطفل هذا، وقليلاً ما سوف تقابل غضبه . وباختصار فإن التحذير يؤدى إلى منع الغضب والاعتراض وسوف يقلل من حاجتنا إلى المتابعة .

٢ - منع الآثار الجانبية السلبية للعقاب

مفهوم العقاب بالطبع سوف يساعدنا لأن نفعله بالطريقة الصحيحة وأكثر من ذلك فهناك خطر كبير لاستخدامه ولانستطيع أن نجزم بأنه فقط يحجم سلوك الطفل .

إننا يجب أن نهتم بتعليمه السلوك السليم والأشياء الجديدة مع المعاقبة على الأشياء السيئة، ويجب أيضاً أن نعلم الطفل قليلاً من التحكم فى نفسه فلايجب أن نتبع العقاب بصورة مستديمة فى مواجهة سوء السلوك فهناك بعض القواعد البسيطة التى سوف تتبعها لمعرفة الطرق الصحيحة للعقاب :

(١) يجب أن نتأكد دائماً من وجود ثلاث مرات على الأقل من الثناء كما هو من العقاب، فلا ندع العقاب يسيطر على علاقتنا مع الطفل، ولايجب أن يتعلم منا الطفل هذا بل يجب أن يتلقى منا الحب والحنان والرعاية، وهذا هو ما يجب أن يسيطر على علاقتنا معه، ومع ذلك فهذا يعنى أننا عندما نستخدم العقاب يجب أن نبحت (فى مناسبات أخرى بالطبع) عن أشياء أخرى جيدة لنشئ عليها .

(٢) يجب ألا نستخدم العقاب فقط بل يجب أيضًا أن نعلم الطفل الطريقة الصحيحة فى التعامل، فلا يجدى العقاب حينئذ إذا لم نستبدله بالطريقة الصحيحة، إذن يجب أن نعلمه طرقًا أخرى صحيحة فى التعامل مع المواقف.

(٣) نحن دائماً نقول «كلا» كرسالة، وهذه تعنى الضرب عندما نعاقب وهذا مهم لسببين :

الأول : أن هذا يجعل الرسالة واضحة لذلك فالطفل يعلم جيداً ما هو السلوك المفروض.

الثانى : أنك تعرف الأمر الفعلى بعقاب معين تستخدمه وتجعل هذا الأمر أكثر تأثيراً، فهذه الطريقة يمكننا التحكم فى سوء السلوك.

(٤) إننا نستخدم أقل نوع من أنواع العقاب يمكن أن يكون معقولاً ومقبولاً فلا حاجة لاستخدام الديناميت إذا كانت هناك آلة تكسير. إن الخطر الحقيقى هنا هو أننا بسهولة يمكن أن نعاقب وأن ذلك يتم بسرعة، فإذا انطلق طفلى إلى الشارع بعد ما قمت بالتنبيه ألا يفعل هذا فسوف أقوم بضربه على مؤخرته لأننى أشعر أن هذا الخطر يجب أن أسيطر عليه بسرعة.

والخطر هو أننا نصبح فى حرج من مدى تأثير هذه الضربة عليه ونبدأ فى استخدامها بكثرة. ومثل هذا العقاب (الضرب الخاص) يجب أن نذكره للمواقف الطارئة لأن الطفل يعتاد عليه إذا استخدم بكثرة، ويبدأ فى فقد تأثيره. وأكثر من ذلك فإن هناك طرقاً كثيرة للعقاب على السلوك السيئ إذا بحثنا جيداً.

٣ - الأثر الإيجابى للعقاب

إذا استخدم العقاب بطريقة صحيحة مع مراعاة كل الاحتياجات الموضحة سابقاً، فلن نتجنب بذلك أى آثار سلبية تقع على الطفل فحسب (هذا من وجهة النظر العاطفية) بل وستتبع ذلك إيجابيات كثيرة نافعة. لقد أظهرت الأبحاث أن العقاب يجعل هناك بريقاً وتأثيراً للثناء، فإذا لم يعاقب الطفل على التصرفات الخاطئة فلن يصبح هناك معنى للثناء وسيعتاد عليه، وسنضطر إلى الأشياء الصناعية للوصول إلى هذا المعنى من نقود ولعب ونقود أكثر ولعب أكثر تكلفة، وفى المقابل إذا عوقب الطفل فإنه سيتعلم كيف يقدر الثناء!

والفائدة الثانية للعقاب هي زيادة الاهتمام بالسلوك الاجتماعي. فبعد العقاب سوف تجد أن السلوك غير السوي لا ينقص فحسب بل سيصبح الطفل أكثر انتباهاً واستمتاعاً ومراقبة لك وسيكون عنده سلوك اجتماعي إيجابي كرهبته في أن يكون بجانبك ويتحدث إليك ويثبت وجوده.

نحن في الحقيقة لانعرف السبب ربما لأن العقاب يظهر بعض اهتمامنا أو أننا نهدف إلى تعليمه ومساعدته ومراقبة ما يقوله، أو ربما يكون الطفل إيجابياً واجتماعي الكى يمنع حدوث أى عقاب آخر، ومهما كان السبب فإن هناك دائرة ما محسوسة بجانب تقويم السلوك السيئ.

ثالثاً : إن ذلك يعطى الطفل الإحساس بالعالم الخارجى وكيفية التعامل معه بدلا من عزله عنه، حتى في حياة الطفل الصغير قد يحدث العقاب بصورة طبيعية لأنه يتعامل مع أصدقاء كثيرين، قد يضربونه أو يتجاهلونه أو حتى لا يستجيبون لرغباته، كل هذا يعتبر نوعاً من أنواع العقاب يستحيل تجنبه، لذلك فإن الطفل لن يستطيع التعامل مع تلك المشاكل إذا أسرفنا في تدليله وحمايته أو أسرفنا في عزله عن ذلك.

ثامناً :الاستمتاع مع الطفل

في هذه الأيام تجد في أكثر العائلات ينهكم الآباء بالعمل، أو يحدث الانفصال بين الزوجين أو الطلاق الشائع حدوثه، ويترتب على ذلك وجود أحد الأبوين فقط في المنزل مما يؤدي بالأطفال إلى عدم وجودهم مع آبائهم خلال اليوم فإذا حدث وكانوا معاً فإن أحداً منهم غالباً ما يكون متعباً ومنهكاً من أحداث العمل، وفي أكثر العائلات لا يشعر الآباء والأطفال بالمتعة معاً فمن الصعب أن يجدوا الوقت المناسب لذلك، إنه الوقت الذي يحتاج فيه الآباء للراحة، ولن يمكنهم من مشاهدة ومتابعة تقدم أطفالهم حتى ينتهي بهم الأمر إلى مجرد الكلام للطفل وليس الكلام معه.

إن القضية المهمة ليست مقدار الوقت الذي نقضيه مع الطفل ولكن فائدة الوقت الذي نقضيه معه. إن التعب والإعياء يستبد بنا ويأخذ الكثير من جهدنا، وفي المقابل يعود ذلك على الوقت المخصص للطفل واللعب معه ورعايته.

هناك حل وحيد للتغلب على مشكلة التوفيق فى الأوقات بين الطفل وأبويه وهو حدوث الاستمتاع بينهم.

فإذا شعرنا بذلك نحن أيضاً فسوف لا يبدو هذا مثل العمل، وسيكون من السهل الاستمرار فيه، وإذا حدث هذا الاستمتاع للآباء والأطفال معاً فسوف يجد الآباء الوقت الكافى لأنفسهم بدون القلق على علاقتهم مع الطفل أو رعايتهم، فمن الممكن أن نقرأ القصص التى تستهويننا ومحاولة جعلها مسلية للطفل أو نلعب الألعاب الرياضية الذهنية التى نجبها والمحافظة على رعايتنا له.

ونستطيع أن نبدأ قصة ما ونطلب من الطفل أن يكملها ونشغل أنفسنا قليلاً حتى ينتهى، أو ندغدغ بعضنا البعض، أو نقذف الأحجار فى البحيرة أو نلعب الاستغماية أو نلعب ألعاب الكمبيوتر، أو ندعون الأطفال الباقين لمباراة فى كرة القدم معنا.

الهدف هنا أنه يمكن أن نجد أشياء كثيرة للاستمتاع بها معاً إذا بذلنا مجهوداً فى ذلك، وهذا يتطلب منا أن نغلق التلفزيون لفترة ونترك المقاعد، عند ذلك فسوف نتطلع إلى ذلك الوقت الذى تقضيه مع طفلك هارباً من الضغط طوال اليوم. وسوف تلاحظ تغير طفلك وتقدمه فى كثير من المجالات، فالطفل سوف ينتظر قدومك إلى المنزل فى نهاية اليوم بفارغ الصبر ويجرى قافزاً على يديك بمجرد سماع وقع أقدامك أو صوت السيارة.

إن العلاقة الطيبة مع الطفل تعنى الكثير، وإذا لم تستمتع مع طفلك فانت لا تستطيع أن تقدم له ما يطلبه إن هناك أشياء حولنا أهم وأثمن من أن تحب أو تكون محبوباً من طفلك ولكن هذا لا يأتى فجأة.

ولابد من التمهّل والانتظار، فالعلاقة الجيدة لابد لها من تمضية الوقت معاً والرعاية والمتعة، ولا يعنى أننا أبواه أن علينا علينا أن نضع الأكل على المنضدة أو نضع قميصه فى شنته أو نغطيه أثناء النوم، ولكن يتأتى ذلك بالتعليم والقرب منه والتحدث معه والثناء عليه واللعب والضحك أو حتى النظام، وهكذا تكون الرعاية الحقيقية وهكذا نصنع من أنفسنا والدين.

تاسعا : الثواب أو الرشوة Rewards or Bribes للأطفال :

بعض الناس يعتقدون أن الثواب معناه الرشوة، فهذه أم تقول : «بعد ذهابك للسريـر سوف أعطى لك بعض الحلوى» هذا من الممكن أن يؤدى بالطفل إلى اعتياده على الثواب وانتظاره عند عمل أى شىء . فمن الأفضل دائماً . عدم اللجوء إلى الثواب المادى مادام بإمكاننا أن نستغنى عنه .

ومن ناحية أخرى ففى بعض الأحيان نجد أن لاشىء آخر سوف يجدى مع هذا من قول أو عمل لمساعدة الطفل ، فتفرض علينا الظروف المحيطة هنا أن نلجأ إلى الثواب المادى لعمل ذلك .

ففى الحقيقة أن هذا أسلوب مؤثر ويجعل الطفل يفعل ما لا يود أن يفعله وبدون اعتراض أو شجار ، ولكن بمتتهى الرضا ، وذلك إذا كان الثواب مجزياً .

إذن فالفضية ليست فى إمكانية استخدامه ولكن فى وقت استخدامه ، فإن كان السلوك مهماً ولا نجد طريقاً آخر للتشجيع على فعله فليس هناك حرج من استخدام الثواب ولكن بالطريق الصحيح .

هذا ابن فى الثالثة من عمره ، وقد اعتاد أن يكره الذهاب إلى دورة المياه حتى وهو فى أمس الحاجة لذلك ، ولن يذهب لمدة ساعات طويلة ثم يضطر إلى التبول فى ثيابه ، إنه يعلم أن ذلك ما يؤديه ، ولكن لن يفلح معه التشجيع أو النموذج أو الثناء لكى يقنعه . وفى آخر الأيام ومن دافع القلق تجاه موقفه ، قام الأب بتجهيز مفاجأة له إذا ذهب إلى دورة المياه ، إن الطفل تردد للحظة ثم سأل ما هى المفاجأة [عندئذ علمت أنه وقع فى يدي] وبدأت تشغل تفكره ، وفى اليوم التالى عندما سأل إذا ذهبت إلى دورة المياه هل يمكن أن أحصل على الهدية ، وأكد الأب له ذلك وأظهرها له فعلاً موضحاً سهولة أن يحصل عليها . ولكى يجعله يعتاد على ذلك وينقل إليه الإحساس بالراحة عندما يفعل ذلك فلم يتوقف الأب عن الثواب من أول مرة ولكن اشترى أربع أو خمس لعب ثمينة وأعطى له واحدة كل يوم طبعاً يهتم فيه بالذهاب إلى دورة المياه ثم بعد أن أصبح ذلك سهلاً ومريحاً له . يقول الأب : بدأت أغير فى الأسلوب «سوف أقدم لك اللعبة غداً أنا لا أملك واحدة الآن» ثم بدأ يؤخر الهدية لتكون كل ثلاثة أيام حتى تنتهى تماماً [مع مراعاة

استخدام الثناء عند ذهابه كل مرة] إنه سوف يتوقف عن السؤال عن اللعبة وسيستمر فى الذهاب إلى دورة المياه بصورة طبيعية. يقول الأب : إن كل هذه العملية استغرقت حوالى أسبوعين [وكلفتني خمس أو ست لعب] والآن قد انتهت إلى الأبد مشكلة ذهابه إلى دورة المياه. ويضيف الأب : أنا لم أكن أؤيد فكرة الدفع له بهدايا لكى يذهب إلى دورة المياه ولكن قلقي حيال هذا الموقف جعلنى أفعل ذلك وأسعد به لأنه وضع تأثيره وأصبح لدى سلاح استخدمه إذا أعيتنى الحيل [بدون إرغامه على ذلك أو مضايقته أو جعل الذهاب إلى دورة المياه عملية منفرة له].

والأهم من ذلك هو الثناء عليه بعد الذهاب إلى دورة المياه وبعد أن تنتهى عملية الثواب الأمر روتينى يكون من السهل الامتناع نهائياً عن هذا الجزاء المادى. ومن المعتاد أن هذا الثواب المادى ليس ضرورياً فيجب ألا أن يستخدم هذا الأسلوب ليصبح عادة عند الطفل ونستخدمه لكى نجعله يفعل أى شىء وكل شىء آنذاك سوف تجعله صعب الانقياد إذا لم تكافئه على تعاونه. ومع ذلك فإننا يجب أن نستخدم الثواب عندما لانجد شيئاً آخر غيره [عندما يعجز العقاب].

عاشراً : إعطاء الطفل حق الاختيار

عادة ما نرفض السلوك الاعتراضى أو الغاضب أو العدوانى إذا أعطينا الطفل حق الاختيار. إذا أردنا أن يرتدى الطفل قميصاً بكم طويل وقلنا له «ارتد هذا القميص» فإنه من المحتمل أن يعترض أو يتلكنع أو يرفض، مع ذلك إذا قلنا «هل تريد ارتداء هذا القميص أو ذاك» فلن يكن هناك اعتراض لأن يختار. وبنفس الطريقة إذا أردنا الذهاب إلى السوق فلن نسأل الطفل إذا كان سيحضر معنا أو يجلس بمفرده فى المنزل، إنما نسأله إذا كان يريد أن يشتري بعض الحلوى أو يرفع عربة الشراء أو يركب فيها أو يحمل لنا المشتريات معاونا.

وإذا حان الوقت لغلاق التلفزيون، يجب أن نسأله إذا كان يريد أن يغلقه هو بنفسه أو أن أغلقه أنا، فإن كان يرى هو فإن أمامه دقيقتين من الآن وهكذا.

هذا بالتأكيد لا يمنع كل الاعتراض ولكنه يمنع كثيراً منه، فإن الأطفال يحبون أن يتحكموا فى فعل الأشياء بأنفسهم ولا يجب أن نجعل هذا سبب مشكلة.

الحياة الجيدة أنا لست متأكد ما هي، ولكنى أعلم أن كل الناس يريدون قدراً كبيراً منها، وإن ذلك له علاقة بالحرية والكرامة وإتاحة الفرصة والتعلم والتقدم ولكن صعب أن تعرف ذلك بالتحديد فكل حياتى وحياة طفلى جيدة؟ وكيف نستطيع أن نحسنها؟ إنك لا يجب أن تعلم كيف تقيمه لكى تحصل على قدر أكبر من الحياة الجيدة. إن أفضل طريقة لفهم ماذا يفعل شخص آخر هو أن تفعل ذلك معه، ولذلك أنا أعيش [يوم من الحياة مع طفلى]. وكمثال [باسم] يبلغ من العمر سنتين لا يستطيع الكلام حتى الآن أو فهم أكثر ما نقوله له وأيضاً قليل المشاركة الاجتماعية ولا يلعب بالطريقة الصحيحة التى يكون عليها الأطفال فى مثل سنه.

الأسرة أحضرت له كثيراً من اللعب ولكن معظمها كانت خاصة لأخيه الأكبر وفى الحقيقة لم يكن باسم يلعب بكثرة اللعب والقليل منها الذى كان يحبه محطماً تماماً الآن. باسم يفعل أشياء كثيرة غير صحيحة كاللقاء اللعب والصياح وضرب الناس، والآن لا يستطيع الكلام فلا أستطيع أنا أيضاً وإذا عوقب سأعاقب أنا وكل شىء يحدث له يزعجنى.

الحرص اليومى هو أقل ما يقال. وبسرعة من الواضح أن كل الحب والرعاية والاهتمام من الآباء لا يزال يعطى مقداراً ضئيلاً من وجوده فى حياة الطفل. وفى الصباح وأثناء لعبه مع أخيه لعبة السيف طعنه باسم وقد رأت والدته الطعنة الشديدة فقط فقامت بتوبيخه هو وأخيه ولم نستطع الدفاع عن أنفسنا تجاه عدم العدالة، فقط قمنا بإلقاء اللعبة والتشاجر بعضنا مع بعض، ولكن أننا لم تفهم أن هذه ليست الطريقة الوحيدة للمخاطبة والتعبير عن خطئنا وربما ترك ذلك بعض الحقد.

هناك كثير من الناس مسئولون عن الأطفال خلال اليوم. الأم - الأب - الأقارب - جليسة الأطفال - الجيران. فسيجعلنا ذلك نشعر أننا لانعرف أحداً منهم جيداً ولا نشعر بالقرب من شخص معين. وفى المساء عند مقابلة والدى باسم لمناقشة كيف تكون حياته جيدة وقررنا أن نبحث عن لعب ونشاطات مسلية تعنى شيئاً لماجد بدلاً من اللعب القديمة التى كان يستعملها أخوه.

لقد قررنا أن يكون الأشخاص المسئولون عن ماجد محدودين جداً طوال اليوم فذلك سوف يجعلهم يعرفون ويهتمون بعضهم ببعض، وقد قررنا أن نقضى

وقتاً أطول فى الحديث معهم موضحين لهم ما هى الكلمات والتعبيرات التى يمكن أن يستخدمها للتعبير عن حاجته .

إن الرسالة الموجهة هنا مهمة جداً ومطبقة على كل طفل وكل والدين ، ومن الممكن أن يحلوا محل أطفالهم ويتعايشوا مع مطالبهم طوال اليوم ، وما الأشياء التى يستمتعون بها لتصل بهم إلى كيفية قضاء يوم سعيد ، وبذلك نكون قد حققنا لكل منا الحياة الجيدة .

حادى عشر : تعلم الصفات الخلقية والقيم

نحن جميعاً نود أن يفرق أطفالنا بين الصواب والخطأ ، ونحن نريد منهم أن يمارسوا المشاعر الحية والأمانة ومساعدة الآخرين ، لكن كيف يمكن تعليم ذلك . التعليمات فقط ليست كافية فذلك التوضيح البسيط بين الخطأ والصواب ليس مؤثراً ، فمن الأفضل للطفل أن يوجه نحو الصفات الأدبية ويبقى فقط كيف يتعلمها .

عندما يبدأ الطفل فى كتابة حرف (A) لأول مرة يجب أن أقول له «هذا صواب إنك فى متهى الذكاء» أنا لست أثنى عليه فقط ، وليس هذا بمعنى أننى أشجعه أو أريد منه أن يفعل ذلك مرات عديدة ، ولكن إنى فرحت بالتأكيد وأعطيت انطباعاً على أن الذكاء شىء جيد ، وبعد استخدام تلك الكلمة مرات قليلة ستجد لها صدى فى نفسه بعد أن أقوم باستخدام نفس الكلمة فى مواقف أخرى مشابهة . وبذلك أكون قد علمته إحدى القيم ، وبنفس الطريقة يمكن أن أحدثه عن المشاركة والمساعدة .

إذا كنا نشجعه على سلوك معين ونثنى عليه وفى نفس الوقت نضع تعريف هذا السلوك فإنه سوف يحس تلك الكلمات ومعناها ويقدر فعلها ، وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم الطفل أنواع السلوك الذى لانود أن يفعله بتعريف هذا السلوك بدلا من التوبيخ وما شابه ذلك ، وعلى سبيل المثال إن «والدة مازن اتصلت لتسأل عما إذا كان عندنا المضرب الخاص به لقد قلت لى يا خالد إنك قد وجدت هذا المضرب فى الشارع أهذا ما حدث حقاً ، وإذا لم تقل لى الحقيقة فإن هذا [كذب] والكذب خطأ فادح والآن انصرف إلى غرفتك» ونحن نستطيع أن نفعل ذلك بالتعليق على

سلوك الطفل «انظر ماذا يفعل هذا الوالد إنه ينفخ فقاعات الهواء فى رأس ابنه قائلاً : إن هذا معناه أن مازن سوف يظل حزيناً ووالدته غاضبة» .

وبنفس الطريقة يمكن أن نعلم أطفالنا الكثير من الصواب والخطأ بملاحظة لأمثلة من تصرفات الأطفال الآخرين ، فكلما كثرت الأمثلة ازداد فهمه للخطأ والصواب . بنفس الطريقة أيضاً يمكن تعليمه الفرق بين الرغبة فى الصداقة وعدم الرغبة فيها . وكذلك الأمانة والخيانة ، وكذا الحنان والقسوة والحب والكراهية ومع أن هذه المفاهيم ستأخذ طريقها عبر السنين لكن لابد للطفل أن يتلقى مبادئها منذ الصغر .

وواحد من أهم الأسلحة المستخدمة لتعليم الأدب والأخلاق والقيم طبعاً هو النموذج ، فإن الطفل يميل إلى أن يتعلم طريقة تعبير وسلوك وشكل والديه ، فإنه لن يفيد أن نقول للطفل أن القسم أو الحلف سيئ بينما كلامك كله يحتوى على الحلف واليمين ، إن الطفل لن يعرف الخطأ من الصواب إذا قلت له لا تكذب ثم يسمع والدته تقول لشخص على التلفون أن والده مريض أو غير موجود بالمنزل بينما والده يجلس بجواره ، إن الطفل لا يستطيع أن يجرد كيف يعاكس سلوكنا أو أمرنا وسوف يربكه ذلك . وقد يتعلم أن يعطى لنفسه بعض الاستثناءات فى القاعدة كلما احتاج ، ولذلك فإن سلوك الآباء لابد أن يكون على وتيرة واحدة مع أوامرهم ، وإذا لم يحدث ذلك واختلف السلوك عن الأمر أو العكس فلن يمكن للطفل أن يفرق بين الخطأ والصواب .

الفصل الثامن

دور الوالدين فى مواجهة مشكلات
أطفالهم أثناء التنشئة



قبل الحديث عن الطباع المختلفة للأطفال، التى تشغل بال معظم الآباء يجب أن نقول لهم أن الأطفال يكتسبون كثيراً من العادات والسلوكيات خلال الخمس أو الست سنوات الأولى من عمرهم، وهذا ليس غير طبيعى، بل سيكون هكذا إن لم يظهر على هذا النحو، ولقد سمعنا جميعاً عن النشاط الشائع فى الأربع سنوات الأولى ثم فترة الاعتراض والغضب، التى تلى ذلك كتطور لسلوك الطفل، فلاضرب فى كل ذلك، أما ما يستحق القلق فهو ما إذا استمرت أى فترة مدة طويلة، وفى هذا الجزء سوف نصف كل سلوك ومدى الوقت الطبيعى له وما إذا كان الوقت قد طال أم لا أو أصبحت هناك مشكلة أم لا. وسوف نتعرض بالذكر إلى اختلافات سلوك الطفل وكيفية التعامل معها بالطرق الفعالة.

البداية ستكون من مشاكل الطفولة المبكرة (مثل : البكاء، التغذية، النوم) ثم التطرق إلى الفترة من أربع إلى ست سنوات (مثل : عدم الاستجابة، والعدوانية، ومشاكل الكلام)، ثم نتبع مراحل تطور سلوك الطفل تدريجياً.

إذا كان اهتمامك ينصب على أفعال الطفل فتأكد أنك لن تتركه بمفرده وكما هو موضح بالجدول القادم الذى يبين قلق الأمهات بخصوص المشاكل الخاصة بسلوك الطفل نجد أن ٨٠٪ من الأمهات يهتمون بنقطة معينة وهى الغضب عند الأطفال الصغار و ٦٠٪ من الأمهات يصيهم الضيق بسبب عدم استجابة ومشاركة أبنائهم، واثنين من كل ثلاث أمهات يشكين من متاعب النوم والكوابيس وصعوبة الذهاب إلى النوم والمشى أثناء النوم والضيق عندما يترك أحد الأبوين فراش نومهم إلخ.

وتقريباً نصف نسبة الأمهات يهتمن بمدى النشاط الزائد Hyperactivity عند الأطفال وعدم مقدرتهم من على الجلوس فى سكون لبضع دقائق.

كما أن ٤٣٪ من الأمهات يقلقن على خوف الأطفال وتستمر الإحصائيات التى حسبت كما سيتضح فيما بعد على أطفال ابتداء من ٢١ شهر حتى ١١ سنة. هذه الإحصائيات لا يجب أن تخيفك، بل على العكس إنها تظهر مدى شيوع هذه الحالات فى مراحل التطور الطبيعى، كما تظهر أن هناك صوراً من التطور يمكن لمعظم الأطفال أن يكبروا بدون الدخول فيها. ويجب أن تعلم أن السلوك الذى

أنت قلق بشأنه يحدث بكثرة عند الأطفال ولن يجعلك تشعر أن حالة طفلك فريدة.

كثير من الآباء لديهم هذه النظرة (غير الحقيقية) لمثالية الطفل التي لا يمكن أن يصل إليها، لذلك فإننا نلاحظ هذه الانحرافات عن المثالية، والأرقام التي في الجدول القادم لاتعكس المؤشر الحقيقي لمشاكل الأطفال ولكن تمثل مدى قلق وفزع الأمهات وحساسيتهن تجاه أدق الأمور، كما تخبرنا عن تطور الطفل كى نصبح فى النهاية واقعيين وأقل حساسية تجاه حيود الطفل عن المثالية، إننا يجب أن نتذكر بينما يكون الطفل فى حالة سلوكية سيئة فإنه فى الحقيقة يقع فى ذلك لفترة بسيطة، ومعظم الوقت نكون ماثورين بتعبيرات الأطفال الممتعة، فكم من الممتع أن تشعر أنك جعلتهم يضحكون أو يقبلونك أو يحتضنونك وكيف تشع وجوههم مضيئة عندما ترسم الابتسامة عند رؤية (الأم) أو (الأب) فجأة.

وهناك ملاحظة أخرى توجب الراحة مع الاستثناء لبعض الحالات، هى أن هذه الطباع الغريبة للطفل لايجب أن تؤدى إلى سوء تصرفاته أو سلوكه فيما بعد فالخوف ومشاكل النوم وصعوبة الذهاب إلى دورة المياه، من المشكلات التي نراها فى الطفولة، ولايعنى أنها سوف تستمر فيما بعد أو حتى سوف يصحبها مشاكل أخرى اجتماعية أو عاطفية فى العمل أو فى المدرسة، بل بالعكس إنها تقل بدون أى تدخل باستثناء النشاط الزائد الشائع فى سن ٤ سنوات والذي يجب أن يختفى عند ست سنوات ونصف تقريبًا، وأيضًا السلوك غير الاجتماعى مثل الغضب - والعدوانية - والاعتراض، إنه بمرور الوقت يجب أن يختفى، وأحيانًا يمكن أن يكون لها تأثير على النمو وعلى كثير من العلاقات فى المدرسة وعلاقات الصداقة والعلاقة الأسرية ... إلخ.

جدول (١)

يوضح النسب المئوية للأمهات المزعجات تجاه المشاكل الفاصلة بأطفالهن

| النسبة المئوية للأمهات | السلوك المشكل |
|------------------------|---|
| ٨٠ | الغضب |
| ٦٨ | مشاكل النوم - الذهاب للنوم - الكوابيس - الأرق |
| ٦٠ | عدم الاستجابة |
| ٤٩ | النشاط الزائد |
| ٤٣ | الخوف |
| ٤٣ | صعوبة الذهاب لدورة المياه |
| ٣٧ | مشاكل التغذية |
| ٣٠ | عدم الارتياح |
| ٢٧ | مص الأصابع |
| ١٦ | العض |
| ١٦ | الانتباه للمصدر |
| ١٤ | مشكلة التسنين (اللثة) |
| ١٢ | الحركات اللاإرادية واللزمات |
| ١١ | المضغ (الاجترار) أو العض داخل الفم |
| أقل من ١٠ | الخجل |
| أقل من ١٠ | الحياء |
| أقل من ١٠ | سرعة التهيج (الانفعال) |

أولاً : مشكلات الأكل Eating Problems

وبالتأكيد سوف يكون الاهتمام الأول بطفلك بخصوص الطعام والأمر يبدأ في اليوم الأول عندما نكون منتظرين بشغف كيف سيأخذ الطفل الثدي أو الزجاجة، وتتساءل الأم : «هل تأخذ الطفلة كفايتها» «هل الطفل يشرب كثيراً». لماذا هذه الطفلة لاتأخذ الثدي ؟. وتحاول الأم التي ترفض ابنتها أن تأخذ ثديها جاهدة . . . وهنا تظهر العقبة الأولى. وتعاود الأم أسئلتها «هل هي تكرهني» «هناك شيء خطأ بى» «يا إلهى ماذا سأفعل» حتى ولو شرحت الممرضة أو الصديقات أن هذا عام وأنها من الممكن أن تستغرق يوماً أو يومين، وأنه لا يوجد مخاطرة على الطفل، وأن هذا الموضوع بسيط لحين اتخاذ الوضع الصحيح لقم الطفل والثدى. وما هى إلا دقائق أو ساعات قليلة ويتخذ الرضيع الوضع الصحيح، وهكذا تشعر الأم بالفخر عند رعاية طفلها.

ولاتعجب فى أننا نسرف فى أحاسيسنا وعنايتنا وإشفاقنا على الإطعام للصغار وهذا الاهتمام سوف يستمر عبر السنوات، بالرغم من أن النتيجة ربما تتغير، إننا شغوفون بمعرفة دور الطعام فى مستوى النشاط، الصحة والرؤية، المزاج، هل الطفل يأكل كثيراً أو لا يأكل. هل هو سمين جداً أو نحيف جداً، مع إحاطته بالرعاية. ويعطى مجتمعنا رعاية بالغة بالطعام. وليس غريباً أننا نعطى اهتماماً مبكراً لكبر أو صغر حجم أطفالنا وكم ونوعية ما يأكلونه.

وعندما يكون اهتمامنا الأول للإطعام خطوة للأمام يكون بالطبع به بعض التطرف وتبين الإحصاءات أن من ٨٠ - ٨٥٪ من الأطفال زائدى الوزن يستمرون زائدى الوزن حتى يصبحوا فى سن ١٢ سنة، وهناك تزايد فى مشكلات زيادة الوزن وعواقبها النفسية والاجتماعية على الأطفال.

وسوف نبدأ ببعض اهتمامات الوالدين بشأن الإطعام فى مرحلة الطفولة :

١ - مرحلة الإطعام خلال السنة الأولى :

يقوم الطفل فى مرحلة المهد بانعكاسات وضعية خاطئة. وتسيطر الانعكاسات عندما يلمس خد الطفل أى شيء، ويقلب الطفل فمه تجاهها. ونحن نذكرها هنا لأنها تساعد على تدارك أخطاء عامة تحدث فى الرضاعة الأساسية بالثدى. ففى

بعض الأوقات نجد الأم أو الممرضة تضع يدها على خد الطفل لترشده تجاه الثدي (أو الزجاجاة) وبالطبع يدير الطفل رأسه وفمه ناحية اليد وكأنها الثدي تماماً. فى الوقت الذى يجب أن يلمس الثدي خد الطفل، ويقوى الانعكاس الخاطيء عندما يكون الطفل جائعاً ويضعف عندما يكون غير جائع، ولاتنس أنه من الممكن أن يكون الطفل كسولاً نتيجة المسكنات التى تأخذها الأم أثناء الولادة التى تستغرق أياماً عديدة، وهذا بالتأكد واحد من الأسباب المفسرة لماذا أطفال كثيرون لا يأخذون الثدي فوراً؟ وانعكاسات الرضاعة تظهر جلياً فى الأطفال حديثى الولادة.

والأطفال حديثو الولادة يقومون بمص أى شىء يوضع فى الفم ويبدو أنهم يستمتعون بالمص حتى عندما لا يكون هناك طعام، ورغبة المص تبقى قوية لمدة ١٢ - ١٥ شهراً وفى بعض الأحيان من ٢ - ٣ سنوات، يعوضها الثدي، أو الزجاجاة، أو الأصابع.

والجوع، والشهية تضعف أثناء السبعة أو العشرة أيام الأولى. ومؤشرات الجوع تكون منتظمة من اثنين إلى ثلاثة أسابيع من العمر، ويبدأ الطفل فى الجوع أكثر من العادة، ومع مرور أربعة أسابيع يكون هناك انتظام للحاجة إلى الطعام كل ثلاث ساعات وهكذا.

وتقوى الشهية وخاصة بين أربعة إلى اثنى عشر أسبوعاً. وهناك أيام يأخذ الطفل فيها أكثر مما يحتاج جسمه، وبانتظام مستمر وفى السنة الأولى من العمر يبدأ الجوع فى الانتظام، وعامة تتميز السنة الأولى بسرعة النمو وانتظام الصحة والشهية وفى السنة الثانية تبدو الشهية أكثر وضوحاً.

والإطعام بالثدى يعكس الزجاجاة، وتقترح أغلب البحوث أن لبن الثدي هو الطعام المفضل للأطفال. والأطفال الذين يرضعون بواسطة الثدي لا يعانون من مشاكل المعدة. فلبن الثدي يمدهم بمناعة من التلوث.

ومميزات الإطعام عن طريق الثدي ليست حقيقة بهذه العظمة، فلقد وجد أن ٣٧٪ من الرضع عن طريق الزجاجاة يعانون من نفس الأشياء. ويعتبر التلوث عاماً فى السنة الأولى. وكل هذه التلوثات هى فى الحقيقة تعالج بسهولة ومبكراً عن طريق الطبيب وأحياناً الأم.

وبينما يعتبر الإطعام عن طريق الثدي مصدراً من مصادر الرضا والراحة لبعض الأمهات، يعتبر مشكلة بالنسبة للبعض الآخر. فربما يتسرب اللبن عند

الإطعام وتبدو الملابس المبللة أو الفراش المبلل. وربما بعض الآباء يعترضون لأنهم يريدون أن يشاركوا فى إطعام الأطفال، وربما يؤلم الثدي الأم، أو يتورم ويتنفخ وربما لا تستطيع الأم العاملة أن ترضع طفلها عن طريق الثدي، والأفضل أنها ربما تشعر أن «الأمومة» ربما تتعارض مع «المستقبل فى العمل».

وعموماً فالإطعام عن طريق الثدي أفضل كثيراً للأطفال من الإطعام عن طريق الزجاجاة. ليس لأنه طبيعى فقط، بل لأنه مميز بكثير من المناعة ضد التلوث، وأقل ما يقال أن المزايا ليست غامرة وهى مستمرة فى التناقص، لأن الغذاء البديل للبن الأم يتحسن ويبقى العامل المقرر لذلك عاطفياً فى بعض الأسر.

ومع ذلك فالعائلات العاديات، ترى أن جمع الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية أفيد وأقع أسلوب للرضاعة، فالأم يمكن أن ترضع إذا كان متاحاً لها أن تفعل ذلك، وقد يوضع لبن الثدي فى زجاجة للآب لإرضاع الطفل، وأيضاً قد يستخدم اللبن البديل عندما يكون الوقت قصيراً، وفى أى الحالات ليس هناك سبب للشعور بالذنب أو التأنيب، فالملايين من الأطفال يتم تبنيهم كل عام، والعديد من الأمهات قد لا يستطعن طبيياً أن يرضعن بالثدى لسبب أو لآخر، ورغم ذلك فأبناؤهن من الأطفال يبدو عليهم النمو الصحى والسعادة مثلهم مثل الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية.

ولاتدع أحدا يخبرك أن الصلة أو الارتباط يتناقص إذا لم يكن هناك رضاعة طبيعية، فمثل هذا الارتباط العاطفى يأتى إذا حمل أحد الطفل أو احتضنه أو غنى له أو أحبه أو هدهد له أو اعتنى به ناظراً فى عينيه بحب أثناء إطعامه، وهذا لا يأتى من الثدي. وإذا كانت الرضاعة الطبيعية متاحة للأم فإنها لا بد أن تتداخل مع الحب والرعاية وتلاقى العيون بالدفء.

٢ - بعض الخدع لتقديم الثدي :

العديد من الأطفال الرضع لا يقبلون على الثدي بطريقة مباشرة. وفى إحدى الدراسات وجد أن ٤٠٪ من الأطفال حديثى الولادة يحتاجون إلى مساعدة كبيرة عندما يرضعون من الثدي لأنهم يصابون بالإرهاق ومن ثم عدم الاهتمام عندما يقدم لهم.

إن جوع الطفل قد يكون متأثراً بالمخدر الذى يعطى للأم أثناء المخاض . الذى قد يأخذ وقتاً ، ولذلك فـجوع الطفل قد يترتب عليه بعض الصعوبات ، مثل أن يحصل أو يحتفظ بالحلمة فى فمه وقد يأخذ وقتاً حتى يجد وضعاً مريحاً لكل من الأم والطفل . ولهذا إذا كان لدى طفلك بعض مشكلات الرضاعة فى البداية فاستريحي فهذا شائع جداً .

وهناك بعض الأشياء يجب أن تقومى بها فى البداية .

أولاً : بالطبع لابد أن تبحث الأم عن وضع مريح . إن وضع الجلوس يبدو أكثر شعبية بين الأمهات ، فجربى الجلوس على السرير مع وضع مخدات كبيرة خلف الرأس والظهر . وضعى وسادة فى حرك والطفل فوق الوسادة وارفعى ركبتيك لكى تقربى الطفل ، وانحنى إلى الأمام لكى تجعلى الثدي أقرب إلى الطفل ، فإذا فعلت ذلك عدة مرات فستجدين الوضع المحبب والمكان المفضل للرضاعة .

ثانياً : حركى حلمة ثديك ناحية فم الطفل ولكن احذرى أن تلمس يدك خده أثناء ذلك حتى لا يتجه فمه إلى يدك تاركاً الحلمة .

ثالثاً : قد يكون الأمر محبطاً للطفل حتى يتعلم أنه لابد أن يأخذ الجزء المحيط بالحلمة كله فى فمه ، فقد تساعد الأم بأن تحرك الحلمة ببطء فى شفتيه إلى أعلى وإلى أسفل لكى تغيظ الطفل فيفتح فمه أكثر لتناول هذه المنطقة .

رابعاً : يمكن للأم أن تجلب القليل من اللبن من ثديها وتضع الثدي وهذه القطرات من اللبن بين شفاه الطفل . معظم اللبن سيزيد من اهتمام الطفل ، وهكذا بالطبع سيركز الطفل على الثدي ومن هنا تظهر حاسة التذوق .

خامساً : ومن الإحباطات الشائعة للأطفال حديثى الولادة أثناء الرضاعة الطبيعية ، أن الطفل لا يستطيع التنفس لأن أنفه يدفن فى الثدي . ولذلك فإنك تستطيعين أن تضغطى على الثدي لإبعاده عن أنف الطفل ، أو تقربى ساقيه فيأخذ الطفل وضعاً يعطى أنفه الحرية ، وأخيراً فى بعض الأحيان لا يستطيع الطفل أخذ الثدي إلى فمه لكون الثدي ممتلئاً وصلباً فعلى الأم نقل أو تفريغ بعض اللبن قبل إطعام الطفل .

فى أمريكا الشمالية هناك عادة فطام الطفل من الثدي فيما بين الشهر السادس والثامن، فالفطام المبكر عادة يمثل صعوبات بالنسبة للطفل. ومع هذا فالفطام المتأخر فى أثناء الستة أشهر الثانية من النمو قد يسبب بعض الصعوبات مثل التعود على الأكل وفقدان الوزن والجفاف. إن أفضل طريقة لمنع هذه المشاكل هى فطامه بعد حولين أو تبادل الثدي بالزجاجة أو بأى طريقة للإطعام فى أثناء الأربعة أشهر الأولى من العمر فقط، لكى يتعود الطفل على هذه الوسائل. وفى معظم التوصيات يجب أن تبدأ هذا عندما أن يبلغ الطفل شهرين. إذا مهدى كام لاستخدام الزجاجة، وعودى الطفل على تناولها مبكرًا فلن يكون هناك مشكلة عندما تقرر فطام الطفل من الثدي. على الأم أن تفعل هذا متى تشاء من عمر الطفل تدريجيًا لإحلال وجبته من الثدي بالزجاجة أو الطعام.

إذا لم يتناول الطفل الزجاجة مباشرة جربى عددًا من الحلمات فالكثير من الأطفال لا يحبون حجمًا واحدًا معينًا. بالإضافة إلى هذا افحصى الفتحات حتى ترى تدفق اللبن منها سريعًا جدًا أو بطيئًا جدًا، ويكون هذا حقيقياً خاصة للأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية، وإذا كانت فتحة الزجاجة ضيقة فقد يتضايق الطفل بالطبع لأنه سيظل جائعًا. ونستطيع أن نعوض هذا بوضع اللبن فى كوب مع الأطفال الأكبر، وعمومًا من الممكن وضع لبن الثدي فى زجاجة حتى نستطيع أن نعود الطفل على الرضاعة بواسطة الزجاجة. وفى الأطفال فوق التسعة أشهر يكون من الأفضل أن ندعهم يمسكون الزجاجة أو الكوب.

٤ - متطلبات ضد برنامج التغذية

والوالدان اللذان يطعمان أطفالهما سوف يجدان أن الطفل سيظهر برنامجًا (نظامًا) بطريقة أو بأخرى، وهذا البرنامج ربما يبدأ الساعة ٨ صباحًا فى يوم، والساعة ٥ صباحًا فى يوم آخر، إنه من الصعب لتدبير أعمال المنزل أن تلتزم بهذا الروتين الذى يتغير كل يوم.

وفى الشهر الأول من العمر فإن أغلب الأطفال سوف يكونون برنامجًا لمدة ٤ ساعات، يبدأ فى نفس الوقت كل يوم ويكون هذا ملائمًا فى بيوت كثيرة.

ويجب على الفرد أن يضع فى ذهنه أن بعض الأطفال سوف يكونون غير سعداء بهذه الفترة الفاصلة، وربما يحتاجون وجبات صغيرة من وقت إلى آخر، ويجب أن يكون الوالدان مستعدين ليتكيفوا ويتغيروا عند الحاجة. وهناك مظهر آخر من المتطلبات ضد برنامج التغذية وكمية أكل الأطفال. فمعظم البحوث تقترح أن نتركهم يأكلون بقدر ما يريدون. فإطعام الأطفال عن طريق الشدى يمكن أن يتغير ويزداد فى أوقات مختلفة، وفى بعض الأوقات يأخذون ١٥ جراماً، وفى وقت آخر اثنين ونية فقط. وباستخدام الشدى أو الزجاجية يجب ألا يحاول المرء الضغط على الطفل لأن شهيته سوف تتغير، وهذا أمر طبيعى جداً. وإذا شعرت الأم برغبة الطفل للرضاعة كل ساعتين فمن المفيد استشارة الطبيب.

٥ - الأغذية الجامدة (الصلبة)

فى الشهور القليلة الأولى سوف يدفع الطفل لسانه للخارج تجاه الطعام الجامد، فى الشهور الثلاثة أو الأربعة التالية سيحدث تغيير فسيدخل اللسان الطعام داخل الفم وبالتدريج، إن هذا وقت مناسب لممارسات التذوق الأولى للأطعمة الجامدة. فالخضروات الطازجة واللحوم غالباً ما تستخدم أولاً، يتبعها الحبوب والجن الأبيض وقطع الموز وفواكه أخرى وعصير مصفى، وغالباً أى شىء يمكن أن يوضع فى مزيج، ويمكن أن يكون ذلك خلال وجبة المساء عندما تزيد فعالية الأطفال على الاندفاع والمرح، وعندما يقبل الطعام الخفيف مرة سيصبح بعد ذلك أى طعام خفيف (طرى أو لين) مقبولا لديه، والأطعمة الناعمة التى تتطلب مضغاً يمكن أن تقدم مبكراً عن ٧ أو ٨ أشهر حتى ولو لم تظهر أى أسنان، فسوف يبلعها الطفل ويكون هذا تدريباً جيداً للمضغ.

وعندما يقبل الطفل هذا الأكل الخفيف فقد لا يقبل الزجاجية كما كان، فمذاق الأطعمة الجامدة أفضل وممتعة للعب بها أكثر، فالطفل يستطيع أن يلفظها أو يضعها على وجهه أو على شعره ويديرها بأصابعه، وقد يضرب الطبق ليرى الطعام يطير ويسقط على الأرض وهو مالا يستطيع أن يفعله بالزجاجية أو اللبن.

والأطفال الطبيعيون ما بين ٩ و ١٠ أشهر يضعون أى شىء فى أفواههم، ومن ١٠ أشهر إلى ٤ سنوات ستجد أعقاب السجائر وطلاء الأظافر والدواء وكلها

أشياء غير معروفة لهم أسفل الأغطية وتحت الوسائد، وهنا يجب على الوالدين أن يشرفوا على أبنائهم بصفة دائمة. بعد ٤ سنوات، لا يُقدم الطفل على هذه الأفعال بعد ذلك لأنها يجب أن تتوقف، والخطر يكون جسيماً إذا لعب الطفل بالعقاقير الطبية السامة، وهنا يصبح العقاب (الضرب) جزءاً من المعاملة.

وتنخفض الشهية وتصبح غير منتظمة في السبعة إلى العشرة أيام الأولى، وربما يفقد المولود حديثاً ١٠٪ من وزنه في الأسبوعين الأول والثاني، ويصبح الجوع متعلقاً بالحوية، أما المرحلة ما بين السنة الأولى والخامسة فيكون النمو فيها بطيئاً حتى يصبح ٢ كيلو جرام زيادة في وزنه كل عام، وقد تمر شهور بدون زيادة في الوزن، ويحتاج الطفل طعاماً أقل وتقل شهيته ويزداد معها مخاوف وقلق الآباء، وقد تظهر بوضوح قدرتنا على عدم إطعام الطفل، ولكن لا يوجد شيء خطأ في ذلك، فاحتياج الجسم يصبح قليلاً لأنه يكون بطيء النمو ويظهر ذلك في أن الطفل يأكل ربما مرة واحدة في اليوم، ولكن يعوض ذلك بأن يأكل كثيراً خلال الوجبة. وإذا ازداد نقص وزن طفلك وشحوب لونه فإن الروشته من الطبيب ستساعد على تهدئتك.

إن الإجبار على الأكل عادة يكون غير ضروري وغير مؤثر، إلا إذا لاحظنا أن الطفل جوعان فعلاً ويظهر هذا بتوقفه عن اللعب وظهور الجوع عليه فالأطفال يحبون اللعب ويكرهون أى شيء يعطلهم عن ذلك، فإذا استمرت فترة لعبه مدة وأخبرته عن العشاء يجب تحذيره «يجب أن تأكل بعد ٥ دقائق» ثم إجباره على الطعام ونأخذ منه اللعب إذا استدعى الأمر ذلك.

٦- ماذا نفعل عند حدوث مشكلة فقد الشهية :

نادراً ما يفقد الطفل ما دون الست سنوات شهيته، والطفل فاقد الشهية من الصعب إرضاعه ليتقبل الطعام، فهو يجب بعض الأطعمة ويرفض البعض الآخر وعندما يسبب ذلك فقد الوزن فهنا تبدأ المشكلة.

وكثير من الناس يشيرون إلى أن فقد الشهية ما هو إلا خوف حقيقى من الطعام، وغالباً ما يبدأ عند الأطفال البالغين من العمر ١٢ سنة. وفي هذه الحالات النادرة يكون بسبب مرض ما، وهناك بعض الطرق التى تفتح شهية الطفل وتجعل

وقت الوجبة أكثر متعة، فإذا كان الطفل يكره نوعاً من الطعام فعلينا أن نبدله بنوع آخر لكي نجعل الطعام تجربة ممتعة بالنسبة له، فالبينة المحيطة به ووقت تناول الطعام يجب أن يُشعره بالسعادة كما يجب ألا يجبر الطفل على أكل جميع ما يوضع أمامه وترك له الحرية في اختيار طعامه، ثم من الأفضل ألا يناقش الآباء الأطعمة التي يكرهونها أمام الأطفال.

٧- شراهة الطعام :

واحد من كل خمسة يعانون من زيادة الوزن تقريباً. ونجد ذلك في النساء مرتين أكثر من الرجال. ويمثل هذا الخطر الأول على الصحة وغالباً ما يبدأ في الطفولة، ولقد أثبتت الأبحاث التي تتعلق بنمو الجسم أن وزن الجسم لا يتعلق بكمية السعرات الحرارية التي يتناولها، ويجب أن نعرف ما هي الأسباب التي تؤدي إلى ذلك.

٨ - أسباب زيادة الوزن :

هناك عوامل عديدة لذلك، مثل الناحية النفسية والنشاط الجسماني وعادات الطعام الموروثة، إن الوراثة تعطينا الحجم وبناء الجسم. والناحية النفسية تمثنا بالسرعة التي نأكل بها، والنشاط الجسماني يحدد عدد وكمية السعرات المحترقة أثناء اليوم وعادات الطعام تحدد كمية المأكولات التي نتناولها ومتى نتناولها.

وفي الأطفال نجد أن شراهة الطعام لايزداد بها وزن الجسم فقط ولكن حجمه أيضاً، فكمية السعرات التي تسبب التخممة تزداد عندما يصل الطفل ١٢ سنة (وربما قبل ذلك) ولهذا فإن من الصعوبة أن يفقد (أو يكتسب) الطفل كمية كبيرة من الوزن بعد ١٢ سنة. إن ٨٠٪ من الأطفال المصابين بالتخممة يظلون هكذا بعد أن يكبروا.

بعض الآباء يعتقدون اعتقاداً خاطئاً في عدم أهمية مستوى نشاط الطفل، لأن التمرينات تستهلك قدرًا ضئيلاً من الطاقة كما أن شهية الطفل تزيد كلما زاد نشاطه. وفي الحقيقة أن الطفل الزائد الوزن (من ٦ - ٨ سنوات) يعاني أيضاً من قلة الحركة مقارنة بالطفل ذي الحجم الطبيعي، كما أن تقليل مستوى نشاط الطفل لا يقلل من كمية الطعام التي يتناولها الطفل الشره.

وبالطبع لابد من وجود مشكلات نفسية لدى الطفل السمين فهو دائماً يرى في نفسه قبح الشكل وعدم الصلاحية الاجتماعية، وعدم ملاءمته كصديق لأحد.

وفي النهاية يجب أن نوضح أن عدداً ضئيلاً جداً من الأطفال يصبحون سمناً مالم يكن أحد والديهم سميناً، كما أن ١٠٪ من الأطفال المصابين بالتخمة يكون والديهم من ذوى الحجم الطبيعي، وقد ترتفع إلى ٥٠٪ عندما يكون أحدهم سميناً، وتصل إلى ٨٠٪ إذا كان كلاهما سميناً، وعلى أى حال نجد أن القدوة والمثل للطفل فى الآباء يلعبان دوراً كبيراً فى التحكم الغذائى لديه.

٩- متى تكون المشكلة...؟!

لا يجب أن يهتم الآباء بوزن أطفالهم إلا بعد أربع أو خمس سنوات، فكثير من المواليد يبدون وكأنهم زائدو الوزن، وينعكس ذلك بعد بلوغهم ثلاث أو أربع سنوات. ولقد أثبتت البحوث أن مشاكل الوزن المتعلقة بالطفولة تكون من الخامسة إلى السابعة من العمر، وفى هذه الفترة يجب أن نضع أعيننا على وزن الطفل ووزنه باستمرار. فهناك دائماً وزن معين يعتبر طبيعياً، وقد يختلف ذلك طبقاً لتكوين الطفل الجسمانى أى إذا كان عريض المنكبين مثلاً.

وإذا كان الطفل فى هذه السن أو أكبر قليلاً لايزيد وزنه عن الوزن المثالى بنسبة ٢٠٪. فيجب أن يتعامل الآباء مع هذه المشكلة. كما أن هذا يتضح بشدة ويبدو مشكلة فى وزن الطفل بسبب قلة مستوى نشاطه الملحوظ وتجنبه لأصدقائه ربما بسبب الأسماء التى يطلقونها عليه.

كما يجب التأكيد على أنه من الخطر الانتظار حتى تتفاقم مشكلة زيادة الوزن التى تحدث نتيجة التغذية الجيدة وقلة التمرينات الرياضية.

إن الإستراتيجية التى نتبعها تصلح للأطفال ابتداء من سن الخامسة. وأخيراً يجب أن نشير إلى أنه من النادر أن يصبح الطفل سميناً بعد سن الثانية عشرة. لذلك فإن الآباء يجب أن يشعروا بالفخر إذا استطاعوا أن يحافظوا على وزن طفلهم الطبيعى خلال تلك السنوات السبع (من سن الخامسة حتى الثانية عشرة).

وهناك أشياء يجب ألا نفعلها إذا كان الطفل لديه زيادة فى الوزن:

- (١) يجب ألا نترك الطفل حتى يشد جوعه .
- (٢) يجب ألا نجعل من موضوع الطعام قضية أخلاقية فنقوم بلوم الطفل وإحراجة ونقوم بمراقبته باستمرار .
- (٣) لا نتوقع من الأطفال أن يفعلوا شيئاً لانفعله نحن . ولا نتوقع أنهم سيرفضون غالباً تناول نوع من أنواع الطعام نتناولها نحن الكبار .
- (٤) لا تصبح متحمساً أكثر من اللازم، فإن هذا تغيير يعترض الطفل دائماً .
- (٥) يجب ألا يأتى ذكر استخدام فاتحات الشهية بتاتاً إذا لم يكن هناك مشكلة صحية تتعلق بالوزن .
- (٦) أخيراً فالتوبيخ ليس له تأثير على الوزن إطلاقاً ولكنه يهدف إلى تحويل انتباه الطفل لما فيه مصلحته ويشعره بمسئوليته .

١٠ - كيفية تخاشى الزيادة فى وزن الطفل وكيفية معالجة ذلك :

من السهل علينا أن نتعامل مع عادات الطعام بالنسبة للأطفال، بعكس الكبار لأننا ببساطة يمكن أن نتحكم فى نوعية وكمية الأكل المقدم للطفل، ومع ذلك فإن الآباء الذين يعانون من السمنة نجدهم غير قادرين على ضبط النظام الغذائى لأطفالهم .

أولاً : على الآباء أن يتفهموا أن وزن الطفل يجب أن يقاس خلال السنوات الأولى من العمر لتخاشى السمنة فيما بعد وليكون من السهل التحكم فيه .

ثانياً : يجب على الآباء أن يتخلصوا من الحكمة القائلة «أن الطفل السمين هو الطفل السليم»، فكثير من العائلات يشجعون أطفالهم على إنهاء طعامهم، ويسعدهم أن يطلب الطفل زيادة من الطعام «هل تريد طبقاً آخر من الإسباجتى؟» إذن سأحضر لك بعض الحلوى «هل أملؤه لك مرة أخرى» .

ثالثاً : يجب أن نتعامل مع الوجبات الخفيفة بحكمة، فليس هناك ضرر من تقديمها، ولكن يجب التأكد من نوعية ما نقدمه خلالها وتكون بسيطة مثل البطاطس المحمرة .

رابعاً : تخصيص مكان واحد للأكل (ليس أمام التلفزيون) فيمكن أن يأكل الطفل كل ما يريده ولكن على مائدة الطعام. بهذه الطريقة نجعل الطعام يتنافس مع الأفعال الأخرى المفضلة للطفل بدلاً من أن يقوم الطفل بشيئين في وقت واحد فقد يصبح هذا عادة عند الطفل. وقد تعنى مشاهدة التلفزيون إحضار أى شيء للأكل.

خامساً : إن الأشخاص الزائدى الوزن غالباً ما يكون أكلهم بسبب شعورهم بالسعادة أو بالحزن، إذن فالأكل بالنسبة لزائدى الوزن يرتبط بالحالة النفسية لديهم. نحن لانقل هذا الشعور كمثال لأطفالنا فقط، ولكننا نفترض أن الطعام ساعدنا خلال الأوقات العصيبة، لذلك فنحن نقدم الطعام للطفل عندما يشعر بإحباط، ولا مانع من كوب من الليمون إذا تعرض الطفل للأذى من طفل آخر. إن الطعام يجب أن يقدم بانتظام ولا يجب أن يعتمد على المزاج أو يقدم تبعاً لظروف نفسية فقد يتحول هذا إلى عادة من الصعب التخلص منها.

سادساً : الأكل ببطء وبهدوء، ونتتظر من الطفل أن يفعل نفس الشيء. فإذا ازدادت سرعة أكله أكثر من اللازم فإن الإشارات الفسيولوجية ستستغرق وقتاً أطول لكي تذهب من المعدة إلى المخ لتخبرك بأنك قد شبع. لذلك فسوف تأكل طعاماً أكثر من احتياجك، ولن يستطيع المخ أن يخبرك أن معدتك قد امتلأت. فالجوع يظهر على هيئة تقلصات عضلية فى المعدة، وهذه التقلصات أو الانقباضات لاتهدأ بمجرد أن يوضع الطعام فى الفم، فالطعام لابد أن يعد للهضم وبعد دقائق سيؤثر على الجوع. والأكل ببطء يسمح للمعدة والمخ أن يستوعبا كمية الطعام الذى تم أكله بالفعل ومدى امتلاء المعدة.

سابعاً : لاتسوق لشراء الطعام وأنت جائع، تسوق وأنت شبعان، وخاصة إذا كان معك طفلك. فإن كان كل منكما شبعان فلن يغريك وجود حلوى أو طعام مملح أو نشويات.

ثامناً : اكتب قائمة للأطعمة التى تريد أن تشتريها قبل ذهابك للتسوق واشتر فقط ما كتب بالقائمة.

تاسعاً : تأكد أن طفلك ينال بعض التمرينات الرياضية كل يوم. وهذا لايمثل مشكلة مع معظم الأطفال لأن اللعب مع الأطفال أو الذهاب إلى الروضة

«ما قبل المدرسة» يهتم بذلك جيداً. ولكن الأطفال الزائدى الوزن قد لا يشاركون وقد يصابون بالإرهاق بسهولة، وإذا كان الأمر هكذا، إذن فنحن الآباء والأمهات يجب أن نزيد للأطفال مهام رياضية فنستطيع مثلاً أن نذهب للتريض مساء كل يوم بعد العمل مع طفلنا، ويمكن أن نذهب إلى السوق لمشاهدة المحلات أو التفرج عليها، ويمكن أن نقوم بتعليق سلة ونلعب كرة السلة معاً فى مكان مناسب، وبالطبع من الصعب حقيقة أن نجد طرقاً للتمرينات كل يوم، وأن نجد أنشطة يتمتع بها الطفل وأبواه معاً. والمشكلة دائماً تكون من ناحية الآباء الذين يكون من الصعب أخذهم من عملهم أو بعيداً عن التلفزيون أو الكمبيوتر، فمفتاح التمرينات هو أن نؤدى شيئاً ممتعاً ولانقول أنك يجب أن تمشى ميلين مثلاً. فالتمرينات يمكن أن تكون أبسط من ذلك بكثير بشرط أن تترك الطفل ينطلق. وعلى الآباء اكتشاف اللعبة المحببة لدى أطفالهم.

وهناك شيء آخر عن التمرينات، وهو أنه يجب عدم إجبار الطفل على القيام بها إذا كان متعباً، أما الأطفال الزائدى الوزن فنجد أنه من الصعب عليهم أداء أى تمارين، لدرجة أنهم إذا بدءوا فى أى تمرين لا يلبثون أن يشعروا بالتعب والإرهاق.

عاشراً : وفى النهاية حين يحين وقت الوجبات، لاستخدمى الطعام السريع لفترة طويلة لأنها عملية وسهلة، ولكن جهزى أطعمة أساسية (كالخضار والدجاج واللحم المشوى) فى طريقة لذيذة، لأنه ليس فقط الأطعمة السريعة هى اللذيذة، ولكن الأساس هنا هو تقديم طعام عادى بطعم لذيذ، وخاصة لمن يهتمون بالسرعات الحرارية الموجودة فى الأطعمة لأطفالهم.

وفى أثناء إعداد الوجبات لابد أن نهتم بالبروتينات ونجعل الطفل يتناول المناسب منها. ولا مانع من تقديم الأطعمة التى لا يفضلها الطفل عندما يكون جائعاً.

ثانياً : البكاء ونوبات الغضب والانفعال

إن البكاء ونوبات الغضب غالباً ما يكون لها سبب وجيه، لذلك فعلى الآباء أن يكون لهم رد فعل دائم تجاه ذلك فنحن نقفز مسرعين عندما نسمع بكاء الطفل لأن هذا يدل بالتأكيد على أن هناك شيئاً ما قد حدث ولا بد لنا أن نساعد فوراً، فالاستجابة لصراخ الطفل شيء أساسى بالنسبة لنا، بسبب حبنا الكبير للطفل، ولكن بمرور الوقت قد يبكى الطفل لا لأنه فى حاجة إلى شيء ولكن لأنه قد يريد مكرونة أو فولا بدلاً من الأرز، أو يريد أن يلعب مع والده مع أنه مشغول فى عمله.

إذن لابد أن يأتى وقت للآباء لكى يتجاهلوا صراخ الطفل. فتحاول الأم أن تجلس فى حجرة بعيدة قليلاً وتترك الطفل يبكى قليلاً لرغبته مثلاً فى النوم معها وهذا سيكون اختباراً لقدرة هذه الأم وصلابتها. فالطفل يبكى لأنه يعرف أن أمه أو أباه سوف يأتى، ولهذا إن لم يتحقق ذلك قد يزيد الطفل من بكائه وصراخه، وقد يبدأ فى فعل أشياء أخرى مثل رمى الأشياء على الأرض.

وإذا فشلت فى أن تقاوم بكاء الطفل فإن البكاء والصراخ سيكون حولك طوال اليوم وفى كل دقيقة. ولاعجب من أن الدراسات أثبتت أن ٨٠٪ من الآباء يهتمون ببكاء الطفل.

عند الأطفال حديثى الولادة يستغرق وقت البكاء من ساعة إلى ٤ ساعات يومياً، وبالتأكيد يزداد أثناء الستة أسابيع الأولى من العمر وحتى الأسبوع الثامن لأنها فترة البكاء الطبيعى فالطفل يبكى لأنه جائع أو مبتل أو نائم فى وضع غير مريح... إلخ، وقد يبكى الطفل حوالى ١٢ مرة يومياً مع العلم أن هناك فروقاً بين طفل وآخر.

فعندما يبكى الطفل لابد أن نقفز إليه ولا نتجاهل بكاءه على الأقل فى السنة الأولى من عمره، وكلما حملنا الطفل واعتنينا به نقص بكاءه. فقد أثبتت الدراسات أن حمل الطفل أربع ساعات كحد أدنى ينقص بكاءه إلى النصف تقريباً. وبمرور الوقت يتناقص البكاء بعد شهرين أو ثلاثة من الولادة ويصبح حوالى ٤ مرات يومياً فقط. وبعد عام يبكى الطفل ليس لتعب جسمانى أو عضوى ولكن

الأكثرية تكون لأسباب بيئية، كرويته لأغراب فى ميعاد نومه أو لأنه يفضل أنواعاً معينة من الطعام. وفى السادسة من العمر نجد أن ١٨٪ فقط من الأطفال سيكون أكثر من مرتين أو ثلاث كل أسبوع.

وبينما يتناقص البكاء فإن نوبات الغضب تبدأ فى الظهور حتى قبل أن يبلغ ثمانية أشهر من العمر، رغم أنه فى هذه السن قد يكون البكاء مناسباً وذا قيمة، فهو يحدث عندما يكون الطفل قد ناله أذى، مثلما يكون خائفاً أو فى حاجة إلى شىء، أما نوبات الانفعال فتبدأ كعامل جذب أعلى من البكاء، فقد يشنج الطفل جسمه ويحبس أنفاسه أو يضرب رجليه فى الأرض ويتطور الانفعال فيقوم بإلقاء الأشياء والضرب أو الوقوع على الأرض.

ونوبات الغضب بالتحديد هى محاولة الطفل لأن يجد وسيلة أو مخرجاً، ويقوم بها كل الأطفال، ورغم هذا فإنه قد يأخذ أشكالاً متعددة مع أطفال مختلفين، وهو طبيعى جداً وشائع. ومع كل فإننا فى العام الأول نقفز مع أقل صرخة بل وقد نقفز لمجرد تخيلنا سماع صرخة من الطفل.

فالطفل فى أول عمره يتعامل معاملة خاصة من الآباء. فهم فى خدمته باستمرار. والأم تقدم الإفطار له فى السرير، وقبل حتى أن يطلبه يكون قد توافر، والطفل يتعود على هذه المعاملة الحسنة، وإذا وضعت نفسك مكانه فماذا ستفعل لو تعودت أن تقوم الخادمة بكل شىء لراحتك ثم فجأة تدق لها الجرس ولا تحضر لتلبى رغباتك، فإنك سوف تصرخ فى وجهها. هكذا الطفل يعتبر أنك العبد وهو السيد، وفى وقت ما لابد للطفل أن يتعلم أن هذه العبودية ستلاشى وأنه لا يمكن أن ينال كل ما يريد.

١ - متى يتحول البكاء والغضب إلى مشكلة ؟

إن البكاء والغضب شيئان طبيعيان عند كل طفل. وهذا السلوك لا يكون شاذاً أو يمثل مشكلة، ولكن المسألة هى أنه لابد أن يتناقص بمرور الوقت. وتصبح نوبات الغضب مشكلة إذا لم يحدث هذا، وإذا استمر مدة أطول من اللازم. فإذا استمر الآباء فى تلبية طلبات أطفالهم عند أقل انفعال فإن نوبات الغضب لدى الطفل سوف تزداد وسيصبح نموذجاً للطفل المتسلط، وسيظهر هذا أثناء تعامله مع

الآخرين (المدرسين والأغراب أيضاً). وهذا ما يؤدي إلى عدة صعوبات ستواجه الطفل في المدرسة. وسيقبل تعلم الطفل لأى شىء عن التفاعلات الاجتماعية السوية مثل المشاركة، الأخذ والعطاء، والتعاون والاندماج مع الآخرين، أو حتى أسلوبه فى المطالبة بشىء.

والخلاصة أنك لاتستطيع أن تمنع انفعال الطفل، ولكن كيف نتعامل معه وكيف تعترم داخلها على ألا تستمر فى تلبية رغباته؟ هذا هو ما سوف نتحدث عنه.

٢ - كيف نتعامل مع البكاء ونوبات الغضب والانفعال؟

يجب ألا نقلق بسبب البكاء خلال العام الأول من عمر الطفل. ولكن بعد ذلك يجب أن نميز بين البكاء الحقيقى والبكاء الاستغلالى. فمعظم الآباء قادرون على أن يفرقوا بينهما فى نقطة ما أحياناً فى الستة أشهر الأولى وأحياناً بين ١٢، ١٥ شهراً. وإذا كنت غير متأكد اذهب للطفل وتفحص إذا ما كان محتاجاً لأى شىء. أما إذا اتضح أن البكاء استغلالى فهناك العديد من الأشياء يجب القيام بها للتأكد من أن هذا لن يدوم طويلاً :

(١) لابد أن نتأكد من أن نوبة الغضب لاتهدف لأن تكون وسيلة لتحقيق رغباته، وهذا يعنى طبعاً أنه لابد أن نعرف بالقطع لماذا تأتى نوبة انفعال الطفل. فإن عرفت أن الطفل يريد شيئاً كمشاهدة برنامج تليفزيونى، أو تناول حلوى أو أن يذهب إلى اللعب فلا بد أن تتجاهله لأن تجاهل الطفل هنا سيكون مؤثراً. فتجاهله يؤكد أنه لن يحصل على كل ما يريد وأن هذا الغضب لن يجدى أو يفيد. . ولكن من ناحية أخرى إذا كان الطفل يحاول تجنب شىء ما مثل أن يذهب إلى النوم أو يأكل بالملقة فإن تجاهله يكون أسوأ شىء يمكن فعله، فإذا تجاهلته فسيشعر أنه ليس مطالباً بترتيب لعبه مثلاً أو الذهاب إلى النوم فى وقت معين، وتكون هنا نوبات غضب الطفل ناجحة لأنه قد نال ما يريد.

لاتستمع لأحد يقول لك أنه يجب تجاهل الطفل باستمرار عندما يغضب لأن هذا اقتراح شائع بين الآباء، فإن البحوث الحديثة توضح أن هذا خطأ، لأنها بشكل أو بآخر تبين للطفل أن نوبات الغضب قد تفيد أحياناً.

أثناء الغضب يجب أن تفاهم وتناقش مع الطفل فيجب أن تحاول إقناعه مثلاً بسبب عدم تناول الحلوى الآن، ولماذا لايمكن أن يشتري كل اللعب التى فى المتجر.

(٢) التقليل من الحوار أو المناقشة خلال الغضب :



لا يجب أن نوضح أو نشرح خلال الغضب لماذا يجب ألا يأكل الحلوى الآن، كل الأطفال يتطلعون إلى الرعاية والاهتمام من آبائهم لكننا يجب ألا نجعل هذا هو السبب في الغضب بحيث يصبح وسيلة للحصول على الاهتمام، إننا يمكن أن نناقش ونشرح لماذا يجب أن يذهب إلى الفراش الآن ولكن قبل أن تتأهب حالة الغضب.

(٣) عندما يحل بنا التعب ونكون في حالة من الضيق والضغط العصبي فإننا قد نلبي طلب الطفل من أول سؤال هاربين من التعامل مع الغضب، لذلك سوف يتعلم الطفل جدوى الغضب وفائدة استخدامه.

(٤) نحن نعلم الطفل الطرق السليمة لطلب ما يريده :

إننا يجب أن نعلم الطفل كيف ومتى يشارك، يأخذ دوره، فإذا أراد لعبة يلعب بها طفل آخر فيجب أن يبدل معه لعبة أخرى مفضلة لديه ويجب تعليم هذا في مواقف كثيرة ولاترك الغضب يتسلل إلى طريقة عرض طلباته.

(٥) التطلع إلى الأشياء الجيدة التي يفعلها الطفل والثناء عليها. والتعامل مع الغضب يجب أن يبدأ من أول ملاحظتك لحدوثه، لكننا لانود أن تسوء العلاقة بيننا وأطفالنا، لذلك فإننا نبذل مجهوداً خاصاً لتحديد ما هي الأشياء الجميلة التي يفعلها الطفل ونثنى عليها، أما يمكن أن نقضى معه وقتاً أطول في اللعب فبذلك يتعلم الطفل أنه ليس بالطفل السيء. إنها مجرد لحظات يظهر فيها هذا

السلوك الذى لانحبه، وبهذا يكتسب الطفل الثقة ويسهل التعامل مع تلك المشكلة.

(٦) بينما يتم التعامل مع الغضب لايجب التطرق إلى أى مشكلة أخرى، فإذا غضب الطفل فى المتوسط مرة واحدة أو أكثر خلال اليوم فلاينبغى أن نحيل بقية يومه إلى مضايقات وأحزان بتعليمه أشياء أخرى لايود فعلها مثل تدريبات التواليت أو روتين ما قبل النوم، فمن الممكن أن نبدأ فى هذا بعد التأكد من إحرازنا تقدماً كبيراً فى مشكلة الغضب.

(٧) النكد والعار وإساءة التحكم يجب ألا يكون لهم مكان فى التعامل مع الغضب.

مثل هذه الأمور ليست مؤثرة بشدة ولكنها قد تعوق التقدير فى معالجة الغضب. لأنك بهذه الأمور تظهر للطفل كيفية تعاملك مع الناس الآخرين، كما أنك أيضاً تعلمه طرقاً جديدة للغضب بل وتشجع على فعل ذلك.

ثالثاً : عادة مص الأصابع Thumbsucking

كثير من الآباء يهتمون بتلك المشكلة لدى أبنائهم. فحوالى واحد من كل تسعة آباء يشكون من هذه المشكلة، وقد تناول العديد من الكتاب هذه المشكلة وأشاروا إلى أنها مرتبطة بأشياء متعددة فى حياة الطفل بداية من عدم إحساس الطفل بالأمان إلى ارتباطها بمشكلات الأسنان والفم.

ولكن بنظرة موضوعية سنجد أن عادة مص الأصابع لا يوجد فيها ما يُقلق. فهى سوف تختفى تدريجياً ومن تلقاء نفسها بدون ترك أى آثار جانبية، ويمكن أن نتعرف على هذه المشكلة وأحداثها ومعدلاتها وأسباب حدوثها خلال الأربعة أشهر الأولى من حياة الطفل. فإن عادة مص الأصابع هى الطريقة الوحيدة التى يشير بها الطفل إلى أنه فى حاجة إلى الطعام، وهى تستمر طوال السنة الأولى. ويمكننا القول بأن الأطفال يستمتعون بهذه العادة حتى إن لم تكن مرتبطة بحاجة الطفل إلى الطعام. فقد يقوم الطفل أحياناً بامتصاص أصبعك أنت أو أى شئ آخر ولايعنيه إذا كان هذا الشئ لكبير أم صغير، لزجاً أم صلباً، المهم هو أى شئ يكون قريباً من فمه. وسوف يظل الفم هو المصدر السحري لإسعاد الطفل طوال

حياته فقد اعتاد على تناول الأطعمة من خلاله وكذلك يقوم بقرض أظافره من خلاله.



وعادة ما تبدأ عادة مص الأصابع في الشهور الأولى المبكرة من عمر الطفل، وأحياناً مع بداية مرحلة التسنين، وعادة مص الأصابع تبلغ ذروتها في حوالي ١٨ - ٢٠ شهراً الأولى من عمر الطفل، وهناك نسب عالية تؤكد تكرارها والفترات الطويلة التي تستمر فيها. وبعض الأطفال قد يستمرون ساعات طويلة وأصابعهم داخل أفواههم سواء كانوا بمفردهم أو عند مشاهدتهم لأطفال آخرين وهم يلعبون.

والطبيعي أن تختفي هذه العادة في العام الثاني أو الثالث، ولكننا قد نجد أنها تستمر حتى العام الخامس أو

السادس. وحوالي ٢٩٪ من الأطفال تستمر هذه العادة بعد سن الثالثة. ولكن هناك حالات نادرة تستمر إلى عمر أكبر. وأحياناً تكون عادة مص الأصابع مرتبطة بالنوم، فالكثير من الأطفال قد يقومون بهذه العادة عندما يرغبون في النوم أو وهم نائمون بالفعل، والبعض يقول إن هذه الحالة ترتبط لدى الطفل بالتوتر وعدم الأمان ولكن كل هذه الأفكار ثبت عدم صحتها إلى حد ما في بعض البحوث.

١ - الآثار الجانبية لمشكلة مص الأصابع :

هناك العديد من المشكلات التى تسببها عادة مص الأصابع فهى قد تسبب عدم انتظام الأسنان أو تسبب فى انتقال الأمراض المعدية إلى الطفل، وكذلك اضطرابات المعدة، وفى حالات نادرة تكون خلف ممارسة العادة السرية فيما بعد. ولكن من الممكن تلاشى انتقال الأمراض والاضطرابات التى قد تحدث للمعدة عن طريق تنظيف الطفل بصفة مستمرة لمنع دخول أى أشياء ضارة إلى فمه.

وعادة امتصاص الأصابع تسبب تشويه شكل الفم، لأن الطفل يقوم بضغط قوى أثناء عملية المص، وهذا يؤدى أيضاً إلى تورم الإبهام كما أن هذا الإصبع يكون معرضاً للتلوث بسبب وضعه فى الفم وابتلاله.

وبما أن هذه العادة لاتستمر غالباً لما فوق الثلاث سنوات، إذن فإنها لن تؤثر على الأسنان المستديمة، ولكن يكون لها تأثير على سقف الحلق والأسنان إذا استمرت لما بعد الثالثة. وفى هذه الحالة يمكن اللجوء إلى طبيب أسنان للحصول على النصائح المفيدة لحل هذه المشكلة وعلاجها.

وتصبح هذه العادة مشكلة وغير مرغوب فيها فى ثلاث حالات :

أولاً : إذا استمرت إلى ما بعد سن السادسة.

ثانياً : إذا أخبرنا الطبيب أن لها آثاراً جانبية على أسنان الطفل.

ثالثاً : إذا مارسها الطفل بعد العام الثالث بشكل مبالغ فيه لدرجة الاستغناء عن اللعب بسببها، عندئذ يجب التعامل معها كمشكلة.

٢ - كيفية التعامل مع مشكلة مص الأصابع :

الطريقة الشائعة للتعامل مع هذه المشكلة هى أن تنهى الطفل بقولك «لا تمص أصبعك» أو أن تشغل الطفل بشىء آخر كاللعب، ولكن هذا يتطلب أن ترافق الطفل كظله حتى تكون مستعداً للإمساك بذراعه لمنع وصول أصبعه إلى فمه. ويجب أن يكون هذا برقة وبدون أى عنف أو صراخ، ولكن يكون هذا بتتهدى البساطة.

وهناك بديل آخر لذلك وهو أن نضع شيئاً ذا طعم منفر على أصبع الطفل ولكن هناك بعض المتخصصين يرفضون ذلك لأنه يكون قاسياً جداً وقد يؤدي إلى نتائج عكسية لدى الطفل، وقد يؤدي إلى غضب الطفل. ولكن من الممكن القيام بذلك عندما يكون الطفل نائماً فهو لن يدرك أنك أنت الذى فعلت ذلك. وبهذه الطريقة سيجد الطفل أن طعم أصبعه منفر ولم يعد مصدر لذة له.

وهناك بديل ثالث لحل هذه المشكلة ينصح به أطباء الأسنان وهى خياطة كم الطفل لفترة من الوقت، أو نقوم باللباسه قفازات بدون أصابع. وهذا الإجراء يؤتى نتائج جيدة إذا تم استخدامه فى المراحل الأولى من بداية هذه العادة.

وآخر إجراء يمكن القيام به هو أن نقوم بإغراء الطفل بالمكافآت، وفى البداية يمكن أن تقدم له هذه المكافأة بعد ١٥ دقيقة فقط لو أن الطفل توقف عن مص أصبعه لهذه الفترة، وبالتدريج يمكن أن تصبح ٣٠ دقيقة ثم ساعة ثم ساعتين ... إلخ. وسوف يجد الطفل نفسه يُمنح بسخاء كلما رادت الفترة التى يمتنع فيها عن امتصاص أصبعه، ويمكن أن نقول للطفل «يمكنك مص أصبعك فى حجرتك فقط» فى الوقت الذى يهيا له كثير من الوسائل الترفيهية خارج حجرتة.

وينصح أطباء الأسنان بضرورة وضع شئ ما خلف الأسنان يمنع وصول أصبع الطفل إلى سقف الحلق. ويتم هذا الإجراء إذا استمرت تلك العادة إلى ما بعد سن الثامنة أو التاسعة من العمر.

رابعاً : مشكلات الكلام Speech

يأخذ الكلام عند الأطفال فترة من الوقت حتى يتحسن، وفى خلال هذه الفترة يصدر منهم العديد من الأخطاء، فكل الأطفال فى بداية تعلمهم الكلام يتعلمون أثناء نطق الكلام فى بعض المواقف. وكذلك أحياناً لا يستطيع الطفل نطق بعض كلمات معينة ويتعلم أثناء نطقها بدون وجود مواقف. ولكن مع الوقت سوف يتعلم الطفل الكلام. ويمكن القول بأن الأخطاء التى تصدر من الأطفال هى بداية الطريق للتحسن وتعلم اللغة العادية حيث إنهم مع الوقت ينضجون فسيولوجياً وعقلياً وعندئذ يبدأون فى التحسن وتوسع ثروتهم اللغوية. أن ما يقارب ٩٥٪ من أطفالنا لا يمثل الكلام أى مشكلة لهم. فهم فى البداية يتعلمون

ويقفهون وينطقون الكثير من الحروف بطريقة خطأ، فقد يتركون بعض المقاطع فى الكلمة التى ينطقونها، أى يمكن القول أنهم يقضون على اللغة أثناء نطقهم، ولكن فى الحقيقة هذه الأشياء تعتبر طبيعية لوصول الطفل إلى مرحلة التحسن والتمكن من اللغة. ويجب علينا أن نشجعهم على استخدام اللغة المهدبة بأن نقول لهم «عندما تريد شيئاً يجب أن تقول من فضلك». ويجب أن نعلمهم الكلمات الجيدة ونشجعهم على الحديث. وسوف نلقى نظرة على الصعوبات التى تقابل الطفل فى الكلام، وكل مشكلة سوف نتناولها بمفردها حتى نستطيع التمييز بين ما يمثل مشكلة أو لا يمثل وكيفية التغلب على هذه الصعوبات.

١ - التهتهة Stuttering

هى تقطع أثناء الكلام يصدر من الفرد عند النطق، فالطفل ربما يتوقف عند كلمة واحدة ويكررها أكثر من مرة ولا يستطيع نطقها، أو قد يتردد عند نطق كل كلمة، وكذلك لا يستطيع نطق بعض الأحرف أو يكرر بعض الحروف أكثر من مرة بطريقة لافتة للنظر.

والتهتهة يمكن أن تزداد عندما يكون الطفل قلقاً، متعباً، خائفاً أو واقعاً تحت ضغط أو اضطراب معين. ويمكن القول أن التهتهة تحدث بين العام الثانى والرابع من عمر الطفل وتزول بعد ذلك. فقد أوضحت بعض الدراسات التى أجريت على ٢٠٠ طفل من الأطفال الطبيعيين فيما بين الثانية والرابعة، أن كل واحد منهم تصدر عنه التهتهة عند نطق كلمة بها أربعة حروف، ومثال لذلك عند نطق كلمة «ماما» فهو يقول «م.م. ماما».

وبالرغم من أن هذا هو السلوك الشائع فى مرحلة الطفولة، فهناك حوالى ١٪ من الأطفال يستمرون فى عملية التهتهة إلى ما بعد سن العاشرة.

٢ - متى تصبح التهتهة مشكلة ؟

إن الأطفال ما بين العام الثانى والرابع يحبون استخدام الكلمات الجديدة لكى تنمو قدراتهم اللغوية. وفى سن ٣٦ شهراً يكون متوسط عدد الكلمات المستخدمة لدى كل منهم حوالى ١٥٠٠٠ يومياً، وهذه المرحلة تشبه انفجار السد. وفى نفس هذه المرحلة قد تكون التهتهة فى الكلمة المكونة من ٤ حروف، وقد

يكون هناك العديد من التكرارات فى الكلمة الواحدة بطريقة لا يمكن قصدها .
وهنا نجد أن الآباء لا يلقون بالا ولا يعتبرون هذه مشكلة .

ويجب أن نضع فى الاعتبار أن التهتهة لا يجب أن نعتبرها مشكلة إلا حينما يصل الطفل إلى عامه الخامس على الأقل ، وتصدر منه فى هذه الفترة حوالى عشر أو ربما ١٠٠٠ تهتهة فى اليوم ، وفى فترة ممتدة من الوقت (حوالى ٦ شهور متتابعة) .

وقد تكون مشكلة التهتهة مقصورة على مواقف أو كلمات معينة أو أماكن أو أشخاص معينين ، فعلى سبيل المثال : الطفل الخائف من المدرسة أو الذى يخاف المدرس ، إنه قد يكون طليق اللسان فى معظم الأوقات ولكنه يبدأ فى التهتهة عندما يتعرض لمثل هذه المواقف .

٣ - كيفية التعامل مع مشكلة التهتهة :

يجب ألا نعطى التهتهة اهتماماً كبيراً وخاصة عند الأطفال الصغار ، فذلك يجعل الأطفال أكثر تردداً وقلقاً وخوفاً من حدوث التهتهة . فالطريقة المثلى للتعامل مع هذه المشكلة هى ألا نعطى اهتماماً حتى يصل الطفل إلى العام الخامس . مع وجوب معرفة أنه ليس هناك علاقة بين التهتهة ودرجة ذكاء الطفل .

فالتهتهة لاتعنى بأى طريقة أن الطفل غير طبيعى أو أقل منزلة عن غيره من الأطفال ، وإنى أؤكد على ذلك لا لنجعلك تشعر بالراحة ، ولكن على أمل أن نجعلك لاتلفت نظر طفلك لحدة المشكلة ، وإلا فسوف يتجه كل انتباهه لها ، وذلك يجعل الطفل قلقاً وأكثر ترديداً لكثير من الكلمات والتهتهة فيها مما يجعله يشعر بالدونية .

وسوف أعطى مثال لأوضح به كيف يحدث ذلك ، فهناك حالة تخص طفلاً يدعى «رضا» ويعد من الأطفال المتحدثين من الدرجة الأولى ، وقد فاز فى العديد من مسابقات الكلام ، ثم تم نقله إلى مدرسة أخرى وقد تم إجراء اختبار المقابلة له ، وعندما تمت مقابله بمن تجرى له الاختبار قالت له «إنك تهتهة» .

الطبيعى أن معظم الأطفال سوف يتلجلجون إذا قلت لهم «إنى أسجل لكم أحاديثكم» وخاصة إن هذا مهم جداً وبمثابة تقييم لقدرتهم على التحدث . لهذا فإن رضا كان قلقاً كمعظم الأطفال ، وقد أساءت هذه المعلمة المبتدئة توجيه الطفل الذى

كان متحدثًا لبقًا. ولسوء الحظ أن رضا قد حفظ نصائح المعلمة عن ظهر قلب فقد قالت له : «تحدث ببطء لكي تدرك أخطائك وتتحكم فيها».

وقبل بلوغ الطفل عامه الخامس يجب أن نتركه يتهته، و ٩٩٪ من الأطفال سوف يجتازون هذه المرحلة ببساطة، ولكن هذا لايعنى أننا يجب ألا نتحدث إلى خبراء اللغة أو الأطباء النفسيين بخصوص ذلك، فمساعدة الطفل يجب أن تتم في مرحلة مبكرة لضمان نجاحها.

ولو أنه بعد العام الخامس وُجد أن التهته مشكلة لا تزال قائمة، وإذا كانت هذه المشكلة مرتبطة بالمواقف المخيفة والأحداث المحبطة أو كانت مرتبطة بحروف أو كلمات معينة فيجب استشارة الأخصائي النفسى فى هذه الحالة .

أما آثار التهته فهي سيئة، كأن يشعر الطفل بعدم الطمأنينة فى المدرسة أو لايرغب فى المشاركة فى الأنشطة المدرسية ويتجنب التحدث إلى أى شخص منعا للخرج . ونتيجة لذلك فهو يحرص على عدم تكوين صداقات وربما يكون محبطًا بصورة دائمة . وقد تزول هذه الآثار كلما كان علاج المشكلة سريعًا .

إن إجراءات العلاج التى أثبتت نجاحها فى الجدول القادم، ورغم ورود هذه النتائج فى كثير من البحوث إلا أننا يجب ألا نطلع عليها بمجردنا ولابد من تدخل الأخصائي النفسى لتوضيح هذه النتائج .

٤ - تأخير عملية الكلام :

العديد من الآباء يصبحون قلقين بشأن الفترة التى يجب أن يبدأ فيها طفلهم فى الكلام . فالبعض يحاولون دفع أطفالهم للتحدث مبكرًا، لأن هذا بالطبع يعنى لهم أن ابنهم يتمتع بالذكاء ويطلبون العون من الله إذا جاءت مرحلة الكلام عند طفلهم متأخرة فهذا يعنى لهم أن طفلهم سيكون متخلفًا أو بليدًا، وبالطبع هذه الفكرة خاطئة . والجدول بعد القادم يوضح العديد من الأساسيات فى تطور الكلام . ولكن فى الحقيقة أن هذه الأساسيات نسبية نوعًا ما، وقد تظهر عند بعض الأطفال مبكرًا وقد تظهر على البعض الآخر متأخرة وهذا لايعنى أن الطفل حاد الذكاء وبطء الفهم .

يوضح العلاج الأكثر شيوعاً لمشكلة التمتمة

ويحدث عن طريق استرجاع حديث الفرد بالاستماع إليه عن طريق السماعات (الهدفون) وبذلك يمكن سماع الجمل الصحيحة بسرعة بطيئة وتفسير نطق كل كلمة فذلك يمكن أن يعالج التمتمة بطريقة سريعة.

فيمكن للطفل أن يتحدث أثناء ضربات هذا الجهاز. وهذا الجهاز يمكن من خلاله إعطاء مقياس كامل لعدد التمتتات التي تصدر من الأفراد، ويقيس مقدار الطلاقة في التحدث.

يمكن تجنب التمتتة عندما يسأل الفرد أن يعيد قطعة مقروءة بواسطة فرد آخر. في هذه الحالة يمارس الحديث المطلق بطريقة طبيعية.

هذه العملية تعتبر عملية جديدة نوعاً ما. ولكنها منتشرة في التعامل مع التمتتة فيجب تعليم الطفل ما هي المواقف التي تؤدي إلى تمتتته. وبذلك فسيحاول الطفل التغلب على هذه المواقف والتعامل بهدوء مع التوتر المؤدى إلى التمتتة. فمثلاً عليه أن يتوقف عن الكلام لمدة دقيقة ثم يلتقط أنفاسه ببطء وبعثق ويرتب الكلمات قبل النطق بها، معتنيًا بالكلمات الأولى في الجمل. كما أن عليه أن يتحدث لفترات قصيرة. ويتدرب على ذلك في مواقف مختلفة.

(١) تأخير الاستماع للكلام
المسترجع :

(٢) استخدام جهاز المترونوم
: Metronome

(٣) المتابعة :

(٤) التحكم الذاتي :

جدول (٣)

يوضح تطور الكلام عند الطفل

| | |
|---|-------------|
| * المناغاة - تعليم غالبية الأصوات المتحركة. | ٣-٦ أشهر |
| * يمتلك ١٢ صوتًا - يستخدم معظم الأصوات المتحركة وربما تقليد صوت أو صوتين. | ٦-٩ أشهر |
| * يمتلك ٣ كلمات. ويستعمل ١٨ صوتًا أو أكثر ويكرر الأصوات، ويقلد بسهولة. | ١٤-١٥ شهرًا |
| * يمتلك من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ كلمة. يستعمل ٢٢ صوتًا مختلفة. يستخدم حوالي ٧٥ كلمة في الساعة أثناء اللعب الحر، ويستعمل من ٢ : ٣٠ جمل مثل (أنا أريد الطعام) يستخدم بعض الضمائر. | ٢٤ شهرًا |
| * يستعمل ٩٠٠ كلمة في جمل بسيطة، يمكن أن يعيد رقمين أو ثلاثة من الذاكرة ويسأل أسئلة ويبدأ في سرد قصص. | ٣٦ شهرًا |
| * يستعمل ١٥٠٠ كلمة في جمل بمعدل ٥ كلمات في الجملة بمتوسط ٤٠٠ كلمة في الساعة، يعد إلى ٣ ويسمى الألوان، ينسج قصصًا خيالية، والأسئلة تبلغ ذروتها، ويغنى الأغاني، ويعيد الأرقام من الذاكرة. | ٤٨ شهرًا |

٥ - تعريف عملية تأخير الكلام :

كل هذه العمليات التي يقابلها الطفل أقل أهمية من مشاهدة الاتجاه العام في التحسن في عملية الكلام. ففي أثناء الخمسة عشر شهرًا الأولى يجب عليك ملاحظة الزيادة في كمية الكلمات أو الأصوات المختلفة التي يستخدمها الطفل وفيما بين ١٥ - ٤٨ شهرًا يجب عليك أن تساعد في اتساع عدد الكلمات وفي

طول الجمل التي يستعملها. سواء استخدم ٢٥ كلمة أو ٢٥ كلمة في العامين الأولين من حياته. ولكن الذي يعنينا هو هل كلام الطفل يتحسن بمرور الوقت، هل هو يستخدم العديد والعديد من الأصوات من الكلمات أو يستخدم جملاً أطول، فإذا وجدت الطفل يتحسن تدريجياً عندئذ يجب ألا تقلق، فقط يمكن أن تقلق إلى حد ما عندما يبطئ هذا التقدم أو يتوقف لفترة طويلة من الزمن، فيجب أن تهتم بهذا الشأن لاحتمال تأخر مرحلة الكلام.

ووجهة النظر في هذا الشأن أنه نادراً ما يحدث تأخر في مرحلة الكلام عند الأطفال. فقد أثبتت الدراسات أن حوالي ٩٩,٨٪ من الأطفال لن يتعرضوا للتأخر في الكلام فحوالي اثنين من كل ألف طفل يتعرضون لذلك، وعادة الغالبية العظمى من الأطفال تتقدم بسرعة وإن تأخرت بعض الشهور ولكنهم سوف يتعلمون كيفية الكلام وسوف يصبحون طبيعيين بشتى المقاييس.

٦ - متى يصبح التأخر في الكلام مشكلة :

بصفة عامة هناك ملحوظتان كبيرتان على تأخر مرحلة الكلام عند الطفل :

أولاً : العملية الأساسية توضح أن مشكلة تأخر الكلام يجب أن تناقش عندما يبدأ الطفل في استخدام الكلمات عامة، ولو أن الطفل لم يستخدم خمس كلمات على الأقل عندما يبلغ ٢٤ شهراً. فيجب أن يبدأ برنامج تعليم الكلام.

ثانياً : لو أن الطفل مر بعام آخر دون كلام، فيجب عليك استشارة المتخصصين، فالعديد من الأطفال يبدأون في استخدام أول كلماتهم ما بين ١٤ : ١٥ شهراً. وفي سن سنتين يستخدم الأطفال الكلمات بانتظام.

وعموماً : فإن بعض حالات تأخر الكلام تكون نادرة الحدوث، وغالباً إذا بدأ الطفل في ترديد بعض الكلمات فسوف يتخطى العقبة الأولى وسوف يستمر في إحراز التقدم، وفي بعض الحالات قد نجد معدلات بطيئة من التقدم (على سبيل المثال عندما يكون هناك فقدان في السمع أو إعاقة أى خلل في المخ). أو قد يكون بسبب نقص في القدرات اللغوية، وعلى أى حال لو أن الطفل بلغ ١٢ شهراً بدون إحراز أى تقدم لغوى، فيجب اللجوء إلى الأخصائيين لطلب العون.

٧ - ماذا يجب عمله لجعل عملية الكلام عملية ناجحة تماماً :

إنه من المهم أن تعرف أن (الطفل الوحيد) الذى ليس له إخوة أو أخوات والذى يأخذ الكثير من اهتمام الكبار ويحتك بهم، كثيراً ما يصبح ماهراً فى عملية الكلام.

وهناك بعض النماذج التى تعتبر بدون شك أشياء مهمة يمكن أن نزودك بها إن أفضل طريقة لتشجيع الطفل على الكلام هى التحدث الكثير معه أو أن نعطيه الفرصة لى يتكلم، وبأصوات سهلة ومفهومة، ولكن نجد أن الطفل تحدث معظم الوقت بينما الآباء لا يسمعون إليه (فهم يقولون أشياء أخرى ويتحدثون إلى أفراد آخرين). وقد يقاطعون الطفل قبل استكمال حديثه. أو قد يعطونه إجابات غير كافية لأسئلته، وذلك لأنهم قد يكونون ذاهبين إلى أماكن أخرى أو يفعلون أشياء أخرى، بالإضافة إلى أن الآباء قد يقدمون معظم الخدمات للطفل قبل أن يطلب ذلك. ربما لأنهم عادة ما يعلمون بما يفكر فيه الطفل أو ما يريد (مثال : يقولون له أنت جائع)، أو قد يعلمون أنه يريد مساعدة (فيقولون : أنا سأساعدك). ولكن نتيجة ذلك لاتتاح لديه الفرصة ليتكلم ليحصل على ما يريد، فكلامه يُتجاهل، والفرص التى يستطيع فيها الحديث قليلة (فلا تكون هناك فرصة لممارسة الكلمات أو التركيبات اللغوية الجديدة).

فلو أننا بدلا من ذلك استطعنا أن ندرجه على النقاش كل يوم، ونستمع إليه ونعطيه الفرصة لاستكمال حديثه، ونترك له الفرصة لإلقاء الأسئلة، وننصت إلى ما يقوله الطفل، عندئذ سوف نمده بالكثير من الاهتمام لحديثه وإلى استخدامه نماذج جديدة من الكلمات، مما يعطيه الفرصة لممارسة التحدث والتدريب عليه. ويجب أن نمدح الطفل على أى نطق يصدر منه ونشجعه على وضع الكلمات فى جمل، وبهذه الطريقة فإننا لانقدم دوافع مطمئنة فقط للطفل ولكننا نساعد أيضاً على التقدم فى تشكيل وإخراج الجمل الجيدة.

ولو أن الطفل لم يستطع الكلام حتى عامه الثانى ففي هذه الحالة يمكن اعتبارها مشكلة، ولسوء الحظ فإن العديد من المتخصصين بالأطفال وعلماء النفس لم يتخذوا الموضوع بجدية، وقد يتأخرون فى ضوء هذه الحالات، ولا يستطيع أن

أحصى لك عدد الآباء الذين واجهوا هذه المشكلة وقد قيل لهم أن طفلهم لم يستطع تجنبها، وقد واجهوا التشخيص البشع بأن طفلهم سوف يكون معاقاً اجتماعياً وربما عقلياً.

والحقيقة لو أن علماء الكلام بدءوا فى التعامل مع هذه المشكلة مبكراً فسوف يمكن للطفل أن يتقدم ويصل إلى المرحلة الطبيعية، ولكن لو تأخرنا عاماً بعد هذه السن فسوف تصبح المشكلة حقيقية ولن نستطيع التغلب عليها.

خامساً: الخوف

معظم الأطفال لهم مخاوف كثيرة، وحوالى ٤٣٪ من الآباء يهتمون بهذه المشكلة لأن أولادهم يعانون منها. ولكن نجد أن معظم هذه المخاوف تختفى وتحل محلها مخاوف أخرى، وكلما كبر الطفل فإن خياله وتفكيره ينموان فتتولد مخاوف أخرى جديدة، وتختفى غيرها، ويبقى البعض منها.

فكلما نما الطفل يكتشف أن الكلب يمكن أن يعض ويؤذى، أو يمكن أن يتعثر فى الظلام ويقع، أو أنه لا يمكن أن يتنفس تحت الماء، أو أنه يوجد مخلوق غريب بثلاثة عيون أو مصاص للدماء يأتى له فى حلمه.

ويبدو هذا قريباً جداً من الحقيقة عند الأطفال الصغار، وعندما يزداد نموهم أكثر يكتشفون مع ذلك أن الظلام لا يحضر الوحوش ويزداد قربهم من الماء والحيوانات. ويبدأ الطفل فى تحديد ما يجب أن يخاف منه. وبما أن الخوف مشترك عند الأطفال نجد أن (الفوبيا Phobia) ليست كذلك وهى أكثر بكثير من الخوف، والطفولة الطبيعية تتغلب على الخوف بمرور الوقت، أما إذا استمر الخوف أو ازداد فى القوة والرعب والهلع من ريشة تطير مثلاً فهذه هى الفوبيا، ومع أن الفوبيا تكون نادرة فى الأطفال لكن متى تحدث لهم فهى تترك آثاراً جانبية. ومثال ذلك الطفل الذى يخاف من الماء ويرفض أن يشارك الأطفال ألعاب الماء بل ويرفض الاقتراب من حمام السباحة مما يجعله أضحوكة.

ومع ذلك (الفوبيا) يسهل علاجها وخاصة فى الأطفال الصغار ومثال ذلك الطفل الذى زادت عنده تلك المشكلة بسبب المستشفيات والأطباء، فعندما وصل الطفل عمر ثلاث سنوات كسرت قدمه. وفى المستشفى كان يجب أن يمدوا قدمه

باستقامه ليتأكدوا من سلامة العظام ثم تجيئسها وهكذا. كل هذا كان مفيداً في الأسابيع الأولى. وتقول الأم : ولا يمكن أن أنسى أول مابدهوا في مد قدمه باستقامة. بعد أن رآته الممرضة في غرفة الطوارئ، أخذته وتقدمت به قبل جميع المرضى المنتظرين منذ ساعات (وعلمت حيثذ أننا في مأزق)، وسألنا الطبيب أن نمسك بذراعيه لأسفل جيداً، وبدأ الطبيب يشد هنا ويضغط هناك بينما طفلى يتمزق من الصراخ والألم. وكنت أعلم أنه لا يوجد أى فائدة من أن يرى الدموع والعذاب على وجه أبيه. وتستكمل الأم حديثها : ومنذ ذلك الوقت وهذا الطفل أصبح مريضاً بالفوبيا من الممرضات والأطباء والمستشفيات وغرف الطوارئ، وحتى هذه الملابس البيضاء. ولقد اعتقدنا أننا لن نستطيع أبدا التغلب على هذا وكنا متأكدين أن مثل هذه العملية سوف تترك آثاراً من الخوف والرعب فى نفسه. ولكن هذا لم يحدث. وتلا ذلك كثير من العمليات والعلاقات مع الأطباء خارج المستشفى مع اختفاء الخوف.

وبعد أربعة أشهر من خروجنا كان لا بد من دخوله المستشفى مرة أخرى كرهاً. وذلك ليرى أمه وأخته المولودة الجديدة. ولكن عندما حان موعد عودتنا إلى المنزل كان فى أشد الحزن لتركه أمه فى هذه (المستشفى).

ولكننا وجدنا أن هذه الحالة أصبحت أزمة مع ضيق فى النفس عند ذهابنا مرة أخرى لتلك المستشفى لدرجة أن اضطر الأطباء إلى إعطائه دواء ليساعده على التنفس.

١ - ما هو الخوف وما هى الفوبيا ؟

إن الطفل بصفة عامة يكون خائفاً من أى شىء فيبدى رد فعل انفعالى تجاهه ويحاول تجنبه. كل الأطفال تخاف من أشياء وتظهر عليهم صور مختلفة من الخوف. الأطفال الرضع تظهر عليهم علامات فزع مثل أن يغمضوا أعينهم ويتصب قوامهم وظهرهم ويحتمل أن يكونوا وذلك عند سماع صوت عال أو رؤية ضوء مفاجئ. أما الأطفال الأكبر سناً فيظهرون ذلك بالحجل والجبن أو البكاء والاختفاء وراء آبائهم.

مثل هذا الخوف يكون طبيعيًا ولا خوف على الأطفال من المرور بمثل هذه التجارب حتى يتفهموا هذه الأشياء التي تخيفهم، وهذا الخوف يتغير بمرور الوقت وكل خوف يجب أن يقلل من نفسه بالتدريب ويضمحل بمرور الوقت.

عند سن الثمانية أشهر يبدأ الخوف من الغرباء، ويظل هذا الخوف حتى يتم الطفل الثلاث سنوات، والطفل بعد هذا العمر إذا خاف من الغرباء ولا يتحدث إليهم ولا يقترب منهم مهما حاولنا في وجود أبويه فهنا تكون المشكلة.

وإذا زاد الخوف بمرور الوقت يجب علينا أن نتيقن أننا أمام مشكلة أما إذا زاد الخوف بصورة كبيرة يصل إلى درجة الهلع فنسميه هنا (فوبيا).

وقد يسمى الخوف (فوبيا) عندما يخاف الطفل من موقف معين لا يستدعي كل هذا الخوف أولاً يستحق خوفاً على الإطلاق، كأن يسير الطفل بعيداً عن طريقه بعمارتين ليستجنب المرور بجانب الكلب المربوط في الحديقة أو خلف السور. هذا طبعاً غير معقول، أما إذا كان الكلب يجرى وراءه وهو يظهر له أسنانه فهذا الموقف يستحق الخوف فعلاً.

كلنا نخاف ولكن معظم الناس لا يمثل الخوف لهم أى مشكلة، فكلنا نخاف من الثعابين، والطائرات، والارتفاعات والعقارب وهذا كله بالطبع خوف طبيعي ولا يتعارض مع حياتنا اليومية فيمكن للطفل أن يكون خائفاً من الثعابين لكن نادراً ما يقابلها.

أحياناً يكون الخوف غير معقول، فالطفل يخاف من المدرسة جداً، ويرفض الذهاب ويجرى ويدعى المرض ويقف وحيداً داخل المدرسة، وهناك طفل يخاف من القذارة والجراثيم ويقضى وقته في الاغتسال بدلاً من اللعب. وهناك طفل يخاف من المرض.

وإذا كان الخوف يزداد سوءاً بدلاً من أن يقل بمرور الوقت فهنا نسمى هذا الخوف (فوبيا).

شئ طبيعي أن يكون الخوف داخل كل طفل. وقد تلقينا تقارير من الآباء نصفهم يشكو من أن أطفالهم عندهم عدة أنواع من الخوف في مراحل الطفولة المبكرة وتستمر حتى سن ١٢ عاماً.

وفى مرحلة المهد (حتى سن ستة أشهر) يخاف الأطفال من أى صوت أو حركة مفاجئة. ثم بدءاً من ٨ أشهر يتكون عند الأطفال الخوف من الناس، أما ما بين ٩ إلى ٢٤ شهراً فإن الخوف الشائع يكون فى البعد عن الآباء، أو الاختفاء بالملابس، وفى هذه السن يبدأ انزعاج الطفل من الحفاضات المبللة أو غير الناعمة، ويبدأ الآباء فى وضعهم فى الفراش بينما هم لم يناموا بعد. وما بين ٢٤ - ٤٨ شهراً يأتى خوف الأطفال من الأسباب التخيلية الوهمية أكبر من الأسباب الواقعية.

ومن أكثر أنواع الخوف شيوعاً هو الظلام والمخلوقات الوهمية والكلاب والوحدة ولاتندesh إذا رأيت الطفل يتخيل نفسه ذا ثلاث عيون أو يأخذ شكل مخلوق متوحش.

وخلال السنة الخامسة أو السادسة فإن الخوف الشائع يكون من المدرس، والمرض، والنار، والرعد، والبرق، والحشرات والقذارة.

وهناك أنواع كثيرة من الخوف تختفى بسرعة، وهناك أنواع أخرى قد تظل مع الطفل. لذلك يجب العلاج غير الآجل. ويتم نجاح عملية التداخل والتعامل مع مصدر الخوف بعناية فى أكثر من ٨٠٪ من الأطفال المصابين بالفوبيا. وكانت نتيجة العلاج طيبة جداً.

٢ - لماذا تتطور هذه الأنواع من الخوف ؟

التجارب السابقة التى قام بها Pavlov أوضحت أن معظم الطرق لهذا التطور من خلال الاقتتران. فمثلاً إذا أعقبنا كل جرس يسمعه حيوان معين بصدمة كهربية، نجد أن الحيوان بعد فترة يفزع من صوت الجرس. وبنفس الطريقة إذا دأب الآباء على ترك أطفالهم فى الظلام فإن الطفل سيفزع بمجرد وضعه فى الفراش لأن هذا مصحوب دائماً بتركه وحيداً فى الظلام.

وهناك طرق أخرى لتطور حالات الخوف والفوبيا وبعضها يكون مزمناً. وكما نتعلم القيم والأدب والمثل العليا من الآباء والأصدقاء فيمكن أيضاً تعلم الخوف عن طريقهم. فنحن نرى ونسمع ونقرأ عن الحوادث السيئة التى تحدث فى حمامات السباحة، فهناك من غرق أو أصيب أثناء اللعب، فالأطفال يرون ردود

أفعالنا تجاه هذه الأخبار ويلتقطون قلقنا من طريقة تحذيرنا الدائم لهم. فإذا رأى الطفل والدته تضع أصبع قدمها فى الماء ثم ترجع وهى ترتعش من الخوف قائلة «مش ممكن» فلن يسعى الطفل أبداً بالقفز فى المياه.

والمطلوب هنا :

أولا : عدم مناقشة الحوادث المفزعة أمام الأطفال.

ثانياً : عدم إظهار الخوف أمامهم من أى شىء على قدر المستطاع.

٣ - كيفية التعامل مع الخوف :

لكى نتعامل مع الخوف بالطريقة الصحيحة يجب أن نفرق بين نوعين من الخوف :

أولا : أن هناك نوعاً من الخوف يكون عارضاً ووقتياً مثل الاستيقاظ على الكوابيس أثناء الليل.

ثانياً : الخوف الذى يؤرقنا ويستمر معنا، فإن الخوف الذى يستمر ويزداد مع نمو الطفل سيكون له أسوأ الأثر على الطفل.

ففى الحالة الأولى : الخوف وقتى : يجب أن يكون رد فعلنا مريحاً للغاية ومهدئاً لروح الطفل، فإذا خاف الطفل من الكوابيس أو العواصف فإن هذا الخوف سيمر بسلام، لكن السؤال هنا: ماذا يجب أن نفعل فى هذه اللحظة ؟. فهذا ليس عذراً للآباء أن يقولوا هنا «سوف يفهم إذا تركناه وشأنه» ومع أن هذا يكون منطقياً لنا ويكون عكس ذلك بالنسبة للطفل فالطفل يكون خائفاً حقيقة. لذلك من الممكن أن نجلس مع الطفل ونحتضنه ونتكلم معه أو نقرأ له قصة مضحكة ومسلية.

أما النوع الآخر من الخوف فهناك أسلوب يتبع معه، يعتمد على تقسيم الخوف إلى أقسام والتغلب على كل جزء على حدة. فنبداً بأقل المواقف وأخفها فزعاً للطفل حتى نصل تدريجياً لأصعبها وأخطرها. وفى كل مرة نعطي العناية بالكلام والأحضان والتهنئة والتشجيع المستمر، فإذا كان الطفل عصيباً إلى حد ما وهو على بعد عشرة أقدام من حمام السباحة فإننا نتوقف هنا ونبدأ فى الكلام ثم

اللعب بالعرائس واللعب حتى نشعر تمامًا أنه مستريح وفي حالته الطبيعية، ثم نكرر نفس ما حدث من تهدة إذا شعرنا أنه بدأ في الخوف ثانية عندما نقرب خطوة أخرى، في اتجاه حمام السباحة وهكذا في كل خطوة. إن هذا سيأخذ مدة عشرين دقيقة للطفل لكي يسترجع هدوءه. لكن لا بد ألا نتقدم حتى يتم ذلك ولا بد أن نسرف في التشجيع خطوة بخطوة حتى نصل إلى حافة حمام السباحة، وهنا الخطوة الرئيسية، فنجلس على حافة الحمام وندعوه إلى ذلك فإن قاوم فلا نرغمه بل نشجعه بوضع أقدامنا في المياه ونضحك، ثم نضع اللعب إلى آخره وخطوة بخطوة ننزل الحمام ونبدأ اللعب بالمياه ونظهر له استمتاعنا بالمياه ونمسك به لينزل، وهكذا يستطيع الطفل التغلب على خوفه الشديد تجاه المياه. وبالتدريج يتحول الطفل من رافض رفضًا تامًا لرؤية حمام السباحة إلى طفل يتحرق شوقًا للذهاب إلى الحمام والاستمتاع بالسباحة.

سادسًا : سلوك ضرب الرأس بالحائط أو إصابة الطفل لنفسه Head-Banging and self-Injurious Behavior

قليل من الأشياء تدعو للعجب، وأحيانًا الخوف لكن ليس هناك أكثر من أن نرى طفلًا يضرب رأسه في الحائط عمدًا، نعم إن هذا شائع عند الأطفال في مثل سنه، ولكن هذا يختلف عند رؤيته يحدث لطفلك أمام عينيك، ومن المستحيل أن تصدق أن هذا يمكن أن يكون طبيعيًا ولكنه في الحقيقة طبيعي، ومن الشائع أن يحدث مثل هذه الجروح لنفسه، ويحدث هذا في السنتين الأوليين من عمره ومع ذلك فإن ظهور هذا ليس فيه خطورة، ولكن يصعب أن يحدث ذلك أمام عينيك، وعند معظم الأطفال نجد أن هذا يختفى بمرور الوقت.

إن سلوك جرح الطفل لنفسه لايعنى بالضرورة أن يؤذى الطفل نفسه، ولكن في الحقيقة إن هذا نادرًا ما يسبب أضرارًا، ولكن قد يؤذى نفسه بالفعل إذا فعل ذلك بكثرة، والشئ المؤسف في هذا السلوك للطفل نحسه أكثر عندما يصدم رأسه في زاوية المكتب أو سور السلم أو الحائط أو الأرض أو في ظهر كرسي خشبي أو ذراعه، أو أن يعض إحدى شفثيه أو يكسر إحدى أسنانه، و يعض لسانه مما قد يسبب له الالتهابات والإصابات.

وبالنسبة للأطفال حتى ١٨ شهراً فهذا يتكرر كثيراً ويتصميم قليل، أما الأطفال من سنتين إلى ٦ سنوات فقد يسبب هذا السلوك لهم مشاكل كبيرة، وهذا يحتاج للرعاية والاهتمام.

وغالباً ما يظهر السلوك عند سن ١٢ شهراً، ويظل حتى سن سنتين، فقد يمكن أن يستمر هذا لأيام، أو لأسابيع، أو شهور، أو حتى سنة أو سنتين، فلا توجد قاعدة ثابتة له.

إن عملية كسر الأسنان تكون لدى ما نسبته ٥٦٪ من الأطفال، أما خبط الرأس أو العض أو الخربشة أو شد الشعر فهذا يحدث بنسبة تتراوح بين ٣٪ إلى ١٥٪ تحت سن سنتين، وهذا يكون للذكور أكثر من الإناث ثلاث أو أربع مرات، وعموماً فإن هناك فرصة كبيرة لحدوث هذا السلوك للطفل الطبيعي. وفي نفس الوقت إنه من النادر جداً أن يسبب هذا السلوك أى جروح أو أذى للطفل تحت سن سنتين، وأن هذا يقل بالفعل حتى يتلاشى.

إن هذا السلوك يبدأ فى هذه السن الصغيرة ليكون ما يسمى بـ «الإثارة الذاتية Self-Stimulation» وهذا يعنى أن الطفل يشير نفسه ليفعل شيئاً أو يشعر بشيء يريد أن يكتشفه. ثم إن ضرب الرأس فى الحائط يُشبع هذه الرغبة القوية لديه، وذلك بالنسبة للحركة نفسها التى دائماً ما تكون منتظمة وتعطى شعوراً بالسعادة لما يسمعه الطفل من أصوات تناظر ما يقوم بفعله.

بينما هذا الصوت قد يعطى شعوراً بالقلق غير مرغوب فيه لى ولك، لكن يجب أن نتذكر أننا نتحدث عن طفل لا يستطيع أن يكتشف البيئة المحيطة به عند تركه بمفرده فى فراشه، فهناك وقت محدد للفراش أو لتركه بمفرده أثناء الليل. فبعد أن يمل الأطفال مص الأصابع والرفس بالأرجل ومتابعة الأشياء المتحركة فإنهم سيقدمون على فعل آخر كضرب الرأس فى الحائط أو الخربشة والعض.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال نادراً ما يقومون بضرب رأسهم عندما يحملهم أحد أو يلعب معهم، إن ضرب الرأس فى الحائط ليس صفة حميدة ولكن يبدو أنه شيء اعتاد الأطفال فعله عندما لا يجدون أى شيء آخر يفعلونه. وفى الحقيقة أن هذا السلوك لا يحدث بالدرجة الكافية التى قد تؤدى إلى الأذى، أما

السبب الثانى لهذا السلوك فهو جذب الانتباه . فإنه قد يحدث أولاً بمحض الصدفة أو كجزء من انفعالات الغضب . وعندما يكون الطفل فى حالة من الضيق أو الجوع فيقوم بضرب يديه أو رأسه فى ظهر الكرسي ، ولكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ الأم ستسرع بإحضار الطعام ومحاولة التهدئة والتحدث برفق لتهدئ من روعه فسرعان ما يتعلم الطفل أن هناك شيئاً جميلاً يحدث بعد ضرب رأسه ، فإن ذلك يجعل من حوله يسرعون إليه ، يتحدثون معه ويلعبون معه ويحتضنونه ، ونتيجة ذلك أن الطفل قد يكرر هذا الفعل عندما يتأخر عليه الطعام أو عندما لا يجد من يحتضنه .

١ - متى تكون المشكلة ؟

هناك على الأقل ٣ مواقف تحتاج إلى تدخل مع العلم أنهما نادراً ما تحدث :

١ - إذا استمر هذا السلوك بعد سن سنتين .

٢ - أن يستخدم هذا السلوك كلما أراد الطفل شيئاً فى نفس اللحظة (الطعام - اللعبة ... إلخ) .

٣ - عندما يكون هناك خطر على الطفل فى أى سن أو فى أى وقت ، و مع ذلك فإن حدوث هذا لا يستدعى القلق خلال أول سنتين من العمر .

٢ - ما يجب أن نفعله :

إن رد فعلنا يجب أن يختلف تجاه هذه الحوادث ، ففي حالة جرح الطفل نفسه بشكل منتظم من سن ٤ إلى ١٨ شهراً فإن هناك طريقتين من الاحتياطات يمكن أن نتبعهما :

الأولى : نحمى الطفل من الأذى أو الخطر بحشو المقاعد والأسرة الصلبة ببطانة تمتص الصدمات ، وبالنسبة للخريشة فنحرص على قص الأظافر دائماً أو نلبسه قبعة على رأسه فى حالة شد الشعر .

الثانية : أن نحاول التقرب إلى الطفل دائماً بحمله أو احتضانه أو النوم بجانبه أو هزه لينام حيث إن هذه العادة تتوقف تماماً بهذا التقرب .

وإذا كان الطفل يضرب رأسه بغرض الانتباه أو لتنفيذ طلباته فإن ذلك يسبب مشكلة إلى حد ما فى حالة عدم توقف ذلك ، وقد يستمر الطفل فى استخدامه

ليحصل على كل ما يريده (حلوى، لعب ... إلخ) و يتتعد عن كل ما لا يريده (النظافة - الذهاب إلى الفراش - تعاطى الدواء ... إلخ). إن هذا يحدث غالباً بعد سن ١٨ شهراً لكن لا بد أن يتوقف، وكلما كان أسرع كان أفضل.

كيف نستطيع أن نقول أن هذا نوع من التظاهر ؟ هناك الكثير لكى نقوله، فإذا حدث هذا كجزء من الغضب فإن ذلك يكون مصحوباً بالرفس والصياح والسقوط على الأرض، وهذا عادة ما يكون تظاهراً وتمثيلاً. وإذا كنت تعلم أن الطفل يريد شيئاً كالطعام أو اللعب أو ما شابه ذلك فإن هذا من الخداع أيضاً، وإذا حدث هذا فقط عندما تترك الحجرة (وهذا يزعجه جداً) وعندما يقطع العمل الممتع الذى كان يفعله، أو عندما لا يستطيع أن يحصل على ما يريد، فكل هذا يعتبر من قبيل التظاهر. فإذا كثر حدوث ذلك وصاحبه صياح وصوت عال وبكاء فإن هذا يعتبر تمثيلاً أيضاً (تذكر أن الإثارة الذاتية لا يصحبها أى بكاء أو صياح أو غضب، ولكنها تحدث بانتظام وبتكرار وبهدوء).

إنه من الشائع بين الأطفال أن يحاولوا إصابة أنفسهم ليحصلوا على ما يريدون، حتى ما بعد سن الستين، ويكون هذا مؤقتاً فعلاً إذا تعاملنا معه بالطريقة الصحيحة، ولكنه يكون مفرعاً، فأحد الأطفال فى سن ٣ سنوات بدأ فى ضرب رأسه بشدة للخلف فى شىء وكان هذا هو المقعد واعتقدنا أنه ربما أن يكون نوعاً من اللعب ولكن بعد ذلك بدأ يضرب رأسه فى الحائط ثم الأرض ويفعل ذلك عندما يغضب أو عندما يريد أيّاً من أبويه يلعب معه. وبتحليل نتائج البحوث حول كيفية التعامل مع هذا النوع من السلوك فقد أكدت جميعها نفس المفاهيم.

أولاً : أن خطورة هذا السلوك لا يمكن أن يكون سبباً فى تلبية رغبة الطفل.

ثانياً : أن الطفل يجب أن يتعلم الطرق السليمة لكى يحصل على ما يريد.

ثالثاً : يجب أن نعمل مجهوداً خاصاً لكى نشبع نشاط الطفل باللعب معه وتعليمه ألعاباً جديدة ونقرأ له القصص، وأن نقضى معه وقتاً أكبر نشعره فيه بالمتعة، فإذا حدث هذا بتركيز واهتمام فإننا سوف نقلل من حدوث هذا السلوك.

إن الباحثين قد أضافوا بعضاً من العقاب إلى الخطة، وقد أثبت هذا نجاحه (مع حدوثه فى نفس الوقت الخطأ) والآن نعود إلى حديث خطوات التعامل مع أذى الطفل لنفسه بقليل من التفصيل.

إنه لشيء أساسى أن يتعلم الطفل أن ضربه لرأسه أو عضه ذراعه لن يفيدته فى شيء، وإذا قمت بتلبية رغبته إذا فعل ذلك فسوف يتعلم أن هذه الطريقة فعالة للحصول على ما يريد، وإذا استسلمنا لسلوكه يزداد الأمر سوءاً ونجعل من الصعب علاجه فيما بعد، وكما ناقشنا من قبل أن المهم هو أن نعرف لماذا يفعل الطفل ذلك لتتخلص منه، فإذا كان يريد لعبة يلعب بها أو أحد والديه يلعب معه، أو قطعة حلوى، أو مشاهدة التلفزيون، فوضع أيدينا على المشكلة يساعدنا فى تعليمه الطريقة الصحيحة لطلبها ولانحاول ذلك بعد حدوث هذا السلوك مباشرة (لكى لايعتقد أنه فى النهاية أيضاً وباستخدامه العض أو الخبط سيحصل على ما يريد) ولكن بعدها بحوالى ١٥ دقيقة نأخذها إلى حجرته ونعلمه أن يقول : «اللعبة من فضلك» وعندما يفعل ذلك نعطيهها له (وهكذا بالنسبة للتلفزيون والحلوى)، وتكرر العملية لأيام عديدة، والغرض هنا طبعاً تعليمه طرق التعبير عن رغبته، ولا ننسى أن نعطيه ما يريد فى كل مرة كي نجعله يشعر بنجاحه فى ذلك، وعندما يعتاد على عمل ذلك بلطف وأدب نتوقف عن تلبية رغباته، فمثلاً إذا أراد الطفل قطعة من الحلوى قبل الغذاء فنقول له: «حاضر ولكن بعد الغذاء» إنه الآن لم يقابل بالفرض ولكنه كوفىء بدبلوماسية قد يرحب بها كثير من الأطفال حتى لو رُفِض طلبه .

والشيء الثالث المهم فى هذا الموضوع هو إشباعنا لطاقة الطفل ونشاطه عندما لايفعل هذا الفعل السيئ، إن ذلك سيساعدنا لأسباب عديدة. منها إذا كان عندنا كثير من الألعاب المسلية فسيقلل ذلك من هذا السلوك ربما يمنعه تماماً لأن وقت اللعب والمتعة ينتهى إذا حدث الضرب للرأس أو شد للشعر أو خربشة فى نفس الوقت، وإذا كان هناك مايشغله ويسلى به وقته كالألعاب أو الأصدقاء أو والديه. فلن يكون هناك سبب لكى يلجأ إلى هذا السلوك والتخلص منه سيكون أكثر سهولة، وفى الحالات النادرة عندما يؤذى الطفل نفسه بالفعل أو لم تفلح معه الطرق السابقة لتغيير هذا السلوك فإننا نضيف قليلاً من التعديل إلى الخطة، وكما ناقشنا من قبل الصواب والخطأ فى كيفية العقاب، كمثال أن التوبيخ القاسى قد يستخدم بجذب الطفل من كلتا ذراعيه والحملقة فى عينيه وجعل وجهك ملاصقاً لوجهه وفى منتهى الصرامة قائلاً بكل حزم «لا» وربما تضيف صفعة على يديه فى حالة عض اليدين أو إصابة نفسه .

٣ - متى نطلب المساعدة ؟

إذا لم ينته هذا السلوك بعد سن السنتين وحتى بعد استخدام العقاب فلأسف لن يكون أمامك إلا استشارة أخصائي نفسى ، قد يمكن مناقشة نظامك ومشكلتك معه . وما الخطأ وما الصواب الذى يحدث فى الخطوة التى تتبعها وأفضل أن يكون الأخصائى من المتخصصين فى الأطفال .

سابعاً :سلوك عدم الطاعة والاعتراض

Noncompliance and Oppositional Behavior

إننى لا أستطيع أن أتخيل أن هناك شيئاً يعكر الوالدين ويضايقهم أكثر من عدم طاعة أطفالهم لهم ، «خالد انتظر لحظة .. حبيبى خالد إنتظر .. خالد إنتظر عندك .. إنتظر حالا .. تعال هنا الآن» .

ومع الأمر الثالث تقريباً تبدأ الأم فى الانفعال والتحرك ، ومع الأمر السادس تركض وراء طفلها الذى قارب على أن يختفى قائلة «هذه المرة سوف أقتله» هذا القول يبدو مألوفاً لأنه يحدث لكل منا (ولكنه غير مقبول) والطفولة مليئة بالطباع العادية وغير العادية .

تعد طاعة الطفل هى المطلب الرئيسى للآباء ، فمعظم شكاوى الآباء تدور حول عدم طاعة أطفالهم لهم ، والفرصة هنا جيدة لكى نعلم أنه عند نقطة معينة ستصبح مشكلتك أنت أيضاً ، فالأطفال يتعلمون كيف يمارسون هذه المهارة التى تحرك الناس خلفهم وتؤثر عليهم ومدى تأثير ذلك ، ومعرفة إلى أى مدى يجب أن يفعلوه ، وتلك هى طبيعة الأطفال .. وإذا لم يكن هناك مفر من عدم الطاعة فيجب ألا نرغم الطفل على ذلك ، فلا يستحب أن يطيع الطفل معظم الوقت لأننا بتقليل نسبة عدم طاعته قد نجعله مطيعاً لأى شخص (حتى الغرباء) ومنفذاً لجميع الأوامر الصادرة له (حتى ممن هم فى مثل سنه) . إننا لا يجب أن نتمادى فى إرغام الطفل على الطاعة باستمرار ، فقليل من عدم الطاعة يجب أن يحدث ولكن لا بد أن يحتفظ الآباء بحقهم فى طاعة الطفل لهم إذا احتاجوا ذلك .

وإذا كانت الطاعة تعنى أن يفعل الطفل ما يُطلب منه وعدم الطاعة تعنى عدم فعله ذلك يبقى الأمر أكثر تعقيدا عند التدخل الخاطئ. إننا نريد أن يبدأ الطفل فى التنفيذ بعد فترة معقولة، من ١٠ إلى ٢٠ ثانية مثلا ليس بعد ساعتين . كما أننا نفضل أن يكون الأمر مرة واحدة فقط، وبعض الآباء يتوقعون الاستجابة فى جميع المواقف كالطلبات، الأوامر، الأسئلة، الاقتراحات والتعليمات.

إن هذا سيكون غير منطقي حدوثه، ومع ذلك فلنأخذنا يجب أن نحصل على استجابة كاملة (١٠٠٪) للأوامر فلن تصبح أوامر إلا لأهميتها القصوى. ثم أننا يمكن أن نجعل بعضاً من عدم الطاعة (حرية رأى) فى حالة الاقتراحات مثل «مارأيك لو لعبنا بالمكعبات» أو الأسئلة هل تريد أن تأكل الآن؟» أو فى حالة الطلبات «يمكن أن تحضر لى ساعتى من فضلك؟».

إذن فالمغالاة فى إجبار الطفل على الاستجابة لهذه الرغبات ليس فى مصلحة الطفل وإنما فى مصلحة الآباء فقط، وقد يؤثر على الطفل فيما بعد.

والملاحظة الأخيرة أننا نذكر الفرق بين عدم الطاعة والاعتراض لأنهما فى الحقيقة متشابهان جدا ويتم التعامل معهما بنفس الطريقة، فقط الاختلاف الوحيد هو أن عدم الطاعة عبارة عن عدم تنفيذ الطفل لطلباتك، أما السلوك الاعتراضى أكثر تطرفا فهو لن يقوم برفض طلباتك وإنما قد يقوم بعض أنفك أيضا أو عمل عكس ما قد تطلبه منه، إذن فالاعتراض هو حالة متطورة من حالات عدم الطاعة.

لقد وجد أن المعدل الطبيعى للطاعة من ٦٠٪ إلى ٨٠٪ (ولذلك فإن عدم الطاعة يكون معدله من ٢٠٪ إلى ٤٠٪) ولم تجد الدراسات أى اختلاف بين الأولاد والبنات، ولم يوجد أيضا أى اختلاف بين الآباء والأمهات تجاه عدم الطاعة.

إن الطاعة يجب أن تزداد بعد سن الخامسة إلى النقطة التى عندها يصبح عدم الطاعة ليس ذا أهمية . وبينما مستوى الطاعة خلال السنوات الثلاث الأولى من العمر لا يدل على ماسوف يحدث فى السنوات التالية لكن الطاعة فى سن

الثالثة إلى السادسة وجد أنها تتعلق بالطاعة فيما بعد (أى من السادسة حتى الأربعين) وإضافة إلى ذلك فإن زيادة مستوى عدم الطاعة من الثالثة حتى السادسة يعتبر من المشاكل السلوكية التى تؤثر على الطفل فيما بعد .

لقد توصلت الدراسات إلى أن هناك علاقة بين عدم الطاعة وبقية المشاكل السلوكية الأخرى، ومثال على ذلك فإن زيادة عدم الطاعة دائما ماتكون مصحوبة بالغضب والبكاء .

والآباء لا يثنون على الأطفال عند طاعتهم والنسبة التى تفعل ذلك لاتزيد عن ٣٠٪ . فبعض الآباء يتوقعون مجرد الطاعة من أطفالهم، وإن ذلك لا يستحق أى ثناء خاص، أما البعض الآخر فلا يلاحظون تلك الطاعة بين كل هذا الكم من التعليمات الموجهة لأطفالهم خلال اليوم أو حتى لم يخطر على بالهم مجرد الثناء عليهم .

وفى معظم الأحيان تزداد الطاعة بالرغم من غياب الثناء، ولكن وجد أنه يجب على الآباء أن يستخدموا أسلوب الثناء على أطفالهم عند حدوث الطاعة مع أنه فى بعض الأحيان تقل الطاعة عند استخدام الآباء للثناء الزائد عن قيمة ماطلب تنفيذه .

وبعض الآباء لا يمهلون أطفالهم لكى يطيعوا ولايساعدونهم فى ذلك عند إصدارهم الأوامر أو خلال ثوان من الأمر فهذا خطأ . لأن ذلك يعلم الطفل أن هناك شخصا سوف ينفذ الأمر بدلا منه، والبعض الآخر من الآباء يستخدمون الصياح أو الغضب أو التهديد مع الأوامر ليحصلوا على الطاعة . وقد يصاحب ذلك عدد أكبر من الأوامر مما يؤدى إلى زيادة عدم الطاعة وسلبية فى رد الفعل .

وفى النهاية نجد أن الآباء غالبا مايتحملون أو يتسامحون مع عدم الطاعة حتى سن الخامسة لذلك نجد أنه بعد سن الخامسة يصبح الآباء أكثر صرامة، ربما لأن سن دخول المدرسة قد حان وتكون الأوامر والتعليمات المعقدة والكثيرة التى يجب أن يبدأ بها فى المنزل . فلا يوجد شىء يجعل رفاق الطفل والمدرس ينفرون منه أكثر من عدم الطاعة وعدم التعاون والمشاركة .

ومع كل ما قيل يبقى سؤال هام، لماذا لا يستجيب الأطفال بصفة دائمة؟ إن هذا بالطبع سوف يقلل من قدر الاحترام والاهتمام والثناء عليهم من الأب والأم، وعدم الطاعة عادة ما تمدهم بالمساعدة. إن الإجابة هنا بسيطة جداً فعند معظم الأطفال روابط معينة تربطهم بوالديهم، والأطفال يتعلمون أنه من المهم أن ينصتوا والآباء بالفطرة يعتادون ويشنون على تحقيقهم ذلك، ويبدأ هذا من اليوم الذي تطعم فيه الأم ابنها الجائع. والأبناء يتعلمون بسرعة أن تنفيذ رغباتهم يكون عن طريق آبائهم ويعتمدون عليهم في كل شيء، وبالتالي فليس من الحكمة أن يجعلوا آباءهم في حالة من الضيق والغضب منهم ولكن هذا يحدث بطريقة أوتوماتيكية حيث يهتم الآباء ويعتنون بأبنائهم وفي المقابل ينصت الابن ويتعاون مع أبيه وهذا يدفعنا إلى أن نربط بين عدم الطاعة وبين التغير في رد فعل الآباء أيضاً.

١ - عدم استجابة الأطفال :

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لعدم استجابة الطفل :

أولاً : إذا كانوا يحبون ما يفعلون ومنهمكين في الاستمتاع به، ففي هذه اللحظة سوف يرفضون أن يقاطعهم أحد (مثال : عندما أنادى على الطفل «هيا إلى الغذاء» وهو مستغرق في اللعب مع أصدقائه).

ثانياً : ربما كان الطفل لا يحب ما يطلب منه أن يفعله كالذهاب إلى الدكتور أو عيادة الأسنان أو الحمام أو النوم أو أخذ الدواء. كل هذه الأشياء مطالب شائعة يرفض الأطفال عامة الاستجابة لها.

ثالثاً : أن يرى الطفل أعلى رد فعل من أبيه أو أمه لكي يستمتع بالنظر إلى عيونهم يتطاير منها الشرر، ويستمتع إلى صوت الضغط على أسنانهم ومراقبتهم في هذه الحالة من الضيق والغضب فقد يعطى هذا للطفل تعبيراً عن الاهتمام به.

إنه لمن الطبيعي ألا يستجيب الطفل في اللحظة التي يسعد فيها بلعبة فقد يصل به الأمر إلى درجة من الغيظ أن يقول أبواه «هذا هو وقت الطعام اذهب إلى المائدة» فمن الطبيعي عندئذ أن يهمل الطفل هذا الأمر ويتنظر ليرى ما سيحدث قائلاً : «أرجوك دقيقة واحدة» أو «كلاً أنا أريد اللعب» أو يكون ذهابه إلى المائدة

مصحوبا بالبكاء والصياح والرفس ، فقد أصبح الآن تفضيل اللعب على الطعام هو مبعث السعادة لدى الأطفال ، وسنبحث فيما بعد كيفية علاج ذلك .

إن لعدم الطاعة إستراتيجية واحدة ليست أكثر ولا أقل ، فإذا نجحت فسوف تستخدم بكثرة ويزداد ما يصاحبها من الغضب والصياح والبكاء . والأدهى من ذلك هو أسباب عدم طاعة الطفل «أنا لست جائعاً» «أنا انتهيت من الإفطار متأخراً» «أنا لا أستطيع أن أخرج في الشمس فهي تضايقني» كل هذه الأسباب التي يقولها الطفل قد تجعلنا مترددين وفي حيرة ونساءل إذا كنا نفعل الشيء الصحيح أم لا .

ومع ذلك فقد أوضح لنا باحث كبير هو Gerald Patterson أن الطفل يتعلم كيف يصبح أكثر اعتراضا وسلبية بغرض إيقاف أوامر والديه . والآباء بدورهم يصبحون أكثر إجباراً وتهديدا للطفل في محاولة للقضاء على هذه السلبية ومن ثم فإن الطفل قد يزيد من صياحه لتقليل هذه الأوامر من قبل والديه .

وإذا استسلم الآباء فإن الأطفال سرعان ما يتعلمون أنه بالتصميم على ما يفعلون تجاه المزيد من الأوامر - حتى عند استخدام العنف - فسيكون الفوز من نصيبهم . أما الآباء فقد يقعون بسهولة فريسة لهذه الحيل ، وباختصار فإن عدم الاستجابة أمر طبيعي ومتوقع حدوثه بأكثر من شكل ويصاحبه تصرفات عديدة كالاعتراض والبكاء والغضب .. إلخ .

وليس المهم حدوث ذلك أم لا ، ولكن المهم هو طول المدة التي يستمر الطفل خلالها في اتباع تلك الإستراتيجية بنجاح للحصول على مايريده .

٢ - متى يكون ذلك مشكلة؟

بالنسبة للسنتين الأوليين من عمر الطفل فإن القلق لايساور علماء النفس أما من سن الثالثة إلى السادسة فقد يصبح عدم الطاعة مشكلة إلى حدما ، لأن الطفل يستخدم طريقته ويعتاد عليها فرمما يحصل على المزيد من الاهتمام ورد الفعل المناسب .

هناك موقفان خلال الفترة من الثالثة إلى السادسة يظهر فيها بوضوح مشكلة عدم الطاعة : الموقف الأول هو أن حدوث الطاعة عند الطفل يكون بنسبة ٦٠٪ إلى ٨٠٪ من الوقت فإذا كانت الاستجابة أقل من ذلك فيتحتم علينا فعل شيء .

والموقف الثانى أننا يجب أن نؤكد على الطاعة لأوامرنا، ولا يشترط ذلك فى الطلبات والاقتراحات أو الأسئلة، لأنه إذا لم ينصت الطفل فى حالة الضرورة أو الخطر فيجب أن نعلمه ذلك.

٣ - تعليم الطاعة :

عامة نحن بصدد تعليم ثلاثة أشياء :

أولاً : الاستجابة المصحوبة بالتقدير والمكافأة والثناء .

ثانياً : عدم الطاعة ليست مشكلة .

ثالثاً : فى حالة الأوامر يجب أن يستجيب الطفل دائماً بدون تفكير .

وأيضاً سوف نلقى النظر على سلوكنا الخاص، فيجب أن يكون الأمر ملزماً ولا نستخدم الأسئلة والاقتراحات بين وقت وآخر عندما لا يكون ذلك واجب التنفيذ. سوف نلقى الضوء بعناية على مانصده من أوامر وتعليمات، هل نكثر من إصدارها؟ هل بعض مانأمر به لايهمنا إذا لم يستجب الطفل له، وماذا كنا نعنى من صدوره؟ هل نقوم بكثير من التصرفات السلبية مع ذلك - الغضب - الصياح .. إلخ. أو نعيد تكرار الأمر مرات عديدة؟ إذا كان هذا يحدث فنحن ببساطة يجب علينا الحد من ذلك فسوف لن يفيدنا على أى حال. وباختصار لا يجب أن نقوم بإصدار الأوامر إذا لم يكن إصدارها مهماً بدرجة كافية وإذا لم تهتم باستجابة الطفل للأمر فهذا سوف يكون تحت مسمى السؤال وليس الأمر.

مثلاً: هل تود أن تأكل الآن؟ بدلاً من «اذهب إلى المنضدة لتأكل» و«هل تحب أن تخرج معنا» بدلاً من «ارتد لتخرج الآن» وهنا ندع للطفل الفرصة ليقول نعم أو لا.

والآن وبعد أن تعرضنا للأوامر ستعرض معاً للطرق التى يجب أن نتبعها لكى نعطى الطفل حرية الاختيار كلما أمكن ذلك، لأن هذا سوف يساعده على الاستعداد للتغيير فى الأسلوب بين الاختيار والأمر، فبدلاً من أن نقول «حان وقت الغذاء اذهب لتأكل» يمكن أن تكون «هل تريد أن تأكل الآن أم بعد خمس دقائق؟ حسناً . فلنجعلها الساعة التاسعة» وعندما تدق الساعة التاسعة «الساعة

الآن التاسعة اذهب إلى المنضدة» إذا لم يستجب لهذا الأمر فيجب إعطاؤه إنذارا واحدا (واحدا فقط) . «إذا لم تذهب إلى السرير الآن ستحرم من قصة قبل النوم، والآن سوف أعد واحد - اثنين - ثلاثة» إذا لم يتراجع الطفل ويستجيب يتم حمله إلى الحجرة بدون نقاش وبدون قصص ويلقى فى الفراش .

إنك بدون شك عندما تحمله إلى الفراش سوف تقابل بعاصفة من الرفس والصياح ثم البكاء بشدة، وهذا سوف يحطم قلوبنا ونحن نسمعه ولكن الأمر الذى نعطيه أهم من هذا (وإلا ماكان يجب أن نفعله أساسا) .

هناك أمور فرعية هامة تتعلق بهذا الموضوع :

أولا: لقد أئذرناه وهذا الإنذار مهم جدا فرما ينتج عنه استجابته مسبقه بدون الحاجة للبكاء والرفس والصياح، إنه يواجه الطفل بالحقيقة التى ستنتهى به فى النهاية إلى فعل الشئ كما يريد أبواه. إذن فبعد حمله مرات قليلة إلى الفراش رغما عنه سوف لا يكون عليك إلا أن تعد فقط «واحد - اثنين» لتجد الطفل يترك ما فى يديه وينفذ المطلوب .

أما الأمر الثانى المهم فى هذا الشأن فهو حمل الطفل إلى حجرة النوم (ثم يتبع ذلك إلقاؤه فى الفراش) هذا أساسى لأنه سيتعلم أنه لن يجدى أى سلوك اعتراضى لكى يؤخر أو يمنع الأمر من التنفيذ. فإذا حان وقت الذهاب إلى المدرسة فإننا نلبسه الجاكييت المدرسى ونأخذه من يده (أو حمله إذا استدعى الأمر) فيؤخذ الطفل إلى السيارة. وإذا كان هذا هو وقت الطعام فيؤخذ الطفل إلى المنضدة ويظل هناك حتى يأكل أى شئ (لاحظ أن شهية الطفل تقل عندما يكون غضبان) لكن على الأقل يجب أن يأكل أى شئ لمجرد تعليمه أن الاعتراض لن يخدم غرضه بالامتناع عن الأكل .

الأمر الثالث المتعلق بهذا المثل هو أن تقول للطفل أنك لن تقرأ له قصة قبل النوم إذا لم يذهب إلى الفراش. إن الطفل يجب أن يتعلم أن هناك ثمنا يدفع لعدم استجابته ولكن لابد أن يكون هذا الثمن حقيقيا فإذا لم تكن قراءة قصص قبل النوم جزءا من الروتين الذى يتبع عند الذهاب للنوم فسوف لايشكل هذا خسارة للطفل أن يفقدها، وفى هذه الحالة يجب البحث عن ثمن آخر، مثلا لن ينام الدب البنى المفضل لديه بجواره أو أى لعبة يحبها .

إن الأنواع الأخرى من عدم الاستجابة تعامل بنفس الطريقة . إن ابنى يفرغ الصندوق تلو الآخر من اللعب على الأرض ولا يتعب نفسه بتنظيف المكان . فنحن نطلب منه أن ينظف مكان الصندوق الأول قبل أن يبدأ باللعب بالصندوق الآخر . بالطبع لن نلجأ لأن نقول أننا سنحرمه من قصة قبل النوم لأن ذلك سيكون معيبا ومتأخرا جدا . فنحن نريد شيئا لحظيا سريعا فيمكن أن نقول له : «إذا لم تلم المكعبات فلن تلعب بالبلى» فلنفعل ذلك مرتين أو ثلاثا وفى كل مرة نصر على تنظيف المكان أولا ولا مانع لو أننا قمنا بمساعدته أو نأخذ منه كل اللعب لمدة عشر دقائق لكى يتأكد من جدية هذا التهديد .

عند حدوث عدم الاستجابة فليس هناك وقت للشرح والتهديئة أو حتى المناقشة فإن الطفل يريد ذلك بغرض زيادة فى الاهتمام والانتباه له بأى طريقة لكن الرسالة الموجهة له يجب أن تكون واضحة وصريحة .

شئ آخر حول التعامل مع عدم الطاعة : إننا يجب أن نبذل مجهودا خاصا للثناء على الطفل وتشجيع روح التعاون عنده . فمن السهل أن نعتقد أنه لايد أن يفعل ذلك . فلماذا لا أكون ممتنا له ، هذا الاعتقاد لن يجدى ، حتى الآباء الذين اعتادوا على أن يثنوا على أطفالهم بشدة عندما يفعلون أى شئ جيد ، فهم لا يلاحظون ذلك . ومن الإحصائيات كما أشرنا وجد أن الآباء الذين يثنون على أطفالهم عند الطاعة تبلغ نسبتهم ٣٠٪ .

إذن أول مايجب أن نفعله هو زيادة هذه النسبة إلى ٩٠٪ أو ١٠٠٪ والسبب بسيط ، وهو أنه لا يوجد حافز للطفل على الاستجابة أكثر من أن تحمله فى حب وتقول له «برافو عليك يا حبيبى إننى فخور بك فعلا» ، وليس بالإنداز فقط لنجعل الرسالة الموجهة له هى ترغيبه فى عمل ما وليس ترهيبه .

٤ - الإفراط فى الطاعة من جانب الطفل:

بينما يكون عدم الطاعة من الأشياء التى تقلق الآباء فإننا يجب أن نكون حريصين على التفرقة بين الطاعة اللازمة لصحة وسلامة الأبناء وبين الطاعة لمجرد الطاعة فقط . وفى بعض الأوقات نجد أننا نطلب من الأطفال فعل أشياء ليست من الأهمية بمكان أو لمجرد أنها مناسبة لها «هيا نلعب بالمكعبات الآن» ألق هذا الشئ

فى صندوق القمامة» احضر لى كوبا من الماء» ولكى تطالبه بالطاعة لكل طلب أو سؤال فإن ذلك فى إساءة للتعامل معه وسوف يؤثر عليه بشدة فىما بعد.

فإذا أصبح الطفل مفرطاً فى الطاعة فسيعتقد أن الطاعة شىء جميل وطيب ومن ثم فإنه سيطيع كل من حوله حتى الأغراب، وهذا مالا يجب أن يراه الآباء، والأخطر من ذلك أن الإفراط فى الطاعة يمكن أن تكون للطلبات غير المعقولة، وغالباً ماتكون من الأصدقاء فى مثل سنه فإن معظم الأطفال لايقبلون أن تؤخذ منهم لعبهم أو يتعرضوا لأى أذى دون أن يدافعوا عن أنفسهم لكن المفرط فى الطاعة يفعل ذلك. وإذا كان هناك أحد يطيع بدرجة ١٠٠٪ فلن تكون عنده المقدرة على التفرقة بين الحقوق الاجتماعية له وبين الخطأ منها.

أحد أبحاث Stanley Milgram فى جامعة ستانفورد أظهرت أن الطلبة الأمريكيين بالجامعات يطيعون عندما يطالبون بأن يصدمو طالبا آخر معهم صدمة كهربية (بعيداً عن مستوى الخطر طبعا) مادام هذا الأمر من المدرس الذى يقف معهم فى المعمل، وحتى لورأوا الضحية تنزف من الألم.

قد تظن لأول وهلة أن هذا المثل مرحلة غير التى نتحدث فيها ولكن فى الحقيقة أنه يتعلق بالموضوع تماما فهو يظهر لنا أن الإفراط فى الطاعة أو عدم الطاعة هما وجهان لعملة واحدة سيئة وهى الضرر بصحة وسلامة الطفل.

نحن نستخدم الأوامر ونطالب بالاستجابة لكل الأوامر. وهناك مفهومان مهمان جدا يجب ألا ننساها:

أولا: عندما تكون الاستجابة مطلوبة ومهمة فيجب أن نعطى التعليمات والأوامر بحزم وصرامة ووضوح، ويظهر ذلك من تعبير الوجه الذى يقول للطفل «إننى أعنى ذلك»، وعدم الاستجابة فى هذه الحالة مرفوض تماما. وعندما يؤمر الطفل بالطاعة فيجب أن تشرح له أهمية ذلك ليتعلم القواعد التى تجعله يستجيب. ويتحتم على الآباء تقييم كل موقف يأمرؤا فيه أطفالهم أن يستجيبوا له.

ثانيا : نحن نعلم الطفل كلما كبر عدم الطاعة لكى يكون عنده المقدرة على التفرقة بين الصواب والخطأ وبين المعقول واللامعقول فعلة. وعندنا من الأمثلة الكثير لإعطائها له والتى تجمع بين الطاعة وعدم الطاعة فى موقف واحد (إذا قام

بتوصيلك جارك إلى المنزل فلا مانع، أما إذا لم تكن تعرف هذا الشخص فيجب أن ترفض وتهرب منه).

ثامنا: التدريب على قضاء الحاجة Toilet Training

هناك ثلاثة اعتبارات للآباء حول موضوع قضاء الحاجة:

١ - بدء تعليم الطفل كيفية استخدام التواليت بدلا من أن يبلى البنطلون أو الحفاظة.

٢ - تلطيخ وتوسيع ماحوله.

٣ - البلى أثناء النوم.

تقريبا كل الآباء يتعرضون لهذه المواقف، وقد نجد كثيرا من الأطفال مغرمين بالتبول والتبرز أثناء تدريبهم على ذلك. إذن فلا عجب أن نرى أنواعا أخرى من المشاكل مثل استخدام التبرز في اللعب أو اعتباره شيئا جميلا وأمثال هذه المفاهيم الخاطئة.

وعندما يود الآباء تعليم أبنائهم الطرق الصحيحة لقضاء الحاجة فلا يجب عليهم أن يقلقوا مطلقا. فعند سن السادسة أو السابعة سيختفى أى خطأ، لذلك فلنهدأ ونحاول أن نفهم المناسب للأطفال أثناء تعليمهم وتدريبهم. وما الضرورة والعجلة فى أن نجعله جافا دائما؟

يحدث أحيانا اختلاف بين الآباء حول الوقت الذى يبدأون فيه تعليم الطفل قضاء حاجته بنفسه، بعد استخدام الحفاظات، إنه عادة مايكون الأب الذى يقوم بعمل ذلك لعدم رؤيته لأى مشاكل فى ذلك. إن بعض الآباء يشعرون أن قضاء الحاجة له علاقة بالذكاء، والطفل الذى ينجح فى قضاء الحاجة بنفسه مبكرا لابد أن يكون عبقرى. وفى الحقيقة أن الذكاء ليس له علاقة قوية بالتدريب على هذه العادة. كما أنه ليس معنى أن الطفل جاهز لتلقى التدريب أن ندرسه فى نفس الوقت أو أسرع كلما أمكن فإن التدريب على قضاء الحاجة يكون أسهل كلما ازداد نمو الطفل وكبر، ومتى نقوم بذلك هو موضوع التوفيق المناسب.

ولحسن الحظ فإن كل مشاكل قضاء الحاجة يمكن التعامل معها بسهولة وبسرعة وبقليل من التخطيط . ومن نتائج الأبحاث وجد أن ٩٥٪ من مشاكل قضاء الحاجة قد تم التغلب عليها عند سن الثالثة وربما أقل من تلك السن .

إن الأغلبية العظمى من الأطفال يتوقفون عن بلل أنفسهم عند سن الخامسة . وهذا يعنى أن الآباء ستركونهم ليتمتعوا بحياتهم الطبيعية . ومع ذلك هناك بعض الأطفال يتعلمون قضاء الحاجة فى التواليت من سن سنتين وربما ١٨ شهرا ، ذلك إذا دفعك خوفك أن تبدأ تدريبات التواليت فى سن مبكرة .

هذه السن مناسبة للطفل ، لكن مع ذلك فإن هذا يمكن ألا يناسبه الآن فالاختيار الحقيقى لاستعداد الطفل للتدريب على التواليت ليس له علاقة بالسن ولكن يعتمد على أشياء أخرى .

ومن ناحية ثانية فالبلل أثناء النوم أصعب قليلا للطفل . وقد يستمر بعد تدريبات التواليت ، ويحدث هذا للأطفال بنسبة ١٥٪ بعد خمس سنوات وأيضا يسهل علاجه بنجاح بنسبة ٨٠٪ من الأطفال .

١ - متى يكون الطفل مستعدا لتدريبات التواليت ؟

هناك أربعة اختبارات بسيطة لذلك :

أ - تحكم المثانة :

أولا : يجب أن يتبول الطفل كمية مناسبة كل مرة بدلا من الكميات الصغيرة المتلاحقة خلال اليوم .

ثانيا : يجب أن يظل الطفل جافا ساعات عديدة .

ثالثا : عند معظم الأطفال (وليس جميعهم) نلاحظ العلامات الدالة على رغبتهم فى قضاء الحاجة ، فإما أن يطلبوا ذلك صراحة أو يتنابهم عدم ثبات أثناء الجلوس أو الوقوف واللعب فى الأصابع وما إلى ذلك من إنذارات المثانة .

ب - النضج الطبيعى :

إن الطفل يتحرك بحرية من حجرة لأخرى ، لكن هل عنده القدرة الميكانيكية على خلع البنطلون أو رفع الفستان؟ فإذا كان كذلك فهو طبيعى ، مستعد .

جـ - نمو اللغة:

إن الطفل يجب أن يفهم التعبيرات الخاصة التي نحتاجها أثناء عملية التدريب «فوق - تحت ذراع - قدم - مبلل - جاف» .

د - الطاعة:

هل يتبع الطفل التعليمات عادة ؟ أم هو من النوع غير المطيع ؟

إذا أجرينا تلك الاختبارات على الطفل بنجاح فهو مستعد لتدريبات التواليت أما إذا لم تكن الاختبارات واحد واثنين وثلاثة ناجحة بدرجة كافية فيفضل الانتظار لأن الوقت يعالج تلك المشاكل . أما المشكلة الرابعة فتتطلب اتباع أسلوب معين في معالجتها حتى لا تزيد عملية التدريب الأمر سوءا .

هناك تدريبات التبول Urination Training وقد أظهر المتخصصون لنا خطوات عديدة مؤثرة لتعليم ذلك . فإذا كان التبول باستمرار فيجب أن يتعلم الطفل كيف يقوم بإنزال السروال ويتبول ثم يرفع البنطلون بنفسه . والنتائج تكون سريعة إذا قمنا بتخصيص الوقت اللازم لمتابعة ذلك ، دون أن يصرف انتباهنا أو يشتتنا أى شيء (القراءة - التلفيزون - تجهيز الطعام . .)

أما إذا لم نستطع التركيز فسيأخذ ذلك وقتا أطول ربما بضعة أسابيع .

وهذه أمور يجب أن تتبع :

١ - نعمل اختبارات عشوائية على حفاظة الطفل كل ٥ دقائق مثلا لتأكد من أنه يحرص تقديما في استخدام التواليت .

٢ - عندما تكون الحفاظة جافة عند اختبارها يجب إظهار الرضا والثناء على الطفل ويتبع ذلك أيضا عندما يقف الطفل (الولد) أو تجلس (البنت) على القصرية تنفيذا لكلامنا بمحاولة التبول .

٣ - يجب أن نمثل لهم ذلك فيطلب الآباء من أبنائهم الذهاب معهم إلى دورة المياه وتعليمهم بأنفسهم (أو يمكن استخدام عروسة Dolls) كيف ينزل البنطلون ثم يجلس ثم يجذب البنطلون ثم يغسل يديه بعد الانتهاء .

٤ - عندما يجلس الطفل على التواليت نقوم بعمل أى شىء تهدئته (تحدث - نلعب - نسمع موسيقيا - نقرأ قصصاً ... إلخ).

٥ - نحاشى دائما الصياح أو الغضب عند تعليمه لكى لايقترن التدريب بأشياء يمقتها.

٦ - نحن نظهر عدم السعادة - بدون غضب - عند حدوث البلب ونقول : أنا زعلان أو خييت أملى لأنك بللت الحفاضة بدلا من الذهاب إلى دورة المياه.

٧ - عند حدوث ذلك البلب يجب أن ينظف الطفل نفسه ويغير ملابسه على قدر استطاعته، والتنظيف لا يكون ممتعا بل يجب أن يصحبه بعض النقاش ليتعلم الطفل أن يفعل ذلك بمفرده فى المستقبل.

٨ - مراقبة أى علامة تظهر رغبة الطفل فى الذهاب إلى التواليت والإسراع بتلبية ذلك ومساعدته إذا احتاج.

٩ - نأخذ الطفل إلى التواليت بانتظام كل ١٥ دقيقة تقريبا ونوفر له جواً من الهدوء والراحة ثم نتركه وبعد عشر دقائق نعود له وفى كل مرة يتم فيها التدريب على إنزال البنطلون أو رفع الرداء ثم الجلوس ثم رفعه ... ثم الاغتسال وهكذا.

١٠ - اعطاء الطفل كثيرا من السوائل المحببة لديه (وبدون إرغام) فذلك يساعد على عملية التبول بكثرة فتكون هناك فرصة أكبر للتدريب.

١١ - يجب التأكيد على معنى الكلام مثل «جاف - مبلل» ومتى يكون الثناء، ومتى يكون عدم الرضا ليفهم الطفل المرغوب وغير المرغوب فى فعله. كل هذه خبرات للطفل يصاحبها كثيرا من الثناء، لكن الشئ الذى يضايق الطفل هو عملية التنظيف وما يصاحبها ولكن يمكننا التغلب على هذه المشكلة بسهولة.

أما التبرز Soiling فهو عملية يتم فيها التعامل بالطبع فى نفس وقت التبول وب نفس الأسلوب، بل إن كلمة جاف تعنى أنه لا توجد أشياء صلبة أو سائلة داخل الحفاضة ولكنها قد تتطلب وقتا أطول فى التمرين.

٢ - البلب أثناء النوم: Bed - Wetting

إن استجابة الطفل لإشارات المثانة شىء صعب على الطفل، ومع ذلك فهذا من السهل أن يعالج لكى يجب التأكد أولا من نجاح الطفل فى تدريبات التواليت

فعندما يبلل الطفل فراشه يجب إشعاره بنبرة الضيق ثم إيقاظه وأخذه إلى دورة المياه ومطالبتة بتغيير البيجاما أو الرداء. عادة لا يفعل أكثر من ذلك فالطفل الذي يتعلم كيف يذهب إلى التواليت يكون فخورا بذلك قائلا: «أنا أستطيع أن أفعل ذلك بنفسى» والشئ الوحيد الباقي هو تعلم الطفل كيف يستجيب لإشارات المثانة أثناء الليل. والنقطة الهامة فى هذا الموضوع هى عدم إشعار الطفل بالكسوف أو العار Shame أو عقابه أو توبيخه على ذلك عندما يفعله، فالعقاب قد يؤذى نفسية الطفل فى هذه الحالة ويهبط من محاولاته للاستجابة بينما هو يبذل أقصى ما عنده لمحاولة التركيز فى إشارات المثانة أثناء نومه.

تاسعا: مشاكل النوم Sleeping Problems

إن وضع الطفل فى فراشه قد يصبح من أصعب المشاكل بدءا من سن ١٨ شهرا. فمعظم الأطفال لا يحبون (بل يكرهون) الذهاب للفراش، فهناك اللعب التى يلعب بها والناس من حوله والعالم كله الذى يحاول اكتشافه، لمن يترك كل هذا؟ «هل يجب كأم أن أتركه حتى يغرق فى النوم؟ أو هل أهده أو أجلس معه حتى ينام؟ أو أخذه إلى الفراش معى؟ ماذا أفعل؟». إن الاستماع إلى صراخ الطفل فى فراشه يكاد ينفطر قلب الأم له ويشعرها بالذنب؟

ولمنع الشعور بالذنب ودموع الطفل، يجب أن يطور الطفل من الروتين اليومي للذهاب إلى النوم - أغاني، قصص، ألعاب، طعام، مشروبات، لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات حتى يسقط فى النوم.

لكن هذا ليس الغرض فبطريقة ما يجب أن يذهب الطفل بنفسه لكى ينام بدون وجود أحد أبويه بدلا من أن يسقط طبعاً نائما بين يديها.

إن وضع الطفل فى فراشه بدون شك من أكثر الموضوعات إثارة لقلق الآباء بل ومنهم من يشكو من عدم الانتظام فى النوم (الأرق Insomnias) أو الكوابيس Night Mare، أو الرعب الليلي Sleep Terror والمشى أثناء النوم. وهذا مقرون بانفعالات عاطفية لدى الطفل، وكما يبدو هذا مفزعا، فإن ذلك أكثر الأشياء شيوعا عند الأطفال.

١ - القواعد المتبعة لوقت النوم:

بعد أن يولد الطفل بأسبوعين فإنه ينام حوالى ١٦ ساعة فى اليوم ويستمر من ١٥ - ١٦ ساعة فى الشهور الأربعة الأولى، وتصل إلى ١١ ساعة عند السنة السادسة. وكلما زاد نمو الطفل زاد عدد ساعات نومه مما هو معروض بالجدول الموضح لهذا. لكن لآمانع من مراجعة الطبيب عند الاختلاف إذا زاد عن ساعتين. وبالنسبة لروتين النوم فيقابل وقت النوم كثيرا من الأحداث الدرامية عند بعض العائلات، فقد يفضل بعضهم وجود وقت محدد للنوم والبعض الآخر ينتظر حتى يتعب الأطفال. فالاختيار يرجع للآباء والأطفال يهيئون أنفسهم على ذلك أما فترة ما قبل النوم التى يصاحبها الكلام والغناء فيجب أن تستمر من ١٥ - ٣٠ دقيقة فى المتوسط.

جدول (٤) متوسط عدد ساعات النوم والاستيقاظ لدى الأطفال

| السن | عدد ساعات النوم اليومي | عدد ساعات الاستيقاظ اليومي | أطول مدة نوم بالساعات | أطول مدة استيقاظ بالساعات |
|-------------|------------------------|----------------------------|-----------------------|---------------------------|
| أسبوع | ١٦,٣ | ٧,٧ | ٤,٤ | ٢,٦ |
| ٣ أسابيع | ١٥,٤ | ٨,٦ | ٤,٦ | ٣,١ |
| ٧ أسابيع | ١٥,٤ | ٨,٦ | ٦,٥ | ٣,٢ |
| ١١ أسبوعاً | ١٥,١ | ٨,٩ | ٦,٧ | ٣,٤ |
| ١٥ أسبوعاً | ١٤,٩ | ٩,١ | ٨,٥ | ٣,٦ |
| ٦ أشهر | ١٣,٢ | ١٠,٨ | | |
| ٧-٩ أشهر | ١٢,٧ | ١١,٣ | | |
| ١٠-١٢ شهراً | ١١,٨ | ١٢,٢ | | |
| ٢-٣ سنوات | ١٢,٥ | ١١,٥ | | |
| ٣-٤ سنوات | ١١,٥ | ١٢,٥ | | |
| ٤-٦ سنوات | ١١ | ١٣,٠٠ | | |

٢ - مشاكل ومتاعب النوم المختلفة:

صعوبات الذهاب إلى النوم تغطي جزءاً كبيراً من المشاكل وكلها تدور حول عدم حب الطفل في الذهاب للفراش، إلا برغبته أو بجانب لعبة أو أمام التلفزيون أو بجانب الأب. وقد يطلب الأطفال كوباً من الماء أو الذهاب إلى التواليت أو تفاحة أو حلوى هرباً من الروتين الذي يسبق النوم رافضين ارتداء البيجاما أو رداء النوم.

بداية من ١٨ - ٢٤ شهراً معظم الآباء سوف يواجهون مثل هذه الصعوبات عند الذهاب بأبنائهم للنوم.

ومن ناحية أخرى نجد مشكلة الاستيقاظ أثناء الليل وبعد فترة وجيزة من نوم الطفل فمعظم الناس (الأطفال والكبار) قد يصيبهم الأرق، ولكن يعودون ثانية للنوم. أما إذا استيقظ طلباً للرعاية أو بكى بصفة منتظمة بدلاً من الرجوع للنوم فتظهر هنا المشكلة، إن هذا ليس غريباً بل ويتلاشى بمرور الوقت. إن حوالى ٢٠٪ من الأطفال فى سن سنتين يوقظون آباءهم بانتظام خلال الليل و١٤٪ ممن هم فى سن ٣ سنوات يفعلون ذلك، وتصل النسبة إلى ٨٪ عند أربع سنوات فعادة لا يحتاج هذا إلى أى علاج خاص.

أما المشى أثناء النوم فإنه نادراً ما يحدث إلا بنسبة ٦٪ بين الأطفال. فالذين يفعلون هذا قد يقفزون من النافذة أو يخرجون من المنزل أو يدورون فى الحجرة بدون أن يستيقظوا، فعيونهم تكون مفتوحة لكن هناك شىء ما مختلف يدور فى رأسهم. هذا بالطبع يكون مقلقاً إذا عرّض الطفل للخطر.

ومن الصعب أن نحدد متى يبدأ الأطفال فى الأحلام المزعجة والكوابيس ولكن أغلب الظن أنها تبدأ من السنة الثانية، وتكون شائعة الحدوث من ٣ : ٥ سنوات. إن الكوابيس تستمر بضع دقائق ثم يستيقظ الطفل بعدها وقد يتذكر بعضاً مما رآه ويخبرك به.

أما الفزع الليلي فهو يختلف عن هذا ويزداد معه خوف الآباء أكثر فهو يستمر لمدة ١٥ - ٢٠ دقيقة، ولا يكون الطفل مستيقظاً ومع ذلك تكون عيناه

مفتوحتين وعلى وجهه آثار الخوف والهلع . كما أن انفعالاته وصياحه تكون أكثر من التي تصاحب الكوابيس .

إن السبب الحقيقي وراء الكوابيس والرعب الليلي غير معلوم ، ولكن لحسن الحظ بينما الكوابيس شيء شائع ، نجد أنه نادرا مايحدث هذا الرعب الليلي . ويبدو على الأطفال فوق ٥ سنوات وبنسبة ٢٪ فقط .

٣ - لماذا يقابل الأطفال تلك الصعوبات في النوم؟

ربما يقابل الأطفال مشاكل في الذهاب إلى النوم لأسباب عديدة، منها أنهم يرغبون في فعل أشياء أخرى أفضل والشيء الثاني المعروف أنهم يرفضون الوحدة أثناء الليل ، أو ببساطة قد يكونون غير متعبين الآن أو ناموا أثناء النهار ، والسبب الأخير أن الطفل ربما يكون قد تعرض لموقف مخيف أو شاهد شيئا في التلفزيون أفزعه ، أو قرأ قصة مخيفة كل هذا يسبب له كراهية الظلام والوحدة والنوم .

وقد يشعر بعض الآباء بالذنب من رغبتهم أن ينام الطفل بنفسه وقد يشعر بالوحدة والانفصال ، حيثذ بما يجعلهم يقفزون عند كل صرخة أو بكاء ، وهذا للأسف يعلم الطفل كيف يستدعى الآباء فوراً بمجرد احتياجه ، لهم ولقد سمعنا كثيرا من الأطفال يقولون «إني حزين جدا» وهم ليسوا كذلك أو «إني خائف» وماهم بخائفين أو ييكون بشدة بمجرد ترك والديهم للغرفة . . أما لماذا يقولون ذلك فالإجابة بسيطة . لأن هذا قد أثبت نجاحه من قبل فعندما كانوا فعلا في حاجة إلى الطعام أو خائفين أو في حالة من الحزن كانوا يجدون الصحبة فوراً .

والمفهوم الوحيد للتعامل مع هذه المشكلة هو أن نقنع الأبناء بأننا لن نعود ثانية في حالة لو تركنا الغرفة وننفذ مانقله ، ولكي لانشرع بالذنب نقوم بتلبية جميع رغبات الطفل من ذهاب إلى التواليت وطعام وشراب وقصص قبل أن نقول تصبح على خير ونتركه ينام في سلام .

إن الكوابيس قد تتعلق بالأحداث اليومية وخاصة عندما ينضج وينمو تفكير الطفل وتخيلاته ، أما الفزع الليلي والمشي أثناء النوم فيمكن معرفة المزيد عنها عند مراجعة كتاب المشكلات النفسية عند الأطفال للمؤلف زكريا الشربيني .

٤ - متى تصبح صعوبات النوم مشكلة حقيقية؟

نادرا ماتكون أى من الصعوبات السابقة مشكلة حقيقية للطفل وغالبا ماتختفى بتقدم عمره ونموه، لكن المشكلة الحقيقية تكون فى الآباء أنفسهم، فهم يدفعون ثمن الشعور بالذنب ومحاولاتهم الدائمة لضبط مشاعر الطفل تجاههم، فما دام الآباء لايتعدون حدودهم كاللقاء الطفل فى فراشه وحيدا عندما يكون خائفا فعلا، فلا بد أن تكون أوقاتهم التى يقضونها مع أنفسهم أو عندما ينام الطفل هادئة ومريحة لمواصلة الحياة مع الطفل مرة أخرى.

وهناك طريقة أخرى فنحن نجد روتين ما قبل النوم يصبح مشكلة. إنه قد يكون مشكلة (من) الآباء بدلا من أن يكون مشكلة (لهم) - لقد قابلنا آباء كثيرين يفضلون النوم مع أطفالهم برغبتهم وليس برغبة الطفل حتى بعد أن يبلغ الطفل الخامسة أو السادسة. إنه لاتوجد أى مشكلة فى أن تنعم بالراحة بجوار طفلك أو تنام بجانبه لتهديته إذا خاف، لكن كآى سلوك قد يصبح ذلك مشكلة إذا تعدى الحد. فإن هذا قد يشعر الطفل بالحماية الزائدة عن الحد فيعتمد على والديه فى كل مايحتاجه، وهذا غير طبيعى، كما يسبب ذلك مشاكل زوجية، وقد يعكس قصورا فى العواطف بين الزوجين لمنع العملية الجنسية بينهما لوجود الطفل فى فراشهما.

عادة فإن الإفراط فى روتين النوم قد يسبب المشاكل للطفل ووالديه فى نفس اللحظة. كما أن لجوء أحد الوالدين إلى استخدام الطفل ليمنع العملية الجنسية قد يؤدى إلى نفس النتيجة السيئة.

٥ - كيفية التعامل مع مشاكل النوم :

هناك بعض المفاهيم الأساسية للتعامل مع تلك الصعوبات:

- ١ - من المهم أن يكون هناك روتين ما قبل النوم لكن لايعنى هذا أننا لانستطيع الاستغناء عنه - إلا فى المناسبات الخاصة عند الخوف أو المرض - لكن يجب أن يشعر الطفل بميعاد النوم قبله بفترة ليكون متأهبا نفسيا لذلك.



٢ - يجب

أن يستيقظ الطفل
مدة كافية خلال
الصباح، أما إذا
نام الطفل لساعات
قليلة خلال اليوم
فلا نتوقع أن
يدخل الفراش في
نفس وقت الأيام
العادية فيجب أن
نتأكد أن الطفل
متعب لينام أما إذا
اختلف النظام
اليومي فيجب أن
يتغير مع هذا
وقت النوم أيضاً.

٣ - تنبيه

الطفل بميعاد النوم
قبله بـ ١٥ دقيقة
ليستطيع إنهاء
مايفعله عندئذ.

٤ - يتضمن وقت النوم بعضاً من الأفعال التي تؤدي إلى الهدوء والراحة
مثل قراءة القصص والأغاني والكلام عن أحداث اليوم ويستمر ذلك من ١٥
- ٢٠ دقيقة.

٥ - يقدم الطفل المشروبات والطعام الذي يريده كما يذهب إلى التواليت
لقضاء الحاجة لتؤكد من أن الطفل لن يقوم بطلب هذه الأشياء بعد دخوله للفراش
كنوع من الخداع.

٦ - يعطى الطفل كل ما يبعث على الهدوء مثل بطانيته المفضلة والذب البنى أو صورة سوبرمان . . إلخ.

٧ - تحاشى إزعاج الطفل قدر المستطاع - الصوت العالى والتلفزيون - كما يكون الضوء خافتاً غير مباشر إذا احتاج، وأيضاً فراش خاص به لكى لا يزعج أياً من الأبوين.

٨ - يمكن تغيير روتين ما قبل النوم لكى لا يصاب الطفل والأبوان بالملل. فإذا لم يستجب الطفل لمحاولات الأم يمكن أن يقوم الأب بذلك فى اليوم التالى. تلك النقاط هى أساس المساعدة لطفلك للتغلب على أى صعوبات فى النوم. يبقى بعض خطوات إضافية مهمة يمكن اتباعها كما يلى:

أولاً : وضع الطفل فى الفراش: اعتاد الطفل الرضيع على النوم بين يديك بعد الرضاعة لكن بعد حوالى ١٢ شهراً يجب أن يكون هناك تغيير كبير وهو ببساطة أن يوضع الطفل فى فراشه (قبل نومه) ليسهل لنا ترك حجرته قبل أن يستغرق فى النوم. هناك طرق يجب أن نتبعها لذلك:

أ - يمكن أن نقول له أن وقت النوم قد حان ونبتع روتين ما قبل النوم، ثم نترك الغرفة بعد فترة. فى البداية سيقاوم الطفل بشدة تركك الغرفة ويستخدم أساليب عديدة لذلك كال بكاء أو يطلب أى طلبات كالماء أو الطعام. ومع ذلك فإننا يمكن أن نخفف من شدة هذا الحزن باستخدام العوامل الخارجية كالدب البنى والاحتضان لألعابه المفضلة.

ويمكن أن نجعل روتين ما قبل النوم أكثر متعة بتجهيز لعبة جديدة جميلة نعاهد بها الطفل بأنه سوف تجدها تحت الوسادة فى الصباح فى حالة إذا نام فوراً بدون أن يستيقظ مرة أخرى، ونجعل هذا الوقت من الأوقات الخاصة لدى الطفل الذى ينعم فيها بالقبلات والمداعبات. لكننا فى النهاية يجب أن نترك غرفة الطفل قبل نومه فإذا فعلنا ذلك ولم تتراجع (إلا فى الحالات القصوى) مثل المرض أو (استيقاظ الطفل فجأة بعد نومه) فسيشعر الطفل أننا فعلاً نعنى ذلك، وينام بدون مشاكل فيما بعد، بل سيصبح وقت النوم من الأوقات المفضلة لديه.

ب - هناك طريقة ثانية يمكن اتباعها تختلف عن الطريقة الأولى ، ففي الأيام الأولى يمكن أن تظل في الغرفة أو على سريرك لكن بدون كلام وعيناك مغلقتان متظاهرا بأنك نائم ، أو أنك نائمة ، وبعد ذلك في الأيام التالية تجلس على كرسي وتقرأ بدلا من السرير وتقل مدة وجودك في الغرفة كلما مضت الأيام .

ثانيا : الاستيقاظ أثناء الليل : عند حدوث ذلك لا يعتبر مشكلة مادام ذلك بسبب واقع مثل المرض أو الخوف أو الحاجة الشديدة ، لكن إذا تكرر الأمر أكثر من الطبيعي فقد يشوبه بعض من الخداع من الطفل ، لذلك فعند استيقاظه من النوم يجب الذهاب إليه لتهدئته والتأكد من عدم وجود أى سبب حقيقى . ثم نتركه أثناء استيقاظه ولا نعود مرة أخرى .

ثالثا : الكوابيس والرعب الليلي : عند استيقاظ الطفل خوفا من أى شىء يجب أن تلمحه بكل أنواع التهدئة والراحة ، فتظهر له أنه لا يوجد أى وحش تحت السرير وهذا التينين ينام أثناء الليل ، كما أن سوبرمان لا يخاف منهما ويحميه طوال الليل ، ولأمانع من وضع السيف الخاص به بجانبه . المهم أن نتأكد من أن الطفل قد استعاد هدوءه وراحته قبل أن تنصرف ويمكن أن تنتظر حتى ينام .

١ - جعل وقت النوم للطفل متعا للآباء :

يعد وقت النوم من أصعب الأوقات على الآباء . فعادة مايصابون بالملل والتعب والرغبة فى انتهائه ليحصلوا على حريتهم ، وذلك لأنهم يعتبرون هذا الوقت وظيفه ، مما ينتج عنه صعوبات فى النوم ويصبح روتين ما قبل النوم أطول وقت وينقل الشعور بالملل للطفل أيضا .

والحل هنا هو أن نجعل الوقت ممتعا ومتضمنا كثيرا من الأشياء التى نجبها ونرغب فى فعلها مثل الطفل . كالألعاب المسلية (مثلا نقلب ١٢ كارت من الكوتشينة على ظهرها تتضمن اثنين من كل من الواحد والشايب والولد والبنت والعشرة والتسعة ومحاولة إيجاد الكارتين المتشابهين بكلتا يديك مرة واحدة وهذا يعتمد على الذاكرة لكل من الكبار والأطفال) كما أن قليلا من الكلام مع الطفل قد يعينه ويعينك أما إذا كنت قليل الكلام فمن الممكن أن تقوم بقراءة قصة تحبها

فإن هذا هو أنسب وقت تشعر بالمتعة وأنت ترى ملامح وجهه عندما تعيش معه فى تلك القصة.

٧ - العلاقة بين وقت النوم وعدم الطاعة :

إذا استخدم الآباء الطرق الموضحة فى الجزء الخاص بعدم الطاعة لكى يستجيب الطفل لهم، فإن وضعه فى الفراش سيكون أسهل كثيرا . فإذا حافظنا على جدية الأوامر الصادرة للطفل وإحساسه باختلافها عن الطلبات أو الأسئلة أو الاقتراحات فإن الأمر الخاص بالذهاب إلى النوم سيكون أسهل ما يكون ولا يحتاج لآى معاملة خاصة، ومع ذلك فلا يمكننا أن نأمر الطفل بأن ينام فهذا ليس مفتاحا يغلق ويفتح وإنما يمكن أن يكون الأمر «البس البيجاما الآن» «اذهب إلى الفراش فوراً» هذا إذا احتاج الموضوع لأوامر.

عاشرا : العدوانية Aggression

إن الصدمة تكون كبيرة عند رؤية العدوانية على أطفالنا، وربما نكره ذلك الطفل. قالت الأم لزوجها: هل تعلم ما الذى فعلته ابنتك؟ صعدت إلى السرير وخربشت وجهى «كيف تجرؤ على قذفى بهذا الشئ؟» هل تصدق أن الأميرة الجميلة ابنتنا صعدت إلى المرجيحة وأوقعت هذا الطفل من فوقها على الأرض... والحقيقة أن الباحثين يوضحون أن أكثر الأطفال طموحا وذكاء يكونون أكثر عدوانية فى الفترة من ٢ - ٣ سنوات، ولكن هذا العدوان يختفى بالقطع عند تطور حياة الطفل الاجتماعية وتقدمه فى السن.

إن مظاهر العدوانية كثيرة، منها أن يقوم الطفل بإلقاء وتحطيم الأشياء، وآخر يدفع ويضرب برجله الآخرين، وثالث يظهر عدم الرضا والصياح والبكاء بصفة دائمة. وهذا يؤثر بالطبع على سلوك الطفل فى المستقبل لهذا فهو من أكثر الموضوعات قلقا للآباء.

إن العدوانية عامة وهى أى سلوك مؤذ (جسدياً أو نفسياً) للآخرين، ويأخذ أشكالا عديدة فالطفل المؤذى جسديا ربما يضرب، يرفس، يدفع، وقد يصرخ

الطفل العدوانى بأعلى مافى رتبه من هواء ليحصل على مايريد بإلحاح أو حتى بالتهديد، وقد يلقي هذا الطفل أى لعبة أو طبق أو يحطم الأشياء بقدم واحدة أو بواحدة تلو الأخرى حتى يخلى الحجرة من كل مافيهـا.

من الضرورى التفرقة بين العدوانية والميل إلى الحزم والصرامة . . فقليل من الحزم مطلوب لضبط الطباع والخصائص فنحن نريد أطفالنا (والكبار) أن يكونوا حازمين بدلا من الإيجابية فى مواجهة الأوامر غير السليمة التى توجه اليه فى حياته.

ومالم يبلغ الطفل ستين لايمكن أن نعتبر العدوانية مشكلة كالتى تظهر عندما يحين وقت الأكل أو النوم أو التواليت . . إلخ . ومع ذلك فتتائج البحوث تشير إلى أن حوادث العدوانية تقل بمرور الزمن وبإكتساب الطفل للنشاطات الاجتماعية الجديدة . كما أن أنواع العدوانية تتغير بمرور الزمن.

لكن التجارب أثبتت أن ٧٠٪ من الكبار الذين كانوا عدوانيين فى طفولتهم لم يصبحوا كذلك فيما بعد، مما يؤكد أن هذه المشكلة إذا لم تكن خطيرة فى الطفولة لن تكون كذلك فيما بعد.

١ - سبب عدوانية الأطفال:

إن الطريقة التى يتعلم بها الأطفال العدوانية تكون عن طريق القدوة أو التقليد، فهم يرون الآخرين يفعلون ذلك وربما يكون هذا فى التلفزيون أو النادى أو من الآباء، وعند تعرض الطفل للعدوانية فهذا خير مثال له ليفعل هو أيضا ذلك بل ولايتوقف بعد ذلك عن فعله.

إن الكم الهائل من الأبحاث المتعلقة بالعنف فى التلفزيون أوضحت أن الأطفال تتأثر وتقلد ما يحدث حتى أبطال الكارتون . . فلا عجب إذا رأيت طفلك يحاول الطيران رافعا قدمه فى حركة كراتيه . كذلك فالأطفال يتعلمون شكل العدوانية من آبائهم فلا تتعجب إذا رأيت طفلك يقسم ويتوعد ويصرخ فالحقيقة أنهم يقلدون انفعالاتنا (وهذا أحيانا يثير ضحكنا فمن الأفضل أن تذهب وتضحك بعيدا عن الطفل).

ويجب أن نحاول منع عدوانية الطفل، فمن الحكمة ألا نعرضهم لأحداث عنيفة، وأن نقلل من وقت مشاهدة التلفزيون والتحكم فيما يشاهدونه مع عدم الدخول في جدال ومهاترات أمام الأطفال. لكن من المستحيل أن تمنع كل هذا أمام الطفل، وإذا فعلت فسيقوم بذلك أصدقاء المدرسة.

إن بعض الأسر تميل إلى الموافقة والتأييد لعدوانية أطفالهم، ومثال على ذلك فالعدوانية عند الأطفال شائعة عندما يكون على درجة كبيرة من التساهل والتسامح، فالآباء الذين يدللون أطفالهم ولايتعاملون بحزم وصرامة مع السلوك غير السليم يعلمون أطفالهم أن العدوانية هي المنفذ وطوق النجاة من الغرق. وكما فى القول المأثور أن التسامح يجعلك بعيدا عن الجريمة ويجعل الجريمة تقترب منك، هكذا يعلمون أطفالهم.

إن الإسراف فى استخدام الرفض، النكد، العقاب قد يزيد من عدوانية الطفل، وأيضاً فالآباء يمثلون قدوة أساسية للطفل فعند قيامهم بفعل أى شىء، يعتبر هذا تصريحاً للطفل بفعله وغالباً مايقوم بذلك.

فى بعض العائلات نجد الآباء لايجنبون مشاعرهم وانفعالاتهم عن الأطفال، خاصة بمشاكل العمل أو تكلفة المعيشة، فالطفل قد يعتقد أنه قد أخطأ فى عمل شىء بسبب هموم أبيه ولايدرى ما السبب. فإذا استمرت هموم أبيه وإحساسه بها، فقد يشعره ذلك بالحزن والإحباط ثم يتحول ذلك إلى العدوانية. كما أن الآباء إذا فشلوا فى الثناء على الأشياء الجيدة التى يقوم بها الطفل ويكونون مهتمين بالجزء الخاص بالعقاب فقط، فإن الطفل يحفظ مثل هذا السلوك فى الحقيقة. إن الطفل قد يحاول الصياح أو القيام بالأفعال الاعتراضية الأخرى ليحصل على اهتمام والديه أو يمنعهم من الصياح والرفض له، فمن هذا المنطلق نجد أن العقاب من أكثر الأسباب الواضحة لعدوانية الطفل.

إن هذا يوضح لماذا توجد مشاكل مع الأطفال الذين ينفصل آباؤهم وأمهم عنهم عن بعضاً، بالطلاق. فلا يكون عداونهم بسبب الانفصال وإنما بسبب النموذج العدوانى الذى أعطوه لهم، إن الأسر التى تتعامل مع الغضب بنجاح - مع أن الغضب يظهر ولكن سرعان ما يختفى ويحل محله السلوك الاجتماعى السليم - لهم الخصائص التالية :

(١) إنهم يندرون أطفالهم قبل استخدام العقاب.
(٢) إنهم شديدي الحرص على إبعاد همومهم وانفعالاتهم عن الطفل (أو أى من أفراد الأسرة)، لذلك فالطفل لا يعاقب إلا إذا فعل شيئاً يستحق ذلك.

(٣) أنهم يفضلون التوضيح والمناقشة بدلا من العقاب، إلا إذا تأكدوا من عدم جدوى التوضيح.

(٤) عدم السماح لعدوانية الطفل أن تؤدي إلى أن يحصل على ما يريده.

(٥) أن يعلموا الطفل الطرق الصحيحة السليمة للعدوانية (المشاركة، الطلبات، التعاون، مساعدة الآخرين ...).

هذه الصفات أو الخصائص سوف تساعدنا فى الحقيقة على التعامل مع عدوانية أطفالنا.

٢ - متى تعتبر العدوانية مشكلة؟

إذا كان يجب أن تزيد العدوانية ويزيد معها الطرق التى يسيطر بها الطفل ليحصل على ما يريده فهنا تكون المشكلة. فهذا يكون مصحوباً بصعوبات أخرى، فيكون الطفل غير محبوب من أصدقائه، ويشعر بالحزن، فيقوم بتحطيم الأشياء أو إيذاء الآخرين ونادراً ما يشاركهم أو يتعاون معهم. وتبدأ هذه المشكلة فى المدرسة. أما إذا لم يظهر طفلك أيّاً من هذه المشكلات إذا فمعنوياته من النوع الطبيعى ومع ذلك تظل غير مقبولة.

هناك اختبار بسيط يمكن أن نجربه وهو مدى استجابة الطفل للأوامر الصارمة. فإذا كان طفلك يستجيب بنسبة من ٦٠ - ٨٠٪ فإن فرصة تخلصه من العدوانية كبيرة.

٣ - كيفية التعامل مع العدوانية :

هناك طرق إيجابية كثيرة يمكن أن تتبعها بغرض تقليل العدوانية ثم تعليم الطرق البديلة :

(١) نحن متأكدون من أن العدوانية لاتخدم الطفل للحصول على ما يريده فمعظم العدوانية عند الأطفال تكون ظاهرة، فالطفل قد يريد حلوى أو لعبة أو قد

لا يريد أن يفعل شيئاً يجب عليه القيام به كالنظافة أو النوم، أو تعاطي الدواء . . . الخ، فيعبر عن ذلك بالعدوانية، وعندما يبدأ ذلك يجب أن لانعطيه اللعبة التي يريدها، وقد نحمله ونلقى به فى الفراش بدون مناقشة.

(٢) التحذير قبل الإقدام على العقاب «إذا لم تتجه إلى الفراش الآن سوف أعد واحد - اثنين - ثلاثة وسوف نذهب للنوم بدون قراءة القصة بعد ذلك مباشرة» هذا النوع من التحذير شائع وإذا اتبعته يكون له تأثير على الطفل. فالطفل يجب عليه أن يتوقف عما يفعله ويتبع التعليمات قبل الرقم ثلاثة.

النوع الآخر من التحذير هو أن نجعل الطفل يعلم بوقت كاف بميعاد الذهاب مثلاً إلى السوق فهذا يحل محل إيقاف الطفل فجأة عما يفعله.

(٣) يجب أن نحرص على الثناء والانتباه عندما يتحسن سلوك الطفل ونبحث عن الأشياء التي تجعلنا نشئ عليه، ولانجعل أسلوب العقاب يطغى على علاقتنا معه. فلا يجب أن نتحفز وننفعل عندما يفعل الطفل شيئاً خطأ، ونظل على هدوئنا ونصرف التصرف الصحيح.

(٤) يجب أن نتأكد من تعليم الطفل الطرق السليمة للحصول على ما يريده فنعلمه كيف يستأذن صديقه للعب بلعبته. فذلك يكون بلطف وأدب، كما نعلمه مدى أهمية المساعدة والتعاون وإدخال السرور على الآخرين مع عدم إهمال الثناء عندما يفعل ذلك.

(٥) لا تدخل مع الطفل فى جدال حاد، إلا إذا كنت متأكدًا من أنك الفائز فى النهاية. فإذا كنت متعبًا جدًا أو مشغولاً بشيء عن التعامل مع عدوانيته فلتسأل زوجتك لتقوم بذلك بدلا منك أولا تبدأ ذلك أبدًا. وإذا لم تستطع أن تقوم بروتين قبل النوم فدع طفلك يغرق فى النوم حتى لو كان على الأرض. ثم يجب عليك أن تلبى رغبته قبل أن يلجأ إلى العدوانية، أو تأخذه بعيداً عن لعبه (وهو يرفض ويبكى فى ذلك الوقت يبدو هذا كحرب). فالطفل يسدى بعض الانفعال ليحصل على ما يريد لكن هذا لا يستمر طويلا بمجرد أن يتعلم الطفل أنه لن يجنى شيئاً من وراء ذلك.

(٦) يجب أن يكون هناك ثمن العدوانية. إن هناك أشياء هامة كثيرة نذكرها حول موضوع التوبيخ والعقاب: أولاً : لاتطرق عشرة أبواب مرة واحدة، فإذا كنت تحاول التعامل مع العدوانية لاتبدأ فى تدريبات التواليت أو نظام جديد للنوم لأن هذا قد يصبح مملاً.

ثانياً : كل منا له همومه ومشاكله ولكننا لاينبغى أن نعامل الطفل على أساس ذلك فيمكن أن نقول: «أنا آسف يا حبيبى لكن والدك عنده شىء آخر يجب أن يفعله» بدلاً من «كلا اتركنى وشأنى». فقد يصيب ذلك الطفل بالحزن والأسى والإحباط، خاصة إذا لم يكن قد فعل شيئاً.

ثالثاً : إذا استخدمنا العقاب فيجب أن يكون مؤثراً. فلا فائدة من أن نغلق التلفزيون أمام الطفل إذا لم يكن يشاهده، أو نأخذ منه لعبة إذا كان أمامه لعب أخرى. كما يجب أن نعلمه أن العدوانية قد تؤدى إلى أشياء سيئة بالآنا نأخذه إلى الحديقة ولا نجعله يلعب مع الأطفال الآخرين. وإذا قام بدفع أحد الأطفال الآخرين نأخذ كل الألعاب التى أمامه بعيداً عنه. وقد نوجه له توبيخاً شديداً للهجة. ومع أن هذه الطريقة مؤثرة فإنها يجب ألا تستخدم فى حالة العدوانية غير المتقدمة.

وإذا كانت العدوانية خطيرة ومتكررة أو مصحوبة بمشاكل عديدة كما شرحنا من قبل (فقد النشاط الاجتماعى - عدم الطاعة - تجمد المشاعر... إلخ). فالأفضل البحث عن متخصص ليضع الخطوات الرئيسية للتعامل مع هذا الطفل وهذا ليس معناه أن الطفل يعاني من مرض نفسى خطير، لكن هذا من قبيل المعرفة للطرق السليمة.

٤- الرد على العدوانية :

يصيب الآباء حيرة شديدة فيما سيقولونه لطفلهم عندما يتعرض للأذى أو الضرب من طفل آخر، هل يجب أن يرد له الضرب ؟

الخطوة الأولى هنا أن نتأكد من أن الطفل الآخر قد توقف، فلا يجب أن نسمح بأن يتعرض طفلنا للأذى ، فقد يصيبه ذلك بمتاعب نفسية كالخوف، والعزلة، وقد يكره المدرسة واللعب مع زملائه. كمثال لذلك إذا أراد الطفل الآخر

أن يركب المرجيحة أولاً فإن هذا يحدث عامة وليس من العدوانية فى شىء. ومع ذلك إذا تعمد أن يفعل هذا بصفة منتظمة فإنه يجب أن يتوقف أولاً بطريقة أو بأخرى، وهناك طرق عديدة لإيقاف عدوانية الطفل. ويمكن أن نقول لطفلنا أن يرد له الضرب أو نطلب من المدرس مراقبة الأمر، أو قد نذهب إلى الحديقة أو المدرسة ونقوم بتوبيخ الطفل العدوانى، وأخيراً نخبر والديه بذلك ونطلب مساعدتهم.

يجادل بعض الآباء حول وجوب دفاع الطفل عن نفسه وتعلم كيفية رد الأذى، لكن فى الحقيقة هذا أقل أهمية من أن نتأكد من توقف العدوانية على طفلهم. كثير من الأطفال، يشعرون بالخجل وصعوبة أن يدفعوا أو يردوا ضرب أى طفل آخر، أو قد ينفذوا تعليمات والديهم بضرب الطفل العدوانى فيضربه مرة أخرى أكثر شدة مما ينتج عن شعور الطفل بالإحباط والضييق. فقد تكون النتائج أسوأ عندما نأمر طفلنا برد الأذى إذا كان خجولاً أو جسمه ليس أكبر من بقية زملائه، إن الحل الوحيد لذلك أن نعتنى بهذا الموضوع (بمطالبة المعلم أو آباء الطفل الآخر بالتدخل أو التعامل مع الطفل نفسه، أو إلحاقه بإحدى دور تعليم الدفاع عن النفس) وبذلك نكون قد أوقفنا المشكلة الحالية ونعد الطفل لأى مشكلة أخرى.

وبالنسبة للطفل القوى جسدياً هل نطلب منه رد الأذى أم لا؟، هذا فى الحقيقة يرجع إلى الآباء، فإذا كان الطفل لديه الرغبة والقدرة على رد الأذى فلن يحتاج إلى تحفيزه أو الضغط عليه، أما إذا فعل ذلك لرغبة والديه وتصريح منهم فقد يشكل ذلك مسئولية كبيرة على الآباء، فيجب تعليم الطفل متى يتشاجر ومتى لا يتشاجر، فقد يبادر الطفل بالشجار ليأخذ حقه، أو قد يتعدى الحدود اللازمة لذلك كأن يكيل اللكمات فى وجه طفل بمجرد أنه أخذ لعبته. وباختصار فإن الشجار لابد أن يحكم بواسطة الآباء، ولا بد أولاً أن يتأكدوا من سلامة موقف طفلهم والتأكيد عليه فى ذلك تماماً.

حادى عشر : السلوك الاجتماعى والعلاقات

Social Behavior and Relationships

فى وقت ما تجد أن بعض الأطفال على درجة من الانطواء والخجل وقد يكون عندهم مشاكل فى المشاركة الاجتماعية، ولكن فى الحقيقة أن هذا شىء

بسيط وسريع الاختفاء بمجرد تقدم عمر الطفل، أو المشكلة هنا تقع على توقعات الآباء، فبمجرد إجابة الطفل للكلام يظهر في نظرهم كرجل عاقل ويتوقعون منه الكثير، ونسى أنه لا يزال في مرحلة اكتشاف ما حوله، ومع ذلك فالمشكلة الحقيقية تظهر عندما تتعلق بالأحداث اليومية. مثلاً الطفل الذى يرفض اللعب مع أصدقائه ويكتفى بالمشاهدة لمدة طويلة جداً (حتى عندما يبلغ ست سنوات) فهذا مؤشر لمتاعب مستقبلية له.

١ - الصداقة Friendship :

لأشياء ينمى السلوك الاجتماعى لدى الطفل أكثر من أن يكون له صديق، ولحسن الحظ أن الصداقة شيء سهل الحدوث بالنسبة للأطفال، فمعظمهم يكون له نفس الهدف فى الحياة، كل ما فى الأمر أن يجد طفل آخر يلعب معه - بدلاً من أن يلعب كل منهما على حدة - وبدون شجار، إذن سيكون لديه الصديق الذى يقوم والداه بدعوته إلى البيت وزيارة بيته بانتظام.

إن الطفل يحتاج إلى صديق واحد جيد على الأقل، فإذا كانت هناك مشكلة بسبب عدم المشاركة فى المدرسة أو فى المنزل، فهذا الصديق سيمثل له المنفذ والمعلم له، لذلك فإننا نسأل طفلنا من هو صديقه أو أصدقاؤه المفضلون، ثم ندعو كل واحد منهم على حدة حتى نرى أن العلاقة قد توطدت مع أى منهم، وهنا ندعو هذا الطفل ثانية لنجعلهم يقضون فترة أطول مع بعضهم البعض، يذهبان إلى الحديقة مثلاً. وإذا كانا فى نفس الفصل الدراسى فسيكون لديهم الكثير ليفعلاه معاً، وتكون هذه هى بداية تكوين صداقات أخرى.

يجب على الآباء أن يكون لهم وظيفة فعّالة هنا، فلا بد أن يعرفوا من المدرس (أو الطفل) من هو أكثر الزملاء قرباً من طفلهم، ثم يقوموا بدعوة هذا الطفل وتوطيد علاقتهما معاً، والمرور عليه عند الذهاب إلى المدرسة. إن ذلك سيعود على طفلك بالمنفعة خاصة إذا انتقل إلى فصل أو مدرسة أخرى أو إلى مسكن آخر.

٢ - المشاركة Sharing :

إن حب التملك صفة من صفات الأطفال من سن ٣ إلى ٤ سنوات، وهذا يمنعه من أن يعطى أيّاً من الأطفال الآخرين لعبته المفضلة - لماذا ؟ - إذا وصل طفل

آخر لهذه اللعبة، فلاتعجب من أن ترى طفلك يتشبث بها قائلاً : إنها ملكى، ثم يذهب لإخفائها فى مكان سرى حتى لو لم يكن له الرغبة فى اللعب بها.

هناك طرق عديدة يمكن أن تساعد بها الطفل لكى يتعلم المشاركة، والنقطة التى نبدأ بها هى أن نتأكد من أننا نمتلك ما يريده الطفل، وإذا زاد امتلاكه فيجب استبداله بشئ قيم فى المقابل، فلاتعطى له دراجة جديدة فى مقابل أن يعطيك عصى الآيس كريم. فإذا عرض الطفل فى المقابل أيًا من لعبه ليركب تلك الدراجة الجديدة فنقول : «لا، أنا أريد هذا السيف (المفضل لديه) بدلا من هذه اللعبة» وبهذه الطريقة فهو لن يتعلم المشاركة فقط ولكن يعرف الطرق الصحيحة التى يطلب بها ما يريد كما يقلل هذا (إذا نجح) من حدة العدوانية والغضب والبكاء عندما يقوم به، ولانسى الشئ على الطفل عندما يشارك الآخرين، موضحين مدى الأثر النفسى الجيد الذى يتركه هذا عليهم - «انظر كيف جعلت ميرام سعيدة، انظر إنها معجبة بك كثيرا إنها تبتسم، يجب أن تفتخر بنفسك أنك جعلتها سعيدة». وما الشئ الثانى الذى يجب أن تفعله لتعليم المشاركة فى حالة وجود طفل أصغر؟ إن الأطفال يميلون عادة إلى مشاركة ومساعدة من هم أصغر منهم، فإنى أرى كثيرا من الأطفال يدعون الطفل الأصغر للعب بلعبهم أو أن يأخذ دورهم فى المراجيح بينما يقومون برفس الطفل الأكبر إذا جرؤ على ذلك.

عامة نحن نثنى على أى نوع من أنواع المشاركة «أنا فخور بك لأنك سمحت للصغير باسم أن يلعب بلعبك» إن الطفل لن يتعلم فن الإحساس بالمشاركة ولكنه يتعلم الإحساس السحرى الذى يسببه ذلك، فلاتتعجب أن تخبره قادمًا إليك فرحًا قائلاً «أنا شاركت مازن، لقد أعطيته سيفى ليلعب به، ألا يعجبك ذلك يا أمى؟» إنى أعلم أن كثيرا من الآباء يعلمون أطفالهم المشاركة بطلب ذلك منهم «دع ذلك لأختك» لا يجب أن يتم ذلك بهذه الطريقة، فالطفل يستجيب إلى الأمر دون أن يتعلم فائدته، فهذا يعلم الطفل الطاعة فقط دون أن يتطرق لموضوع المشاركة. والوقت الوحيد المسموح به فى إعطاء الأوامر عندما تكون تصرفات الطفل غير طبيعية. كمثال إنها تريد ببساطة أن ترد لعبة الطفل الآخر وفى هذه الحالة يجب أن نأمرها بذلك، ونوضح لها بعناية ما السبب فى هذا التصرف.

Withdrawal, Isolation and Shyness

إذا أخذ الطفل يراقب بقية الأطفال وهم يلعبون عن بعد دون أن يُشرك نفسه، فيجب أن نساعد بطرق عديدة، ولكي نعلم ما يجب أن نفعله لابد أن نحدد سبب عدم مشاركة الطفل، فهناك احتمالات عديدة، بعض الأطفال لا يشاركون لأنهم لا يعرفون كيف ذلك (اللعبة أو الأغنية) ربما يجب علينا تعليم الطفل هذه الألعاب بعيداً عن الأطفال الآخرين، فإذا تعلمها فسيكون أكثر مقدرة على المشاركة.

والبعض الآخر من الأطفال لا يشاركون باللعب بسبب الخوف أو الخجل. نحن نتعامل مع هذا كأي مشكلة من مشاكل الخوف بتقسيمها إلى خطوات صغيرة والتغلب على كل خطوة على حدة بالتهديئة والكلام واللعب. إنني ربما أذهب معها إلى الحديقة أولاً، أضرم يدها أو ألعب معها أيضاً فتكون في وسط الأحداث بجانبى، ثم أشجعها لتحاول أن تقذف لى الكرة، وعندما تعتاد على ذلك أترك يدها وأذهب لأتلقى الكرة. إنني أنتظر في نفس المكان لدقائق معدودة لأرى ما إذا كانت ستستمر أم لا، وأتركها تلعب بالكرة بمفردها (ذلك قد يستمر لمدة ٣ أيام). وقد نستخدم بعض خطوات أقل من هذه الخطوات، كأن يبدأ في اللعب مع طفل واحد آخر في البيت أو في المدرسة ثم نجعلهم اثنين . . . إلخ.

السبب الثالث لعدم مشاركة الأطفال أن الآباء يبالغون في الرعاية والاهتمام بأطفالهم عندما يكونون بجانبهم، فالطفل سرعان ما يتعلم أن عدم المشاركة يؤدي إلى اهتمام كثير من الناس به، وفي هذه الحالة فإن الآباء أو المعلم يجب أن يعطى اهتمامه باللعب والمشاركة وليس بالوحدة والعزلة. يجب أن نعلم بأن الطفل ربما لا يشارك بسبب عدم رغبته في اللعب أو تفضيله لشيء آخر يفعله، ففي هذه الحالة لا توجد هناك مشكلة على الإطلاق حيث لا يلجأ الطفل فيها إلى العزلة أو الخجل.

٤ - مساعدة الآخرين Helping Others

هناك طريقتان لتشجيع الطفل على مساعدة الآخرين، الأولى : أننا يمكن أن نفعل أشياء كثيرة جيدة باعتمادنا على مساعدة أطفال آخرين، أو قد يُعجل هذا

من الوصول إليها مثال ذلك قولنا «عمرو (الأخ الأكبر) إن أختك ياسمين لاتعرف كيف تفعل ذلك، هل يمكن أن تساعدنا» أو «نحن لانستطيع أن نخرج قبل أن ينظف طارق حجرته فإذا استطعت أن تساعدنا سوف نخرج كلنا فى أسرع وقت» وبهذه الطريقة فإننا نحرك روح المساعدة عند الطفل بدون استخدام الأوامر، فالطفل ينتظر شيئاً سعيداً يحدث له ولشريكه عندما يستطيع المساعدة.

الطريقة الثانية هى وضع الطفل فى موقف يعطيه الفرصة والقدرة على مساعدة طفل آخر، فإن الأطفال يميلون إلى المساعدة ولو من قبيل التظاهر.

إذا كنا نلعب لعبة تتضمن أسئلة، واللعبة توقفت انتظاراً لإجابة طفل آخر فإننا نجد طفلنا يحاول المساعدة والتدخل، وهذا يسرى على الرياضة، المهم هنا أن نراقب هذه الفرص وأن نشجى الطفل الذى يقدم المساعدة، ولكننا لانشجى على ذكائه فى سرعة الإجابة لكى لايتعمد ذلك، ولكن نشجى على تعاونه فقط، وبالإضافة إلى ذلك فإذا كان الطفل لديه أصدقاء فسوف نجد أنهم يساعدون بعضاً بالفعل، فعندما نود الثناء على الطفل يجب الانتظار لنراه معهم والإشارة إلى أى تعاون يديه، وقد يمكن أن نتدخل بأن نمسك بأحدهم ثم نقول له ضاحكين «هاها !! لن يستطيع أحد أن يحميك الآن» وقد يصيح الطفل «مازن، ساعدنى». أما ما يحدث بعد ذلك فهو شعور جميل وإحساس كل منهم بمدى التضحية والمساعدة التى أسداها بعضهم لبعض.

٥ - عاطفة المحبة Affection

الطريقة المثلى لإثارة العواطف فى التمثيل وإظهار مدى تأثيرها على الناس ثم المطالبة بها من الآن فصاعداً. إذا التقطت طفلك وغمرته بكثير من الأحضان والقبلات وأطبقت على يديه وأجلسته على رجلك، واضعاً يديك حول ظهره، بينما تقرأ له قصة، فسوف يثير ذلك رغبة الطفل فى أن يقلدك (وبالفعل يقوم بوضع يديه حول كتفك عند القراءة). ويجب أن تنظر إلى مدى فعلك لهذه الأمور مع زوجك أو مع الأقارب والأصدقاء، لأن الطفل الذى لديه جمود فى العواطف غالباً ما يميل والداه إلى عدم إظهار شعورهما.

ومما يجعل تعليم العواطف أسهل من بقية الصفات أنها ببساطة تؤدي إلى أشياء جميلة، فعندما يندفع الطفل نحوى عند عودتى من العمل فأتركه يتعلق برقيبتي ليحصل على كثير من القبلات والأحضان، وأى طفل يُغمر بالعواطف التى تؤدي إلى كثير من الارتباط واللعب وهذا يحدث طبيعياً.

ثانى عشر: النشاط الزائد Hyperactivity

فى خلال الخمس إلى العشر سنوات الأخيرة، أصبح موضوع النشاط الزائد من المشاكل التى يطول بحثها، وبالتأكيد هى واحدة من أعظم الشكاوى الشائعة بين الوالدين. وتقريباً الآباء والأمهات يشكون من أن لدى أطفالهم نشاطاً زائداً. فى عام ١٩٥٠ تم تلخيص الأنشطة الزائدة مبدئياً كمشكلة مرحلة الطفولة الوسطى، ولكنها الآن عُرفت كمشكلة تبدأ قبل سن السابعة وهذا مفيد للتركيز أكثر بالعناية والرعاية على مستوى الأنشطة للأطفال الصغار.

والذى نعنيه بمصطلح الأنشطة الزائدة يختلف تماماً عما يعتقد العامة. وهو فى الحقيقة أكثر بكثير من مجرد «طفل له نشاط زائد»، وقد بذلت جهود كبيرة لحل المشاكل التى تنبع من الطفل ذى النشاط الزائد وهذه المشاكل حقيقية.

والطفل ذو النشاط الزائد لا يمثل مشكلة حقيقية فهو قد يقوم بذلك لاختبار مدى صبر أمه. والآباء كثيراً ما يستخدمون لفظ النشاط الزائد ببساطة لكى يصفوا مستوى النشاط لأطفالهم. وهم عادة يستخدمون هذا المصطلح عندما يكون أطفالهم ذوى نشاط ملحوظ عن باقى الأطفال. فهم يقولون عن طفلهم «أنه يعبت فى كل شىء» «إنه صعب السيطرة عليه».

والطفل يُعجب بنفسه إذا كان كذلك لأن هذا يجعل أبويه مهتمين به بدرجة كبيرة لأن هذا بالطبع يتطلب انتباهاً وتيقظاً. ومثال على ذلك الطفل الذى يعبت بالأدوية والأشياء الكهربائية والاختفاء خارج الأبواب؛ فيكون بالطبع بعكس الطفل الذى يبقى فى حجرة المعيشة يلعب مع الأصدقاء أو مع لعبة. وكل هذه التصرفات شائعة جداً وخاصة بين الأولاد وتتطور بتقدم عمرهم.

١ - خصائص الطفل ذى النشاط الزائد :

أولاً : تنحصر مشاكل الطفل فى ثلاث جهات : الاندفاع Impulsiveness، ضعف الانتباه والتركيز، عشوائية الانطلاق.

ثانياً : لديه مشاكل ملحّة تتعلق بالنقاط الثلاث السابق ذكرها.

ثالثاً : أن هذا يعنى أن هذه الصعوبات التى تواجهه تزيد المواقف سوءاً عندما يطلب منه السيطرة على النفس - فى المرحلة الأولى من التعليم، مثل خلال الوقت الذى يسوده الهدوء عندما تحاول قراءة قصة، أو عند انتظار دوره فى اللعب أو عند تنظيف المكعبات التى كان يلعب بها، وهكذا.

رابعاً : ولكى تعتبر هذا نشاطاً زائداً لابد أن تستمر هذا الأمور معه لفترة ستة أشهر على الأقل.

جدول (٥)

مؤشرات النشاط الزائد

بالمقارنة مع الأطفال فى نفس عمره أو عمرها، يظهر على الطفل علامات ضعف التركيز، الاندفاع ومستوى عال من النشاط أو الانطلاق، وهذا بالطبع ينعكس انعكاساً سلبياً على بناء المواقف (فى الفصل مثلاً) وعندما يُطلب منه السيطرة على النفس.

(١) عدم الرعاية والاهتمام بالأمور (التركيز) : وفى الأغلبية تنعكس عليه فى الصور التالية :

- أ - يفشل دائماً فى إنهاء ما بدأه.
 - ب - غالباً لا يحسن الاستماع ولا المشاهدة أو المتابعة.
 - ج - من السهل إثارة.
 - د - يجد صعوبة فى أى مهام أو نشاطات تحتاج إلى تركيز كبير.
 - هـ - يجد صعوبة فى التعلم.
- (٢) الاندفاع : وغالباً ما تنعكس عليه الصور الآتية :
- أ - غالباً ما يتصرف بدون تفكير.
 - ب - ينتقل دائماً من نشاط لآخر.
 - ج - لديه صعوبة فى تنظيم اللعب أو مواد العمل.
 - د - يحتاج لقدر كبير من المراقبة والإشراف.
 - هـ - يجد صعوبة فى انتظار دوره فى اللعب.
- (٣) مستوى النشاط العالى أو الانطلاق، وغالباً تنعكس فى:

- أ - يجرى أو يتسلق الأشياء بتطرف.
 - ب - يصعب عليه الاستقرار فى مكان ما.
 - ج - يجد صعوبة فى الجلوس مستقراً.
 - د - يتحرك كثيراً أثناء النوم.
 - هـ - دائماً يتحرك أو يتصرف كأنه يعمل بموتور.
- (٤) تستمر هذه المؤشرات لفترة ٦ أشهر على الأقل.

والطفل ذو النشاط الزائد (مفرط النشاط) يكون لديه صعوبة كبيرة فى المواظبة على مهام أو أوامر أو تعليمات تُلقى إليه، فهى تدخل من أذن وتخرج من أذن، وهو من السهل إثارته بكم قليل من الضوضاء أو الحركة. والمصطلح «الاندفاع» يدل على قصور فى السيطرة على النفس، وعدم القدرة على الانتظار أو التعايش مع الأحداث، فالطفل ربما يتسلق قمة الأسطح، أو الأرفف (ويقفز من فوقها) أو ربما يدفع بنفسه إلى حمام السباحة وهو لا يجيد السباحة.

والطفل الزائد النشاط له مشاكل فى مستويات الأنشطة وبالتحديد عندما توضع قيود أو متطلبات على عاتقه، وبالبحث وجدنا أنه لا اختلاف فى مستويات النشاط بين الطفل العادى والطفل الزائد النشاط فى أوقات اللعب الحرة، ولكن يجد الطفل ذو النشاط الزائد صعوبة فى التحكم فى مستوى نشاطه، أو تغييره، أو عندما يطلب منه الهدوء.

وعلى كل حال فإن مستوى نشاط الأطفال ليس هو العامل الفاصل فى تعريف أو تحديد الطفل ذى النشاط الزائد، ولكن هناك عوامل أخرى مهمة. الطفل غير القادر على السيطرة على نفسه هو غالباً ما يكون مصدر إزعاج، فهو لا يسمع لمن هو أكبر منه، ودائم الحركة فى كل مكان، ولا بد أن ننتبه له سواء كان هذا الانتباه من المدرسين أو الآباء. ولكن الطفل النشط فحسب، يلعب فى هدوء ويتصرف تصرفات طبيعية وملائمة فهذا ما نطلق عليه النشاط الطبيعى. ولكن الطفل الزائد النشاط نطلق عليه هكذا لما يصدر منه من سلوك وتصرفات تثير المشكلات حتى ولو كان نشاطه لا يزيد عن نشاط الطفل الطبيعى. وفى الواقع هناك بعض التساؤلات مثل : هل النشاط الزائد يختلف فى حقيقته عن مشكلة سلوكية؟ هناك بعض الباحثين يشعرون بأنه لا اختلاف بينهما.

يظهر النشاط الزائد بوضوح فى سن الثامنة إلى العاشرة، وهذه تعتبر من المراحل الدراسية الأولى، والمشاكل الناتجة عن النشاط الزائد تكون قد بدت، فالطفل لا بد أن يجلس على مقعد لفترات طويلة، يذاكر أو يتابع كتاباً ما، أو يؤدى نشاطاً ما فى نفس المكان لفترة طويلة، وينظف ويترب مكانه بعدما ينتهى .

وعندما يكون النشاط الزائد نادرا، فيجب التعامل معه عند ظهوره. وقد أوضحت الدراسات أن النشاط الزائد غالبا ما يستمر في الطفولة المتأخرة، ويختفى طبيعيا عند البلوغ، ويصبح الطفل طبيعيا عند هذه السن.

إن النشاط الزائد لا يعنى أن هناك خطأ تنظيمياً فادحاً فادح، وكثيرا من الدراسات فشلت فى أن تربط بين النشاط الزائد والوظائف العقلية. وفى الحقيقة أن حوالى ١٠ ٪ من الأطفال ذوى النشاط الزائد يظهر عليهم قصور فى الناحية العقلية والإدراك.

والطعام والغذاء لهما دور فعال فى الأنشطة الزائدة، وخاصة أن الآباء يبالغون فى النظام الطبيعى للغذاء. ولا تتحسن حالة الاطفال ذوى النشاط الزائد عندما يتغير الطعام.

والدراسات قد سجلت أن الاطفال ذوى النشاط الزائد لديهم كميات كبيرة من الرصاص فى أوعيتهم الدموية. وهذا يسبب اللامبالاة وضعف فى التركيز وصعوبة فى التعليم. والرصاص الآن أصبح متوافرا فى التلوث الصناعى. وتشير الدراسات أن الرصاص عامل مقلق وسبب فى النشاط الزائد.

٢ - ماذا تفعل حيال النشاط الزائد ومستوياته ؟

بالرغم من أن النشاط الزائد شائع، والاطفال تتخلص منه بالنمو إلا أننا يجب أن نشجع الطفل على الهدوء (كالجلوس على السفرة ومساعدته فى تنظيف مكان لعبه وتعليمه القراءة فى الكتاب) فكل هذه الأشياء لها تأثير قوى ومباشر على نشاط الطفل. والبعض قد أضاف بعض المكافآت (مشاهدة برامج مفضلة فى التلفزيون - وقت للعب - الذهاب إلى السباحة ... إلخ) أو مفاجآت ولعب بسيطة إذا شعرنا ببدء الهدوء وفى المقابل لدينا التوبيخ إذا لم يحدث ذلك .

عامة إننا نتمعن فى المراقبة لهذه التصرفات مع التأكيد على حدوث الأشياء الجميلة إذا أظهر الطفل بعضا من ضبط النفس . مثلا سوف أدعك تلعب بعربة السباق الجديدة عندما تنظف مكان لعبك بالمكعبات، ثم نجزل الشاء إذا نجحت الخطوة ولا مانع من مساعدته فى بادئ الأمر، وبالمثل عند قراءة القصص يجب

أولا توفير جو من الهدوء حوله والقراءة معه بمنتهى اللطف، فإذا تاملت بجانبك وقفز واقفا وتحدث بصوت عال أو سريع، إذن فلنقل إنك لم تدعنى أكمل القصة، فسوف أتركها حالا .

للأسف هناك حل شائع للنشاط المفرط وهو استخدام الدواء، وهذا لسوء الحظ تكون نتائجه غير إيجابية على المدى البعيد، فإن العلاج بالدواء للطفل المريض بالنشاط الزائد يجعله أسوأ حالا من الذى لا يتعاطى أى دواء، وقد يجعله هذا الدواء هادئا فى الوقت الحالى ولكنه لا يعلمه أى شىء، وقد تمنع العقاقير الطفل من عمل المشاكل للآباء والمعلمين، ولكنها لها تأثيرها الضار على حياة الطفل الاجتماعية وضبط النفس فيما بعد، هذا ما يقرره Rincover .

ثالث عشر : الاستحواذ والإكراه والطقوس

Obsessions, Compulsions and Rituals

عمرو يستحوذ على لعبة السوبرمان فى كل وقت، عند مشاهدة التلفزيون، عند شرائه كل سوبرمان جديد ليأخذه معه فى كل وقت، عند ذهابه إلى التواليت، فى المدرسة، إلى أصدقائه، عندما ينام، ولا بد أيضا من ارتداء فائلة السوبرمان، والنوم على الملاءة المرسومة عليها السوبرمان، وطبعا لا بد من الغطاء ببطانية السوبرمان، ولا بد من ارتداء كل لبس السوبرمان (القناع، الخزام، علامة الصدر، السيف والخذاء الطويل) ولاتنس الصورة الكبيرة فى حجرته .

إن هذا مجرد مثال لموضوع الاستحواذ الذى يملك الأطفال، وفى الحقيقة ليس هناك ما يقلق تجاه ذلك وليس هذا استحواذا بالمعنى الحقيقى، فإن الطفل يتعلق باللعب يمتع بها نفسه ولكن سرعان ما يكبر ويتخلص منها ويكتشف أن هناك أصدقاء وألعاباً جديدة (ركوب الدرجات، كرة القدم . . .) يمكن أن تنافس هذه الألعاب القديمة .

إن فكرة الاستحواذ التى يجب أن تعالج ترجع إلى الأفكار المخيفة، أما الإكراه فيرجع إلى سلوك الخوف، أى أن كليهما تنصب على المخاوف . وكمثال أن الطفل قد يغسل يديه فى اليوم ١٠ مرات خوفا من القذارة ويخاف منها بل ويرفض الذهاب إلى منزل آخر خوفا من القذارة، وعدم اللعب فى الحديقة لأنها

قد تكون قذرة، وعامة فإن القذارة تسبب له قدرًا هائلًا من المخاوف، وطقوس غسيل اليدين تريحه إلى حد ما، وهذا ما يجب أن يعالج لكنه نادر الحدوث عند الأطفال أقل من ٦ سنوات .

إذا كان هناك كثير من تلك المخاوف تتدخل فى حياة الطفل اليومية وتستمر على الأقل لمدة ٦ أشهر، فيجب أن يعالج هذا الموضوع معالجة الفوبيا (انظر الجزء الخاص بالخوف والفوبيا) ومن الأفضل أن تأخذ النصيحة من الأخصائى قبل عمل أى شىء .

رابع عشر : طلب المساعدة Getting Help

الآباء يجب ألا ينجسوا من طلب المساعدة فى تربية أبنائهم وإن سيطر بهم الإحساس بأن هذه المشكلة خاصة بهم فقط نتيجة تصرفاتهم . أو أن الأخصائين النفسيين وجدوا للمشكلات العويصة والخطيرة، وهذا ليس حقيقيا .

أولا : يجب أن نعلم أن الأخصائين النفسيين يبحثون عن ثقتك، ولا يمكن أن يغلقوا أى باب فى وجهك بدون علاج، ولا بد أن يثق الآباء فيما يقال بينه وبين الأخصائى ويعتمد عليه .

لقد وجد الأخصائون لمساعدتك إذا احتجت أى شىء، إذا انتابك أى قلق بخصوص طفلك، وتوجيهك التوجيه السليم أثناء تقدم حالة الطفل أو تأخره، المهم هنا هو اختيار الأخصائى السليم، ولا بد أن يسأل الآباء وينقبوا عن أسمائهم وتخصصاتهم .

لقد أوضحنا من قبل متى يكون سلوك الطفل مشكلة، وماذا يجب أن نفعل حيال ذلك والنظم التى وضعت ليست جميعها مصممة لطفلك أنت، وإنما هى أمثلة ومفاهيم من خبرات سابقة وقراءات، الأمر الذى يجعلك تبحث عن النظام الخاص بك، وإذا لم تفلح محاولتك الشخصية فى وضع النظام لتقويم الطفل فلامفر من أن نلجأ إلى المساعدة، وسوف يصبح طفلك فى أحسن حال مادمت ترعاه وتهتم بمشكلاته مبكراً.

ثم بحمد الله وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المراجع



أولاً : المراجع العربية

- (١) إبراهيم خليفة (١٩٨٦) : المربيات الأجنبيات فى البيت العربى الخليجى .
الرياض : مكتب التربية العربى لدول الخليج .
- (٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (د.ت) : المفردات
فى غريب القرآن . تحقيق محمد سيد كيلانى .
بيروت : دار المعرفة .
- (٣) السيد محمد خيرى وآخرون (١٩٧٥) : التلفزيون والصغار . القاهرة : المركز
القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .
- (٤) بثينة قنديل (١٩٦٤) : دراسة مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من
حيث بعض نواحي شخصيتهم . رسالة دكتوراه ،
كلية التربية - جامعة عين شمس .
- (٥) جابر عبد الحميد وسليمان الخضرى (١٩٧٨) : دراسات نفسية فى الشخصية
العربية . القاهرة : عالم الكتب .
- (٦) حامد زهران (١٩٨٤) : علم النفس الاجتماعى . القاهرة : عالم الكتب .
- (٧) زكريا الشربينى (١٩٨١) : التوافق النفسى وعلاقته بدافع الإنجاز فى مرحلة
الطفولة المتأخرة . رسالة دكتوراه ، كلية البنات -
جامعة عين شمس .
- (٨) زكريا الشربينى (١٩٩٤) : المشكلات النفسية عند الأطفال . القاهرة : دار
الفكر العربى .
- (٩) سعد عبد الرحمن (١٩٧٠) : عملية التطبيع الاجتماعى وأزمات التحامل
والتعصب فى مجتمعاتنا المعاصرة . الكويت :
وزارة الإعلام .
- (١٠) سيد أحمد عثمان (١٩٧٤) : علم النفس الاجتماعى التربوى ، التطبيع
الاجتماعى . القاهرة : الأنجلو المصرية .
- (١١) صالح البكارى (١٩٨٤) : أنماط تنشئة الطفل اجتماعياً . طرابلس : الدار
العربية للكتاب .

- (١٢) عادل عز الدين الأشول (١٩٨٩) : علم نفس النمو . القاهرة : الأنجلو المصرية .
- (١٣) عصام عبد الجواد (١٩٨٧) : أثر الخدم الأسوي والمربيات الأجنيات فى أبناء دولة الإمارات العربية . بيروت : دار الوسام .
- (١٤) على عبد الواحد وافى (١٩٥٨) : عوامل التربية . القاهرة : الأنجلو المصرية .
- (١٥) على عبد الواحد وافى (١٩٧١) : الأسرة والمجتمع . القاهرة : نهضة مصر .
- (١٦) غريب سيد أحمد وآخرون (١٩٩٥) : دراسات فى علم الاجتماع العائلى . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- (١٧) فؤاد البهى السيد (١٩٨٠) : علم النفس الاجتماعى . القاهرة : دار الفكر العربى .
- (١٨) فاروق العدلى (١٩٨٤) : التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل القطرى . حولى كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية . العدد السابع .
- (١٩) فالح حنظل (١٩٧٨) : حجم الألفاظ العامية فى دولة الإمارات . أبو ظبى : مؤسسة دار الفكر للطباعة .
- (٢٠) كاميليا عبد الفتاح (١٩٧٢) : فى سيكولوجية المرأة العاملة . القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة .
- (٢١) ماهر محمود عمر (١٩٩٢) : سيكولوجية العلاقات الاجتماعية . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- (٢٢) مبارك ربيع (١٩٨٤) : عواطف الطفل . طرابلس - ليبيا : الدار العربية للكتاب .
- (٢٣) محمد فايز (١٩٨٤) : مدخل إلى علم الاجتماع : دراسة نظرية فى فهم المجتمع . الرياض : منشورات دار الفيصلى الثقافية .

- (٢٤) محمد فرح (١٩٨٩) : البناء الاجتماعي والشخصية . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- (٢٥) مصطفى سويف (١٩٥٩) : الأسس النفسية للإبداع الفني (فى الشعر) . القاهرة : دار المعارف .
- (٢٦) مفيد حواشين وزيدان حواشين (١٩٨٩) : النمو الانفعالي عند الأطفال . عمان : دار الفكر .
- (٢٧) ممدوحة سلامة (١٩٨٧) : مخاوف الأطفال وإدراكهم للقبول والرفض الوالدى . مجلة علم النفس العدد الثانى : ص ص ٥٤ - ٦١ .
- (٢٨) وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنيات على خصائص الأسرة الكويتية : إدارة التخطيط والمتابعة .
- (٢٩) وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (١٩٨٣) : أثر المربيات الأجنيات على خصائص الأسرة فى البحرين . البحرين : قسم التخطيط والبحوث .
- (٣٠) وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل (١٩٨٤) : أثر المربيات الأجنيات على خصائص الأسرة العمانية . عمان : المديرية العامة للشؤون الاجتماعية .
- (٣١) وليم لامبرت وولاس لامبرت (١٩٨٩) : علم النفس الاجتماعى . ترجمة سلوى الملا ، القاهرة : دار الشروق .
- (٣٢) يسرية صادق (١٩٧٩) : العلاقة بين حجم الأسرة وبعض نواحي شخصية الطفل . رسالة ماجستير ، كلية البنات - جامعة عين شمس .
- (٣٣) يسرية صادق (١٩٨٢) : دراسة لمتغيرات ترتبط ببعض أبعاد التكوين النفسى للطفل داخل الأسرة . رسالة دكتوراه ، كلية البنات - جامعة عين شمس .
- (٣٤) يوسف القاضى ومحمد زيدان (١٩٨١) : السلوك الاجتماعى للفرد . القاهرة : شركة مكنتات عكاظ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

- (35) Ammar, H. (1954): Growing Up in Egyptian Village, Silwa Provience of Aswan. London : Routledge and Kegan Paul.
- (36) Atkinson, J. (1958): Motives in Fantasy Action and Society. New York: D.van Nostrand Company, Inc.
- (37) Bandura, A. (1971): Social Learning Theory. New York: Gen-eral Learning Corp.
- (38) Baumrind, D. (1971): Current Patterns of Parental Authority. Developmental Psychology Monographs. 4-A, PP. 1-103.
- (39) Baumrind, D. (1980) : New Directions In Socialization Resea-rch. American Psychologist, Vol. 35, pp. 639 - 652 .
- (40) Becker, W. (1969): Consquences of different kinds of parental discipline. In M.Hoffmen and L.Hoffmen (Eds). Review of Child Development Re-asearch. Vol. 1, PP. 169-206.
- (41) Belsky. J. (1980) : Child Molteratment : An Ecolohical Inter-gration. American Psychologist, vol. 35, pp. 320 - 335 .
- (42) Belsky, J. (1984) : The Determinets of Parenting : Process Model. Child Development, Vol. 55, pp. 83 - 96 .
- (43) Brazelton, B. (1974) : The Origins of Recipocity : the Early Mother Infant Interaction. In Lewis, M. and Rosenblum, L. (1977) : The Effect of the Infant on Its Caregiver: The Origins of Behavior, vol.1. New York: Wiley and Sons.

- (44) Brodzinsky, D. Gormly, A. and Amborn, S. (1986): Life Span Human Development. New York: CB Publishing.
- (45) Bronfenbrenner, U. (1970) : Two worlds of Childhood, U.S.A. and U.S.S.R. New York: Russell Sage Foundation.
- (46) Denham, S., Zoller, D. and Couchoud, E. (1994) : Socialization of preschoolers' Emotion Understanding. Developmental psychology, Vol. 30, No.6, pp. 928-936.
- (47) Doreen, R. (1972): Programs are Tools, Not Religious in Teacher of Young Children. Houghton: Mc Million Comp.
- (48) Dunn, J., Brown, J., Slomkowski, C., Tesla, C., Youngblade, L. (1991) : Young Children's Understanding of other People's Feelings and beliefs : Individual Differences and their Antecedents. Child Development, 62, pp. 1352-1366.
- (49) Eliason, C. and Jenkins, L. (1977): A practical Guide Early Childhood Curriculum. Saint Louis: The C.V. Mosby Comp.
- (50) Elkin, F. and Hardel, G. (1972) : The Process of Socialization. New York : Random House.
- (51) Etaugh, C. (1974): Effects of Maternal Employment on Children: A review of recent research. Merrill-Palmer Quarterly. vol. 20 (2), PP. 71-98.
- (52) Field, T. (1991) : Quality Infant day-care and Grade School Behavior and Performance. Child Development, 62, PP. 863-870.
- (53) Fong, B. and Resnick, M. (1980): The Child, Development Through Adolescence. Menlo Park: The Benjamin Cummings Pub. Co.

- (54) Gruse, J. and Kuczyndki, J. (1980) : Direction of Effects In Socialization : A Comparizon of The Parents Versus the child Behavior as Determinates of Disciplinary Techniques. Developmental Psychology, vol 1. pp. 1 - 9.
- (55) Hetherigton, E. and Park, D. (1979): Child Psychology Conter. New York: McGrow-Hill.
- (56) Hetherington, E. and Parke, R. (1980): Child Psychology: A Contemporary Viewpoint. New York: McGraw-Hill Book Co.
- (57) Kagan, J. (1971): Personality Development. New York: Harcourt Brace Jovonovich, Inc.
- (58) Klaus, M. and Kennel, J. (1976) : Maternal Infant bonding. St. Louis. Mosby.
- (59) Krumboltz, J. and Krumboltz, H. (1972): Changing Children's Behavior. New Jersey: Prentice-Hall, Inc.
- (60) Lambert, W. and Lambert, W. (1973): Social Psychology. New Jersey: Printice-Hall, Inc.
- (61) Maccoby, E. (1961) : The Choice of Variables In the Study of Socialization. Sociometry, Vol. 24, No.4.
- (62) Maccoby, E. (1980): Social Development, psychological Growth and the parent-Child Relationship. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
- (63) Maccoby, E., and Martin, J., (1983) : Socialization in the Context of the Family : Parent-Child interaction. In P.H. Mussen (series Ed.) and E.M. Hetherington (vol. Ed.), Handbook of Child psychology : Vol. 4. Socialization, Personality and Social Develop, PP. 1-102. New York : Wiley.
- (64) Marjoribanks, K. (1981): Birth Order and Family Learning Environments. Psychological Reports, 49, PP. 915-919.

- (65) Mead, M. (1935) Sex and Temperament in There Primitive So-
cieties. New York: Morrow.
- (66) Michalson, L. and Lewis, M. (1985) : What do children know
about emotions and when do they know
it? In M. Lewis and C.Saarni (Eds.), The
Socialization of emotion, pp. 117-140.
New York : Plenum.
- (67) Park, R. and Collmer, C. (1975) : Child Abuse. An Interdiscipli-
nary Analysis. In E.Hetherington (Ed).
Review of Child Development Reasearch,
Vol. 5, PP. 139-146.
- (68) Parsons, T. (1955) : Family, socialization and Interaction. Lon-
don: The Free Press.
- (69) Parsons, T. (1965) : Social Structure and Personality. London:
The Free Press.
- (70) Patterson, G. (1979): Aperformance Theory for Coercive Fami-
ly Interaction. In R. Carins (Ed.) Social
Interaction. New Jersey: Lawrence Erl-
baum.
- (71) Reber, A. (1985): Dictionary of psychology. London: Hazell
Watson and Viney Limited.
- (72) Rincover, A. (1990) : The Parent-Child Connection. New
York : Simon and Schuster, Inc.
- (73) Schaefer, E. (1959): Acercumplex Model for Maternal Behav-
ior. J. Abnormal and Social psychology.
vol. 59, PP. 225-235.
- (74) Sears, R., Maccoby, E. and Levin, H. (1957): Patterns of Child
Rearing. Evanston, III.: Row, Paterson.
- (75) Selzick, L. (1954) : Sociology. London : Brentic-Hell.
- (76) Sewell, W. (1963) : Some Recent Developments in Socializa-
tion Theory and Research. In the Annals

of the of the American Academy of political and Social Science, Philadelphia, Vol. 349, pp. 163-181.

- (77) Sewell, w. and Shah, v. (1986) : Social Calss Parental Incou-
ragement and Educational Aspriation
American Journal of Sociology, vol. 33,
pp. 559 - 572 .
- (78) Shaffer, D. (1993) : Developmental psychology California :
Wadsworth, Inc.
- (79) Stern, D., (1974) : Mother and Infant at blay; the Dyadic inter-
action involving facial and Gaze Behav-
ior. Dans. In Lewis, M. and Ronsenblum,
L. (1977) : The Effect of the In fant on its
caegiver : The Origins of Behavior, Vol.1.
New York : Wiley and Sons.
- (80) Watson, R. and Lindgren, H. (1979) : Psychology of the Child
and the Adolescent. New York : MacMil-
lan Publishing Co., Inc.
- (81) Whiting, B. (1963) : Six Cultures Studies of Child Rearing.
New York: Jahn Wiley.
- (82) Zahn-Waxler, C., Ridgeway, D., Denham, S., Usher, B., and
cole, p. (1993) : Research Strategies for
assessing mothers' interpretations of in-
fants' emotions. In R. Emade, J. Osofsky,
and P. Butterfield (Eds.), Parental perce-
tions of infant emotions, pp. 217-236.
Madisoon, CT: International Universities
Press.
- (83) Olevra - Ezzell, N., Power, T., and Cousins, J. (1990): Maternal
Socialization of children's Eating Habits:
Strategies used by obese Mexican-
American Mothers. Child Development,
61, PP. 395-400.

- (84) Power, T., and Parke, R. (1986): Patterns of Early Socialization: Mother and Father-infant Interaction in the Home. *International J. of Behavioral Development*, 9, PP. 331-341.
- (85) Power, T., McGrath, M. Manire, S., (1994): Compliance and Self -Assertion: Young Children's Responses to Mothers versus Fathers. *Developmental psychology*, 30, PP. 980-989.
- (86) Alexander, K., and Entwisle, D. (1988): Achievement In the First 2 Years of School: Patterns and Processes. *Monographs of the Society for Research in child Development*, 53 (2, Serial No. 218).
- (87) St. Peters, M., Fitch, M., Huston, A. and Wright, J., (1991): Television and Families: What do young Children Watch with their parents?. *Child Development*, 62, PP. 1409-1423.
- (88) Selroade, J. (1993): Genetic Influence on Family Enviroment: The Role of personality. *Developmental psychology*, 29, PP. 110-118.
- (89) Fabes, R., Eisenberg, N., Karbon, M., Bernzweig, J., and Speer, A. (1994): Socialization of Children's vicarious Emotional Responding and Prosocial Behavior: Relations with Mothers' perceptions pf children's Emotional Reactivity. *Developmental psychology*, 30, PP. 44-55.
- (90) Belsky, J., Fish, M., and Isabella, R. (1991): Continuity and Discontinuiy in Infant Negative and Positive Emotionality: Family Antecedents and Attachment Consequences. *Developmental Psychology*, 27, PP. 421-431.

- (91) Melton, G. (1991): Socialization In the Global Community :
Respect for the Dignity of Children.
American Psychologist, 46, PP. 66-71.
- (92) Denham, S., Zoller, D., and Couchoud, E. (1994): Socialization
of Preschoolers' Emotion Understanding.
Developmental Psychology, 30, PP. 928-
936.

| | |
|---------------------|------------------------------|
| ٩٥ / ٨٩١٢ | رقم الإيداع |
| 977 - 10 - 0780 - 7 | I. S. B. N الترقيم الدولي |